منبر الإسلام

العدد ٦ - السنة ٢٢ - جمادى الأخرى ١٣٨٤ - ٧ أكتوبر سنة ١٩٦٤

أطلب مع هذا العدد تحقيقا عن مؤتمر أبى بكر الصديق الخامس

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فى غرة كل شهر عربى

رئيس التحرير **محمد توفيق عويضة**

العدد ٦ السنة ٢٢

جماد الآخر ١٣٨٤ - ٧ اكتوبر ١٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر القمة العربى الثانى
* لقاء القمة العربى الثانى فى الاسكندرية
* ارادة التغيير - السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية
* صور مجيدة من شهر ربيع الأول - فضيلة الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون
* النهضة الثقافية فى تونس - حديث مع الأستاذ الشاذلى القليبى وزير الشئون الثقافية والأخبار بتونس
* صفات الحديث الذى يحتج به - فضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد
* منهج القرآن فى التعريف بالله - فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
* من حضارة الاسلام - الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل
* قداسة الدين فوق حرية الآراء - فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
* الاسلام والقومية العربية - الدكتور أحمد الحوفى
* خواطر مستشار - المستشار على على منصور
* اشتراط الاسلام رضا المرأة فى الزواج - الدكتور على عبد الواحد وافى
* باب الشعر - الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل - الشاعر عبد الله شمس الدين
* باب الافتاء - باب العلم - باب ندوة الشهر - باب المرأة المسلمة - باب التحقيقات ٠

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الاخرى

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبانات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

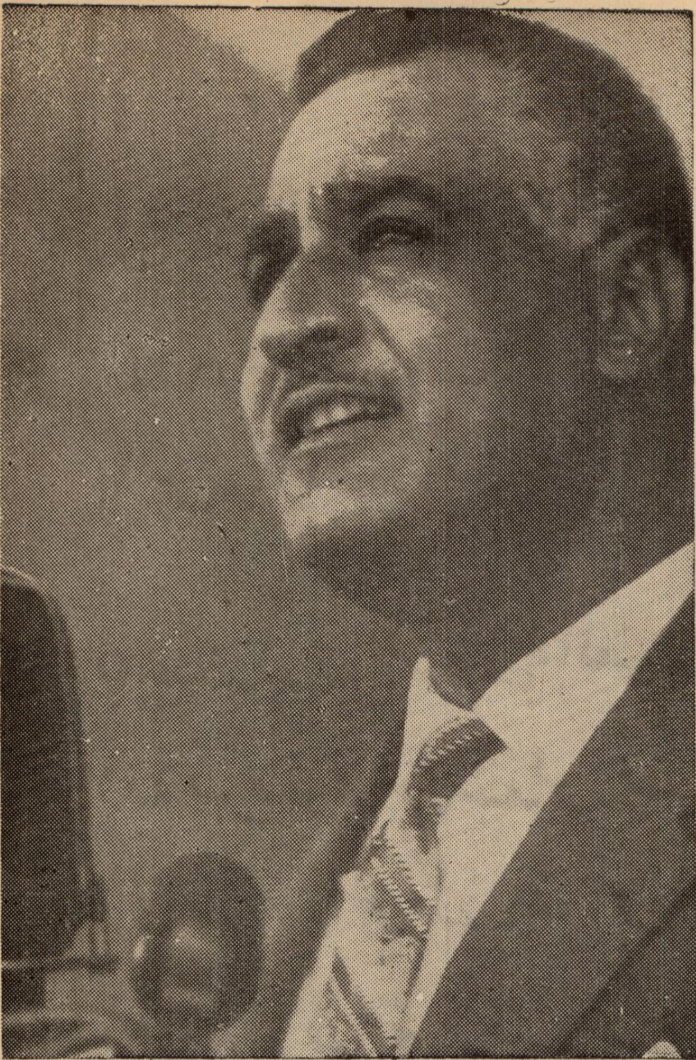

معالم الطريق

خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر
في مؤتمر القمة العربي الثاني

• الله معكم سنداً ومرشداً في المهمة الكبيرة التي تتحملون أمانتها

• ليست لدى الجمهورية العربية المتحدة أية موضوعات تتعلق بسياستها الخاصة الوطنية أو القومية أو الدولية ترغب في إقحامها على وقتكم

أيها الاخوة والأصدقاء

فى كلمة قصيرة أريد أن أنقل اليكم تحية شعبكم العربى فى الجمهورية العربية المتحدة وكل أمانيه أن يكون الله معكم مرشدا وسندا فى المهمة الكبيرة التى تتحملون أمانتها ، أمانة تاريخها المتدفق بالحيوية من ماض عظيم الى مستقبل أعظم عبر تحديات ومصاعب أراد الله أن يمتحن بها استحقاقنا جميعا للحياة وللحرية ولشرف النضال من أجلهما .

ويشعر الشعب العربى فى مصر بعرفان لكم لا يقدر أن اخترتم الاسكندرية منارة التاريخ والحضارة لتكون بيتا لاجتماعكم الثانى ولذلك معنى خاص نعتز به . فان قدومكم الى القاهرة لحضور مؤتمر القمة العربى الأول كان تلبية لدعوة تفضلتم جميعا بالاستجابة لها وبالقبول .

وأما هذه المرة فى الاسكندرية فان الاجتماع وزمانه ومكانه كانوا برغبة كريمة منكم جميعا وبقرار .

وكما تذكرون أيها الاخوة والاصدقاء ، فلقد كان الهدف الأساسى الذى اتجهت نحوه الدعوة الى المؤتمر العربى الأول على مستوى القمة فى يناير الماضى هو :

تعزيز امكانيات الدفاع العربى فى وجه أخطار متزايدة على الأرض المحتلة من فلسطين بكل ما ينطوى عليه ذلك من مجالات للعمل انشائية وسياسية وعسكرية واقتصادية .

ولقد واجهتم ذلك فى المؤتمر الأول بما رأيتموه من القرارات ، وهى قرارات شرفنا أن نضع عليها توقيعنا مؤمنين أن تنفيذها الدقيق والمخلص كفيل بتحقيق أهداف الدعوة .

ولقد جاء الوقت لهذا المؤتمر فى اجتماعه الثانى وفق قراركم وتوجيهكم لكى يتدارس فيما تم فى المرحلة التى انقضت منذ المؤتمر الأول وأن يرى رأيه فيه واقفا على موضع المسئولية التاريخية العظمى .

أيها الاخوة والأصدقاء

ان الجمهورية العربية المتحدة تشترك فى هذا المؤتمر الثانى لملوك ورؤساء العرب بنفس الروح التى حفزتها الى توجيه الدعوة للمؤتمر الاول ، روح الايثار والحرص على المصير القومى المشترك .

وأصارحكم بوضوح أنه ليست لدى الجمهورية العربية المتحدة أية موضوعات تتعلق بسياستها الخاصة الوطنية أو القومية أو الدولية ترغب فى اقحامها على وقتكم .

ان القوة الذاتية للجمهورية العربية المتحدة تتعاظم باستمرار وبالتالى تزيد من امكانياتها فى خدمة سياستها وفى خدمة النضال القومى المشترك فى نفس الوقت .

ونحن نعلم أنكم تابعتم وتتابعون جهود الشعب المصرى فى البناء ، بناء السدود العظيمة والصناعات الثقيلة ومضاعفة الدخل القومى باضطراد لنستطيع تدعيم الحرية الاجتماعية للفرد وهى ضمان حريته السياسية وسندها .

كذلك نحن نحس باهتمامكم بالدور المناصر لقضايا الحرية والسلام الذى تضطلع به الجمهورية العربية المتحدة وأن النشاط الذى شهدته القاهرة هذا العام ليعطى صورة كافية للقدرة العربية على الاشعاع والتأثير ، فلقد تابعتم بغير شك زيارات عدد كبير من أقطاب العالم للقاهرة وانعقاد المؤتمر الافريقى الثانى بها فى شهر مايو الماضى . ثم التحضير لانعقاد المؤتمر الثانى لرؤساء الدول غير المنحازة بها أيضا فى شهر اكتوبر المقبل .

ان هذا كله لم يثبت فقط قيمة الوجود العربى وفاعليته فى هذه المنطقة من العالم وانما تعدى ذلك ليثبت القدرة العربية على الاسهام الايجابى فى قضايا العالم المعاصر ومشكلاته وآماله .

أيها الاخوة والأصدقاء

لم أستطرد فى ذلك كله الا وراء مقصد واحد هو أن أشير الى أن كل ما تحققه أية عاصمة عربية لا قيمة له اذا لم يخدم المصير القومى المشترك لا ينفصل عنه بالأنانية أو بالتعالى .

أيها الاخوة والأصدقاء

شعبكم هنا يوجه اليكم تحيته ويمهد لعملكم بنيته الصافية الخالصة ويسند نتائجه بكل طاقاته . وليكن الله معنا جميعا هنا نورا وحقا .

والسلام عليكم ورحمة الله .

زعماء العالم الاسلامى ..

لقاء القمة العربى الثانى
فى الاسكندرية
من ٥ الى ١١ سبتمبر ١٩٦٤

اتجهت انظار العالم الى قصر المنتزه بالاسكندرية حيث التقى ملوك العرب ورؤساؤهم للمرة الثانية بعد ثمانية شهور من اجتماعهم الأول الذى دعا اليه الرئيس جمال عبد الناصر لبحث مسألة تحويل اسرائيل لمجرى نهر الاردن وما تبيته للعرب من نوايا عدوانية كان لابد من مجابهتها على مستوى القمة العربى .

واستقبلت الاسكندرية ملوك ورؤساء ١٣ دولة يمثلون مائة مليون عربى .. جاءوا من افريقيا وآسيا والوطن العربى .. ليلتقوا فى مؤتمر القمة الثانى وقد عقدوا العزم على مواصلة طريق التحدى ضد الصهيونية والاستعمار .

وتناول المؤتمر العربى موضوعات على درجة خطيرة من الأهمية .. موضوعات تحدد مستقبل الأمة العربية بوجه عام ، ومستقبل فلسطين بوجه خاص . وكانت المقابلات الثنائية والاجتماعات الجانبية مظهرا جديدا من مظاهر التفاهم الكامل لانجاح المؤتمر . وكان لها أكبر الأثر فى تذليل كل الصعاب وتقريب وجهات النظر المختلفة مما ساعد على ان ينهى المؤتمر اعماله مسجلا أضخم انتصار.

الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الملك حسين

فى القاهرة

وأعلن بيان الملوك والرؤساء فى مساء ١١ سبتمبر ، وأكد المجلس وجوب استخدام جميع امكانيات العرب لمواجهة الاستعمار والصهيونية واصرار اسرائيل فى حملتها العدوانية ..

وقرر المجلس بداية العمل الفورى فى المشروعات العربية لاستغلال مياه نهر الاردن ورحب بانشاء منظمة تحرير فلسطين وانشاء جيش التحرير الفلسطينى .. واعرب المجلس عن ارتياحه لوحدة كلمة العرب لدعم التضامن والتعاون العربى المشترك ..

نص البيان

بيان مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية فى دور اجتماعه الثانى بالاسكندرية منذ ٥ حتى ١١ من سبتمبر - أيلول - سنة ١٩٦٤ :

ان مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية فى دور اجتماعه الثانى بقصر المنتزه بالاسكندرية منذ الثامن والعشرين من ربيع الثانى حتى الخامس من جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ هـ . الموافق الخامس حتى الحادى عشر من سبتمبر - ايلول - سنة ١٩٦٤ م . حيث التقى الملك حسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية والسيد الباهى الأدغم نائبا عن فخامة رئيس الجمهورية التونسية والرئيس احمد بن بيللا رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية والرئيس الفريق ابراهيم عبود رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة لجمهورية السودان والرئيس المشير الركن عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية والأمير فيصل آل سعود نائب ملك المملكة العربية السعودية والرئيس الفريق محمد أمين الحافظ رئيس المجلس الوطنى لقيادة الثورة للجمهورية العربية السورية والرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة والرئيس المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية والأمير الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير دولة الكويت والرئيس شارل الحلو رئيس الجمهورية اللبنانية المنتخب والملك ادريس الأول ملك المملكة الليبية والأمير عبد الله نائبا عن جلالة ملك المملكة المغربية والسيد احمد الشقيرى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية .

وحدة كلمة العرب

وقد تدارس المجلس تقرير الأمين العام عن المبادىء والقرارات التى صدرت فى الدورة الأولى وسير تنفيذها ووسائل دعمها وأعرب عن ارتياحه لوحدة كلمة العرب والسير فى تنفيذ المقررات السابقة وبداية المشاركة فى الأعمال البناءة الجماعية التى من شأنها كفالة تقدمهم ونصرة قضايا الحرية التى يناضلون فى سبيلها ، وحقق المجلس فى هذه الدورة انجازات جديدة فى دعم التضامن والعمل العربى المشترك ، وأصدر قرارات تكمل قرارات الدورة السابقة وتزيدها قوة وفاعلية .

خطة للعمل المشترك

وأجمع المجلس على تحديد الهدف القومى فى تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيونى ، وعلى الالتزام بخطة للعمل العربى المشترك ، سواء فى المرحلة الحالية التى وضعت مخططاتها أو فى المرحلة التالية التى تقرر الاعداد لها .

وأكد المجلس وجوب استخدام جميع امكانيات العرب وحشد طاقاتهم ومقدراتهم لمواجهة تحدى الاستعمار ، والصهيونية ، واصرار اسرائيل على المضى فى سياستها

الملوك والرؤساء يؤدون صلاة الجمعة

العدوانية والتنكر لحقوق عرب فلسطين فى وطنهم .

واتخذ المجلس القرارات الكفيلة بتنفيذ المخططات العربية ، وخاصة فى الميادين العسكرى والفنى . ومن بينها بداية العمل الفورى فى المشروعات العربية لاستغلال مياه نهر الادرن وروافده .

تحرير فلسطين

ورحب المجلس بقيام منظمة التحرير الفلسطينية دعما للكيان الفلسطينى ، وطليعة للنضال العربى الجماعى لتحرير فلسطين ، واعتمد قرار المنظمة انشاء جيش التحرير الفلسطينى ، وعين التزامات الدول الأعضاء لمعاونتها فى ممارسة مهامها .

وعنى المجلس بالبحوث السياسية والاقتصادية الخاصة بعلاقات الدول العربية بالدول الأجنبية ونتائج رحلات وزراء الخارجية العرب . وأعرب عن التقدير لمواقف الدول التى أبدت تأييدها للقضايا العربية وخاصة قضية فلسطين ، وقرر متابعة الاتصالات واستكمال الدراسات تمهيدا لتنفيذ المبدأ المقرر فى الدورة الاولى ، والمتضمن تنظيم علاقات الدول العربية بالدول الأجنبية على أساس مواقفها من قضية فلسطين والقضايا العربية الاخرى .

الارادة العربية

وأكد المجلس الارادة العربية فى مواجهة القوى المناوئة للعرب وفى مقدمتها بريطانيا باستعمارها لبعض المناطق العربية واستغلال ثرواتها وبأعمال الابادة التى تمارسها فى الجنوب المحتل متحدية ميثاق الأمم المتحدة ومبادئها وحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وقرارات الجمعية العامة ولجنة تصفية الاستعمار .

مكافحة الاستعمار البريطانى

وقرر المجلس مكافحة الاستعمار البريطانى فى شبه جزيرة العرب **وتقديم المساعدات**

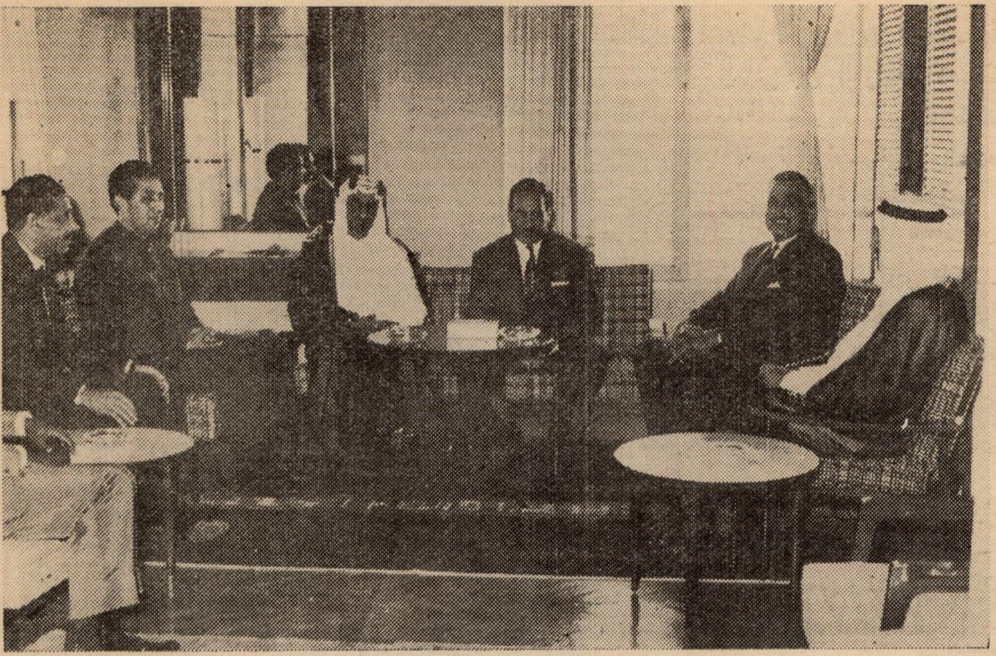

الملوك والرؤساء اثناء اجتماعاتهم الفرعية

لحركة التحرير فى الجنوب المحتل وعمان .

كما عنى المجلس بدعم العلاقات العربية الأخوية بامارات الخليج العربى كفالة للحرية العربية التى لا تتجزأ وتحقيقا للمصالح المشتركة .

وبحث المجلس وسائل دعم العمل العربى الموحد فى نطاق الجامعة سياسيا ، ودفاعيا واقتصاديا واجتماعيا وتكريس الجهود المشتركة لبناء التقدم العربى .

دعم التعاون الاقتصادى

كما وجه المجلس عناية خاصة الى دعم التعاون الاقتصادى والعربى وتنفيذ الاتفاقات الخاصة به بوصفه الأساس للقوة والتقدم العربيين للمقدرة على مواجهة التحديات الأجنبية ، فضلا عن أنه الهدف الأول للتجمعات الدولية المعاصرة .

وأكد ضرورة مضاعفة التعاون وزيادة الاسناد الاقتصادى لدول المغرب العربى .

مجلس عربى مشترك

وقرر المجلس تأليف مجلس عربى مشترك للبحوث الذرية للاغراض السلمية فى نطاق الجامعة . وانشاء محكمة العدل العربية . وأن يكون اجتماع مجلس الملوك والرؤساء العرب دوريا فى شهر سبتمبر « ايلول » من كل عام .

كما قرر أن تستمر لجنة المتابعة فى عملها بحيث تجتمع مرة كل شهر على المستويات الموجودة وعلى أن تجتمع كل أربعة أشهر على مستوى رؤساء الوزراء أو نواب الرؤساء فى احدى البلاد العربية ، وأن يكون هذا الاجتماع بمستوى رؤساء الوزراء أو نواب الرؤساء هيئة تنفيذية لمجلس الملوك والرؤساء ، يبت فى الامور العاجلة تمشيا مع قرارات الملوك والرؤساء العرب، ويتولى مباشرة تنفيذ الخطط المقررة ودفعها . كما يقوم باعداد المقترحات

التى تعرض على مؤتمر الملوك والرؤساء ، وله أن يطلب اجتماعا استثنائيا للملوك والرؤساء اذا كانت هناك حالة عاجلة أو أى أحداث تستدعى اجتماعا سريعا ٠

معاهدة الدفاع المشترك

ورحب بانضمام باقى الدول الأعضاء الى معاهدة الدفاع العربى المشترك واستكمال المعاهدة أسباب فاعليتها فى الوطن العربى الكبير ، من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى ٠ وأكد الملوك والرؤساء العرب أن أى اعتداء على أى دولة عربية يعتبر اعتداء على الدول العربية كلها تلتزم جميعا برده فورا ٠

الوحدة الافريقية

والمجلس فى ايمانه بالتضامن الافريقى الاسيوى يؤيد ما أسفر عنه مؤتمر القمة الأفريقى الثانى بالقاهرة فى شهر يوليو – تموز – الماضى ، ويستبشر بنمو الوحدة الافريقية ٠

وبما كشفت عنه الأحداث من أن الاستعمار الجديد ، يتخذ من اسرائيل أداة لتحقيق مطامعه فى الدول النامية ، محاربة لآمال هذه الدول فى التقدم والقوة والوحدة ، وطمعا فى استمرار الاستغلالات الأجنبية غير المشروعة ٠

التعاون العربى الافريقى

وهو يؤكد أن قضايا الشعوب العادلة وحقها فى الحرية وتقرير المصير والتخلص من الاستعمار والتفرقة العنصرية كل لا يقبل التجزئة ، وان التعاون العربى الافريقى قاعدة للسياسة العربية بحكم التاريخ والموقع والمصالح والأهداف المشتركة ٠

ولهذا يؤيد المجلس كفاح شعوب انجولا وموزمبيق وروديسيا الجنوبية وغينيا المسماة البرتغالية ، وجنوب افريقيا للحرية ٠ كما يستنكر محاولات التدخل الأجنبى فى الكونغو ٠

ايمان العرب بالسلام

وايمانا من الدول العربية بأن التعاون الدولى والسلام العالمى من القواعد الأساسية لرخاء العالم وسعادة البشرية ، يبدى المجلس أسفه لما نجم فى الفترة الأخيرة من التظاهر الاستعمارى بالقوة ، ومناداة باستخدامها فى حل المنازعات الدولية خروجا على ما ساد الأعوام الأخيرة من اتجاه عالمى نحو تأكيد سياسة التعايش السلمى وتخفيف حدة التوتر الدولى ٠

تصفية القواعد الاستعمارية

وأكد المجلس ضرورة تصفية القواعد الاستعمارية التى تهدد أمن المنطقة العربية وسلامتها وخاصة فى قبرص وعدن ٠

ويناشد المجلس الدول الكبرى أن تستلهم فى سياستها وتصرفاتها ارادة الشعوب ومبادىء السلام القائم على العدل وحق الأمم فى الاستقلال وتقرير المصير ٠

ويعلق المجلس أهمية على أعمال مؤتمر التجارة والتنمية الدولية راجيا أن يطرد التعاون الدولى فى الميدان الاقتصادى لخير البشرية جمعاء ٠

العمل الجماعى

وان الملوك والرؤساء العرب وقد تعاهدوا على العمل العربى الجماعى خدمة لقضايا الحرية والتقدم فى الوطن الكبير وللسلام والتعاون العالميين ليهيبون فى هذه المرحلة الحاسمة بكل مواطن عربى أن يؤدى واجبه ، ويرجون الله أن يسدد خطى أمتهم فى نضالها العادل المشروع وأن تعلو فى العالم كلمة الحق والعدل والسلام ٠

المؤتمر المقبل

وتلبية لدعوة جلالة الملك الحسن الثانى ، قرر المجلس عقد دورته المقبلة فى سبتمبر – ايلول – لعام ١٩٦٥ فى المملكة المغربية ٠

حول علاقة الأجهزة الشعبية
بالأجهزة الحكومية

إرادة التغيير

* ان تغيير ما بالنفس هو التلاقى الطبيعى مع الارادة الثورية والارادة الشعبية .

* ان الغرض من الربط بين الجهازين الشعبى والحكومى هو ضمان انتاجية العمل .

السيد حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية

اذا لم تسيطر علينا فى مفهومنا وفى ادراكنا مفاهيم ثورية للارادة المتحررة للتغيير ، كما ينص الميثاق ، فلن تكون هناك نتيجة حقيقية ، لأنه يجب أن يوجد تقابل بين الارادة الشعبية والأجهزة الحكومية بحيث أن ارادة التغيير تكون مفهوما مشتركا سواء بالنسبة للقائمين على الجهاز التنفيذى والموجودين فى الأجهزة الشعبية .

ان الوضع الذى ورثناه ، كنتيجة للاوضاع الاجتماعية السابقة فرض علينا ظروفا . وكذلك الوضع الذى ورثناه كنتيجة لوجود الاستعمار كان يعتبر دائما ان الحكومة هى اداة المستعمر ،

هى أداته فى الحكم ، اداته فى التنفيذ . وهكذا الاقطاع ، كان يعتبر ان الحكومة هى جهازه الذى يعبر عن ارادته . وسيطرة رأس المال كانت تعتبر ان الحكومة هى وسيلتها فى تنفيذ كل معانى السيطرة ، سيطرة رأس المال . فاذا لم تكن هناك عدالة اجتماعية قائمة فيما قبل الثورة ، كذلك فان الحكومة ايضا كانت تحمى هذه الاوضاع الشاذة فى عدم قيام عدالة اجتماعية .

نتكلم الآن عن التغيير نفسه فنقول : هل من يملك السلطة ع لى استعداد أن يشارك بهذا المفهوم الجديد ، ويشارك فى ارادة التغيير الثورى بشكل فعال ، والرد على ذلك انه اذا كانت لديه الروح الثورية والارادة الثورية ، قد يجد نفسه فى بعض الحالات وحيدا فى تفكيره او لايعبر عن رأى المجموع ، وهنا نقرر بان الضمان الاول والاخير هو بالرقابة الشعبية الفعالة ، والتقابل الفكرى ، لانه بعد اثنى عشر سنة من قيام الثورة ، أصبح الجميع – دون شك – يحسون بأحاسيس ومفاهيم مختلفة كل الاختلاف عما كان عليه الوضع قبل الثورة . والحقيقة اننى امثل هذه الصورة من السلطة بعملية الاشتراكية ، فهل كان من الممكن ان تطبق الاشتراكية اختيارا ؟ لم يكن من الممكن ان تطبق اختياريا ، لان الناس الذين كانت ستطبق بالنسبة اليهم ، ويحسون بان فيها انتقاصا من المزايا المتطرفة ، التى كان يعيش فيها البعض . فلم يكن من الممكن اذن ان تتم اختياريا ولذلك فان الله سبحانه وتعالى يقول : (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فتغيير مابالنفس هو الموضوع الرئيسى للتلاقى مع الارادة الثورية ، ومع الارادة الشعبية .

وقد يكون فى مجال الاشتراكية ايضا كمثل – وقبل ان ندخل فى الموضوع بتفاصيله – ان نتمثل امامنا دائما الغرض – فما هو الغرض من تدعيم العلاقة ، والربط بين الأجهزة الشعبية والأجهزة الحكومية؟ طبيعى ان الغرض هو تحقيق انتاجية العمل . ففى الوظائف مثلا عندما ننص فى قانون التوظف على ضمان انتاجية الموظف وانتاجية الوظيفة فلا شك ان لهذا غرضا . فقانون التوظف الجديد عندما وضع، لم يوضع بلا غرض فالغرض الذى تتناوله كل مادة من مواده هو ضمان انتاجية الموظف وانتاجية الوظيفة . وكذلك فى التلاقى او فى الربط ، او فى تحديد العلاقة بين الأجهزة الشعبية وبين الأجهزة الحكومية ، كل هذا الضمان ان نحقق للشعب أقصى مايمكن ان يحصل عليه من وجود هذه الأجهزة ، ويأخذ حقه كاملا ، لا تتعطل مصالحه .

وأقول على سبيل المثال ، انه عندما ذكرت الأرباح وأعلنت ، كان هناك جانب آخر يجب اظهاره الى جانب هذا الاعلان ليكمله ، وهو ان نبين ماعاد على المستهلك من تحقيق هذه الأرباح هل الخدمة بالفعل احسن هل السعر افضل ، هل الخدمة اميز هل الصنف اجود . هذه هى المسائل التى تعد تعبيرا من وجهة نظر الشعب صحيح اننا حققنا ارباحا ، وهذا بطبيعة الحال نجاح كبير جدا فى مجال التحويل الاشتراكى . انه على الرغم من عمر الفترة التى حدث فيها هذا التحويل الاشتراكى امكن للشركات ان تحقق ارباحا . ولكن نحن لانكتفى بهذا . بل نريد ايضا ان يشعر الشعب نفسه ويدرك دوره فى العملية ، فلا يكفى ان يعلن الربح ، اذا كانت الخدمة اقل ، لايكفى ان يعلن الربح اذا كان فى الصنف اى نقص . لايكفى ان يعلن الربح ويبقى السعر على ماهو عليه ويرتفع . هذا هو مفهومنا اليوم عندما نفكر من وجهة نظر الشعب . ولكن اذا انعزلنا او انفصلنا ، ولم نضع الشعب فى الاعتبار الاساسى فى كل تفكير ، وفى كل تخطيط وفى كل عمل ، فكأننا نأخذ العملية ، كما لو كنا قد حبسنا أنفسنا فى مجال محدود .

فالتطوير فى الواقع مثله كمثل التطبيق الاشتراكى ، والله سبحانه وتعالى يقول مخاطبا الانسان (الم نجعل له عينين ... يرى بهما .

(البقية ص ١٥)

صور مجيدة من شهر ربيع الأول

الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الأزهر

لشهر ربيع الأول فى نفسى ذكريات مضيئة مشرقة ٠٠ تدعونى الى البحث والتأمل ، وتزيدنى ايمانا بعظمة محمد رسول الاسلام ـ صلى الله عليه وسلم ٠٠

ففى هذا الشهر منذ أربعة عشر قرنا تقريبا ، فى عام الفيل ٠٠ عام ٥٧٠ من ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ على أشهر الروايات التاريخية ، وضعت سيدة من أكرم نساء قريش فى مكة المكرمة وفى بيت عبد المطلب ابن هاشم بن عبدمناف ، وضعت هذه السيدة الجليلة طفلا يتيما لم تكتحل عيناه برؤية والده الذى كان قد سافر الى الشام عقب بنائه بزوجته وحملها منه ٠٠ وفى طريق عودته من الشام ـ مر فى طريقه الى مكة بيثرب ٠٠ وفيها مرض ، وتوفى ، ودفن بمدافن أخواله بنى النجار ٠

وولد هذا الطفل اليتيم كما يولد غيره من الأطفال ٠٠ لم يحتفل أهله بميلاده كما يحتفل الأثرياء والملوك والعظماء بميلاد أطفالهم ، ولم تقم الولائم والأفراح ابتهاجا بمقدمه ، ولكن أمه آمنة بنت وهب فرحت برؤية طلعته البهية ٠ وأحست أن الله عوضها به عن زوجها وحبيبها عبد الله بن عبد المطلب الذى لم تنعم معه بحياة زوجية سعيدة طويلة ، بل اختطفه منها الموت وهما لم يزالا بعد عروسين جديدين سعيدين ٠٠

وترسل الأم الى جد الطفل لأبيه « عبد المطلب » من يحمل اليه بشرى ميلاده ، فيتهلل وجهه ، وينشرح صدره ، ويذهب الى بيته ، ويحمل حفيده بين يديه ، ويطوف به الكعبة ويعلن للناس انه سماه محمدا ليكون محمودا فى السماء لله وفى الأرض لخلقه ٠٠ يفعل الشيخ العجوز ذلك وقد شعر بفضل الله عليه اذ عوضه عن ابنه عبد الله بهذا الطفل الذى حل مكانه فى عطفه وحنانه ٠٠ ويذكر فى هذه اللحظات حادث الفداء ٠٠ فقد نذر عبد المطلب أن ولد له عشرة أولاد ذكور أن ينحر أحدهم ، ولما اكتمل هذا العدد بميلاد ابنه العاشر عبدالله أراد أن يفى بنذره ، وذهب الى صاحب القداح عند « هبل » فكتب صاحب القداح اسم كل ولد من أولاد عبد المطلب العشرة على قداح وضربها فخرج القداح المكتوب عليه اسم عبد الله ، ولما أراد عبد المطلب أن ينحره وفاء

بنذره كعادة العرب اذ ذاك ثارت قريش عند ما علمت بذلك وأشاروا عليه بان يستشير عرافة بمدينة يثرب ، فلما ذهب اليها أشارت عليه بأن يضرب القداح على ابنه عبد الله وعلى الدية فيهم وكانت عشرة من الابل ، فان خرج القداح على الابل نحرها وفدى الابن ، وان خرج القداح عليه زاد الدية ويستمر كذلك الى أن تخرج القداح عليها ، واذ ذاك تكون الآلهة قد رضيت وينجو عبد الله ٠٠ ونفذ عبد المطلب مشورة العرافة واستمر فى الزيادة الى أن وصلت الدية الى مائة من الابل ، واذ ذاك خرج القداح عليها ، فذبحها ووزع لحومها على الفقراء ، وافتدى بها ابنه الصغير عبد الله ٠٠ الذى نشأ شابا وسيما ، وتزوج فى شبابه آمنة بنت وهب ، وبنى بها قبل رحلته الى الشام للتجارة ٠

وهكذا انتقل حب عبد المطلب من ابنه عبد الله الى حفيده محمد بن عبد الله ، كما انتقل حب آمنة بنت وهب لزوجها عبد الله ابن عبد المطلب الى وليدها محمد ٠٠ الذى حملته بضعة أشهر ، لم تجد فى حملها له تعبا أو نصبا ، ولعلها كانت تفيض سرورا وبشرا كلما تقلب بين جنبيها ٠

هل أحست هذه السيدة الجليلة ، أو أحس الشيخ الوقور عبد المطلب بن هاشم بما سيكون لهذا الطفل اليتيم الذى لم يترك له والده ثروة كبيرة ٠٠ من شأن – أى شأن – فى مستقبل حياته ؟

أو هل تنبأ لهما أحد بأن هذا الطفل محمدا سيكون نبى هذه الأمة ورسول الله الى الناس أجمعين ؟

أغلب الظن أن شيئا من ذلك لم يحدث على وجه اليقين ، ولكنهما سعدا بمولده ، وتوسما فيه الخير كل الخير ٠٠ **ومع ذلك لم يتوقعا كما لم يتوقع غيرهما أن هذا الطفل اليتيم سيكون المنقذ للأمة العربية من أمراضها الاجتماعية والخلقية التى كانت تعيش تحت وطأتها متأثرة بنظام اجتماعى فاسد ٠٠** نظام السادة والعبيد ، السادة الذين يملكون كل شىء ويتصرفون فى كل شىء ، والعبيد الذين لا يملكون لأنفسهم شيئا ٠٠ ليست لهم حرية فى أنفسهم أو أموالهم أو حركاتهم ٠٠

بل كان ذلك كله فى علم الغيب لا يعلمه الا الله وحده ، لم يطلع عليه حد من خلقه الى ان يحين الوقت المعلوم لبعثة أكرم رسول وأفضل نبى ٠٠ يبعثه الله لهذه الأمة ويختاره لتلك المهمة العظمى التى لا يختار لها الا من اصطفاه الله لرسالته ٠٠ قال الله تعالى « **الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير** » ٠٠

نشا محمد نشأة أهلته لحمل هذه الامانة ويحدثنا الرسول عن هذه النشأة فيقول فى حديثه الصحيح « **أدبنى ربى فأحسن تأديبى** » ويقول القرآن عن بعض صفات محمد صلى الله عليه وسلم « **ن ٠ والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون ٠ وان لك لأجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم** » ويقول فى موضع آخر « **ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ٠ ووجدك عائلا فأغنى ٠ فأما اليتيم فلا تقهر ٠ وأما السائل فلا تنهر ٠ وأما بنعمة ربك فحدث** » ٠٠

وهكذا نشأ محمد فى أكبر بيت من بيوتات قريش ، ورعاه ربه أكرم رعاية، وأدبه فأحسن تأديبه وأهله لأن يكون نبى هذه الأمة ورسولها ٠٠ لينقلها من ظلام الشرك والجهل الى نور التوحيد والايمان ، ويغير المجتمع الفاسد الى مجتمع صالح متعاون على البر والتقوى ٠

تطالعنى ذكرى هذا الشهر بصور انسانية كثيرة ٠٠ أولها تطالعنى من صور طفولة محمد ٠٠ اعراض المرضعات عن ارضاعه ليتمه وقلة الفائدة التى تعود عليهن من ارضاع اليتامى

وتبرز فى هذه الصورة ٠٠ صورة السيدة حليمة بنت ذئيب السعدية ٠٠ اذ تقبله لارضاعه بعد أن أعرضت عنه فى بادىء الأمر كما أعرض غيرها عنه ، وتفضل أن تعود به الى البادية على أن تعود بدون رضيع ويقبل زوجها الحارث بن

العزى أن ترضعه زوجته حليمة ويأملان أن يجعل الله لهما فيه خيرا كثيرا .

اخذت حليمة هذا الطفل اليتيم بدون حماس ، وذهبت به الى البادية ، وتنسب اليها كتب السيرة أنها قالت « **قد وجدت فيه منذ أخذته بركة . أى بركة** » سمنت غنمها ، وزاد لبنها ، وبارك الله لها فيما عندها .

ويفيد محمد من حياة البادية وجو الصحراء، فينمو جسمه ويزداد وسامة واشراقا وتحدث فى هذه الفترة بعض حوادث تنقلها كتب السيرة ، تدل على عناية الله به عناية لم يحظ بها أحد غيره .. والله أعلم بهذه الحوادث ، وكل ما نكلف به أن نؤمن بقول الله تعالى « **ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك. الذى انقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك** » وان محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان منذ نشأته محوطا بعناية الله .. يدبر أمره ، ويمنحه كل ما يحتاجه الطفل من قوة فى الجسم ، وسلامة فى الخلق والخلق .

مكث محمد فى البادية خمس سنوات تعلم فيها لغة العرب فى جوليس فيه عجمة ، ويحدثنا الرسول عن هذه الفترة فيقول « **أنا أعربكم ، أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد بن بكر** » ولم ينس الرسول ــ صلى الله عليه وسلم حليمة ، بل كان يبرها كلما زارته .. تقديرا لهذه الأمومة من الرضاع .

وعاد بعد السنوات الخمس الى أمه ، وكفله جده عبد المطلب ، ومنحه كل الحب والعطف والحنان .. بل كان يفضله على ابنائه وتضاعف هذا الحب حينما اكتمل يتمه بموت والدته آمنة بنت وهب وهو فى السابعة من العمر .. فقد سافرت به أمه الى مدينة يثرب لتزور أخوال والده بنى النجار . ولتريه المكان الذى توفى ودفن فيه والده عبد الله بن عبد المطلب ، ولكنها تمرض أثناء عودتها من يثرب الى مكة ، ويشتد بها المرض ، وتموت وتدفن بالأبواء .. بقرب يثرب على ما هو معروف من كتب السيرة .

ولا ينسى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ صورة قبر والده الذى رآه وهو صغير ، واشتد حزنه على والدته التى تركته وهو فى السابعة من عمره .

ونأمل أن نعود الى استكمال هذه الصور المجيدة الراسخة فى الذهن والقلب لهذا الشهر المبارك .. الذى ولد فيه أكرم رسول وأفضل نبى .. صلى الله عليه وسلم ..

(بقية) ارادة التغيير

ولسانا وشفتين ... يعبر بهما ... وهديناه النجدين ... عقل يفكر به ، وقلب يحس ويدرك به .. فلا اقتحم العقبة .. لم يستطع أن يتخطى العقبة الكؤود التى تقف فى سبيل البناء بناء المجتمع ، البناء الاشتراكى .. (فك رقبة) أنه متحكم فى شىء ، فيتنازل عن هذا التحكم . فالموضوع ليس سهلا ، ولانتصور اننا نستطيع ان نصل اليه بالسرعة المتصورة الا اذا كانت ارادة التغيير موجودة فى نفوسنا جميعا ، لان الشخص الذى يستطيع ان يملك السلطة ، ليس من السهل عليه أن يناقش فى هذه السلطة ، بمعنى أن ما يقدر عليه بالأمر فما الذى يدعوه أن يجعله بالاقناع .

وهذه ولاشك هى الصورة التى قد تبدو فى كثير من الحالات التى نسميها بيروقراطية او تحكم او سلطة من السلطات ، والتى نهدف جميعا الى ان تتحقق فيها صورة من صور التلاقى والصور التى تحقق مصلحة الأفراد .

النهضة الثقافية في تونس

حديث مع الأستاذ الشاذلى القليبى

وزير الشئون الثقافية والأخبار بتونس

زار القاهرة هذا الشهر السيد الأستاذ الشاذلى القليبى ، وزير الشئون الثقافية والأخبار التونسى .. لتدعيم التعاون الثقافى بين تونس والجمهورية العربية المتحدة .. وقد أوضح سيادته مفهوم الثقافة فى تونس كما ألقى الضوء على ثقافة تونس القومية واتجاهاتها ، ثم أوضح الخطة التى رسمتها الدولة لبعث الثقافة التونسية وتهيئة أسباب ازدهارها محللا الواقع الثقافى والجهود التى تبذلها الدولة لمحو التخلف وتحقيق النهضة المنشودة ..

***

قال سيادته : ان مفهوم الثقافة يمكن النظر اليه من أوجه مختلفة ، فهى جملة الانتاج الذهنى دون التمييز بين ما يدون فى الكتب أو ما يسجل بطريق آخر كالنحت والرسم ولا بين ما يتصل بالعقل أو الوجدان كالموسيقى والرقص .

والثقافة بهذا المفهوم تشمل كل انتاج يحمل وجها من القيم الانسانية العليا سواء كانت عقلية أو روحية .

وقال سيادته : الثقافة ترتكز على معنى الشمول باعتبار أنها منبعثة عن الجماعة وأنها تنزع دائما الى تجاوز تلك الجماعة ، والانتشار فى رقعة أرحب وأوسع .. وعلى هذا .. يمكن القول بأن الثقافة خلق جماعى وانها تعبر عن الجماعة . والثقافة أيضا يمكن وصفها بالدوام رغم تجددها .. كما يصح أن نصفها بالتقدم رغم أنها مندفعة تسابق تيار الزمن .

وبذلك يمكن أن نؤكد بأن لتونس ثقافة قومية .. فالشعوب العربية عاشت منذ البداية على ثقافة مشتركة .. والى عهد الحماية كانت تونس تعيش فى نطاق الثقافة العربية الكبرى .

ثم تبلورت فكرة القومية التونسية حتى وقع الاصطدام الاستعماري الفرنسي وتبلور أيضا مفهوم الثقافة القومية ، ولكن باعتبارها هي عين الثقافة العربية المشتركة .

وبعد قيام الدولة التونسية وشعور الشعب التونسي بما يميز ثقافته عن بقية الشعوب الاخرى .. وازاء ما يربطه من أواصر اللغة والحضارة والماضي المشترك .. تبلورت في الأذهان فكرة « الثقافة العربية والتونسية » . وتنبه قادة الفكر الى حقيقة الدور الكبير الذي تلعبه الثقافة القومية في المجتمع .

والحقيقة أن بعث ثقافة قومية ليس أمرا سهلا أو هينا ، وذلك لأنه لا يمكننا أن نقارن بين الشخصية الثقافية والشخصية السياسية اذ أن الأمم التي أنتجت ثقافات متميزة عددها قليل بالنسبة الى التي بقيت في موقف المستهلك ، ومن ثم يمكن أن نقول انه لايصح أن تدعي كل أمة من الأمم المستقلة بناء صرح ثقافي متميز اذ أنه لابد من الارتكاز على دعائم روحية وحضارة عريقة .

أما عن مشاريع الدولة التونسية لرفع مستوى الشعب ثقافيا ، فان تثقيف الشعب ضروري للبعث الثقافي ، لذلك تضاعف كتاب الدولة للشئون الثقافية للاطلاع بأعباء التثقيف .. وتضيف جهودها الى الجهود الكبرى التي يبذلها الحزب والمنظمات القومية لرفع مستوى الجماهير الكادحة ولتمكين كل مواطن من الحصول على الثقافة للسمو بذاته حسب طاقته وميوله .

وأضاف سيادته بأن تونس تجعل مقاومة الأمية بين الكهول في المرتبة الاولى ..

ويقول : اننا نؤمن ان القدرة على القراءة هي الأداة الاولى للتثقيف واكتمال الشخصية وهذه هي أسس الكرامة الانسانية التي تهدف اليها في نهضتنا الاجتماعية والاقتصادية ، ونحن الآن بصدد القضاء على الأمية قضاء تاما، وهي تعبئة عامة لمحو الأمية بتجنيد مجموعة من موظفي الدولة في كل مدينة وكل قرية للقيام بدروس منظمة في أندية شعبية وسائر المنظمات القومية حتى تقضي على الأمية في أقرب مدة ممكنة ..

ويقول سيادته : وأشير الى أنه لا يكفي أن نعلم المواطن القراءة والكتابة بل يجب أن نعلمهم أيضا استخدام هذا السلاح الجديد الذي اكتسبوه حتى لا يفقد رونقه ولمعانه .. وحتى يتذوقوا متعة التعلم الذاتي .. ولذلك تتم عملية التثقيف الشعبي في نطاق دار الشعب المتخذة كمركز للثقافة والوعي الاجتماعي والقومي في كل قرية وكل مدينة، فان دور الشعب مقرا للمنظمات المحلية ، سياسية كانت أو نقابية أو ثقافية ، وفيها يتلقى المواطنون الدروس الاجتماعية كما تقام الاجتماعات العامة وتعرض الأفلام السينمائية وتؤدي التمثيليات المسرحية .

ولا يفوتنا في هذا المجال ذكر الحركة الواسعة التي تقوم بها لبحث التأليف والنشر ، فلا شك أن أهم وسيلة للتشجيع على التأليف والنشر هي ايجاد القراء أولا .. وقبل كل شيء وخلق السوق المناسبة ، وأعتقد أن حركة التثقيف الشعبي التي أشرت الى أهميتها والى خطوطها الرئيسية سوف تكون الدعامة لخلق سوق للكتاب العربي التونسي .. كذلك يمكن أن نشير الى التدابير التي تم بعضها وبعضها الآخر قيد البحث والدراسة .. فقد تم انشاء الشركة القومية للنشر والتوزيع لتقوم بمهمة النشر ، وهذه الشركة يتفرع عنها شركتان احداهما للتوريع وتضم عددا من أصحاب المكتبات ، والأخرى للطباعة .. وعندما يكتمل المشروع نهائيا تزول العقبة التي يواجهها المؤلف ، وهي وسائل النشر والطبع .. ولضمان حقوق التأليف أصدر قانون تنظيم حقوق المؤلفين على اختلاف أنواعهم ، كما تقوم الدولة بتشجيع المؤلفين مباشرة وذلك باعطائهم منحا ..

هذه هي النهضة الثقافية التي تعيشها تونس اليوم والمحاولات الايجابية التي تتبعها الدولة لبلورة الثقافة التونسية لتحتل منزلتها المناسبة اللائقة بين الثقافات الاخرى .

صفات الحديث الذى يحتج به

فضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد

ليس كل حديث يحتج به ، بل ان من الأحاديث ما يجب على المسلم الا يأخذ به ، كالحديث الموضوع الذى ثبت عند العلماء أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يقله ، وأن واحدا من الكذابين قد تقوله واخترعه لسبب من الأسباب فاستحق بذلك وعيد رسول الله لمن قال عليه ما لم يقل .. وقد عنى العلماء من سلف هذه الأمة - فوق عنايتهم برواية الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله - بذكر الأحاديث الموضوعة المختلقة ، وذكر من اختلق كل حديث منها ، وذكر السبب الذى حمله على هذا الاختلاق ، وألفوا فى ذلك مؤلفات تدل على سعة الاطلاع ودقة الفهم ، وما زال الذين أتوا من بعدهم يدققون النظر فيما ذكروه ويطيلون البحث والتنقيب ، فمنهم من يزيد على ما ذكروه أحاديث أخرى ، ومنهم من يخرج مما ذكروه أحاديث وجدوا لها تخريجا يبعد عنها وصمة الاختلاق حتى استقام أمر هذه الأحاديث وظهرت حقيقتها ، وليس مما بعنينا فى قليل أو كثير أن نتعرض للبحث فى شأن هذا النوع من الأحاديث ، اذ كنا انما نريد أن نتحدث عن الصفات التى يجب أن تتوافر فى الحديث لكى يجب على المكلف أن يأخذ به ويعمل بمقتضاه مع النظر التام فيما ورد فى موضوعه من الأحاديث ، فعسى أن يكون فى موضوعه حديث آخر يبين مجملا فيه أو يخص عاما ، وعسى أن يجد فى نفس هذا الموضوع حديثا يعارضه فيتلمس لهذه المعارضة مخرجا ، وللعلماء فى هذا الشان مباحث كثيرة ولكثير من الأئمة الأعلام مؤلفات فى معانى الآثار ذكروا فيها من بين ماذكروا الأحاديث التى ظاهرها التعارض ، وبينوا وجوه الجمع بينها بالرجوع الى آثار اخرى أو الى نظائر لهذه الأحاديث فى مواضيع أخر أو الى قواعد التشريع العامة .

وقبل ان نأخذ فى بيان صفات الحديث الذى يحتج به نشير الى مسألتين :

الأولى - أن الصفات التى يذكرها العلماء للحديث الصالح للاحتجاج به كلها ترجع الى سند الحديث ورجاله الذين أثروه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والسر فى ذلك أنهم أرادوا أولا أن يطمئنوا الى أن هذا الكلام الذى انتهى السند اليه ثابت النسبة الى

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومتى اطمأنوا الى ذلك وارتاحت أنفسهم الى صحة هذه النسبة فقد وجب عليهم الأخذ به ، سواء أكان الحكم الذى يدل عليه معقول العلة أم لم يكن ، فرب علة من علل الحكم خفيت على العالم الدراكة ، ورب حكم خفيت علته اليوم ثم ظهرت غدا ، وهلم جرا ، ونحن نقول هذا على عمومه وان كنا نعتقد أنه ما من حكم ورد فى هذه الشريعة السمحة عن الله تعالى أوعن رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا وهو هادف الى مصلحة المكلفين المطالبين بأداء هذه الأحكام .

الثانية ـ أن لعلماء الحديث تقسيمات متعددة للحديث ، كل تقسيم منها يرجع الى جهة وناحية غير الجهة التى يرجع اليها التقسيم الآخر ، ولن نتعرض لاستقراء هذه التقسيمات كلها ، اذ كان ذلك مما يباعد بيننا وبين الايجاز الذى نبتغيه ، ولكننا سنذكر تقسيمين من هذه التقسيمات لهما صلة وثيقة بما نريد أن نبينه .

التقسيم الأول يرجع الى عدد الرواة فى كل طبقة من طبقات الاسناد ، ومن هذه الناحية ينقسم الحديث الى متواتر وغير متواتر ، فالمتواتر هو مايكون عددالرواةفى كل طبقة من طبقاته قد بلغ حدا يعلم من يشاهدهم أو يعلم صفاتهم علما مستندا الى العادة المستقرة أن من المستحيل عليهم أن يتفقوا فيما بينهم على الكذب، وأن الوقت فيما بين ذيوع الخبر عنهم وبين سماعهم اياه أو مشاهدتهم له لم يسمح لهم بالاجتماع والاتفاق على اذاعة ذلك ، وأنه ليس هناك سبب من الأسباب ـ كالقهر والغلبة وترويج فكرة معينة ـ قد دفعهم الى التآمر فيما بينهم وزين لهم الاتفاق على ذلك ، فمتى كان الرواة فى كل طبقة من طبقات اسناد الحديث قد بلغوا حدا يطمئن القلب الى ذلك منهم فان الحديث حينئذ يسمى متواترا ،وقد اختلف العلماء فى العدد الذى له هذه الصفة: أهو مضبوط أم غير مضبوط ؟ فمنهم من ضبطه بالأربعة ، ومنهم من ضبطه بالخمسة ، ومنهم من ضبطه بالسبعة ، ومنهم من ضبطه بالعشرة ، ومنهم من ضبطه بالاثنى عشر ، ومنهم من زاد على ذلك ، والذى نميل اليه أن المدار على أن يكونوا ـ بعد استقراء حالهم وتتبع أوصافهم والعلم بظروف ما ينقلونه ـ قد أورثوا قلب العالم الباحث طمأنينة وارتياحا الى أنهم لم يتواطئوا على اذاعة هذا الخبر من غير أن يكون ثابتا ، فرب أربعة ينقلون خبرا هم أبعث على هذه الطمأنينة من مائة غيرهم ، واذا كان الراوى فى طبقة من طبقات الاسناد واحدا ـ ولو كان فى باقى الطبقات فوق المائة ـ فان الحديث حينئذ يسمى « الغريب » ولو كان العدد فى احدى طبقات الاسناد اثنين ـ مهما يكن عددهم فى الطبقات الأخرى ـ فان الحديث حينئذ يسمى « **العزيز** » وان كان عدد الرواة فى احدى الطبقات ثلاثة ـ بقطع النظر عن عددهم فى الطبقات الاخرى ، فقد يكونون ثلاثة وقد يزيدون عن ذلك ـ فان الحديث حينئذ يسمى « **المشهور** » ، والخطيب البغدادى يطلق على ما عدا المتواتر « **خبر الآحاد** » وذلك حيث يقول (ص ١٦) « وأما خبر الآحاد فهو ما قصر عن صفة التواتر ولم يقع به العلم وان روته الجماعة » ١٠هـ.

والحديث المتواتر لا يحل لمؤمن أن يهمله أو يترك الأخذ بمقتضاه ، لأنه بعد ما ذكرنا من صفاته ـ ثابت النسبة الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد علمنا أن ما صحت نسبته الى رسول الله يجب على كل مسلم أن يتلقاه بالقبول ويعمل به ، وأن المؤمن لا يكون مؤمنا حتى يتبع رسول الله ، ولايجد فى نفسه حرجا من اتباعه ويسلم له تسليما ، وأما أخبار الآحاد ـ وبعبارة أخرى وأما الحديث الغريب والحديث العزيز والحديث المشهور ـ فقد يكون صحيحا ، وقد يكون غير صحيح ، وسنبين ذلك فيما يلى ان شاء الله تعالى .

وقد ذهب ابن حبان والحازمى الى أن الحديث المتواتر بالمعنى الذى بيناه غير موجود أصلا ، وذهب ابن الصلاح والامام النووى الى أن المتواتر موجود ولكنه قليل نادر المثال ، وعبارة ابن الصلاح فى هذا الصدد « ولا يكاد يوجد فى رواياتهم ، ومن سئل عن ابراز مثال لذلك أعياه تطلبه » ١٠هـ.

لكن اثبات العلماء الذين أداموا السهر وأطالوا البحث والتنقيب لم يسلموا لهؤلاء ولا لهؤلاء ونعوا على الفريقين مجازفتهما بالحكم على المتواتر أنه معدوم أو قليل الوجود قال الحافظ ابن حجر

« ما ادعاه ابن الصلاح من عزة المتواتر ، وكذا ما ادعاه غيره من العدم ، ممنوع ، لأن ذلك قد نشأ عن قلة الاطلاع على كثرة الطرق واحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لابعاد العادة أن يتواطؤا على الكذب أو يحصل منهم اتفاقا » ا•هـ•

وقال الحافظ جلال الدين السيوطى بعد ان حكى هذه الأقوال فى كتابه : تدريب الراوى ص ١٩١ :

« وقد ألفت فى هذا النوع كتابا لم أسبق الى مثله سميته : الأزهار المتناثرة، فى الأخبار المتواترة ، مرتبا على الأبواب ، أوردت فيه كل حديث بأسانيد من خرجه وطرقه ، ثم لخصته فى جزء لطيف سميته : قطف الأزهار ، اقتصرت فيه على عزو كل طريق لمن أخرجها من الأئمة ، واوردت فيه أحاديث كثيرة » ا•هـ

واذن فأنت لكى تعرف أن هذا الحديث أو ذاك متواتر - اذا كان مما لم يحكم له بالتواتر أحد من أئمة هذا الشأن ، أو اذا كنت لاتريد ان تركن الى حكم من حكم له بالتواتر - محتاج الى معرفة عدة أشياء ، أولها معرفة الأسانيد المختلفة لكل حديث ، وذلك بالرجوع الى مجاميع كتب الحديث التى تروى كل حديث بسنده ، ومنها الأصول الستة وموطأ مالك ومسند احمد بن حنبل ومسند الشافعى وغير أولئك ، ولهذا ترى كثيرا من المؤلفين - وفى طليعتهم الامام مسلم بن الحجاج صاحب الجامع الصحيح - يروون الحديث الواحد فى مكان واحد بطرق متعددة ،ومن هذه الناحية رأى قوم من المحدثين صنيع مسلم فى صحيحه خيرا من صنيع البخارى ، لأن المحدث يرى من بعض شأنه أن يعرف الطرق المختلفة للحديث الواحد لينتفع بذلك فى عدة أشياء ، ولعنه اذا ضم اليها أمثالها من المصنفات الاخرى عرف تواتر الحديث بعد جمع هذه الأسانيد •

وأنت محتاج الى معرفة أحوال الرواة ، لما انبأناك من أن المدار فى تواتر الحديث على اطمئنان النفس الى أن هذا العدد من الرواة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ، وانا لا نرى ضبطهم بعدد معين وأن رب أربعة من العدول الثقات يفيدونك ذلك أكثر مما يفيده مائة غيرهم ، وقد ألف العلماء ما لا يحصى من الكتب بينوا فيها حال الرواة بيانا لا يدع مجالا للتردد فى الحكم عليهم بأنهم من هذا الفريق أو من ذاك ، وسنعود الى بسط هذا الموضوع فى التقسيم الثانى ان شاء الله •

والعلماء يقسمون المتواتر الى نوعين يسمون النوع الأول « المتواتر اللفظى » وهو ما يرويه الجماعة المتصفة بما ذكرنا من الصفات عن جماعة أخرى مثلهم ، وهكذا الى أن يصلوا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويكون المتن الذى رواه كل واحد منهم - مثل المتن الذى رواه الآخر ، وهذا النوع هو الذى يظهر فيه تعريف المتواتر الذى ذكرناه آنفا ، وهو محل الخلاف الذى بسطناه آنفا •• ويسمون النوع الآخر « المتواتر المعنوى » وهو عبارة عن اشتراك الجماعة الذين يؤمن تواطؤهم على الكذب ، على رواية معنى واحد فى قوالب متعددة من الالفاظ ، وهذا النوع كثير جدا ، ولا يختلف العلماء فى وجوده ولا فى كثرته •

التقسيم الثانى : من ناحية صفات الراوى والمروى جميعا ، وقد كان قدامى المحدثين يقسمون الحديث من هذه الناحية الى صحيح وضعيف ، فلما استقر بحث صفات الرجال ومروياتهم فى أوائل القرن الثالث الهجرى قسموا الحديث الى ثلاثة أقسام : صحيح ، وحسن ، وضعيف • وسيتضح لك أمر ذلك الاصطلاح من ثنايا الحديث عن بيان الصحيح من الأحاديث •

أما الحديث الصحيح فهو ما اجتمع فيه خمسة شروط :

الشرط الأول : عدالة رواته والعدالة ملكة فى النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ، وصفاتها الظاهرة الاسلام والبلوغ والعقل والسلامة من كبائر الذنوب ومن الاصرار على صغائرها ومن كل شىء يخرم المروءة ويخل بها ومن الرذائل ولو كانت مباحة ، ولابد أن يكون الراوى معروف الذات وأن يكون معروفا بالاتصاف بهذه الأوصاف كلهـا ، فلو كان مجهول الذات أو كان معروف الذات ولكن لايدرى أهو متصف بصفات العدالة أم غير متصف بهـا لم يكن الحديث الذى يرويه صحيحا ، وبالأولى لا يكون حديثه صحيحا اذا علم أنه متصف بصفة من الصفات التى تنافى العدالة •

وقد استلزم هذا الشرط أن يبحث العلماء عن رواة الأحاديث وعن أحوالهم وصفاتهم ، فأسهروا ليلهم وأداموا بحثهم وتقصيهم ، ثم الفوا كتب التراجم العديدة ، ووضعوا علما مستقلا سموه « علم الجرح والتعديل » ووصفوا فيه كل راو بما علموه عنه ، ووجدوا ذلك واجبا عليهم ، لأنه من باب النصيحة للمسلمين اذ كانوا عن هؤلاء الرواة يأخذون أدلة دينهم ، ومحال أن يضعوا هذا الموضع رجلا لم تقم الدلائل الواضحة غاية الوضوح على أنه فى منزلة لا يتطرق اليها الشك •

ومع أنهم أفرغوا الوسع وبذلوا الجهد الجاهد فى استقراء أحوال الرواة وأتوا من ذلك كله بما ليس وراءه زيادة لمستزيد ـ لم يقفوا عند حدود تمييز العدول عن غير العدول •• بل تجاوزوا ذلك الى تمييز بعض العدول عن بعض ، والى تمييز بعض المجروحين عن بعض ، فجعلوا هؤلاء طبقات بعضها دون بعض وجعلوا لأولئك درجات بعضها فوق بعض ، ثم جعلوا لكل طبقة من طبقات العدول عبارة تدل على منزلة صاحبها وتضعه فى موضعه الذى يقتضيه حاله ، وجعلوا لكل طبقة من طبقات المجروحين عبارة كذلك تشير الى مبلغ ما هو عليه من صفات الجرح • وقد جعل ابن أبى حاتم وابن الصلاح والنووى مراتب العدالة أربعا ، ومراتب الجرح أربعا ، وجعل الحافظ العراقى، والحافظ الذهبى مراتب كل منهما خمسا ، فلما جاء الحافظ ابن حجر جعل مراتب العدالة ستا وتبعه فى ذلك الحافظ جلال الدين السيوطى ، وقد رأينا أن نأخذ بما ذهب اليه ابن حجر •

فأعلى درجات العدالة أن يكون الراوى فى الذروة العليا من الصفات التى بيناها آنفا ، ومثل هذا يقول عنه علماء الجرح والتعديل : فلان أوثق الناس ، أو فلان أثبت الناس عدالة، أو فلان اليه المنتهى ، أو لا أحد أثبت من فلان ، أو من مثل فلان •• أو فلان لا ينبغى أن يسأل عنه •

ويلى هذه الدرجة أن يكرر المبين لحال الراوى منزلته بتكرار لفظ دال على العدالة مرتين أو أكثر ، فيقول مثلا : فلان ثقة ثقة ، أو فلان ثقة ثبت ، أو فلان ثقة حافظ حجة ، ومن ذلك قول ابن سعد فى شعبة : ثقة مأمون ثبت حجة صاحب حديث ، ومنه قول ابن عيينه فى عمرو بن دينار : حدثنا عمرو بن دينار وكان ثقة ثقة ، وما زال يكرر كلمة « ثقة » حتى ذكرها تسع مرات ، ولعله وقف عند التاسعة لانقطاع نفسه ولو طاوعه لزاد وزاد ، ومن هذا تعلم أنه لا يلزم أن يكون اللفظ الثانى هو عين اللفظ الأول بل قد يكون عينه كما فى كلام ابن عيينه وقد يكون غيره وهو من معناه كما فى قول ابن سعد ، ولا نتردد فى أنه كلما كثر تكرار اللفظ على أحد هذين الوجهين كان أقوى دلالة على المراد ••

ويلى هذه المرتبة أن يدل على منزلة الراوى بذكر لفظ واحد مشعر بالمعنى المراد وبالضبط كما يقولون : فلان ثبت ، فلان متقن ، فلان ثقة ، فلان حافظ ، فلان ضابط ، فلان حجة •

ويلى هذه المرتبة أن يدل على منزلة الراوى بلفظ واحد ، لكنه لا يشعر بالضبط ، مثل قولهم : فلان صدوق ، فلان مأمون ، فلان لا بأس به ، فلان من خيار الناس ، وقد ذكر ابن أبى حاتم ـ وهو ممن اسسوا علم الجرح والتعديل ـ أن الذى يقال فيه مثل هذه

العبارات يكتب حديثه ولا يوضع فى موضع الحفاظ الضابطين الا بعد ان يختبر ويظهر ضبطه ..

ويلى هذه المرتبة أن يدل على درجة الراوى بصفة لا تشعر بالضبط وهى مع ذلك دون العبارات التى ذكرت فى المرتبة السابقة فى الدلالة على اتصاف الراوى بالصدق والأمانة، مثل قولهم : فلان محله الصدق ، فلان رووا عنه ، فلان شيخ ، فلان وسط ، فلان جيد الحديث ، فلان مقارب الحديث .

ويلى هذه المرتبة أن يدل على درجة الراوى بلفظ من الألفاظ التى ذكرت فى المراتب السابقة ولكن يقرن بهذا اللفظ مايدل على أن الموثق غير قاطع بما قال : كأن يقول : فلان أرجو ألا يكون به بأس ، فلان ثبت ان شاء الله ، فلان لعلة صدوق ، ومن هذه المرتبة قولهم فلان مقبول ، وقولهم : فلان صويلح .

ويقابل هذه المراتب مراتب التجريح ، فأشنع مرتبة للمجروح أن يدل على حاله بلفظ يدل على المبالغة كقولهم : فلان أكذب الناس ، أو فلان أوضع الناس ، أو فلان اليه المنتهى فى الكذب ، أو فلان دجال ، أو فلان وضاع ، أو فلان كذاب .

وابن حجر يجعل الألفاظ الثلاثة الاخيرة درجة ثانية ، ويقتصر فى الدرجة الاولى على ما قبل هذه الألفاظ ونحوه مما يدل على شدة المبالغة ، ويلى هذه الدرجة أن يوصف الراوى بالكذب أو الوضع من غير مبالغة نحو أن يقال: فلان يكذب ، أو فلان يضع ، أو فلان يتهم بالكذب ، ومن هذه المرتبة قولهم : فلان فيه نظر ، وقولهم : فلان ساقط ، أو فلان هالك ، أو فلان لا يعتبر بحديثه ، ويلى هذه المرتبة أن يقولوا : فلان مطرح الحديث ، أو هو ضعيف جدا ، ودون هذا أن يقولوا : فلان منكر الحديث ، أو فلان لا يحتج به ، أو فلان مضطرب الحديث ، ودون هذا ان يقولوا : فلان ضعفه أهل الحديث ، أو فلان فيه ضعف ، ودون هذا أن يقولوا : فلان ليس بذاك ، أو فلان ما أعلم به بأسا .

ويرى السيوطى أن هذه العبارة الأخيرة تصلح لأن تكون من أدنى مراتب التعديل ، كما أنها صالحة لأن تكون من أهون مراتب التجريح .

وقد أطلت عليك فى هذا الموضوع وانا متعمد للاطالة فيه ، لأننى أردت أن أطلعك على لون من ألوان التحرى والاستقصاء الذى قصد اليه أسلافنا - رضى الله عنهم - لتكون على بينة حين تأخذ عنهم من أنهم لم يألوك نصحا ولم يدعوا من مقدورهم شيئا الا بذلوه راضية بذلك أنفسهم مطمئنة اليه قلوبهم ، وأنت حين ترجع الى مؤلفاتهم فى الجرح والتعديل والى مؤلفاتهم فى التراجم تطبيقا لقواعد الجرح والتعديل - وما أكثر هذه المؤلفات - سيأخذك العجب العاجب ، ويستولى عليك البهر والاعياء الا أن تكون ممن وهبهم الله من الصبر والجلد ما هو خليق بأن يشبع نهمك مما أنت فى مسيس الحاجة اليه .

الشرط الثانى من شروط صحة الحديث : أن يكون راوى الحديث ضابطا ، ومعنى الضبط أن يكون الراوى حافظا متيقظا غير مغفل ولا ساه ولا شاك ، لا فى حال تحمله الحديث وأخذه عن شيوخه ولا فى حال أدائه وروايته لمن يأخذ عنه .

وهم يقسمون الضبط الى قسمين ، الأول يسمونه « ضبط صدر » ، والثانى يسمونه « ضبط كتاب » فأما ضبط الصدر - وهو مما يتعلق بالحافظة - فمعناه أن يثبت الراوى ما سمعه ويعيه ويحفظه حفظا تاما بحيث يتمكن من أن يستحضره ويلقيه كما سمعه متى شاء ، وأما ضبط الكتاب فان يكتب الذى سمعه من شيخه ويصون ما كتبه عنده لا يعيره لأحد مخافة أن يغير بعض ألفاظه ، ولا يزال عنده منذ سمعه الى أن يؤدى منه .

فاذا خف الضبط عما وصفنا - غير أنه لم يصل الى حد الغفلة أو السهو أو الشك ولا الى قريب من ذلك - فقد نزلت درجة الحديث ولم يكن عندهم صحيحا ، وقد كان قدامى المحدثين

يعدونه حينئذ ضعيفا ، فأما من يليهم فقد جعلوه وسطا بين الصحيح والضعيف، وسموه « الحسن » بشرط أن تكون الرواة له كلهم مستكملين جميع شروط الصحة من العدالة على حسب ما بينا آنفا وغيرها مما سنذكره فيما بعد ٠

ومن العلماء من لا يذكر شرط الضبط التام فى شروط صحة الحديث ، زاعمين ان اشتراط العدالة يغنى عنه - ومن هؤلاء العلامة الخطابى صاحب كتاب معالم السنن - واعتذروا عنه بان العدل هو من عدله نقاد الحديث ، وهؤلاء لا يعدلون الا من ثبت ضبطه ، ولم نرتض هذا الرأى لسببين : الأول انا لم نفسر العدل بما ذكروا ، وانما فسرنا العدل بانه صاحب الملكة التىوصفناها فيما سبق من هذا الكلام ، والعدالة بتفسيرنا صفة راجعة الى الراوى نفسه لا مدخل للنقاد فيها ، وفرق بين العدالة والتعديل ، والثانى أنا نريد أن نشرح لك كل الصفات التى يجب أن تتوافر فى الحديث حتى يكون صحيحا ، وأن نبعث الطمأنينة الى نفسك لكى تقبل على صحاح الاحاديث اقبال الراغب الحدب ، ولكى تعمل بها وأنت منشرح الصدر ، رضى النفس ٠

الشرط الثالث : أن يكون الحديث متصل الاسناد ، ومعنى هذا أن يكون العدل الأول فى الاسناد يروى عن العدل الثانى ، والعدل الثانى يروى عن الثالث ، وهكذا حتى يصل السند الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فان سقط بين اثنين من الرواة راو أو أكثر لم يكن الحديث صحيحا ، سواء أكان الساقط من أول الاسناد أم وسطه أم من آخره ٠

والوسيلة الى معرفة اتصال الاسناد وأن كل واحد منهم يروى عمن فوقه أن تعرف وفيات الرواة ورحلاتهم حتى تستطيع أن تدرك أن كل راو كان فى الزمن الذى كان فيه شيخه ، وشيء آخر يمكنك أن تعرف به اتصال الاسناد وهو أن توازن بين روايات الحديث المختلفة فانك ستدرك ان كان بعض الرواة قد أسقط بعضا فروى عمن فوقه أم لم يحدث ذلك ، وقد يكون الساقط ضعيفا أو متهما فيأنف الراوى عنه من ذكره ، وقد يكون الراوى عن الساقط قد عاصر من فوقه وان لم يرو عنه فيحتاج استكشاف الحال الى مزيد عناية وكثير يقظة ٠٠

ولم يهمل العلماء تتبع هذا وأمثاله فعنوا أوثق العناية فى ترجمة كل واحد من رواة الأحاديث بذكر مواليدهم ووفياتهم ، والبلاد التى دخلوها ، ثم عنوا عناية منقطعة النظير بذكر شيوخهم ثم بذكر تلاميذهم الذين أخذوا عنهم ، واذا اطلعوا من أحدهم على مثل ما ذكرنا أعلنوه وأبرأوا ذممهم الى الله ٠

الشرط الرابع : ألا يكون الحديث شاذا ، ومعنى ذلك ألا ينفرد به راو ثقة مخالفا لمن هو أرجح منه اما بمزيد ضبط واما بكثرة عدد ، وقد بين الحاكم أبو عبد الله الحديث الشاذ بقوله :

« هو ما انفرد به ثقة ، وينقدح فى نفس الناقد أنه غلط ولكنه لا يقدر على اقامة الدليل على غلطه ، وذكر أن الحديث الشاذ يخالف الحديث المعلل ، من قبل أن الحديث المعلل يطلع الناقد على علته ويستطيع أن يبينها ، وأما الشاذ فلم تتبين له علته ، ومن ثمة كان أدق كثيرا من المعلل ، ولكى تكون الأنواع متمايزة عندك نرى لك ألا تعول على تعريف الحاكم وأن تأخذ بما ذكرناه من قبل٠»

الشرط الخامس : ألا يكون الحديث معللا ، ومعنى ذلك أنه يشترط أن يكون الحديث خاليا من العلة الخفية - وذلك كارسال حديث موصول ، أو وقف حديث مرفوع ، أو ادراج فى حديث ، أو اضطراب ، أو وهم ، وانما يدرك علة الحديث مع خفائها وغموضها الحافظ المتقن ذو البصيرة النافذة ، وسبيله الى ذلك أن يجمع طرق الحديث ويستقصيها من الجوامع والمسانيد والأجزاء ، ويسبر أحوال الرواة ويعتبر بمكانتهم من الحفظ ومنزلتهم فى الاتقان والضبط ، ثم يمحص الفرق بين بعض الروايات وبعض ، فانه سيدرك بعد ذلك وهم الراوى فى ارسال موصول أو وقف

موضوع ، أو نحو ذلك ، فيقضى بضعف الحديث أو يريبه الأمر ويبعث الشك الى نفسه فيعرض عنه ويتوقف فى الأخذ به ، قال الحافظ ابن حجر : المعلل من أغمض أنواع الحديث وأدقها ، ولا يقوم به الا من رزقه الله فهما ثاقبا ، وحفظا واسعا ، ومعرفة تامة بمراتب الرواة ، وملكة قوية بالأسانيد والمتون ، ولهذا لم يتكلم فيه الا القليل من أهل هذا الشأن كعلى بن المدينى واحمد بن حنبل والبخارى ويعقوب بن أبى شيبة وأبى حاتم وأبى زرعة والدراقطنى » ا. هـ.

وفاته أن يعد أبا عيسى الترمذى صاحب السنن المشتهرة باسمه ، فان له فى آخر كتاب السنن بحثا ضافيا فى « العلل » وله كتاب فى العلل خاصة .

وبعد ، فان الحديث الصحيح هو « ما اتصل اسناده برواية العدل الضابط عن مثله من أوله الى منتهاه ، ولم يكن شاذا ولا معللا » ، والحديث الذى تكتمل فيه هذه الشروط هو الذى يحكم له بالصحة بغير خلاف نعلمه بين أهل العلم بالحديث وقد يختلفون فى حديث معين فيحكم له بعضهم بالصحة ويمتنع آخر من الحكم له بها لاختلافهم فى وجود هذه الصفات فيه فيرى الذى يحكم بصحته أنه قد استكملها وأن كل رواته عدول ضابطون وأن سلسلة رواته متصلة الحلقات وليس فيه شذوذ ولا علة ، ويرى الذى يمتنع من الحكم له بالصحة أنه فقد شرطا منها . والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم .

منهج القرآن في التعريف بالله

فضيلة الشيخ محمد محمد المدني

للقرآن الكريم منهج فى التعريف بالله يتكون من أربع نقط أساسية ، هى :

١ ـ تقرير قانون وقائى يحول بين الانسان وان يضل فى متاهات الفلسفة ،ويشغل عقله وفكره فيما لا طائل تحته .

٢ ـ مخاطبة الانسان من ناحية عقله .

٣ ـ مخاطبة الانسان من ناحية عاطفته

٤ ـ مخاطبة الانسان من ناحية مصلحته

واليكم الحديث اجمالا عن كل نقطة من هذه النقط الأربع :

أولا ـ القانون الوقائى :

أن العقيدة الاسلامية فى الله جل جلاله قائمة على وصفه تعالى بكل جميل ، وتنزيهه عن كل قبيح ، وقد أمرنا بأن نفكر فى آثار الله ، ونهينا أن نفكر فى ذاته ، لأن آثار الله فى الخلق والايجاد والتصرف واضحة يمكن ان نراها بعقولنا كما نراها بعيوننا ، وأن نسبح فيها السبح الطويل دون أن نخشى ضلالا ، أو نخاف تيها ، أما ذات الله فهى فوق العقول التى ألغت التقدير والتكييف والتحديد والقياس والتشبيه . هذه العقيدة فى جانب الالوهية كافية للايمان ، ولو ان امرأ لقى ربه وهو يعلم أنه اله واحد قادر خالق متصف بجميع صفاف الكمال منزه عن جميع صفات النقص دون أن يعلم ماوراء ذلك من تفصيل فى شأن الصفات ، لكان ايمانه مقبولا عند الله وقد ركب متن الشطط قوم حاولوا أن يخوضوا بعقولهم فى هذا المجال ، كأنهم حسبوا أنهم قادرون على ادراك ذات الله وكنه صفاته ، فعقدوا ماشاءوا بين الذات والصفات من روابط ، واختلفوا فى أن الثانية هى عين الأولى أو غيرها ، وفى أنها قائمة بها أومستقلة عنها ، وفى أنها قديمة بقدمها أو كقدمها ، الى غير ذلك من الظنون والفروض التى شغلوا بها أنفسهم ، وشغلوا بها الناس وفتحوا بها على العقول أبواب الشكوك والفتن ،وهم فى ذلك ان يشبهوا فقد قاربوا ، وقالوا على الله بغير علم ، **كما زعم الذين قالوا اتخذ الله ولدا ، أو الذين قالوا : الملائكة بنات الله** فالكل ينسب الى الله مالم يأذن به الله ، ويحاول أن يتصور الألوهية تصورا ماديا ، مع أن حقيقة النفس الانسانية والروح البشرية لم تدرك ولم يعلم على وجه يصح ماهى ولا كيف هى !

يقول الله تعالى فى وصف نفسه واعلام المخلوقين بأنه فوق مايعقلون وما يدركون .

((وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير))

((ليس كمثله شىء وهو السميع البصير))

((قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد))

((وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون ، بديع السموات والأرض انى

يكون له ولد ولم تكن له صاحبه وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ، ذلكم الله ربكم لااله الا هو خلق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ، لاتدركه الأبصار وهويدرك الابصار وهو اللطيف الخبير »

فالقرآن الكريم لم يأت لنا أبدا بشيء يفصح عن ذات الله تعالى من حيث الحقيقة والكنه ، وكل ماذكر فى ذلك ليس من أصول الدين ، وانما هو من قبيل المعارف النظرية ، والمسائل الكلامية ، ومن الخير للمسلمين ـ ولاسيما فى هذا العصر الذى اشتغل الناس فيه بما ينفعهم من العلم والعمل ـ ان يتخففوا منها ، بل يتخلوا عنها ، ويوسعوا مداركهم وعقولهم عن الارتطام فى خلافات بسببها وليعلموا أن الله ليس بسائلهم يوم يعرضون عليه عما خاض فيه المتكلمون من هذه النظريات : ليس بسائلهم عن الجزء الذى لا يتجزأ ، ولا عن الخلا والملا والجوهر والعرض ، وهل يبقى العرض زمانين اولا يبقى ، وهل القدرة مع الفعل أو قبله ، وهل الصفات زائدة على الذات أو ليست زائدة ، وهل الاسم عين المسمى أو غيره ، فان كان سائلا عن ذلك أحدا من خلقه ، ومستخبراًاياه خبرة ، فليسعنا مايسع أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وابن عباس وابن عوف وابن مسعود وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وخير لنا أن نحشر معهم بذلك جاهلين ، من ان نحشر مع النظام ، أوالجاحظ أو القفال ، أو غيرهم ولو كانوا أئمة فى العلم والتقى ، وسبحان من لاتدركه العقول ، ولاتحيط به الأوهام والظنون !

ثانيا : مخاطبة الانسان من ناحية عقله :

من الناس من ينكر أن للكون ربا ويعتقد أن الكون ماهو الا محض مصادفات تولد بعضها من بعض ، ومازال هذا التولد المصادفى بحكمه ، ولن يزال كذلك حتى ترى عليه مصادفة تدمره وتفنيه !

وهؤلاء فئة من الناس متخبطة تقول مالا يقبله عقل ، ولا تسلم به فطرة ، وانك لاتجد واحدا منهم ولا من غيرهم يصدقك اذا أتيت له فى أى شيء عادى بحديث عن أمر له بعض التفاصيل والتراكيب والدقائق ، تحكمه المصادفة فى نشأته واستمراره ٠

قل لهم أو لغيرهم ـ على سبيل التجربة والاختبار ـ انى كنت سائرا فى صحراء مترامية الأطراف ، لايعرف أولها من آخرها وقد ألهب الهجير مافيها من رمال فجعله كرماد النيران المشتعلة وليس بها شجر يستظل بظلاله السائرون ، ولاماء يستقى منه الشاربون ، فبينما أنا كذلك أرقب الموت فيها جوعا وظمأ وضحاء ، اذا أحجار تجتمع وحدها دون جامع لها ، ثم يقع بعضها على بعض فى نسق بنائى ، فتتألف منها جدران قصر منيف ، ثم اذا الواح وعروق وكتل من الخشب ، تترادف على هذه الجدران ، مقطعة مسواة منجرة ، فاذا هى سقف مرفوعة ، وأبواب مصنوعة ٠ ونوافذ صالحة لأن تفتح وتغلق فى سهولة ويسر ، وبينما أنا أنظر الى هذا البناء يتألف ويتكون على هذا النحو ، اذا الفرش والبسط والأرائك والستائر تفرش وتبسط وتنظم ، واذا الماء البارد ، والطعام الفاخر والخدم والحشم وكل ما يتصوره متصور من نعيم القصور ،يأتى بعضه فى أثر بعض ، دون آت به ، ولا منظم له ، واذا أنا فى ظل من النعيم ، أطعم هنيئا ، وأشرب مريئا ، وانام ملء جفونى سعيدا قرير العين مطمئنا ، لا خوف يقلقنى، ولا شيء يزعجنى !

قل لهم أو لغيرهم هذا على سبيل التجربة والاختبار ، فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون مستنكرين مستهزئين : فى أية ليلة هادئة رأيت هذا الحلم الجميل ؟ فان قلت لهم : انه ليس حلما رأيته ، ولا خيالا تخيلته ،قالوا لك : اذن هى خرافة سيطرت على عقلك فلم تستطع لهم دفعا ، فعليك أن تستريح حتى تهدأ أعصابك !

فاذا كان مثل هذا لايقبله عقل عاقل فى شأن قصر محدود صغير ، فما بالنا بالكون الأعظم وما فيه من أفلاك وكواكب وأجواء وآفاق وعوالم ؟ وكيف يمكن أن نتصور هذا كله ، مع مانراه عليه من الدقة والنظام والترتيب والاتساق العجيب ـ قد كان على

سبيل المصادفة ، فلا خالق ، ولامبدع ، ولا مصور ، ولابارىء !

ولذلك نرى منهج القرآن الكريم فى اقتلاع جذور هذا اللون من التفكير ، هو منهج اثارة العقول والأنظار الى عجائب هذا الكون وما أبدعه الله فيه :

انظر اليه يقول :

« أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض ، بل لايوقنون »

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصره وذكرى لكل عبد منيب »

« أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون »

« أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون »

« افرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون »

« أفرأيتم النار التى تورون أأنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشئون »

« هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه »

« سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون »

وهكذا يلفت القرآن الكريم أنظار الناس فى هذه الآيات وفى غيرها من مئات الآيات الأخرى ، الى مافى الكون من صنعة محكمة ، ونظام بديع مطرد شامل لكل شىء ، وان العقول ليس من شأنها أن تتقبل الزعم بأن هذا الاطراد فى السنن والنظم ملايين السنين ، انما كان عن طريق مصادفات وتفاعلات !

ثالثا : مخاطبة الانسان من ناحية عاطفته :

مع أن القرآن الكريم يريد من الأفراد أن يكونوا لبنات صالحة فى بناء المجتمع ، وان يكونوا أقوياء فى أنفسهم مستمسكين بالفضيلة والمثل الرفيعة ، متنزهين عن كل مايشينهم ، نراه يريد مجتمعا متمسكا بأهداب الأمل دائما لاييأس من روح الله ، ولايشعر أفراده بانهم مكبلون مترصدة عليهم الهفوات محاسبون على الصغيرة والكبيرة حسابا عسيرا فيه كثير من القسوة ، وكثير من الصرامة .

ولذلك نجد دعوة القرآن دائما ، دعوة وسطا ، فلاهى بالدعوة التى تعتمد التخويف الى درجة التيئيس والاقناط اللذين يفضيان بالمرء الى الابلاس والتحير والبلبلة ، ولا هى بالدعوة التى تطلق للانسان عنان شهواته وآماله ورغباته الى حد الانبعاث والاندفاع اللذين يفضيان به الى الارتطام والتردى والعجز عن مكابدة مالابد منه من الصعاب .

فالانسان فى نظر الاسلام مخلوق له قيمته وله كرامته ، وله حق الاعتراف بميوله وحق الاعتراف بغرائزه ، وحق الصفح عن اخطائه، والتقبل منه ، ولكنه مع ذلك ليس بالمدلل المرفه المتروك سدى ، وانما هو مسئول مخاطب مكلف فى حدود مايطيق ، وما يتلاءم مع طبيعته ومكوناته الخلقية والخلقية .

وفى هذا النطاق نجد القرآن الكريم يعرف الانسان بالله من جانب عاطفته تعريفا يجعله بحبه وبعشقه ويدرك فيه جوانب الجمال ، كما يدرك فيه جوانب الجلال :

* **فالله غفور رحيم**
* **والله هو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات**
* **والله هو الذى يغفر الذنوب جميعا ، ولاينبغى لمؤمن أسرف على نفسه أن يقنط من رحمته ومغفرته .**
* **والله هو الذى خالق الانسان ، ويعلم ماتوسوس به نفسه ، وهو مع هذا أقرب اليه من حبل الوريد ، لو دعاه لأجابه ، ولو تاب تاب عليه ، ولو تقدم اليه شبرا تقدم اليه ذراعا ، وهوالذى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل**

الى غير ذلك مما يدل على أن القرآن الكريم لم يكن هدفه أن يقيم مجتمعا ملائكيا لايخطىء أفراده ، ولا هو بالذى يشترط فى المتقى الا يقع منه الذنب أصلا ، وانما يرمى الى تخفيف ذلك ، ووضع الضوابط والقيود التى تهذب من الغرائز ، وتحول بينها وبين الاندفاع

الثائر المشتط المؤذى ، وهو فى سبيل ذلك ينظر الى الصغائر والهفوات نظرة فيها كثير من التسامح والرحمة والعطف على الانسان الذى خلق ضعيفا ، والذى هو محل لتأثيرات داخلية نفسية – وهى الشهوات والمطامع – وخارجية شيطانية – ومنها المغريات الحسية أو الأدبية – ولهذا يعلن فى صراحة ووضوح انه يغفر الصغائر لمن انتهى عن الكبائر .

« ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » بل يعلن أنه يغفر كل ماعدا الاشراك به لمن شاء « ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء »

وقد لفت المبرزون من الصحابة والعلماء أنظار الناس الى هذا ، ومنه ما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال :

« ان فى سورة النساء لخمس آيات ما يسرنى أن لى بها الدنيا ومافيها :

(١) « ان الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها، ويؤت من لدنه أجرا عظيما »

(٢) « ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما »

(٣) « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء »

(٤) « ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما »

(٥) « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما »

وهكذا يعرف المؤمن ربه غفورا رحيما ، حليما كريما ، ودودا جوادا ، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ، فيحبه وتهتز بحبه عاطفته ، ويمتلىء مع هذا الحب اجلالا له وتعظيما لشأنه ، واذا كان الاجلال والاعظام عن طريق العاطفة والحب كان ملء النفوس وشفاء الصدور ، وراحة الجوانح !

رابعا مخاطبة الانسان من ناحية مصلحته

ومن أوضح آيات القرآن فى ذلك قوله تعالى فى بيان أهداف التشريع :

« يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم ، والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما ، يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا

فهذه الآيات تذكر الغاية من التشريع ووضع الحدود وقواعد التعامل فى المجتمع ، فليست هى مجرد الرغبة فى تقييد الناس واخضاعهم للسلطان الالهى ، ولو كانت كذلك لما كانت الا حقا ، لان الناس جميعا مخلوقون لله تعالى وفى حدود سلطانه التكوينى قبل السلطان التشريعى ولكنها غاية تنبعث عن صفتى الرحمة والحكمة ، فالله تعالى يريد ان يبين لهم البيان الشافى . ولا يكلهم الى أنفسهم ، وتجاربهم دون أن يعينهم بوحيه وتشريعه وبيانه ، فقد تهتدى العقول ، ولكنها كثيرا ما تضل ، وكثيرا ماتختلف ، وكثيرا ما ترى شيئا وتغيب عنها أشياء ، فلا بد اذن من بيان من العليم الذى لايخفى عليه شىء ، ولايضطرب علمه بشىء .

والله تعالى يريد أن يهدى عباده سنن التاريخ ويقرب لهم تجارب من كانوا قبلهم ، ويريد أن يتوب عليهم ، أى يغفر لهم ويطهر مجتمعهم مما كان عليه سلفهم فى الجاهلية ، بينما يريد أهل الشهوات والأهواء ان يخرجوهم عن الصراط المستقيم ، وأن يميلوا بهم عن سنة الفطرة ميلا عظيما ، والله تعالى يريد أن يخفف عن عباده لانه يعلم أن الانسان مخلوق ضعيف .

واذن فالتشريع انما هو للبيان والهداية والتطهير والاصلاح والعصمة من الميل والانحراف وتجاوز الصراط المستقيم والسنن الطبيعية ، وهو مع ذلك كله تشريع قائم على ملاحظة مافى الناس من ضعف طبيعى يجعلهم غير قادرين على تحمل المشاق التى تزيد على الطاقة أو تنقل عن مألوف الاحتمال .

ولاشك أن هذه الآيات التى تتناول هذه المعانى فى بيان الغاية من التشريع ، والفائدة التى تتحقق للناس منه ، والرحمة التى تصاحبه وتلامسه ، من شأنها أن توجه الناس الى الايمان بالله تعالى مشرعا حكيما ، كما آمنوا به ربا خالقا ، والها رحيما .

من حضارة الإسلام

مدارج السلوك

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

حـركة الفضائل ـ التطرف الجاهلى ـ العجب والغرور ـ منة الاسلام ـ السمو والثبات ـ القدوة والمثل ـ ايقاظ الضمير •

حركة الفضائل :

الناس طوائف : فمنقادون الى مايكره من الأخلاق ويجفى وليس الى تاديب هؤلاء غير القهر والتخويف • وميالون الى طريق الخير فاذا أرشدوا تدربوا وتعملوا وارتاضوا • ومتنبهون الى المقابح ينتهون عنها بجودة الفكر وقوة التمييز • أما المجبولون على الأخلاق الحميدة فهم فى الناس نادر قليل •

ومع اختلاف الناس الى هذه الطوائف فان فى فطرتهم جميعا ميلا الى الفضائل ونزعة اليها • والعقل يزيد هذا الميل ويقوى حركته وربما كان ذلك من قبل أن يحتاج الانسان الى شرع يهديه ولكنه يكون ميلا غير ثابت وغير أكيد ، وانما تأتى الشريعةبتأكيد دوافع العقل والفطرة الى حركة الفضائل بالتنبيه الى شرفها والتنويه بنفعها ، وتقترن هذه الحركة فى معظم الاحيان بحب الشكر وطلب الثناء والشهرة ، وقد يكون هذا القرين أيضا فى عداد الفضائل التى تنزع الفطرة اليها ، ولو لم يكن كذلك لما رغب الانسان فيه وسهر من أجله من غير أن تذم رغبته فيه •

غير أن الشريعة تخلع هذا الحب أحيانا أو تخفف من حدته وطغيانه لتصفى فطرة الانسان من شوائبها ، ومن ثم ظهرت تعاليم الأخلاق فى الرسالات أكثر من غيرها لأن الأنبياء جعلوا وعاظا لعلمهم برعاياهم • وأبو عمرو الأوزاعى الامام يفصل هذا العلم النبوى بانه اسمان الهزيلة ورد الضالة وجبر الكسير •

والأحكام التى صدرت من الاسلام فى قضايا الأخلاق هى من هذا العلم ، وتزيد قوة بأنها تمت فى حقل الواقع الانسانى بتحسس الأحداث الواقعة والاحتكاك بها واعتماد التجارب الاجتماعية والمعرفة التى بلغها العقل أو يبلغها •

وعلماء الفكر الاسلامى يقولون ان مطابقة هذه الأحكام لحركة الفضائل المنبثقة عن الفطر والعقول ينبثق منها دليل على أن الخالق سبحانه واحد • ولولا هذه الوحدانية لما تساوت هذه الحال بالناس فى أصل الخلقة ولا استجاب أحد للدعاة الذين دعوا اليها وحضوا عليها اذ لايجدون فى أنفسهم شاهدا لها ومصدقا بها •

ومثل الايثار ومواصلة البر ومعونة المحتاج واللاجىء واغاثة الملهوف مع رجاء الثواب أو من غير انتظاره انما هى أخلاق شريفة وخصال محمودة • ومع أن الفطرة تدعو اليها والشرائع

تؤكدها فانها ضرورية كذلك للتمدن والاجتماع وحين جعلها الاسلام أحكاما له مجزية بالثواب والأجر نظر الى قيمتها فى ترقية الاجتماع وتقوية بناء المدنية فساير الفطرة والضرورة لأنه ما من ذلك بد فى حياة الناس جبرا واختيارا ٠

التطرف الجاهلى :

وحركة الفضائل قد تخمد ولا تنتصر فى طبائع صنف من البشر أو اكثر اذا حرم التنبه اليها أو حرم من شريعة تهديه وترشده كما حدث للعرب فى جاهليتهم وكما يحدث لكل جيل يحرم رسالة أو ينحرف عنها أو تضعف هى عن أن تؤثر فيه ٠

والتطرف الجاهلى المدمر الذى بدد العرب أجيالا طويلة وجعلهم كيهود سيناء لا يعرفون شاطئا للتيه كان يساكنهم الجزيرة فى أثنائه نصارى ذوى دين متسامح ، ومع ذلك فلم يستطع التسامح المسيحى أن يجد طريقا الى قلوبهم ولا الى حياتهم ٠ وكان يساكنهم كذلك يهود ، ولعل اليهود قد زادوا التطرف الجاهلى غطرسة واثما ، فلم تكسب الوثنية العربية من الدينيين المجاورين شيئا يردها الى الاعتدال ، وكأن وجودهما كان عبثا ، بل كان من جانب اليهود اتلافا لمعايش الناس وتأريثا لمطامعهم الى حد كبير ٠

وفى بضع وقائع بين عبس وذبيان فى لجة البادية — كما يعرف مؤرخو الأدب العربى — ظل هرم بن سنان وحارث بن عوف يدفعان بطنا بعد بطن من نتاج الابل فى ديات قتلى من القبيلتين صرعوا لأمر تافه هو الخلاف على سباق كانت نتائجه مؤسفة وبيلة على الأموات والأحياء ٠

ولم يكن هذا الذى حدث فى هذا الجانب من الجزيرة الا مثلا صغيرا لما يحدث فى كل أرجائها ، ولم تغب الجاهلية عن الشعب العربى الا بعد أن تركته طحينا من حروب بين العرب والعرب لمجد كاذب أو بين العرب وغيرهم خدمة للغرباء ٠

والغريب المذهل أن مركب هذه الآثام الجاهلية كان متون الأخلاق : كانت الشجاعة وحماية الجار والدفاع عن الحمى واباء المذلة وأمثال هذه — كانت هى الفتائل التى أشعلت نار الحروب ..تماما تماما كما يفعل الذل واباحة الحمى واصطلام الجار والنذالة والعدوان ٠

لقد كانت فضائل كالرذائل ومحاسن كالعيوب لأنها لم تكن ذات اعتدال ٠٠ كانت شيئا زائدا عن حده ، ولم تستطع المسيحية ولا اليهودية أن تردا هذه الأخلاق الى الاعتدال وهما وان كانتا قد أثرتا أو أثرت الفطرة السليمة معهما فى بعض الأفراد ، فقد كانتا أضعف من أن تتغلغلا فى الجزيرة ، فظل جيل العرب وثنيا هشيما تعصف به هوج الرياح ٠

وزادت كارثة التطرف فى مكة فخضعت لنوع من الجبابرة أذلوا الضعفاء أولا ، ثم ما لبثوا أن ذلوا هم أيضا بتخييل الأصنام والأوثان والنصب آلهة تعبد ، ولعلهم استصعبوا رحلة التجارة واستبعدوا مواقيت الربا فنصبوا حبائل الاحتيال على عقول الناس وأموالهم بالركوع بين يدى الآلهة لتفتيهم فى الحظوظ ، ولم تكن الفتوى فيما يأتيهم به مستقبل الزمان ولكن فيما مضى أيضا — والماضى لايحتاج فى معرفته الى عراف — وانما كان من قدرة الهم (هبل) المنصوب فى جوف الكعبة أن ينظر فى الماضى ويبدله كما شاء فيصطنع الآباء ويغير الأنساب ٠

وحيث كانت العصبية تجتمع فى البادية على رأى وتمضى فيه من خير وشر لم تستطع العصبية فى مكة أن تجتمع حتى على دعوة الخير فانشق عليها ألصق الناس بالعصب وأدناهم منه قربى ، ولم تزل مكة كلها تبغى وتشتط فى البغى حتى اتفق كبراؤها على جناية القتل الجماعى الذى يتمثل فيه الجبن والنذالة حيث يختفى القاتل ويختبىء ويضيع دم القتيل هدرا ٠

وكذلك بدت الجاهلية فى مكة أشد عنفا ، وكانت البادية أولى بهذه الشدة من الحاضرة ذات التجارة والاجتماع ، ولعل المال كان هو السوط الرهيب الذى جعل مكة هكذا فائزة فى السباق ٠

العجب والغرور :

وكانت بلوى الدنيا كلها من العجب والغرور ، بل كانا أصلا فى قضايا البشرية الأولى ، ولذا واجهتها الأديان كلها بالتأديب والتحطيم ، حتى أن اديانا برمتها كانت الفكرة السائدة فيها قتل غرور الانسان •

ومنذ أرسل نوح أبوالبشر الثانى فقد صرخ فى آذان قومه المستكبرين أن لا تزدرى أعينهم مظاهر الضعفاء قائلا « **ولا اقول للذين تزدرى أعينكم لن يأتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى أنفسهم** » ليرد قيمة كل امرىء الى ماهو مطوى فى نفسه ، ويرد علمه الى الله ليعلم المرء أنه لامفر من أن يقر بما يجول فى نفسه لأنه مشهود للخلاق العليم •

ومصيبة العجب الفادحة التى بذل الأنبياء فى علاجها أشد نذير جعلت حياة الناس لا تطاق فالمجانين والسكارى والجهلاء والسفهاء هم على ترتيب النظم العقلاء والصاحون والعلماء والحكماء ولن يغيب عنك هذا المشهد فى أى طريق • ومن ثم نصبت الأديان الموازين ودوت فى القرآن أشد الصرخات فى آذان المعجبين والمغرورين ، ولا سيما أهل مكة الأولين وانه لا تكاد سورة من سور الانذار تخلو من النعى على عوارض العجب وسوانح التيه لأنها فى العدد الغالب والجم الغفير ، ولم يهمل الاسلام انتزاعها من الحاكم لئلا يظلم أو يتعالى عن استشارة النصحاء ، ومن المحكوم فلا يعصى ولا يتمرد ، فكان له ماشاء من القلوب والجهود ، ومن النصر والفتوح •

ومعابة العجب والغرور أنه ينشأ طفيليا بغير سبب من فضل أو علو • انه ينشأ سفها وجنونا ثم لا يبرأ • وليس عيبا يقصر شره على المعجب المغرور وانما هو يتعداه لاحتقار غيره ، ويتمادى فيصيب الناس بالمهانة والأذى • وقد رأى حاتم بن عنوان الأصم الزاهد أصل المعصية فى الكبر والحرص والحسد ورأى أنه لا يخلق هذه الأصول فى النفس الا العجب والغرور ، فاذا تجردت منهما النفس انغرست فيها أصول الطاعة من الخوف والحب والرجاء •

وقد جهد الاسلام جهده للوقوف بالنفس دون العجب والغرور ، ورسم لذلك طريقين كلاهما خير وبر : فالأول ادراك عيب النفس وتقصير ثوب خيلائها ثم الزامها طريقا سويا لتنظر فى خارجها الى الأمور ومقاديرها فيحدث منها العدل والقسط • والثانى طرح أمر النفس واهمالها - وهو الأمر الشاق المرير الذى فعله أهل التصوف من المسلمين - لتعرج النفس بهذا الطرح والاهمال فى معارج الكمال •

ولصوفية المسلمين فى تأديب أنفسهم بقتل عجبها وغرورها مجال يشوق النفوس ، وأستاذهم فى ذلك عمر بن الخطاب ، فقد رآه عروة بن الزبير وعلى عاتقه قربة ماء فقال له : **يا أمير المؤمنين ماينبغى لك هذا ! فقال : لما أتانى الوفود سامعين مطيعين دخلت فى نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها • ومضى بالقربة الى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى انائها •**

وقد كانت صوفية المسلمين طائفة من الفضلاء ذابوا شوقا الى الاستكثار من التواضع والصدق فيه عملا وقولا - والتواضع غير الضعة - بل كان منهم أفضل من الفضلاء : عرضوا أنفسهم للأذى واستجلبوه فارتقوا بذلك الى درجات الالهيين • والعصور الاسلامية كلها باهرة الضوء بأنوار أولئك القديسين •

منة الاسلام :

ولا يخطر ببال أحد أن مكة وحدها من بين الحاضرات القديمة كانت تنفرد بذلك البغى الجامح ، بل ربما سبقتها فى بغيها كل حاضرات الكون ، فان الانسان كان قد فقد ذاته وركب الجبابرة فيه رءوسهم وساقوا الناس فى كل مكان من الارض سوق العبيد •

فلما جاء الاسلام - وكان تجربة جرت أول ماجرت بين العرب من داخلهم - لم ينظر الى العرب نظرة المسيحية واليهودية الغريبتين ، ولم يغل يده كما غلتا ، بل نظر الى قومه وأهله وامتدت نظرته بالرحمة لهم والاشفاق عليهم فلم يلبث أن محا عيوب الأخلاق ومساوىء التطرف واستطاع فى سرعة مذهلة أن يهدىء القلوب من الغيظ المفتعل الذى يحمسها ، وان يكف الأيدى الباغية عن اهراق

الدماء ، وأن يكفكف العبرات ويبرىء الجفون كما استطاع أن يمسك بالانسان عند الفرح الطاغى فلا يبطر ، وعند الحزن الشديد فلا يمتلىء جزعا • وحتى مخافة الخطأ الذى يقع فيه الانسان بغير قصد فقد حذر الاسلام من التردد أمام الشبهات والحوم حول حماها مخافة أن تزل القلوب فتقع فى الآثام •

وامتدت بالاسلام المنة فلم يدع اتباع الأديان المجاورة ، دون أن يدعوهم الى فضائله ذات الاعتدال كما دعا العرب • وكأنه بهذه الدعوة الصارخة فى آذانهم قد نعى عليهم ان لم يؤثروا فى الوثنية بما كان عليهم أن يؤثروا به ، فلم يبق عليهم - وقد ضعفوا عن اشاعة الخير - الا أن يتبعوا الدعوة العربية التى كان لها ان تستعلى عليهم وقد حق لها بما قصروا أن تكون الدعوة العامة وأن تكون آخر الدعوات •

وتجربة الاعتدال الخلقى التى جاء بها الاسلام كانت عملا واقعا فى المجتمع الاسلامى أكثر منها دروسا فى سطور أو عظات فى أقوال فمع أن القرآن والحديث قد أشارا فى عدد وفير من أقوالهما الى التوسط فى الأمور فان التطرف فى الأخلاق ، والأقوال كان يستوجب أحيانا حكما من القاضى أو الخليفة ذاته قابلا للخضوع والتنفيذ • وربما تناول المسائل الادبية والجدلية كما حدث فى قصة استعداء بنى العجلان عمر بن الخطاب على النجاشى الشاعر وقضاء عمر بتطرف النجاشى والشهادة بكرامة بنى العجلان •

وكره الاسلام العقوبة الى حد الانتقام • والاحسان الى حد الخروج عن المال كله - الا اذا كان ذلك فى دفع عدو لأن المال ضائع كله اذا قدر له أن يغلب ويقهر - والاقدام على اقتحام المخاطر حتى التهلكة ، والصبر على النقم والاستسلام لها مع القدرة على التغلب عليها ، كل هذه الحدود جعلها الاسلام من قواعده فخلقت رجالات ذوى أخلاق عالية وأمانة تدعو الى الثقة واليقين •

وجدير أن ينبه الى أن هذا الاعتدال الذى رسمه الاسلام للفضائل لا يتنافى مع القوة المرغوبة فى المؤمن اذ الرسول ينبه الى ذلك قائلا « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » •

السمو والثبات :

فى الثورات الفكرية الضخمة التى اجتاحت الكون فى القرن التاسع عشر ضد الاخلاق التى كانت أدوات مسخرة لمصلحة طبقة من الناس لتسيطر بها على سائر الطبقات لم يكن من المستطاع أن يتهم الاسلام بكلمة واحدة فى الأخلاق التى فرضها دائما أدوات للتخلص من الحكم الطبقى •

والشتائم التى كالها الثوار للاديان بأنها الأفيون المخدر للشعوب لم يمس الاسلام منها حرف ، وسواء علم أولئك القادة الثائرون بالاسلام أو جهلوه فانه كان فى المستوى الخلقى الذى ترتد هجماتهم عند بابه أو تحت أقدامه ، اذ لم تكن لديه أخلاق للسادة وأخرى للأرقاء • والخضوع والاستسلام لم تصنع منها قيود لعبيد ، وانما كان التواضع واجب الاتباع من جميع الناس •

ولم تتحول الأخلاق الاسلامية فى كل عصور المسلمين - حتى فى عصور انحطاطهم - عن الشكل الذى وضعت عليه فى أول عهد للمجتمع الاسلامى . فلم تنقلب قط فضيلة الى رذيلة أو ترتد هذه الى تلك ، فاذا كان بعض ذوى الجاه قد خرقوا هذه النظم ، أو كانت بعض الجماعات قد تفشى فيها الشر، فذلك عمل خرجوا به عن طبيعة الاسلام • والعلاقات السائدة بين ذوى الدرجات لم يسبق فى عرف الاسلام أن يجمدها ، بل جعل الأيام والاموال دولا بين الناس • وكل أمر سائر الى أحسن من ذى قبل فانما يشجعه الاسلام ويبعث فيه روح النماء •

وكذلك لم تسمع فى الاسلام كلمة تقول بالعودة الى البساطة ، أو الى مبدأ الانسان الفقير الذى ليس له حاجات - وذلك فيما عدا أهل الزهد والتصوف لأنهم أفراد قادة ومجموع الأمة لا يكون منهم - وانما الاسلام يرفع البسيط ليكون معقدا ويدعو الى تخطى الفقر بسد كل الحاجات . وعمر بن عبد العزيز

صاحب المدة السعيدة لم ير أن تفرض على المسلم ضرائب الا بعد أن يكون له مسكن وفرش وخادم ودابة ، وهو المستوى الأدنى الذى رآه خليفة راشد لكل مسلم وعمل على تحقيقه ثم كان ، وأيما فرد يجبر مخلوقا فردا على الخضوع والمذلة أو يجبر جماعة على ان تستعبد لجماعة أخرى فان الاسلام برىء منه ولا فرق عنده بين مسلم ومسلم أو مسلم وذمى أو معاهد ، وانما تجرى الأمور بالوفاء والمساواة ٠

ودوام الاقبال والمجاهدة عند المسلمين من أمارات الفتح والقبول ، والمسارعة الى الله والى الخير من علو الهمة فى الاسلام ٠ أما الملتفت وراءه والمتسلل من الصفوف فلن يفلح والمتهور فى قوله وعمله وكسبه متورع عن أن يفتح له الطريق ٠

القدوة والمثل :

وفى حمل الناس على محاسن الاخلاق كان لابد من قدوة شأن كل أمر جليل ثقيل ، لتيسر القدوة على من يضن بقواه أن يبذلها فتهون لديه المشاق ٠ ولم تكن فى الاسلام قدوة أعظم من رسول الله - ولعله - صلى الله عليه وسلم - قد بين وصف الله له بقوله **« وانك لعلى خلق عظيم » - بينه بقوله أدبنى ربى فأحسن تأديبى ٠**

وليس فى الامكان بعد ذلك أن نتجاوز عن تأديب السماء له - ثم لنا بسببه - الى الوقوف عند نشأته فى بنى هاشم - وان كانت النشأة فيهم كافية لتنشئة الرجل الكامل - فقد كانوا عاجزين عن تنشئة رسول لو كانت الرسالات من غير اجتباء ٠

وبان أثر هذا الاجتباء فى كل خاطر وخطوة اذ كانت ذات اتزان واعتدال ، وكان ذلك ممتدا الى كل أمر وشان حتى فى المباح لكل آدمى أن يفعله كالطعام الحلال الذى تسطع رائحته أو يكثر - دهنه ودسمه فقد مال عنه الرسول القدوة وتركه أو قام عنه فتوضأ منه - وان كان الفقهاء وأهل التأويل قد عللوا ذلك بأنه امتنع عن أكل مايسطع ريحه لأنه يلقى جبريل - وكالضحك الذى صار لديه ابتساما ، والصوت فى القراءة والعبادة الذى ابتغى به سبيلا بين الجهر والتخافت. واذا فقد كان رسول الله أول من تأدب بأدب اللقاء وأعظم من اقتصد فى كل الأمور ٠

وحين قاد رسول الله الناس حمل على كاهله أعباء لم يستطع القادرون من اتباعه حملها ، وقد رؤى كيف كان يقوم فى الصلاة حتى تتورم قدماه ، وكيف توارى عن الناس فى أداء النفل الخاص به رحمة بقوى الناس أن تنوء بأمثاله ، وكيف أنبأ عائشة بيقظة قلبه مهما نامت عيناه ٠

أما فيما هو فى متناول قوى الناس فقد ضرب لهم المثل فيه أمامهم ليقتدوا به ٠ وقد جزأ نهاره ثلاثة أجزاء : جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه ثم جزء جزأه بينه وبين الناس ٠

ومن بعده كان آله وأصحابه قدوات للناس ٠٠ كانوا كسهام الجعبة قد تشابهت أشكالهم وتدانت أحوالهم ٠ ولن يستطيع أحد أن يفر ليله ونهاره من دهشة تملكه وتعجب يتبعه اذا التفت الى سيرهم يقرؤها والى أخلاقهم نتبينها ٠

وقد صح أن ينسب كل نصر حصل عليه الاسلام الى ماكان عليه هؤلاء من أخلاق - كل نصر بلا استثناء - كسبوه هم وأتباعهم ، فى أى عصر وبلد ، لأنهم كانوا المثل والقدوة ٠ ومن لم يتمثلهم ويقتد بهم فالهزيمة به أولى ٠

وضرب الرسول أعظم مثل للقائد فى ايصال البر الى الناس اذ كان يستعين بالخاصة على العامة ويدعو الى ذلك ويحث عليه يقول « **ابلغونى حاجة من لايستطيع ابلاغى فانه من أبلغ حاجة من لايستطيع ابلاغها آمنه الله تعالى يوم الفزع الأكبر » ومع ذلك فلم يبح مال المسلمين فذاد عنه الطمع وقلم الأظفار ، ولم يجعل لأحد شفاعة فى الحدود ٠**

وحسبك من تلاميذه ان تسمع على بن ابى طالب يقول للناس :

« ولقد جاءنى عقيل « يعنى أخاه » يشكو الى سغبا يستمنحنى صاعا من بركم او صاعا من شعيركم ، فأحميت له حديدة ثم أصغيتها الى بدنه فأن أنين الدنف الهائم فقلت : ثكلتك الثواكل . أتئن من حديدة أحماها انسان لأخيه وتجترىء الى نار سجرها الرحمن لمبغضيه ؟!

ايقاظ الضمير :

وكما كان الاسلام قد جاء بآخر تطور بشرى فى كل فروضه وتعاليمه فانه أعلن أن الثواب والعقاب الأبديين - واللذين تحكم بهما عدالة حقة لا تخطىء ولا تميل - سيتأخران الى مابعد الموت .

فالخوف الزائف الذى كان بمكة فعذب به جبابرتها الموالى وغربوا به الضعفاء جاءه خوف أشد منه ولكنه حق فمزق أكباده . ولم يكن الخوف الأقدم الا حسابا للظاهر الذى يتغير كل آن ، أما الأحدث فجاء حسابا للباطن الذى لا يعتريه تبدل ولا تغيير .

ولقد عذب المجرمون وثوب الصالحون بالجزاء الدنيوى العاجل فى الأنظمة التى وضعها البشر . وكثير من شرائع السماء عاقب أمما كثيرة بالاهلاك العاجل ، فلم يكن أمام أحد من الذين عوجلوا بالهلاك أن يستبرىء أو يرجع فيثوب ، ولكن الاسلام أخر العقوبة والجزاء وجعلهما فى يد العليم بالسر وذلك ليترك للانسان مدى من عمر الدنيا يرجع فيه الى ضميره لئلا يفر من حق ماثل هو طبق ما فى الضمير سواء بسواء .

وكان هذا اطلاق قوة أخرى للانسان وراء حريتها ،فكما اطلق الاسلام عقل الانسان للبحث وراء الدليل ، وكان فعله هذا حجة على صحة ختامه للرسالات - كما اوضحناه فى مقال سابق - كذلك ، أيقظ الاسلام ضمير الانسان ووضع بين يديه وعينيه أقواله واعماله وترك له تقديرها اذ هو أعرف بها .. وهذا مع أنه ايقاظ للضمير الانسانى فهو اطلاق أيضا لقواه وراء البناء والاصلاح من غير تعجيل أو ارهاق .

وقول الرسول الأعظم « والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » وقوله لوابصة بن معبد حين سأله عن البر : استفت قلبك . البر مااطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب . والاثم ماحاك فى النفس وتردد فى الصدر وان أفتاك المفتون » قاعدة يضعها الاسلام للمعرفة والقياس أمام الضمير . وهو ماقيل ان « كانت » قد ارتآه فى الفلسفة الحديثة وسماه أداء الواجب للواجب أو سماه الخضوع التام لأمر الضمير النهائى .

ولقد كان تأجيل العقوبة النهائية فى الاسلام أمرا خطيرا ، فانه لم يدع للضمائر أن تنام ليلة أو تغفل لحظة اذ جعل حد تفكيرها وزمن أعمالها محدودا بانتهاء الأجل . وهو تحديد مبهم لأن الأجل مجهول ، وقد يقع فجأة . فالمسارعة بالتوبة والعمل الصالح احق وأولى :

وكم فى ضمير الناس اذن من قساوة حين تمر عليهم الليالى والأيام وهم فى نوم دائم أوعناد قائم ؟

وماذا كانت تسلك هذه الضمائر من نهج للتعليم ومهاد للرحمة أفضل مما مهد لها الدين القويم وأوضح لها الصراط المستقيم ؟

والنفاق الذى يحدث القلق والتضارب بين حركات الجسم وخطرات النفس . ألم يحاربه الاسلام ويجعل طبقة أهله فى الدرك الأسفل من النار ؟

وهل تبتعد النفس عن النفاق والقلق وتألف الاخلاص والثبات الا بمراقبة الضمير وتقسيط الأقوال والأعمال ووزن مقاديرها حتى تصدر صحيحة ذات اعتدال ؟

فلا مراء فى أن الانذار بالجزاء الآخر كان بعد أن وضعت أمام الضمير مرآة مجلوة تنطبع فيها الصورة أتم انطباع ، كما ترك له أن يبدل من صورته ويحسن فيها كما شاء وكما اقتدر ليعود الى فطرته فى حركة الفضائل ، وقد فتح له طريقا الى الحياء الخفى حتى لو قيل للحر الكريم : اعمل ماشئت فلن يأخذك الله بذنب ، لزاده هذا الكرم هجرا للمعصية واستحياء من الله العلى الكريم .

مالا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين

بعض الخلافات التى تستلفت النظر

فضيلة الشيخ
عبد الجليل عيسى

رأينا ان نضع فى هذا الفصل أمام نظر القارىء صورة حية واضحة مجموعة فى صعيد واحد تنادى بالعجب من اختلاف المسلمين .. وتستلفت النظر وتحفز همم أولى الرشاد من قادة المسلمين الى القضاء على عناصر هذا الخلاف الذى لا أصل له .

وسترى فى هذا الفصل اختلاف العلماء فى أمور تدرك بالأبصار ، وتتكرر أمام الأنظار ، وتسمع بالآذان آلاف المرات ، فمن ذلك .

١ ـ اختلافهم فى مكان وقوف المصلى على الجنازة ، اذا كان اماما ، أو منفردا :

الامام مالك يقول : يقف المصلى عند وسط الرجل ، وعند منكبى (١) الانثى .

وابن حنبل يقول : يقف المصلى عند صدر الرجل ، ووسط الأنثى .

والشافعى يقول : يقف عند رأس الرجل ، وعجز الأنثى .

وأبو حنيفة يقول : يقف أمام صدر الميت مطلقا ، سواء أكان الميت ذكرا أو أنثى .

أليس هذا مثلا صارخا للخلاف فى أمر منظور بالأعين .. وسترى فى البند التالى الخلاف فى أمر مسموع :

٢ ـ وهو ماذكره السيد محمد بن اسماعيل الصنعانى المتوفى سنة ١١٨٢ هـ فى كتابه « سبل السلام » :

قال بعدما ذكر الخلاف فى الأذان ، والاقامة وانه نتج عنه ثلاثة مذاهب .

الأول الهادوية : وهو أن المشروع تثنية ألفاظ الأذان ، والاقامة .

والثانى للامام مالك بن أنس : وهو تثنية ألفاظ الأذان ، وافراد ألفاظ الاقامة حتى لفظ « قد قامت الصلاة » .

والثالث لغيرهما : وهو افراد ألفاظ الاقامة ، الا لفظ « قد قامت الصلاة » .. فانه يذكر مرتين ، وتربيع تكبيرات الأذان .

ثم بعد ماذكر ذلك قال : وماأحسن ماقاله بعض المتأخرين بعد ذكر هذا الخلاف : حيث

---

(١) منكب . بوزن مجلس . هو مجمع عظم العضد والكتف .

قال : هذه المسألة من غرائب الواقعات ، يقل نظيرها في الشريعة ، بل وفي العادات .

ذلك أن ألفاظ الأذان والاقامة قليلة محصورة معينة ، يصاح بها في كل يوم وليلة خمس مرات ، وليس ذلك فحسب .. بل وفي أعلا مكان ، وليس ذلك فقط .. بل وأمر النبي صلى الله عليه وسلم من يسمعها أن يقولها كما يقول المؤذن ، وكان السامعون الأول خير القرون وغرة جبين الاسلام ، شديدي المحافظة على الفضائل . ومع كل هذا لم ينقل عنهم انهم خاضوا في الخلاف ، ولكن جاء الخلاف الشديد بين المتأخرين .

والحقيقة .. هي أن كل صورة من هذه الصور عمل بها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فالكل سنة ، والأمر واسع .

ولذلك في الشريعة نظائر .. هي ألفاظ التشهدات المختلفة في الصلاة ، وألفاظ القنوتات ، وأدعية الجنازات ، وغير ذلك كثير .

٣ ـ ومن ذلك اختلافهم في موضع يدى المصلى اثناء قيامه في الصلاة :

فالشافعي يقول : السنة للرجل والمرأة وضع اليدين تحت الصدر ، وفوق السرة من من جهة الجانب الأيسر .

وأبو حنيفة يقول : يضعهما الرجل تحت سرته ، وتضعهما المرأة على صدرها .

وأحمد بن حنبل يقول : السنة للرجل والمرأة وضعهما تحت السرة

ومالك يقول : يندب للمصلى صلاة نفل وضعهما تحت الصدر وفوق السرة . وكذا في الفرض أن قصد بهذا الوضع اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، أو لم يقصد شيئا .

أما ان قصد الاعتماد والاتكاء على يديه بوضعهما على صدره فانه يكره له ذلك ، ويطلب منه أن يرسلهما الى جنبه .. هذا هو المشهور عن مالك في كتب المتأخرين .

لكن في كتاب التاج المطبوع على هامش الحطاب ـ بتشديد الطاء ـ على خليل قال :

وفي ارسال المصلى يديه الى جنبه ، ووضع اليمنى على اليسرى آراء في المذهب :

١ ـ في المدونة يكره قبضهما في الفرض لا النفل .

٢ ـ وفي رواية أشهب عن مالك .. وضع اليد اليمنى على اليسرى **مستحب في الفريضة والنافلة .**

قال ابن رشد : وهذا هو الأظهر ، لأن العلماء كانوا يأمرون به في الزمن الأول .

٣ ـ وقال القاضي : يضعهما المصلى تحت صدره ، وفوق سرته .

٤ ـ وقال ابن حبيب : **ليس لوضعهما موضع معين** ، تحت الصدر أو تحت السرة ، أو الى اليسار ، أو في الأمام .

قال الباجي من كبار علماء المالكية : وقد يحمل قول مالك بكراهة قبض اليدين على خوفه من اعتقاد العوام أن ذلك ركن من أركان الصلاة ، تبطل الصلاة بتركه . « انتهى »

تنبيه مهم :

لعل من يتأمل جميع هذه الآراء في هذه المسألة يعلم علما قاطعا أنهم جميعا يعترفون بان سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي وضع اليدين أمام المصلى ، لا ارسالهما بجنبه ، وأن الامام مالك ،ما قال بارسالهما الا ليحارب عملا غير مسنون ، وهو قصد الاعتماد ، أو اعتقادا فاسدا وهو ظن العامي وجوب ذلك .

وبعد .. أليس اللائق بعد كل ما سبق أن يترك اخواننا المالكية ملازمة ارسال أيديهم ، ظنا منهم أنهم يحافظون على سنة ، وبذلك يتفقون مع بقية اخوانهم المسلمين . . ولا يرسل يديه الى جنبه احيانا لا دائما ، الا عالم مقتدى به ، لبيان أن القبض سنة فقط .. وليس بواجب ـ وسترى في مبحث فتاوى ابن تيمية ـ أن هذه هي طريقة علماء السلف .

٤ ـ ومن ذلك اختلافهم في مكان الدعاء في صلاة الجنازة :

مالك يقول : هو واجب بعد كل تكبيرة حتى الرابعة .

وابوحنيفة يقولُ : الدعاء بعد التكبيرة الثالثة (١) فقط .

والشافعى يشترط فى صلاةالجنازة أن يكون الدعاء بعدالتكبيرة الثالثة (٢)

وابن حنبل يقول : الدعاء يكون بعد الثالثة ويجوز بعد الرابعة ، ولا يصح عقب سواهما (٣)

٥ - ومن ذلك اختلافهم فى زمن التكبير عند القيام من الركعة الثانية الى الثالثة ، أى بعد التشهد الأول فى الصلاة الرباعية .

فالشافعى يقول : يكبر المصلى أثناء قيامه للثالثة .

ومالك يقول : لا يكبر أثناء القيام ، وانما يكبر بعد أن يستوى قائما .

٦ - من ذلك اختلافهم فى البسملة أول الفاتحة فى الصلاة :

الشافعى يقول : يجهر بها فى الصلاة الجهرية ، ويسر بها من السرية .

وجماعة من فقهاء أهل البيت يقولون : يجهر بالبسملة فى كل من الصلاة الجهرية والسرية .

ومالك فى رواية عنه يقول هو وجماعة أخرى من العلماء : لا تذكر البسملة لا سرا ولا جهرا .

وعلماء الكوفة ، وفى رواية عن عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وعمار بن ياسر ، وغيرهم : لاتتلى البسملة الا سرا ، سواء أكانت الصلاة سرية أو جهرية

٧ - ومن ذلك اختلافهم فى النداء قبل صلاة العيد بعبارة « الصلاة جامعة » :

فمالك وابن حنبل يقولان : ان هذا النداء غير مشروع .

والشافعى يقول : انه مشروع ، وهو سنة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

٨ - ومن ذلك اختلافهم فى رفع اليدين عند تكبيرات صلاة الجنازة :

الشافعى يقول : الرفع سنة يثاب عليه ، ولا تبطل الصلاة بتركه .

وأبوحنيفة يقولُ : ليس مشروعا الا بعد التكبيرة الأولى فقط ، فلا يرفع يديه فى الباقى

ومالك نقل عنه فى هذه المسألة ثلاثة أقوال :

١ - الرفع فى الجميع كالشافعى

٢ - فى الأولى فقط ، كأبى حنيفة .

٣ - عدم مشروعيته فى الجميع ، فلا يرفع أبدا .

وعلماء العترة من أهل البيت قالوا : يمتنع الرفع فى الجميع ، كالرأى الثالث لمالك .

٩ - ومن ذلك اختلافهم فى مكان المشيعين للجنازة أثناء سيرهم :

فمالك والشافعى يقولان : يتقدم المشيعون أمام الجنازة .

وأبوحنيفة يقول : يتأخرون عنها .

١٠ - ومن ذلك اختلافهم فى مكان قنوت صلاة الصبح وفى كيفيته :

فمالك يقول : يكون قبل الركوع ، وسرا ، ولا ترفع اليدان عنده .

والشافعى يقول : يكون بعد الركوع ، وجهرا ، وترفع عنده اليدان .

١١ - ومن ذلك اختلافهم فى تسليم الخطيب على المصلين يوم الجمعة عند صعوده على المنبر :

فالشافعى وابن حزم يقولان : لا يسلم الا بعد صعوده على المنبر وقبل أن يجلس .

ومالك يقول : يسلم الخطيب حال خروجه للخطبة ، وقبل أن يصعد على المنبر .

وأبو حنيفة يقول : لا يسلم مطلقا .

---

(١) أما بعد التكبيرة الاولى عند الاحناف فثناء على الله : وبعد الثانية صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .. وبعد الرابعة التسليم للخروج من الصلاة .

(٢) أما بعد الاولى عند الشافعية فتعوذ ، فقراءة الفاتحة وبعد الثانية الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . بالصيغة الابراهيمية (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم .. الخ) .. وبعد الرابعة يدعو المصلى لنفسه بمثل « اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده الخ » .

(٣) وبعد التكبيرة الاولى والثانية يتفق الحنابلة مع الشافعية ، وبعد الرابعة لا يقولون شيئا بل يسكت المصلى قليلا ثم يسلم .

١٢ ـ ومن ذلك اختلافهم فى موضع تكبيرات صلاة العيد ، وفى عددها ، وفى رفع اليدين عندها :

فمالك والشافعى وابن حنبل يقولون : يكون التكبير بعد تكبيرة الاحرام ، وبعد تكبيرة القيام للركعة الثانية ، وقبل قراءة الفاتحة فى الركعتين ٠

وأبو حنيفة يقول : يكون بعد قراءة الفاتحة والسورة فى الركعة الثانية أما فى الأولى فهو يوافق الأئمة الآخرين ٠

أما عددها فى الركعة الأولى :

فالشافعى يقول ٧ تكبيرات ٠

ومالك وابن حنبل يقولان ٦ تكبيرات ٠

وأما فى الركعة الثانية :

فمالك والشافعى وابن حنبل يقولون : عددها ٥ تكبيرات بعد تكبيرة القيام للركعة الثانية ٠

وأبوحنيفة يقول : عددها ٣ تكبيرات بعد تكبيرة القيام للركعة الثانية ٠

وأبو حنيفة يقول : عددها ٣ تكبيرات بعد الفراغ من القراءة فى الركعة الثانية ، وقبل الركوع مباشرة ٠

أما رفع اليدين عند هذه التكبيرات :

فالشافعى وأبوحنيفة وابن حنبل يقولون : انه عمل مشروع يثاب المصلى عليه ٠

ومالك يقول : انه مكروه غير مشروع فلا ثواب عليه ٠

١٣ ـ ومن ذلك اختلافهم فى رفع الصوت بالتأمين بعد الفراغ من قراءة الفاتحة :

يقول جمهور العلماء ٠٠ وفى رواية عن مالك : ان الامام يجهر بالتأمين فى الصلاة الجهرية ٠

والكوفيون ، وفى رواية عن مالك يقولون : ان الامام لا يجهر به أبدا ، بل يقوله سرا فى الصلاة السرية والجهرية ٠

أما تأمين المأموم

فقال الشافعى وكثير من العلماء : يجهر المأموم فى الصلاة الجهرية ٠

وقال بعض العلماء : لا يجهر المأموم مطلقا لا فى السرية ولا فى الجهرية ٠

وهناك نوع آخر من أحكام قالها بعض العلماء ، تستلفت النظر ، وتوجب التحرى ٠

من ذلك قول بعض المالكية دون غيرهم ، ان من ترك ثلاث سنن من سنن الصلاة سهوا ٠ وتعمد ترك سجود السهو قبل السلام ، فأن صلاته تبطل !

ومثلوا للسنن الثلاث بقول الامام ، أو المنفرد : « سمع الله لمن حمده » فاذا تركها المصلى سهوا فى ثلاث ركعات فى صلاة واحدة ، ولم يسجد للسهو قبل السلام ، بطلت صلاته !!

ومحل الغرابة فى انفراد بعض المالكية بهذا الحكم ، هو أن الأصل أن الصلاة لا تبطل الا بترك فرض من فروضها ، أو فقد شرط من شروطها ٠

فكيف تبطل صلاة مستوفاة لشروطها وفرائضها ، بترك سنة من سننها مهما كان عددها ٠٠؟

واذا كان البطلان حكما شرعيا ـ والحكم الشرعى عرفه علماء الأصول بانه خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين ـ فأين هذا الخطاب الالهى الذى أفاد هذا الحكم ٠٠؟

وقد بحثت كثيرا ٠٠ فلم أهتد اليه ، ولم أر من تعرض لبيانه ، أو توجيه هذا الحكم توجيها تطمئن اليه النفس ، وترضاه العقول ٠ وبعد كتابة ما تقدم أطلعت على قول ابن عبد السلام والتحقيق عدم وجود السجود القبلى لأن سببه غير واجب ، وماسببه غير واجب لايكون واجبا « انتهى » ٠ ٠وهذا كلام وجيه ٠

وقال الحطاب : ورجح المصنف القول بسنية السجود قبليا أو بعديا ، واعتمد فى القول بعدم وجوبه على ماقاله ابن عبد السلام ، وتبعه فى ذلك الأقفهسى ، وجماعة من العلماء ٠٠

وقد يشبه قول المالكية هذا فى الغرابة قول الشافعية « ان من ترك سنة عمدا فانه يسجد للسهو » ٠٠ ومحل الغرابة أيضا أن العلماء

جميعا يسمون هذا السجود بسجود السهو . يعنون أنه يفعل جبرا لما تركه المصلى سهوا من السنن ، فكيف يفعل لما يترك عمدا ..؟

ومن الغريب أن هذا الحكم هو المشهور فى كتب المتأخرين .

ولما رجعت الى كلام النووى فى المجموع شرح المهذب ، وجدته يقول : ان ترك المصلى ركنا من أركان الصلاة لم يكفه عنه سجود السهو ، بل لابد من تداركه .. وأما ان ترك سنة مؤكدة سهوا فانه يسجد للسهو . وان تركها عمدا فوجهان مشهوران :

أحدهما لايسجد للسهو ، لانه مشروع للسهو والعامد غير ساه .

وأيضا لأن السجود شرع جبرا لخلل الصلاة ورفقا بالمصلى اذا تركه سهوا ، لأنه معذور ، وهذا غير موجود فى العامد ، لأنه مقصر .

وحكى الشيخ أبو حامد هذا الوجه عن أبى اسحاق المروزى ، وأبى حنيفة .

والوجه الثانى أنه يسجد ، ولما لم يجد أصحاب هذا الرأى دليلا من كتاب ولا سنة ، تعلقوا بالقياس ، وقالوا : لأنه اذا شرع سجود السهو للساهى ، فالعامد أولى !

***

هكذا قالوا وهم يعلمون ماقيل فى القياس .

فكثير من العلماء انكره مطلقا ، وقال : عندنا كتاب الله فيه تبيان لكل شىء ، وسنة رسوله بينت مايجب على المسلم ومايسن له ، والا لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم مبينا لما نزل اليه من ربه ، وهذا مستحيل !

ومن قال بالقياس ، لم يقل به فى الحدود والرخص والأمور التعبدية .

وهل سجود السهو الا من الامور التعبدية ؟ الحق أنه لا وجه لهذا الرأى .

ولذا قالوا لو فتح باب القياس على مصراعيه لظهر من يقول نصلى الظهر خمس ركعات ، والمغرب أربع ركعات لأن ذلك يكون أكثر ثوابا .. !

وهذا باطل باتفاق الجميع ، لأنه احداث فى دين الله ، ماليس منه ، وقد مر بك كلام الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فى المقدمة ، وهو قوله « لو كان الدين بالرأى لكان مسح أسفل الخف أولى من ظهرها »

١٤ - ومما يستلفت النظر أيضا اختلافهم فى موضع سجود السهو .

يقول الأحناف انه يكون بعد السلام مطلقا سواء أكان عن نقص سنة أو زيادة .

ويقول الشافعية : انه يكون قبل السلام مطلقا كذلك .

ويقول المالكية : انه تارة يكون قبل السلام وأخرى بعده ، فان كان السهو بزيادة سجد المصلى بعد السلام ، وان كان بنقص سجد قبل السلام .

واليك حديث صحيح يزيد فى استغرابك من هذه الخلافات :

روى مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنائز ، عن عوف بن مالك قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول « اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه وأعف عنه ، واكرم منزله .. » الخ من دعاء طويل .

فيلاحظ هنا أنه اذا كان المصلى خلفه صلى الله عليه وسلم يسمع دعاءه فى صلاة الجنازة وهو مايسر به فيها ، فكيف لايسمع الصحابى أو التابعى من يصلى بجنبه من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأبى بكر وعمر وعثمان وابن مسعود ، وغيرهم من الفقهاء هل كانوا يقرأون البسملة مثلا فى الصلاة أم لا ..؟ وهل كانوا يقرأون الفاتحة فى صلاة الجنازة ..؟ وهل كانوا يسجدون للسهو قبل السلام أو بعده .. الخ . اللهم اهدنا الصراط المستقيم .

« يتبع »

تعقيبات

وصلتنا رسالتان الأولى من المواطن السيد قطب الصاوى شلتوت رئيس الأقلام المدنية بالمحاكم سابقا ردا على مقال فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى « ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين » والثانية من المواطن السيد صفوت على عبداللا من العلماء تعقيبا على مقال الدكتور محمد كامل جمعة « الصديق خطيبا » ..

وعملا بحرية النشر فقد رأت منبر لاسلام نشرهما :

الاسماعيلية فى ١٢-٩-١٩٦٤

سيدى الأستاذ محمد توفيق عويضة رئيس تحرير منبر الاسلام الأغر

السلام عليكم ورحمته

يطالعنا منبر الاسلام فى مستهل كل شهر عربى بأبحاث ومقالات شيقة فى خدمة هذا الدين الحنيف الذى بشر به خاتم النبيين - صلوات الله عليه وسلم - ولذلك نهرع لملاقاة كل عدد يصدر من هذه المجلة التى سدت ثغرات وأدت رسالات فى هذا العصر الذى تغلبت فيه المادية على الروحية .

وقد لاحظت أن أستاذنا الكبير فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ولى معه معرفة من سنة ١٩١٢ وقبل ذلك أيام كان طالبا بالمعهد الأحمدى بطنطا ثم بعد تعيينه مدرسا وهو وصديقاه المرحومان الشيخ العدوى والشيخ مصطفى الشربينى ، لاحظت أنه بدأ ينشر تباعا فصولا عما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين وأخطر انواع الخلاف هذه الفصول ياسيدى كان يجب أولا أن يمهد لها بفصول يوضح فيها لهذا الجيل من النشء ومن غيرهم ممن لم يتبحروا فى تفهم قواعد هذا الدين من أبناء الشعوب الاسلامية فى البلاد الأخرى .

ان هذه الخلافات انما هى خلافات فى الفروع لا فى الأصول وان الخلاف فيها لا يمتد أثره مطلقا لمبادىء هذا الدين القيم حتى لا تتزعزع عقيدة الكثير من ذلك ، وما حدا بى الى هذا التنبيه الا أن لى ولدا يطلب العلم من كلية العلوم وفى السنة الرابعة منها رآنى هذا الولد أطالع هذا البحث فطالعه وقد هاله هذا الخلاف فمكثت ابين له وأوضح له أسباب ذلك وطمأنته من الناحية العقائدية . ولا شك أن هناك

كثيرين وربما لا يجدون من يشرح لهم سببية هذا الخلاف : ألا ترون معى ذلك ؟

ومنى لكم السلام .

قطب الصاوى شلتوت

رئيس الأقلام المدنية بالمحاكم سابقا (بالمعاش)

الرسالة الثانية

« الله الله فى اصحابى »

تعقيب على مقال الدكتور محمد كامل جمعه . الصديق خطيبا . خطب يوم السقيفة . الذى نشرته مجلة منبر الاسلام الغراء فى عدد صفر ١٣٨٤ هـ .

يبدو أن التهجم على صحابة رسول الله وأتباعه يكاد يكون أمرا يسيرا لدى بعض الباحثين ولقد عهدنا أن نسمع ونقرأ هجوما عنيفا يبلغ حد القمة أحيانا ، وحد الفجور والالحاد أحيانا أخرى عندما يتحدث بعض الكتاب عن « بنى أمية » بدعوى البحث العلمى الحر ولا بحث هناك ولا حرية . وبرغم ما قيل ويقال فى تلك القضية ، وبرغم ما جد فيها من صفحات وما امتصته اسفنجتها الهائلة الضخمة من جهود ضائعة مبددة ، أقول برغم هذا كله فقد ظل هذا المجال هو المجال اليتيم الأوحد للهجوم على الصحابة على الأقل فيما عرفته وقرأته . وبصرف النظر عن ميادين الافتراءات التى افتتحها المستشرقون والمخدوعون فى منهجهم العلمى .

ولكن وبكل أسف فاجأتنا مجلة منبر الاسلام ولا سمها ماله من قداسة — فى عدد صفر ١٣٨٤ هـ بميدان جديد لا أعرف كيف ولا لم ابتدعه الأستاذ الدكتور محمد كامل جمعة فى مقاله « الصديق خطيبا ليجرح فى لا مبالاة شخصيات اسلامية جليلة وعزيزة على كل المسلمين فى كل البقاع . ولنقرأ معا كلمات الدكتور . تلك التى يقولها مقدما لخطبة **« الحباب بن المنذر »** .

قال — **وخطبة الحباب أملتها عليه نفسية جاهلية بدت تعبيراتها الجاهلية صريحة عنيفة مفضوحة ..**

أى والله هكذا يقول ، ولو تريث الأستاذ العبقرى فأمعن النظر بعض الشىء لتكشفت له جوانب الشخصية العظيمة التى حاول تجريحها **فالحباب الأنصارى يكاد يكون هو هو عمر المهاجرى كلاهما بين جنبيه نفسية جندى ، تدافع ولو فى عنف عن ما تعتقده حقاولكنها تنقاد دائما الى الحق** . وقد يجانبها او تجانبه ولكن للحظة خاطفة فصراحة الحباب و اندفاعه الذى كاد أو أخرجه عن الجادة للحظة خاطفة يوم السقيفة **هو الذى عمل جاهدا على نصرة المسلمين فى ((بدر)) فهب يناقش النبى فى المنزل الذى نزله** يارسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فننزل ثم نغور ماوراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا فتملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولايشربون .. ولولاه لما كان ثمة راى كهذا ولجاز أن تتغير نتيجة المعركة ، **ليكن قال ((الحباب)) فى السقيفة ما قال..** ولكن كم من الزمن استغرقه هذا القول ؟ وما مدى تأثر ايمانه بهاته الكلمات وهل تخلف عن البيعة او حتى ماطل فيها ؟ لا. لا. انه لم يكن اكثر من رجل . ورجل عظيم اثاره الموقف فاندفع يقول .

تماما كما نسى (عمر) نفسه فى (الحديبية؟ فاندفع ثائرا يقول ويقول .. وكما قال ما قال يوم مات النبى . فى موجة اندفاعاته ، وانفعالاته ..

ففيم اذن يقول الدكتور . فالحباب يرى أنه الرجل الذى يستشفى بعقله ورأيه ويدعو قومه الى اجلاء المهاجرين عن البلاد والى محاربتهم والقضاء عليهم جريا وراء النفوذ والسلطان .

أما أنه يستشفى بعقله ورأيه فنعم رغم انف أبى ذر .. ومعذرة لأبى ذر الصحابى العظيم . فما حديث « بدر » ببعيد . وأما جريه وراء النفوذ والسلطان فدعوى ادعاها الأستاذ الدكتور . والبينة على من ادعى ولا بينة هناك .

ان دعوى الدكتور يرفضها الله شكلا وموضوعا . يحبون — الحباب وقومه — من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ..

كلمات الحباب فى مؤتمر . فى مجلس نيابى يراها الدكتور . كشفت عن نفسية جاهلية . وخضوعا لهذا المنهج العلمى ، وعلى ضوء هذا التفسير العبقرى تعالوا نقرأ .. يحدثنا ابن جرير الطبرى ان ((الحباب)) انتضى سيفه وهو يخطب فضرب (عمر) يده فسقط السيف فأخذه عمر ثم وثب على « سعد ابن عبادة)) .. يريد ان يقضى عليه ويحسم الفتنة من جذورها ..

وطريقة الدكتور فى نقل الخبر تقرر تاييده واعجابه العظيم بعمل كهذا ينسب لعمر . وحاشاه .. يادكتور .. ان أبسط قواعد العقل تقول لو صح هذا لحاول عمر قتل « الحباب » لا سعد بن عبادة .. .

ونقول . ليست هذه بطولة عمرية كما تحب لها ان تكون . فقتل انسان جريمة شنعاء .. فكيف اذا كان هذا الانسان « سعد بن عبادة » ان تاريخ عمر الطويل ليستنكر بشدة هذا التفسير المحموم ! فعمر مصمم على قتل « سعد » .. ولكن أبا عبيدة بن الجراح تدخل فى ذلك الموقف المتأزم ولوى عمر عن قصده .. وعمر يرى فى ذلك حسما للفتنة .. و « الحباب » يثير قومه يريدها جاهلية حمراء ! ياللهول .. فمن هم ؟ من هؤلاء ؟

أما القرآن فيتحدث عنهم فى اجلال واكبار . رضى الله عنهم ورضوا عنه . فيقرر أنهم طابت نفوسهم وطاب الهواة الموصفون ... رحماء .. أشداء .. محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا .. ويتحدث عن « الحباب » وقومه فيقرر فى صراحة وحزم أنهم .. يحبون من هاجر اليهم .. ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا. ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.. فأى مغنم يا ترى يبتغون ؟ وأى غـايه ى سبيلها يختلفون ؟

الحق . انها غاية فوق المادة ، فوق الجاه ، فوق كل زخارف الحياة .

وأما ((النبى ((فيحذرنا من الجراة عليهم فى كلمات عاتية ثائرة الله . الله . فى أصحابى . وليسد علينا الطريق كلية .. حتى ندعهم وما اختلفوا فيه فحسابهم على الله - فيرتفع بأعمالهم . بهم . عن المحيط . عن الدائرة . عن المجالات . عن الموازين التى تقيس وتقاس بها أعمالنا . فيقول : لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ صاع أحدهم أو مده . كما يجعل منهم فى شدة واصرار حلقة لا يعرف أين طرفاها . اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم أهتديتم . وبعد .

ما أجمل الحديث وما أحلاه . وما أروع أن نتذكر دائما وأبدا . وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اصنعوا ماشئتم فقد غفرت لكم ما تقدم من ذنبكم وما تأخر .. لعل جلال الذكرى . ولعل قداسة الكلمة ترتفع بنا ، بكل حملة الأقلام فوق الأهواء والأخطاء .

قداسة الدين

فوق حرية الآراء

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي

« والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب » ٤١ سورة الرعد .

١ - طبيبان مسلمان يحرمان بالحج ، ثم يسخران من مناسك الحج ، ويخوضان بالباطل على صفحات الجرائد .

وما كنا نحب أن نذكر الأسماء فى هذا المجال ، لولا أن الأمر يقتضينا الصراحة ، حتى لا تحوم الشبهة حول غيرهما .. وحتى يكون فى حديثنا توجيه لهما الى ناحية الصواب .

أما الطبيبان فهما الدكتور سعد الدين التاودى .. والدكتور مصطفى الديوانى .. كما نقل حديثهما عن جريدة الأخبار : فضيلة الأستاذ على العمارى فى مجلة الأزهر .

٢ - يرى الدكتور سعد الدين ، أو الحاج سعد الدين ، وهو متلبس باحرامه « أن الغموض يحيط بكثير من مناسك الحج ، حتى تبدو - فى نظره هو - كأنها طقوس بوذية ، يلزمها فى عصرنا الحاضر الاقناع الخ .

٣ - ويشايعه على هذا زميله الدكتور الحاج مصطفى الديوانى فيدلى بحديث مسهب فى السخرية بذبح الفداء عن عمرته التى تمتع بها الى الحج ..

فيذكر أنه التقى عند باب الحرم بالرجلين - الكبيرين - الدكتور - القانونى - عبد الحميد بدوى ، والمستشار المعروف محمود عبد اللطيف ، مستشار الأوقاف سابقا ، ومع آخرين فاتجه الحاج مصطفى الديوانى مع بقية الزملاء الستة ، ليشتركوا فى اختيار ذبيحة الفداء عن السبعة : مشتركين .

وأخذ الديوانى يداعب نفسه بالسخرية على حساب الدين ، ويرثى العجل الذى فرح بشرائه الأستاذ محمود عبد اللطيف وبقية الزملاء - طبعا ما عداه ، وما عدا الحاج سعد الدين ، فهما يتورطان بالتقليد للغير فى ذبح فداء غامض عليهما ، ولا يقتنعان به .

ثم استطرد الديوانى فى تبرمه من غرم نصيبه فى سبع الثمن البالغ كله ١٨ جنيها ، واستمر الحاج مصطفى الديوانى يتحدث عن شعوره نحو العجل المسكين الذى سيذبح فى

فداء غير معقول عنده ، ولا عند زميله الدكتور سعد الدين .

وهو اذ يترحم على العجل - يأسف لعجزه عن انقاذه من يد الأستاذ محمود عبد اللطيف الذى تعود في قضائه - أن يحكم بالاعدام على بنى البشر ، فما أسهل عليه أن يقود عجلا الى الجلاد ..

ثم يأسف الديوانى أكثر وأكثر لأن العجل كان يخصه شخصيا بنظرات الاستغاثة ، والاستعطاف ، بينما الزملاء جميعا - ما عدا التاودى طبعا - كانوا يرددون الحمد لله ، لقد صحت حجتنا !

بينما الحاج مصطفى الديوانى يناجى نفسه وهو يتأمل بركة الدماء من حوله ويقول فى احرامه : ربى .. أما لهذه المآسى من آخر ؟! وكيف يوضع حد لاقسى عملية على ظهر البسيطة ؟

وأعود الى الحديث مع الطبيبين بعد اذ حكيت بعض ما فرط منهما على صفحات الأخبار . فأسوق اليهما شيئا خفيفا من حديث سابق مع المرحوم الأستاذ الهلباوى المحامى ..

٤ - كان الهلباوى فى حجه، فلم يكن مرتابا فى شىء من النسك ، وأغلب الظن أنه بحكم ثقافته الواسعة كان يدرك معانى الحج ، ويطمئن الى حكمة الله فيها ، ويغتبط بأدائها كما كان الآن شأن الدكتور عبد الحميد بدوى والمستشار محمود عبد اللطيف من زملاء الطبيبين ..

غير أن الهلباوى تقززت نفسه لعدم النظام فى مكان الذبح بمنى ، ولاهمال النظافة هناك، فلم يسعه الا أن تحدث مع المرحوم الملك عبد العزيز ، واقترح عليه أن يوضع نظام لتحصيل نقود من الحجاج ، بدلا من اراقة الدماء ، وتركها على ما رأى من منظر لايروق، فأجابه الملك : بأن هذا أمر يحتاج الى فتوى من الأزهر ان كان هذا ميسورا ..

وحينما عاد المرحوم الهلباوى حضر الى لجنة الفتوى بالأزهر ، وقص علينا حديثه ، فأبدت اللجنة أن شعيرة الذبح يقصد منها : اراقة الدم ، والحصول على اللحم ليأكل منه الفقراء، وأن دفع النقود لا يقوم مقام هذه الشعيرة فيما قصر منها بالذات ، وأن نصوص الشريعة فى القرآن ، والسنة صريحة فى ذلك ولا تسيغ أخذ البدل النقدى .. الخ .

وأما ما يتعلق بتعفن اللحوم ، وتراكم الأقذار ، فهذا من الاهمال ، ولا يمس ناحية التشريع ، ويمكن لأولياء الأمر هناك أن يعهدوا الى احدى الشركات الصناعية بتنظيم المكان ، والانتفاع بما يتخلف عن الذبح من لحوم ، وعظام ، ودماء ..

وقد كان ، ولا يزال ، للعرب خبرة بتقديد اللحم - تجفيفه - لينتفع به كثيرا ، فليس صعبا على من يملكون الأمر أن يأخذوا بتقليدهم السالف ، وتظل شعيرة الذبح تشريع الله من عهد ابراهيم واسماعيل - عليهما السلام - .

وبهذا البيان اقتنع المرحوم الهلباوى بحكمة التشريع ، ولم يتجاوزه الى نقاش ، ولا تشكيك .

٥ - وما نشك فى أن كلا من الطبيبين المسلمين على جانب من الدراية ، ولم يكن صعبا عليهما أن يتناولا رسالة من الرسائل العديدة المؤلفة فى هذا الباب ، وهى منثورة بين أيدى الحجاج هناك ، وفى تلك الرسائل تعريف كاف لمن لم يعرف، وفيها اقناع، ومزيد ايمان لمن يرتاب .

الا أن تكون رحلتهما الى مكة رحلة استكشافية ، لمشاهدة المناسك ، والتطبيق عليها بمثل ما قرأنا لهما ، ولم تكن هجرة الى الله ورسوله ، كما هو المظنون فيمن يخرج من بيته متظاهرا بذلك الاحرام .. وحيث فاتهما - أى الدكتورين - أن يتثبتا من تشريع المناسك ، والاقتناع بحكمة الله فيها ولم يكن لديهما سوى الرأى البعيد عن صواب النظر ، ثم الاقذاع بأنها بوذية ، وأنها مآسى على وجه البسيطة ، وليس لها من آخر ، ونحو ذلك من عبارات لا تجرى على لسان مسلم ، ولا يخطها قلم يتحرج من فتنة الناس .

أقول : حيث فات الدكتورين حسن الرواية والاعتصام بعقيدة الايمان المطلق : فانما

نرجع بهما - اجمالا - الى نصوص القرآن فيما يرتاب فيه الطبيبان ، وقد آمن به المسلمون من مطلع التاريخ •

١ - فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج ، وسبعة اذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة » • الآية ١٩٦ البقرة •

وهذا تشريع قطعى للفداء فى المتعة ، وليس بوذية ولا مأساة من المآسى كما رآه الطبيبان •

٢ - الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال فى الحج •• » الآية ١٩٧ البقرة •

وهذا من أدب الحج ، فمن دخل فيه فليس له أن يرفث - أى يأتى الزوجة ، ولا فسوق، بخروج عن الطاعة فى شىء ، ولا جدال فى القول ، لأن الجدال يثير خلافا ، ومقام الحج ممحض للاتصال بالله عن ايمان صادق: لا عن رياء ، ولا تشكيك فيما هو من الدين ، بل ولا فى غيره من الجدل اطلاقا •

٣ - وأذن فى الناس بالحج ، يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق •• ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » الآية ٢٨ سورة الحج •

وفيها تنصيص على حكمة الذبح ، وهى الأكل منها واطعام الفقراء : الأمر البديهى ، الذى يتجاهله الطبيبان •

٤ - « ذلك - تشريع الله - ومن يعظم شعائر الله - فله عند الله كذا وكذا - فانها - أى الشعائر وتعظيمها - من تقوى القلوب ، لكم فيها - الذبائح - منافع الى أجل مسمى ، ثم محلها الى البيت العتيق » الآية ٣٣ سورة الحج •

فهذه تأكيدات لشأن الذبائح فى الحج •

٦ - « ولكل أمة جعلنا منسكا ، ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فالهكم اله واحد ، فله أسلموا ، وبشر المخبتين » الآية ٣٤ من سورة الحج •

وفى هذه الآية تجد تصريحا بذكر اسم الله على بهيمة الأنعام حين ذبحها فى النسك، وتجد عقب ذلك توجيهها الى توحيد الله بالألوهية ، والمطالبة بالاسلام له ، وتجد البشرى للمطيعين المخلصين •

٧ - « والبدن - الابل - جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف - مصفوفة الى بعضها - فاذا وجبت جنوبها - سقطت بعد الذبح - فكلوا منها ، وأطعموا القانع والمعتر - الفقير المتعفف والمتعرض بالسؤال - كذلك سخرناها لكم - فى سائر المنافع ، ومنها الذبح فى الحج ، كما فى غيره - لعلكم تشكرون » الآية ٣٦ من سورة الحج •

٨ - « لن ينال الله لحومها ، ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم، لتكبروا الله على ما هداكم ، وبشر المحسنين» الآية ٣٧ - سورة الحج •

وهكذا ترى القرآن يفصح كثيرا بتشريع الذبح للناسكين بالحج ، أو العمرة كلما جد سبب يقتضى الذبح كالتمتع بالعمرة قبل الاحرام بالحج •• على نحوما هو مبسوط فى سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو مشروح فى كتب الفروع ، ولا نطيل فيه كما وعدنا •

٩ - وأحسب أن فى هذه الجمهرة من آيات الله ما هو كفيل بتركيز التشريع ، واقناع من يريد الاقتناع من جديد ، بأن فى اراقة الدماء تلبية لدعوة الله ، واستمتاعا بالأكل ، وبالترفيه عن الفقراء ، ولم يعد هناك مأخذ من غموض أو تعسف فى أحكام النسك ، كما يتبرم من ذلك الدكتور التاودى أو صديقه الديوانى •

وان يكن فى الذبح ابادة للثروة الحيوانية كما يشفق الأستاذ الديوانى : فكان عليه أن يحاسب نفسه على ما أكل من لحوم الأنعام ، والطير ، والأسماك ، منذ نبتت أسنانه ، حتى بلغ ما بلغ من عمره المبارك ، وحتى وقف

عند البيت الحرام يعترض على الله الذى خالق الحيوان ، وأباحه لخلقه ، وطالبنا بذبحه فى النسك قربة اليه ، للتوسعة على من هناك من فقراء ..

كان عليه اذا ظن هذا خطا طول عمره ، أن يحاول الانابة الى الله ، ويستغفره مما قدمت يداه ، ومما أكلت بطنه ان كان معصية فى ظنه ، فعساه أن يظفر بعفو الله .. بدلا من جرأته على دين الله فى مقام التوبة ، ولجوء العائذين بالله الى باب الرحمة من الله .

٧ ـ ونود ـ بعد ما ذكرنا أن نفتح آذان الناس الى دعوة الله ـ منذ عهد ابراهيم واسماعيل ـ الى الحج ، ومناسكه ، وأن هذا البيان الذى سقنا فيه تلك الآيات كان مطلبا لابراهيم فيما ألهمه الله أن يدعو ، وأن يطلب، حين قيامه مع ولده اسماعيل ببناء الكعبة .

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا ، انك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » الآيات ١٢٧ ـ ١٢٩ سورة البقرة .

وقد استجاب الله لابراهيم واسماعيل.. فبين لهما المناسك كلها ، واختار من العرب رسولا منهم بلغ شريعة الله ، وعلم أمته الكتاب والحكمة ، والمناسك وختم به رسله وشرائعه .

كما جعل الله ملة ابراهيم هى الدين الحق، وهى ملة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهى بعينها دين الله فى أصوله التى اجتمعت عليها الرسالات كلها ، وهى المسماة حقا عند الله بالاسلام .

ثم علمنا الله مجمل ذلك فى قوله : « .. ملة أبيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا .. »

وقال : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه » . أى ضلل نفسه عن الحق .

٨ ـ هذا ولم تكن دعوة الله الى طاعة عمياء .. بل كلفنا بالتعقل ، والتماس الحكمة بما شرع لخلقه ، وهى ميسورة ، وعاب علينا أن نكتفى بمجرد التقليد ، ما دمنا قادرين على البحث ، والاهتداء ، والا رجعنا الى أهل العلم فاذا كبر علينا أن نرجع الى أهل الذكر ، وعجزنا ، أو تقاعدنا عن البحث الميسور كانت هذه ضلالة ، وجهالة بالواجب نحو الله ، ونحو أنفسنا ، وكنا كمن يعدل عن الطريق المعبدة ، ويسير فى الأشواك ، وكان التظاهر بالاسلام فى عمل من أعماله مع عدم الاقتناع بما يقوم به .. كان ذلك تلفيقا فى الدين ، وكان أشبه بعمل المنافقين ، اذ العقيدة لا تستقيم الا على تمام الاخلاص ، ولا تتسع للتلفيق ..

« فاعبد الله مخلصا له الدين .. ألا لله الدين الخالص » .

٩ ـ ولا ننسى أن نذكر الناس ، ونذكر الدكتورين المحترمين أن جميع المناسك المشروعة فى دين الله لها أسباب واقعية فى سالف التاريخ ، ولا يعقل أن يكون التشريع اعتباطا لغير سبب أو لغير حكمة .. وكانت تلك الأسباب مقدمات لتلك المناسك ، وجرت حكمة الله أن تكون الأسباب ونتائجها توثيقا للاخاء فى الدين الالهى ، وتوثيقا فى النبوة لابراهيم : أبى الأنبياء من بعده ، وأبى العرب من ذرية اسماعيل ، وأبى اسحاق ، ويعقوب « **ملة أبيكم ابراهيم** » .

فانظر الى التعبير بالابوة ، وما فيه من الدعوة الى التراحم، والتلاقى على الدين الحق؟

وزيادة فى الايضاح نشير فى ايجاز الى أسباب التشريع التى لم يقتنع بها بعضنا ، أو لم يعرفها :

١ ـ قدم الفداء فى الحج احياء لذكرى فداء اسماعيل عليه السلام ، حينما اختبر الله نبيه ابراهيم فى التقرب اليه بذبح ولده اسماعيل ، فما تردد فى طاعة ربه ، وما تردد اسماعيل فى طاعة والده ، وقد افتداه الله بذبح ـ كبش ـ من عنده .

وكانت هذه قضية انسانية ، ذكرها القرآن لتكون فيها القدوة ، والعبرة للناس من بعد .

ب) ورمى الجمرات تخليد لما صنع ابراهيم حينما تمثل له الشيطان فى صورة انسان ، وأخذ يثبطه عن تنفيذ عزمه فى ذبح ولده .. أو يثبط اسماعيل عن طاعة أبيه فى الاستسلام له ، ولم ينصرف عنهما ذلك الانسان الصورى الا عندما رماه ابراهيم بحصيات عند منى .. فكان الرمى شعيره فى الحج : تذكيرا للناس بالتنصل من مضايقة الشيطان كما فعل ابراهيم فى هذا المكان .

ح) وكان الوقوف بعرفات تذكيرا للناس بأمرين على ما يقول المؤرخون الثقات :

أحدهما تلاقى آدم بحواء هناك بعد هبوطهما من الجنة .. وكلاهما كان ضالا عن الآخر .. ويبحث عنه حتى كان التلاقى فى عرفات .

وثانيهما — أن الله بعث جبريل — عليه السلام — ليعلم ابراهيم مناسك الحج كما دعا وطلب .. وحينما انتهى جبريل من ارشاده عند عرفات قال له هل عرفت .. هل عرفت ، فصار اسم هذا المكان عرفات ، وهى تسمية مذكورة فى القرآن « فاذا أفضتم من عرفات » الآية .

د) وكان السعى بين الصفا والمروة تخليدا لما صنعته امنا هاجر ، حين نفذ منها الماء ، وأخذت تبحث عنه بين هذين الجبلين وتشتد لهفتها على طفلها اسماعيل ، خوفا عليه من الظمأ فتسعى جاهدة سبع مرات ثم تعود اليه مشفقة ، فيفرج الله كربتها ببئر زمزم التى كانت غوثا لها وللعرب من حولها ، وللناس فى الحج من بعد .

هـ) وأما الطواف حول البيت فهو سنة للأنبياء من قبل ابراهيم ، ثم شرعة لابراهيم من بعد وهو تجمع الناس فى طوافهم حول بقعة اختارها الله أول مكان لعبادته فى الأرض . وفى هذا تلاق بين المتباعدين فى البيت المعمور فى السماء .. وتلك كلها مظاهر عبادة يجتمع فيها عباد الله ، كما أراد الله .. وهكذا كل عمل يتعبدنا الله به ففيه من الحكم والمنافع ما لا يصعب علينا فهمه اذا تعقلنا ، والله — سبحانه — يشرع لنا ويحكم فى شؤوننا ، ولا معقب لحكمه ، ولعل فى هذا الايجاز مقنع لمن يطلب الاقناع والبعد عن البوذية .

الإسلام والقومية العربية (١)

للدكتور احمد الحوفي

- ١ -

حينما نشرئب الى صرح العروبة الشامخ مزهوين بعلائه ، حراصا على سلامته وبقائه ونمائه ، ثم نردد النظر الى دعائمه الوطيدة التى استقر عليها ، فهل نبصر الاسلام دعامة بين هذه الدعائم ؟

لقد ذهب بعض الأفاضل المخلصين من الدارسين للقومية العربية الى أن الدين ليس من دعائم القومية العربية ٠

واستدلوا من تاريخ العرب وغيرهم على أن الدين لم يكن من عوامل الوحدة العربية ، ولم يستطع أن يحول دون تفرق هذه الوحدة ٠

فقد كان العرب أمة واحدة فى صدر الاسلام والعصر الأموى وصدر العصرالعباسى، وفى ظلال لوائهم مسلمون ونصارى ويهود وزرادشتية وصائبة ٠

وفى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تعالت صيحات فى العراق والشام تدعو الى استقلال العرب استقلالا تاما عن الدولة العثمانية ، دولة الخلافة الاسلامية فى ذلك الوقت ٠

ثم يذكرون ان الوحدة القومية فى ألمانيا جمعت بين كاثوليك بافاريا وبروتستانت بروسيا ، ولم يعوقها ما كان بين الدويلات الألمانية من فروق مذهبية ٠

وكذلك تحققت الوحدة الايطالية بجهود جردت البابا من سلطانه السياسى ومن أملاكه الواسعة ٠

كما يذكرون أن الحركات القومية فى يوغوسلافيا وحدت بين الصرب الارثوذكس والكردوات الكاثوليك والبوشناق المسلمين ، ووحدت بين المسيحيين والمسلمين فى ألبانيا بعد انفصالها عن تركيا ٠

ويقابل ذلك أن أهالى الصرب والبلغار واليونان تحاربوا فى مقدونية ، ليوسع كل منهم نطاق قوميته ، وهم جميعا من مذهب واحد ٠

وكذلك انفصلت المجر عن النمسا ، وانفصلت النرويج عن السويد ، مع أن الدين واحد ٠

مكانة الدين فى بناء القومية

هذه هى أدلة الذين يرفضون أن يكون الدين دعامة قومية ، ولكن رأيهم هذا لا يكاد يصدق على القومية العربية

والسبب فى هذا أن الاسلام وثيق الارتباط بعناصر القومية العربية المتفق عليها ، وقوى الاتصال باللغة العربية التى اعتبرها أكثر الباحثين أقوى دعائم القومية ، وكاد آخرون يعتبرونها الدعامة الوحيدة للقومية العربية ٠

١ ـ فالقرآن الكريم باللغة العربية ، وهو ذروة البلاغة ، والمصدر الأول للشريعة الاسلامية ٠

والحديث النبوى باللسان العربى ، وهو المصدر الثانى للشريعة ، ولهذا لم تكدالشعوب تعتنق الاسلام حتى سارعت الى تعلم اللغة العربية ، وما هى الا حقبة من الزمن حتى حذقت تلك الشعوب لغة العرب ، وتفوق فيها

كثير من أبنائها ، فنظموا الشعر الرائع ، ودبجوا النثر الفنى البليغ ، وأثروا اللغة العربية بكثير من المؤلفات فى الأدب والعلم والدين وألوان المعرفة .

٢ - وبفضل القرآن الكريم ، والحديث الشريف نشأت علوم دينية ولغوية وأدبية وانتاج فكرى عام ، وبفضلهما بقيت اللغة العربية وطيدة الدعائم ، سليمة البنيان ، متعالية على الأحداث الماحقة ، فلم تنقرض كما انقرضت لغات اخر ، ولم تتمزق الى لهجات متباينة متباعدة عن الأصل الى الحد الذى ينشىء منها لغات مستقلة منفصلة عن الأم ، كما نشأت اللغات الاوروبية الحديثة .

٣ - على أن الاسلام لا ينفصل عن الثقافة العربية المشتركة ، ولا عن العوامل الفعالة فى التكوين النفسى المشترك . وذلك ان التشريع الاسلامى والفلسفة الاسلامية والحضارة الاسلامية ، والتاريخ المشترك والعلوم والآداب والثقافة والمفاخر والبطولات ، هذه كلها نابعة من الاسلام أو ملتصقة به ومتأثرة الى أبعد حد .

وليس من شك فى أن الآداب العربية تأثرت بالاسلام تأثرا عظيما تناول الصورة والمضمون ، وظهرت آثاره فى الموضوعات والعبارات والأفكار .

و لاجدال فى أن أكثر القضايا التى شغلت الفلاسفة وعلماء الكلام المسلمين قضايا اسلامية ، سواء أكانت للتوفيق بين الاسلام والفلسفة ، أم كانت للدفاع عن الاسلام ورد شبه المعترضين .

ولا شك فى أن الفتوح الاسلامية ، وبطولة القواد والمحاربين ، وعدالة الحاكمين ، والحضارة الزاهرة التى رفع المسلمون ألويتها فى كل اقليم حكموه ، والنهضة العلمية التى شق العلماء طرقها ، ومهدوا سبلها ، وأثروها بما ألفوه وبما ابتكروه ، لا شك فى أن هذه كلها من التراث المشترك الذى يباهى به العرب مسلمين وغير مسلمين .

٤ - ثم ان الاسلام موصول بالقومية العربية بسبب آخر ، لانه القوة الدافعة الى الفتوح التى نشرت اللغة العربية ، ووسعت ميادينها ، وعددت أوطانها ، وأذاعت الثقافة العربية الاسلامية

فقد كانت اللغة العربية قبل بزوغ الاسلام لغة شعر وخطابة فى اقليم معين ، فلما بزغ الاسلام صارت لغة دين أيضا ، ولم يمض قرنان حتى صارت لغة علم وثقافة ، ووسيلة لترجمة فلسفة اليونان وعلوم الفرس والهند، وللتعبير عن العلوم العربية والاسلامية المستحدثة ، ولغة سياسية ورسمية فى ايران والعراق والشام ومصر وشمالى افريقية والسودان ، ثم امتدت الى الأندلس وصقلية وجنوبى ايطاليا وغيرها .

ولقد جهر بهذه الحقائق كثير من المسيحيين .. فالدكتور قسطنطين زريق يقول ان أثر الاسلام قد امتد الى كل ناحية من نواحى ثقافتنا العربية ، وانه لواجب على كل عربى سواء أكان مسلما أم غير مسلم أن يدرس الاسلام .

والأستاذ أمين نخله ، يرى انه لا حرج فى التمسك بالقومية العربية والكلف باللغة ، كما أنه لا حرج فى الدين ، لأن ملة القرآن وملة الانجيل تتلاقيان ، حتى كأن الاسلام اسلامان : واحد بالديانة ، وواحد بالقومية واللغة ، أو كأنما العرب جميعا مسلمون حينما يكون الاسلام اهتداء بمحمد ، وتمسكا بقوميته ، وكلفا بلغته .

والأستاذ مارون عبود يقول : ما كنت حتى قبل أن أولد الا عربيا صحيحا ، ولكن لم تكن لى فكرة سوية عن الرسول العربى ، ولا قرأت كتابه وحديثه ، حتى أتانى الله من فضله ، فحلقت الى سماء تراثنا الروحى . وأى حر يعشق الحق حيث وجده ، وأى أديب يهيم بالحكمة وساحر البيان ، لا يخر ساجدا للحديث الشريف ومعجز القرآن ؟

ثم يقول : ولقد شرع يقينى بتفوق أمتى يزداد رسوخا من ذلك الحين ، ونار حبى وحماستى تزداد ذكاء ببرد هذا اليقين .

(للبحث بقية)

خواطر مستشار

• مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

• حقوق العاملين وواجباتهم في الشريعة الإسلامية

والقوانين الاشتراكية الأخيرة

الأستاذ المستشار
على على منصور

تحدثنا فى المقال السابق عن مفهوم كلمة العمل والعامل فى الاسلام ، وقدمنا لذلك بما يجب علينا خلال هذه النهضة المباركة من أن نرد تشريعاتنا الاشتراكية الى أصولها الاسلامية ، اعتزازا بذلك التراث فى غير تعصب ضد النظم الأجنبية . ثم بينا كيف أن الاسلام رسالة عامة خاتمة شاملة لخيرى الدين والدنيا ، وانتهينا فى ذلك المقال الى ذكر مدى حض الاسلام على العمل . والآن نتابع البحث انجازا لوعدنا فنقول :

الاسلام يرى أن العمل شرف :

جاء فى الميثاق الوطنى أن العمل شرف وانه حق لكل مواطن ، وهو ما يتفق واحكام الشريعة الاسلامية . فالاسلام يرى ان ليس فى العمل مهانة ولا ذلة أيا كان نوعه . وهذا اشرف الخلق محمد خاتم الانبياء والرسل

صلوات الله وسلامه عليه ، لم يتعفف عن عمل فهو كما حدثت عائشة أم المؤمنين ، يعمل فى بيته كما كان يعمل أى رجل ، فهو يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته .

ومن سنته العملية انه شارك فى بناء مسجد قباء حين وصل مشارف المدينة مهاجرا ، كما شارك فى بناء مسجده بالمدينة نفسها ، ولم يكتف فى غزواته بقيادة المعركة بل حارب بنفسه ورمى بيده وقتل من الاعداء وتعرض للقتل وأصيب فى غزوة أحد . ثم شارك فى حفر الخندق حول المدينة فى غزوة الاحزاب وقسم العمل بين أصحابه وخص نفسه بمنطقة حجرية شاقة . وعمل الرسول قبل البعثة فى رعى الغنم أجيرا وقت أن كان صغير السن ، فلما بلغ مبلغ الرجال تاجر فى الاسواق ، وخرج الى الشام متاجرا فى مال خديجة بنت خويلد لقاء نصيب من الربح فكان المثل الأعلى فى الاقبال على العمل والتفانى فيه والاخلاص له ولأمانته .

وفى بعض ما مر ذكره ما يدل على تنزهه صلوات الله عليه من الاثرة وحب الذات ، وفى هذا المعنى ايضا ما أثر عنه أنه لم يؤثر أهل بيته بطعام ليس كمثله فى بيوت المسلمين وحدثت عائشة فى ذلك : **« كنا نرى الهلال ثلاث مرات ولا توقد فى أبيات رسول الله نار، فسألها ابن الزبير فماذا كان يعيشكم ؟ قالت: الاسودان : الماء والتمر »**

وفى غزوة بدر لما قصرت الركائب عن حاجة الرجال وأصاب كل ثلاثة بعيرا يتعقبونه كان يأخذ نصيبه من السير وعرض عليه زملاؤه ان يعفوه من مشقة السير فيركب طوال الطريق فأبى عليهم ذلك وقال : « ليس منكم من هو أحوج الى رحمة الله وثوابه منى »

وخرج مع رفاق له فى سفر فهموا باعداد شاة للطعام فقال احدهم على ذبحها ، وقال الثانى : على سلخها ، وقال الثالث على طبخها **فقال الرسول وعلى جمع الحطب ، فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك ذلك ، فقال أعلم انكم تودونه بحق ولكن الله لا يرضى ان يرى عبده متميزا بين اخوانه .**

ومن سنته القولية فى أحاديثه أنه قال :

« ما أكل امرؤ قط خيرا من كسب يده » ونبى الله داود كان يأكل من عمل يده »

ويجمل بنا أن نشير الى أن داود كان ذا ملك واسع وثراء عريض ومع ذلك كان يؤثر ان يأكل من كسب يده .

صافح الرسول يوما حذيفة بن اليمان فوجد يده خشنة أجشه فسأله السبب فقال يا رسول الله انى أحرث الارض بفاسى طلبا لرزق عيالى فسر منه وقال هذه يد يحبها الله ورسوله .

وفى رواية أخرى أن رسول الله اردف هذا القول بأن قبل تلك اليد تكريما اصاحبها وحثا للاخرين على العمل .

وجاءه رجل يسأله الصدقة فقال له لأن يحتطب الرجل خير له من أن يسأل الناس منعوه أو أعطوه .

وفيما سلف ما يدل على أن الاسلام يرى أن العمل واجب لكل قادر عليه ، وعلى الدولة أن توفره للجميع فان فاض العاملون على العمل فرزق المتعطلين منهم فى بيت المال وفى هذا المعنى أيضا نشير الى أن : « جاء الرسول يوما رجل يسأله ما يقيته وأهله فقال له أما فى بيتك شىء ؟ قال الرجل حلس نبسط بعضه ونتدثر ببعضه ، وقعب نشرب فيه . فقال ائتنى بهما وباعهما الرسول بدرهمين وأمر الرجل أن يدفع أحدهما لعياله لطعامهم وأن يشترى بالآخر سلاحا لقادوم ثم أخذ الرسول القدوم وثبته فى عصا بنفسه ودفعه للرجل وقال له اذهب واحتطب ولا ترينى وجهك خمسة عشر يوما . ففعل الرجل ولما عاد أصاب خمسة عشر درهما اشترى ببعضها طعاما وبالبعض ثيابا ، فقال له الرسول هذا خير لك من ان تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة » .

ونستخلص من هذا أن الرسول وهو رئيس الدولة اذ ذاك ساعد الرجل فى اعداد آلة العمل وهى القدوم ووجهه الى العمل .

ومر الرسول – صلى الله عليه وسلم – على قوم ناكسي رؤوسهم فسأل ما لهم قالوا هم المتوكلون ، فقال **« كذبوا بل هم المستأكلون يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالمسألة ، انما المتوكل رجل القى الحب فى التراب وتوكل على رب الارباب »** .

وقد أثر عنه أيضا انه قال : « اذا قامت الساعة على أحدكم وفى يده فسيلة فليغرسها » .

ولن تجد شريعة تحث على العمل بأبلغ من هذه العبارة فحيث تقوم الساعة تبلغ الاهوال مبلغا ينسى الناس انفسهم ولا أمل فى حرث ولا زرع ومع ذلك يوصى الرسول اتباعه بأنها اذا أدركت أحدهم وفى يده فسيلة نخل أعدها للغرس فليحاول أن يكمل ما اقدم عليه من عمل ولو لم تكن وراء مظنة منفعة .

العمل خير من الاغراق فى العبادة :

بلغ الرسول أن واحدا من المسلمين اعتكف للعبادة وانقطع عن السعى على رزقه فسأل ومن ينفق عليه فقال جماعة من الصحابة تكفل كل منا بذلك يوما فى الأسبوع ، فقال الرسول صلوات الله عليه وسلامه كل منكم خير منه عند الله .

وهذا عمر بن الخطاب يقول : « لا يقعدن احدكم عن العمل وطلب الرزق ويرفع يده الى السماء فيقول اللهم ارزقنى وقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » .

وهذا أبو بكر الصديق الخليفة الاول لرسول الله يخرج غداة توليه الخلافة الى السوق ليعمل ويكسب قوته وقوت أهله فلقيه عمر وأخذ يجادله واستعان ببعض الصحابة وما زالوا حتى اقنعوه بأن يفرغ كل وقته لأمور الخلافة وللمسلمين على أن يجرى عليه راتب من بيت المال .

واجبات العامل :

١ – **احسان العمل** : على العامل أن يحسن القيام بعمله ما استطاع الى ذلك سبيلا وفى **الحديث الشريف « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يحسنه »** ومن احسان العمل الا تضيع من وقته شيئا ، وأن لا تؤخر عمل اليوم الى الغد ، وان تصبر على المشقة التى تلقاها فى عملك فالله تعالى يقول : **« اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »**

ويقول :

« ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » .

٢ – **الامانة** : على العامل ان يكون أمينا فلا تمتد يده الى ما أؤتمن عليه ولا يستعمله لاغراضه الشخصية . والله يقول فى كتابه العزيز : **« ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها »** .

ويقول : **« ان خير من استأجرت القوى الأمين »** .

ولقد كان السلف الصالح يتشددون فى ذلك أيما تشدد خوفا من الله وقصة شمعة عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين مثالا رفيعا فى هذا الصدد وذلك انه قدم عليه أحد ولاة الامصار ليلا فأمر فأوقد سراج من بيت المال وأخذ الخليفة يراجع ما مع الوالى من بريد ويناقشه أحوال الرعية فى ولايته ولما انتهى الوالى من عرض جميع ما لديه بدأ يسأل الخليفة عن أهله اذ كانت له بالخليفة صلة قربى وهنالك قام عمر بن عبد العزيز الى سراج بيت المال فأطفأه وأشعل شمعة له فلما استفسر الوالى عن السبب قال ما معناه : اما وقد فرغنا من أعمال المسلمين فوجب ان يطفأ سراج بيت مال المسلمين ، وفى شمعتى مايكفى أحاديثنا الخاصة .

ومن تشدد هذا الخليفة العادل الامين انه غداة توليه الخلافة خرج من جميع ماله واملاكه والحقها ببيت مال المسلمين وقال والله انى لا أدرى كيف كسبها من ورثونى اياها وربما الموا فيها بحرام ، ولم يستبق لنفسه سوى أرضا كان قد كسبها بعمله هو . ثم قال لامرأته وكانت قد ورثت عن أبيها جواهر قيمة وكان أبوها خليفة وأخوها خليفة من قبل عمر ، فقال لها زوجها انظرى الى هذا الجوهر فانى أخشى أن يكون من ملكك اياه ام

يتحر فى كسبه الحلال فهلم نضعه فى آخر بيت مال المسلمين فان احتاجت المصارف العامة اليه انفقته والا فهو لك بعد مماتى ان شئت خذيه ، فلما توفى زوجها عمر بن عبد العزيز قال لها خازن بيت المال هذا جوهرك فاستردية فأبت وقالت ما كنت لانقض ما أبرم عمر وتركته ملكا لبيت المال .

وقد اورد ابن تيميه فى كتابه السياسة الشرعية قصة عن عمر بن عبد العزيز وكيف ترك أولاده فقراء وكان فى استطاعته ان يغنيهم بالحلال لو أنه اخذ من بيت المال ربع ما كان يأخذه الخلفاء قبله من بنى امية من رواتب فيقول ابن تيمية : « قال أحد الفقهاء أدركت عمر بن عبد العزيز حين قيل له يا أمير المؤمنين أفقرت أفواه بنيك من هذا المال وتركتهم فقراء لا شىء لهم . وكان فى مرض موته فاعتدل وقال ادخلوهم على ففعلوا وكانوا بضعة عشر ليس فيهم بالغ فلما رآهم ذرفت عيناه بالدموع ثم قال : **يا بنى والله ما منعتكم حقا هو لكم ولم أكن بالذى يأخذ أموال الناس من بيت المال فيدفعها لكم . وانما أنتم أحد رجلين اما صالح فالله يتولى الصالحين واما غير صالح فلا أترك له ما يستعين به على معصية الله قوموا عنى . قيل فلما مات خص كل واحد منهم عشرين درهما بينما خص الواحد من تركة غيره من خلفاء بنى أمية ستمائة الف دينار » .**

وكان من عادة عمر بن عبد العزيز بعد ترف قبل خلافته فلما بويع خرج من ماله وكان لا يأخذ من بيت المال لكسوته الا حلة للشتاء ومثلها للصيف وعوتب يوما عن تأخره عن الخروج للناس ليؤمهم لصلاة الجمعة بالمسجد فاعتذر للناس وهو على المنبر وابدى لهم ما كان يكتم عنهم من أنه غسل قميصه الوحيد وانتظر حتى جف .

وكان من عادة عمر بن عبد العزيز بعد أن يصلى العشاء أن يمر على بناته فيسلم عليهن فدخل عليهن ذات ليلة فابتدرن الباب وأيديهن على أفواههن ، فسأل الحاضنة عن الخبر ،فقالت لم يكن لديهن للعشاء سوى عدس وبصل فكرهن أن يشم أمير المؤمنين ذلك فى أفواههن ، فبكى عمر واستقدمهن وقال لهن يا بناتى ما ينفعكن ان انا أغرقت عليكن ألوان الطعام والثياب والرياش ثم أساق فى الآخرة الى نار جهنم فبكين حتى علت أصواتهن .

ويتصل نسب عمر بن عبد العزيز بالفاروق عمر بن الخطاب . ويروى فى ذلك أن الفاروق كان يعس فى المدينة ليلا يستطلع أخبار الناس فسمع امرأة تقول لابنتها هلا فرقت اللبن — أى خلطيه بالماء — حتى نصيب ربحا أكثر . فقالت البنت ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نهى عن ذلك ، فقالت الام ومن يدرى عمر بذلك ، فقالت البنت ان كان عمر لا يدرى فرب عمر يدرى ، فعجب لقولها فلما أصبح الصباح ذهب فخطبها لاحد ابنائه فكان من نسلها عمر بن عبد العزيز . وقيل ان عمر بن الخطاب رأى ذلك فى منامه فأصبح يقول من هذا الذى من ولد عمر ويسير فى الناس بسيرة عمر .

ومن الآثار التى تذكر عن تشدد السلف الصالح فى التزام أقصى حدود الامانة ما يروى من أن أحد الانصار فى المدينة كان له كرم — بستان من عنب — فاستعمل عليه للحراسة من يدعى بلتعة . وذهب يوما يتفقده فسأل الحارس أى العنب تم نضجه حتى يذوقه ، فقال له بلتعة والله ما أدرى فلم أذق منه حبة . وبعد أن مر على الكرم سأله أين طعامك أشاركك فيه فانى أحس الجوع فقال نفذ منذ يومين وخشيت أن أعود الى دارى لاتزود فتأكل الطير العنب . فأكبر الانصارى هذه الامانة ولما عاد الى بيته حدث ابنته الوحيدة عن تقوى وأمانة بلتعة وأخذ يرغبها فى الزواج منه وكانت ذات جمال ومال فتزوجته ورزقت منه بحاطب بن بلتعة فكان من فقهاء الحديث والرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا والكلام موصول الى المقال التالى حيث نتم ذكر واجبات العامل فى الاسلام ونقفى عليها بذكر حقوقه التى كفلها له الاسلام .

إشتراط الإسلام رضا المرأة في الزواج

الدكتور علي عبد الواحد وافي

صحيح أن الاسلام أباح لولى المرأة أن يشترك معها بالمشورة والرأى . ولكنه لايبيح له أن يجبرها على زوج معين . وان اختار هو زوجا لها لايتم زواجها به الا برضاها .. ويروى فى هذا أن فتاة ذهبت الى عائشة أم المؤمنين تشكو اليها أن أباها زوجها من أبن أخيه ليرفع خسيسها ((أى ليعلى من قدرها بتزويجها من رجل كريم من عصبة أبيها)) ، فقالت انتظرى حتى يحضر النبى . فلما حضر ذكرت له ما ذكرته لأم المؤمنين فقال عليه السلام : ((الأيم أحق بنفسها من وليها)) (والأيم هى غير المتزوجة سواء أكان قد سبق لها الزواج أم لا) . فقالت الفتاة ((يارسول الله قد أمضيت مافعل أبى وانما قلت ليعلم النساء أن ليس للرجال فى هذا أمر)) واذا اختارت المرأة زوجا ولم يرض وليها به من غير سبب شرعى فلها أن ترفع الأمر الى القاضى ليتولى عقد زواجها مع من اختارته زوجا . بل لقد ذهب أبوحنيفة الى أبعد من ذلك ، فقرر أن للمرأة أن تزوج نفسها متى شاءت بشرط ألا تتزوج الا بكفء، وليس لوليها الاعتراض الا عند عدم الكفاءة . وعلى هذا المذهب الأخير تسير القوانين المصرية فى الوقت الحاضر .

حرم الاسلام أن تزوج البالغة العاقلة بدون رضاها . فان كانت ثيبا فلابد من رضاها فى صورة صريحة . وان كانت بكرا اكتفى بما يدل على رضاها كسكوتها عند أخذ رأيها، لأن البكر قد يغلب عليها الحياء فتخجل من اظهار رغبتها فى الزواج ، وفى هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : ((تستأمر النساء فى ابضاعهن ، والثيب يعرب عنها لسانها والبكر تستأمر فى نفسها ، فان سكتت فقد رضيت)) وروى : ((واذنها صماتها)) أو ((سكوتها))

وحكمة اشراك الأولياء مع المرأة فى موضوع زواجها أن الزواج ليس علاقة بين فردين فحسب ، بل هو كذلك علاقة بين أسرتين ، فان لم يكن متكافئا لحق عاره بأسرة الزوجة على الأخص . فأراد الاسلام أن يحافظ على حق الأولياء فى ألا تلحق المرأة عارا بهم ، فأشرك الأولياء معها فى اختيارها من غير ارهاق ولا استبداد بها ، وأجاز لهم الاعتراض عند عدم الكفاءة ، واحتاط للأمر فجعل للقاضى سلطان التدخل ان تجاوزوا حدودهم .

وصحيح أن الشريعة الاسلامية تبيح زواج القاصر والقاصرة اذا تم التعاقد برضى أولياء أمورهما . ولكن كثيرا من المذاهب الاسلامية احتاط لذلك ، فأباح فى بعض الحالات للشخص الذى زوج على هذه الطريقة أن يقر العقد أو يفسخه بعد أن يبلغ سن الرشد ، ويرى أبو حنيفة أنه ان كان ولى الأمر الذى أشرف على زواج الصغير أو الصغيرة أبا أوجدا فلا خيار لهما بعد بلوغهما ، لأن الأب والجد كاملا الرأى وافرا الشفقة فلا يتصور منهما الحيف ، وأما اذا كان الولى غير الأب والجد فللصغير والصغيرة الخيار عند البلوغ ، ان شاءا أقاما على الزواج وان شاءا فسخا ، لأن ولاية غير الأب والجد قاصرة لقصور شفقتهم فربما يتطرق خلل فيتدارك بالخيار عند بلوغ ذوى الشأن .

هذا ، وقد كان بعض الآباء وأولياء الأمور فى الجاهلية يتحكمون فى بناتهم وفيمن لهم عليهن الولاية من الأيامى ، فيزوجوهن أحيانا بدون أخذرأيهن أو على كره منهن،ويعضلونهن احيانا عضلا تاما عن الزوج . وكما حرم الاسلام تزويجهن بدون أخذ رأيهن أو على كره منهن حرم كذلك عضلهن تحريما باتا ، وفى هذا يقول الله تعالى : « فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وانتم لاتعلمون » (اية ٢٣٢ من سورة البقرة)

وقال : « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم » ، (أية ٣٢ من سورة النور) والأمر فى هذه الآية من الرباعى ، أى زوجوا الأيامى ولاتعضلوهن. وأخرج البخارى وابو داود والترمذى عن معقل بن يسار ، قال: كانت لى اخت تخطب الى ، فأتانى ابن عم لى فانكحتها اياه ، ثم طلقها طلاقا له رجعة ، ثم تركها حتى انقضت عدتها ، فلما خطبت الى اتانى يخطبها ، فقلت لا والله لا انكحها ابدا قال : ففى نزلت أية : (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف » . قال فكفرت عن يمينى وأنكحتها اياه .

وقد جرت العادة كذلك عند بعض عشائر العرب فى الجاهلية أنه اذا مات أحدهم وله عصبة ــ وربما كان أخاه أو ابن عمه ــ القى هذا القريب ثوبه على زوجة المتوفى وقال أنا أحق بها ، ثم ان شاء استبقاها لنفسه ، وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها رضيت بذلك أم كرهت ، وان شاء عضلها عن الزواج لتفتدى بما ورثت من زوجها ــ وقد أخذت بهذا النظام كذلك شريعة اليهود ولايزال العمل يجرى عليه بين طوائفهم فى الوقت الحاضر . وقد نص على ذلك سفر « التثنية » (وهو أحد الأسفار الخمسة التى يزعم اليهود أنها التوراة) اذ يقرر أنه اذا توفى شخص بدون أن ينجب أولادا ذكورا تصبح أرملته (وهى المسماة عند اليهود « يابامه ») زوجة تلقائيا لشقيق زوجها أو أخيه لأبيه « ويسمى فى الشريعة اليهودية « يابام ») وتجب عليه نفقتها ويرثها اذا توفيت وأول ولد ذكر يجىء من هذا الزواج يحمل اسم زوجها الأول ويخلفه فى تركته ووظائفه ، وينسب اليه لا الى زوجها الحالى ، فيخلد بذلك اسم زوجها الأول ولا يمحى من سجل اسرائيل . ولا يجوز «لليابامه» أن تتزوج من غير « اليابام » الا اذا خلصها

بطريقة تسمى فى شريعتهم « الحاليصاه » (٠) ويتم هذا الخلاص فى طقوس غريبة ، ينص عليها سفر التثنية اذ يقول : (اذا لم يرغب هذا الأخ فى الزواج بأمرأة أخيه المتوفى فانه يجب عليها أن تشخص الى مجلس شيوخ بنى اسرائيل وتذكر لهم أن أخا زوجها قد عزف عن تخليد أسم أخيه فى سجل اسرائيل فلم يرغب فى الزواج بها • وحينئذ يستدعيه أعضاء هذا المجلس ويحضونه على العدول عن رأيه والزواج بامرأة أخيه • فان لم يذعن لنصحهم وظل متشبثا برأيه ، تقدمت اليه امرأة أخيه وخلعت نعليه من قدميه وبصقت فى وجهه قائلة هكذا تجب معاملة من لايعمر منزل أخيه وسيطلق على منزله اسم منزل الحافى « من لانعل له » •• فقرات ٥ ـ ١٠ من اصحاح ٢٥ من سفر التثنية) وقد أقرت ذلك المادة ٣٦ من كتاب « الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للاسرائيليين فى مصر » اذ تنص على « أن المتوفى عنها زوجها اذا لم يترك أولادا ذكورا وكان له شقيق أو أخ لأب اعتبرت زوجة له شرعا ، ولا تحل لغيره مادام حيا الا اذا تبرأ منها »

وقد حرم الاسلام هذه النظم جميعا تحريما باتا ، وفى هذا يقول الله تعالى : « يايها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » أى تمنعوهن من الزواج ليفتدين أنفسهن بما ورثنه من أزواجهن (آية ١٩ من سورة النساء »

وكان بعض قبائل العرب فى الجاهلية يقر طريقة استيلاء الرجل على المرأة بالقوة ويبيح له ، اذا نجح فى مغامرته وانتصر على من حاولوا مقاومته ، ان يعاشرها معاشرة الأزواج ،وينزل هذا الاستيلاء منزلة عقد الزواج ، لافرق فى ذلك بين أن يكون قد حدث هذا السبى فى حرب نظامية أو عن طريق المباغتة والخطف • والى هذا يشير حاتم الطائى اذ يقول فى قصيدة له:

فما أنكحونا طائعين بناتهم
ولكن خطبناها بأسيافنا قسرا

وتقر هذه الطريقة كذلك الشريعة البرهمية فهى تعتبر الاستيلاء على المرأة بالقوة وسيلة مشروعة لاتخاذها زوجة فى طبقة الكشتريين أى رجال الحرب ، فقد ورد فى المادة الثالثة والثلاثين من الكتاب الثالث من قوانين مانو « وهو سفر هام من أسفارهم المقدسة ، حتى لقد اعتقدوا أن مؤلفه أحد الآلهة المنبثقين عن الالاه الخالق وهو براهما) أنه « اذ استولى رجل على امرأة بالقوة وسباها من منزل أهلها وهى تبكى وتصرخ فى طلب النجدة ، وانتصر على من حاولوا مقاومته فقتلهم أو جرحهم • فان طريقته هذه تسمى طريقة الجبابرة أو العمالقة MoedyeanTs وتنص المواد الثالثة والعشرون والخامسة والعشرون والسادسة والعشرون من الكتاب الثالث من هذه القوانين على أن « طريقة الجبابرة » طريقة مشروعة للزواج فى طبقة الكشتريين (رجال الحرب)

وقد حرم الاسلام تحريما باتا طريقة الزواج بالسبى ، واعتبر الاتصال بالمرأة على هذا الوجه سفاحا واغتصابا •

صحيح أن الاسلام يبيح للسيد أن يتسرى من ملكت يمينه من الاماء • ولكن وسائل ملك اليمين فى الاسلام تختلف اختلافا كبيرا عن طريقة السبى التى نتحدث عنها ، والتسرى الذى يجيزه الاسلام يختلف اختلافا كبيرا عن الزواج • هذا الى أن الاسلام قد أباح التسرى للقضاء على أهم رافد من روافد الرق وهو الرق الذى كان يفرض على من تلده الجارية بقطع النظر عن حالة أبيه ، وذلك أنه قرر أن السيد الذى يتسرى جاريته وتأتى منه بولد فان ولدها هذا يولد حرا ، وتستحق هى الحرية بعد وفاة سيدها •

الدين هو البعد الجوانى للإنسان

الدكتور عثمان أمين

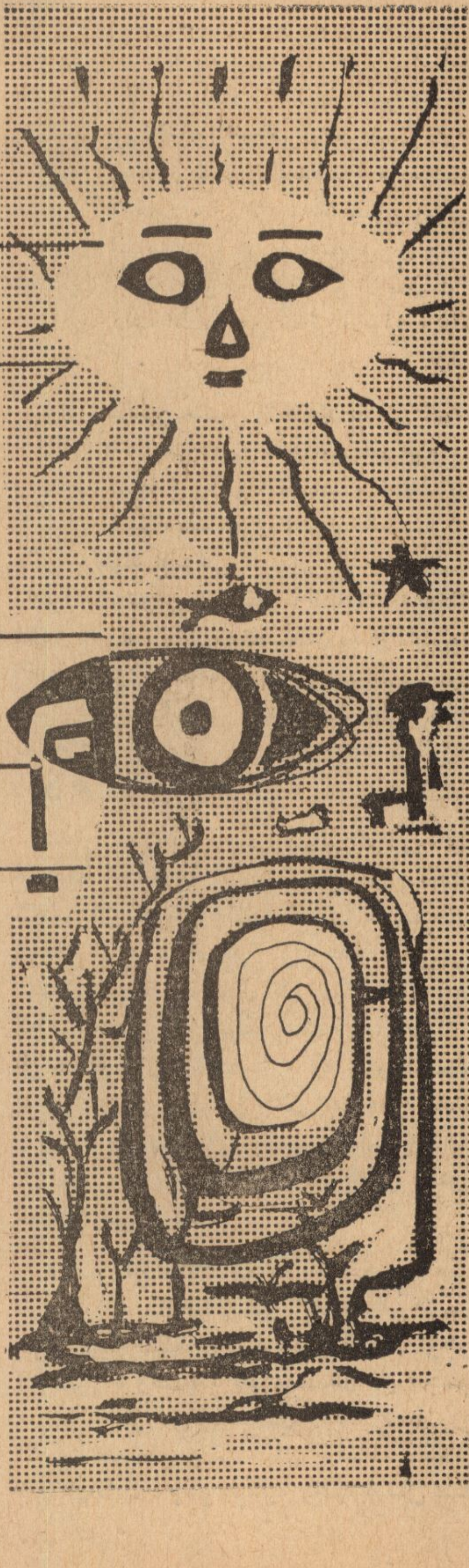

كلمة مأثورة عن شيخ الفلسفة الحديثة :

للفيلسوف المانى الكبير « عمانويل كانط » كلمة مأثورة أجد ان اقدمها فى مستهل هذا المقال . قال رحمه الله وجعل الجنة مأواه : « أمران يستثيران اعجابى : السماء ذات النجوم من فوقى ، والقانون الأخلاقى فى قلبى »

ويخيل الى ان شيخ الفلسفة الحديثة قد أراد بهذه العبارة الوجيزة أن يشير الى أمرين عظيمين كان وما زال لهما فى حياة الانسانية الواعية قيمة عالية : الاول مشهد ذلك الكون العجيب الذى يدل على ان هناك قوة روحية عظيمة ، قوة تفوق قوى الطبيعة وتقوم على تدبير الكون كله . والثانى مشهد الضمير

الانسانى ذلك « الصوت الداخلى » ـ كماكان يسميه الشاعر الالمانى « شيلر » ـ ذلك الصوت الذى يملى على المرء ما ينبغى أن يعمل لكى يحيا حياة فاضلة .

المشهد الاول ينحو بالانسان الى الاعتقاد بما يجاوز العالم المحسوس ، او عالم الشهادة ، ليتجه الى « ما وراءه » ، وهو ما نعبر عنه باسم الدين . أما المشهد الثانى فينحو به الى اتخاذ قاعدة ثابتة للحياة المثلى ، تجعله يرتفع على نفسه ، وهو ما نعبر عنه باسم الاخلاق .

الانسان مشغول بالاعتقاد :

وليس بالانسان حاجة الى ان يدرس تاريخ الفلسفات أو الاديان او الاخلاق او الفنون ، لكى يتبين روعة هذين المشهدين واثرهما العميق ، لا فى حياة الفرد وحده بل فى حياة المجتمع الانسانى كله !

فالانسان ، منذ وجد على الارض ، كان طلعة دائما : يريد ان يخترق حجب العالم الحسى ، عالم المظاهر والشخوص ، لكى ينفذ الى حقائق الاشياء ودخائل النفوس . وتلك سمة ثابتة من سمات الروح الانسانى فى كل مكان ، ومطلب أصيل من مطالبه فى كل عصر . وسواء كان المرء مؤمنا أو ملحدا ، مثاليا أو وضيعا ، اخلاقيا او متمردا على الاخلاق ، فهو دائما مشغول بالاعتقاد ، لا يستطيع أن يطرح معتقدا الا لكى يحل محله معتقد اخر ، وهو برغم المظاهر ، حفى بالمثل الاعلى او بالاجمل والامثل فى نظره ، ولا يستطيع ان ينبذ مذهبا الا لكى يتخذ بديلا منه يراه أفضل . وهوعلى اى حال معنى بتقييم الاشياء والاعمال ، وفقا لفكرة مرسومة فى نفسه ، ملأت وعيه وقلبه : ذلك ما قد سميناه بالبعد « الجوانى » للانسان ، ذلك البعد الذى من شأنه متى ادركناه أن يرفع الغشاوة عن اعيننا ، فنكتشف من أسرار نفوسنا وعجائب حياتنا وحياةغيرنا ما هو خليق أن يفتح ابواب وعينا لذاتنا وللعالم ، ويفسح مجالى بصائرنا وابصارنا .

جوهر الدين الايمان بالله وبالغيب :

لقد صار العلماء والفلاسفة واللاهوتيون فى الوصول الى تعريف جامع للدين، يبين حقيقته ويحدد عناصره . ولكن قصارى ما تقوله فى هذا المقام ، قلى سبيل « الرسم » ، لا « الحد» ـ بتعبير مناطقة العرب ـ هو ان اساس الدين على الاطلاق انما هو الايمان بأمر «وراء» هذا الوجود الظاهر الحاضر ، أمر غيبى خارق للطبيعة ، مجاوز للآنى وللمكانى ، متصل بالابدى اللازمانى . ان ماهيته ، فيما عبر بعض الباحثين المعاصرين ، هى « التمييز بين عالمين مختلفين اختلافا جوهريا ، او هو الايمان بنوع من الموجودات اسمى من سائر الانواع فى عالم الشهادة » .

واذن فالدين متميز بالاعتقاد بأن فى العالم « ثنائية » ، أعنى عالم الطبيعة وعالم الروح ، أو عالم الشهادة وعالم الغيب . لذلك كان الانسان المستمسك بعرى الدين مشدودا بين عالمين ، عالمه الروحى الجوانى الذى يحسه زاخرا بالحدوس والافكار والطاقات ، وعالمه المادى البرانى الذى يقتضيه أن يشارك شئون الجماعة بأوفى نصيب . ويظل الانسان المتدين مشدودا بينهما حتى يهتدى الى الطريق الذى يعينه على أن يوفق بين أعمق حاجات الروح وبين ألزم واجبات المجتمع .

هذا الايمان بما وراء العالم العيانى هو الحقيقة الجوهرية التى تنبثق من اعماق النفس الانسانية ، والتى لا تنشأ من معرفة الوقائع المادية ، وان تكن هى وحدها التى تضىء تلك الوقائع بضياء يفوق كل ضياء. انها حقيقة لا زمانية أعنى أنها ليست حقيقة زمان بعينه ، بل حقيقة الازمان جميعا . وهى موجودة موصولة فى قلوب الناس خلال العصور ، ولكنها لا تتصل ولا تتجدد الا بالجهد الدائب والالهام الشخصى ، الهام أولئك الأفذاذ الذين يؤلفون حلقاتها التى لا تتناهى .

فالدين من حيث هو دين ، يوجه الانسان الى ذلك البعد الجوانى فيه : يدعوه الى الايمان بقوة غيبية فائقة ، ويدعوه الى الايمان لوجود اله قدير ، وجوده هو مصدر كل وجود وسلطانه أعلى من كل سلطان : ذلك الايمان روح الاديان جميعا ، وسر حياتها ومناط الائتلاف بين الهاماتها ، وهو البداية والنهاية لكل علم وعرفان .

الرأى العام

ومسئوليته فى تقويم الانحرافات

فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى

الرأى العام - اصطلاح عصرى يعنى به السلطة الادبية الممثلة فى الشعب كله ، ووظيفته رقابة مايجرى فى الشعب من الأحداث التى تتصل بشئونه السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية وغيرها وتوجيهها فى صالح الشعب ورفاهيته •

واختصاص هذه السلطة اختصاص واسع وليست كغيرها من السلطات التى يتحدد اختصاصها فى نطاق ضيق ، وأثر هذه السلطة فى كيان الشعوب ونظامها وتقويم شئونها خطير • وقد قدر أصحاب الآراء والمبادىء مكانها فى تحقيق أهدافهم فأولوها عنايتهم ، واعتزوا بها واعتمدوا عليها ، وحرصوا على ان يتبينوا اتجاهاتها قبل الشروع فى تنفيذها حتى لا يتعرضوا لسخط الرأى العام ومناهضته •

وتنمو هذه السلطة وتزدهر فى ظلال الحرية والعلم ويبدو أثرها واضحا فى الشعوب التى تحظى بقسط موفور من الحرية والثقافة •

وأمامنا أمثلة حية على مالسلطان الرأى العام من خطر ، فلقد أهوت هذه السلطة بزعماء كانوا على قمم المجد فى أممهم وانحرفوا عما لايرى الرأى العام الانحراف عنه ولم ننس بعد موقف الرأى العام الانجليزى من المستر ايدن زعيم الأغلبية فى البرلمان الانجليزى فى حادث الاعتداء على قناة السويس فقد حكم عليه بالفشل السياسى ونحاه عن ميدان السياسة الانجليزية ولم تحمه أغلبيته البرلمانية من ثورة الرأى العام ، وكذلك فعل الرأى العام بزميله وزير الدفاع فقد حكم عليه بالسقوط الاجتماعى لعلاقته الغرامية باحدى الراقصات •

ولعل من أقدم من أحس بخطر الرأى وأثره فى انجاح الدعوات والأهداف من زعماء العرب معاوية بن أبى سفيان فلقد عرف قدره واستغله الى أبعد مدى فى مغامراته السياسية وخلافه مع على بن أبى طالب • وبفضله بلغ مايريد فى الظفر بخلافة المسلمين لشخصه ولبنى أمية من بعده ، فقد استمال جمهرة المسلمين اليه ، استمال الخاصة والأشراف بالجاه والمال والمناصب واستمال العامة بالمال والترفق والملاينة • وكان يتسع حلمه فيسمع مايكره ، ولا يهم بالانتقام مع قدرته عليه لأن ذلك أنجح فى باب السياسة والرياسة وانتظام الأحوال • وقال فى ذلك قولته المشهورة : لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت اذا أرخوها شددتها وان شدوها أرخيتها . وقد استطاع أن يستميل الرأى العام بالشام الى جانبه فكان عدته وقوته واستغله قبل الخلافة لترشيحه للخلافه ، وبعد الخلافة لتبثيت أقدامه فيها •

والرأى يستطيع أن ينوب عن الحكومات فى

كثير من الشئون ويحمل عنها بعض الأعباء ، فى تقويم الانحرافات التى تتعرض لهاالشعوب وتعوقها عن غاياتها ، يستطيع الرأى العام تقويم الانحرافات السياسية والادبية والاقتصادية ، وبوعى الرأى العام المستنير وقوة احساسه تسير الشعوب الى أهدافها السياسية مطمئنة آمنة من الخوارج عليها المتآمرين على حقوقها ، وبوعى الرأى العام وقوة احساسه ورقابته تقوم الانحرافات الأخلاقية والأدبية فى مخاطبات العامة وكتابات الكتاب وغيرها وبما يبديه الرأى العام من سخط واستنكار للخروج على اللائق والمألوف فى هذه الشئون يلتزم المنحرفون الجادة ويتوقون أن يظهروا بما يخدش الحياء والذوق العام ٠

وان كثيرا مما نشكوه من الانحرافات لو أجمع الرأى العام على استكراهه واستنكاره لما كان له وجود وفى مجتمعنا ، فلو اجمع الراى العام على استنكار الخارج من الأزياء على حدود اللياقة والحشمة لما اجترأت منحرفة أن تظهر بما يجرح الشعور العام ٠ ولو اجمع الرأى على الانصراف عن قراءة الروايات الفاجرة ومشاهدة المسرحيات الخليعة لارتدع أصحابها عن تأليفها وعرضها وكفى الحكومة مئونة مقاومتها بقوة القانون ٠ ولكن تحدث فى الرأى العام أحيانا ثغرات ينفذ منها المنحرفون الى أهدافهم ، فالخارج على المألوف فى زيه لا يعدم من يستحسن ذلك منه ويطريه ويغريه بالتمادى فى سلوكه وشذوذه ٠ والخارج على المألوف اللائق فى أدب الكتابة لا يعدم مستحسنا مطريا لهذا النوع من الأدب المكشوف الفاضح ، هذه الثغرات هى التى تمد للمنحرفين فى حبل الضلال ، وفى طوق الرأى العام بمعونة السلطات المسئولة أن يسد هذه الثغرات ٠

والرأى العام فى الاصطلاح العصرى يقابل فى العرف الاسلامى جماعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وليست هذه الجماعة جماعة ذات نظام خاص أو ذات طابع ثقافى أو اجتماعى معين ولكنها جماعة المسلمين كلهم كل فرد منهم مسئول بالتضامن مع اخوانه عن القيام بهذه الوظيفة ، ولقد كان الرأى العام الاسلامى الى جانب السلطات المسئولة هو المهيمن على سلامة المجتمع من الانحرافات المختلفة فى الحدود التى تسمح بها ظروف الجماعة ولا تؤدى الى الاضطراب

وما للرأى العام من وظيفة خطيرة فى الهيمنة على سلامة الجماعة حرص الاسلام على وجوده فى الجماعة الاسلامية وحمل الجماعة مسئولية التفريط فيه وجعل خلو الجماعة منه مؤذنا بانحلالها وزوالها ٠

ومما جاء فى القرآن مما يؤكد وجوده قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » وقوله تعالى : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئسما كانوا يفعلون »

ومما جاء فى السنة قوله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » ٠ وقوله : « ان أول مادخل النقص على بنى اسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : ياهذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »

وقد عنى الفقهاء بموضوع الرأى العام وعقدوا له أبوابا بعناوين مختلفة ، فتارة يتحدثون عنه بعنوان ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتارة بعنوان ، الحسبة ، وفى هذه الابواب يعرضون لبيان هويته ووظيفته ووسائل مباشرة هذه الوظيفة وبيان علاقة الرأى العام بالسلطة التنفيذية ومتى يسوغ لهذه السلطة أن تتدخل فى اختصاصه ٠ وحديث الفقهاء عنه حديث يدل على مرونة القواعد الفقهية الاسلامية ومراعاتها لصالح

البقية ص ٧٤

رأى

فى إمكان إبطال التصرفات المنطوية على تمييز بعض الورثة فى الميراث

الاستاذ محمود كمال

كثيرا ما نسمع أن احد الناس قد فضل بعض أبنائه على بعض فى الميراث الذى يؤول اليهم من بعده ، أو أنه قد اختص بعضهم بالثروة بأكملها وحرم الباقين منها حرمانا تاما .

وقد جرت أمثال تلك التصرفات ، لكثرتها وتعددها ، مجرى العادة المألوفة التى لا تثير لدى الناس دهشة ولا غرابة .

ومرد تلك التصرفات ، فى الأغلب الأعم ، الى عقيدة ثابتة فى بعض الاذهان من أن الاولاد هم الاولى والاحق بالثروة من البنات لانهم هم خلفاء أبائهم فى الاسرة الذين يفتحون بيوتهم ويعمرونها فتظل قائمة الاركان وطيدة البنيان أما البنات فهن اذا تزوجن ثم ورثن من أهلهن ثروة انتقلت تلك الثروة الى العائلات التى تزوجن فيها والأجدر هو أن تبقى تلك الثروة فى يد العائلة ذاتها .

ويحدث كثيرا أن يكون المورث واقعا تحت مؤثرات مختلفة تؤدى به الى التمييز بين الابناء ، كما اذا كان أحد هؤلاء منحرفا بحيث يخشى أن يبدد ميراثه فى غير طائل ، أو يكون بعض الابناء أنفع من بعض فيختص المورث الانفع منهم بنصيب أوفى .

ومن المشاهد كذلك أن يكون الأب واقعا تحت سلطان احدى زوجاته الى الدرجة التى تحدو به الى تفضيل أبنائه منها على غيرهم .

وغير ذلك من الأسباب كثير .

***

وعادة حرمان بعض الورثة ، وعلى الاخص البنات منهم ، أو تفضيل بعضهم على بعض فى الميراث عادة قديمة عندنا ، تأصلت جذورها منذ زمان بعيد ، وما يزال لها الى الان اعتبار ملحوظ فى مجتمعنا .

ومثل هذه العادة مثل عادة الاخذ بالثأر التى استشرت على الاخص فى بلاد الصعيد وعز علاجها .

ولعل أفضل الوسائل فى مقاومة هاتين العادتين هى نشر الوعى بين الناس ، والدعاوة ضدهما على أوسع نطاق ، وسن التشريعات المختلفة تتلافى بها الدولة تلك الماسى التى تنتج عن ترك الحبل على الغارب للناس يفعلون ما يشاءون دون حكمة أو بصيرة بما يفعلون .

ونتساءل ان كانت الشريعة الاسلامية تجيز التفاضل بين الابناء فى الميراث ، كما نسأل عن حكم القانون فى امكان الغاء التصرفات المقصود بها تمييز بعض الورثة على بعض فى الميراث .

أما عن الشريعة فقد تكفل ذلك البحث القيم الذى نشره السيد الاستاذ فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى فى مجلة منبر الاسلام (١) ببيان حكمها فى ذلك وانتهى فيه فضيلته الى أنه « اذا كان تفضيل بعض الورثة على بعض بسبب مشروع جاز .. كأن يكون أحد الأولاد مريضا مرضا مزمنا .. لأن اخوته لا يغضبهم ذلك اذ الاخوة الصحيحة تتطلب منهم ان ينفقوا على أخ لهم فى مثل هذه الحال ولو من عند أنفسهم . وكذلك يجوز التفاضل اذا كان احد الورثة صغيرا يحتاج الى تربية او تعليم أو وزاج فى المستقبل مثلا ، وكان اخوته الكبار قد نالوا حظهم من ذلك ، فهنا يحسن أن يتساوى بهم اخوهم الصغير ، فالنتيجة انه ان كان شىء من ذلك جاز التفضيل والا حرم أو بطل .

وأما عن القانون فاننا لا نخال أحدا يجهل ان قواعد الميراث كما هى فى الشريعة الاسلامية من النظام العام ، بمعنى أنه لايجوز التصرف أو الاتفاق على مايخالفها وكل تصرف أو اتفاق على خلاف تلك القواعد يكون باطلا بطلانا أصليا .

وازاء ذلك كان لابد لمن يريد الهروب من الأحكام الشرعية فى الميراث بتنفيذ الأنصبة المحددة فيها بزيادة نصيب وتقليل نصيب آخر ، أو بحرمان البنات مثلا واختصاص الاولاد بالتركة كلها ، من أن يلجأ الى التحايل على الوصول الى أغراضه فى ذلك بوسائل قانونية أخرى ، ويمكن أن نقول أن تلك الوسائل تتمثل فيما يلى :

١ - تحرير عقد بيع منجز بين المورث ،ومن يريد تمييزه من ورثته ، يذكر فيه القدر المبيع، كما يذكر فيه ثمن جدى مناسب ، بحيث يكون العقد صحيحا مستوفيا جميع شروطه وأركانه فلا يلحقه البطلان لاى سبب من أسباب ذلك.

ثم أن المورث لا يتقاضى فى الواقع لا الثمن المسمى فى العقد ولا أى مبلغ آخر فى نظير هذا البيع .

٢ - تحرير عقد هبة فى صورة عقد بيع بالقدر المطلوب اعطاؤه للوارث .

ويقول الدكتور السنهورى فى مؤلفه عن عقد البيع ان هذا البيع قد يتخذ ستارا للهبة فيذكر فيه عوض على أنه الثمن ثم يهب البائع الثمن للمشترى . مثل هذا العقد لا شك فى طبيعته فهو هبة بل هو هبة مكشوفة وتسوى عليه احكام الهبة لا من حيث الموضوع فحسب بل من حيث الشكل. فاذا انفق الواهب ستر الهبة ولم يذكر أنه وهب الثمن للمشترى بل فكر أنه قبضه فالعقد هبة مستورة تسرى عليه أحكام الهبة من حيث الموضوع ولا تسرى عليه احكامها من حيث الشكل فلا يشترط فيه الرسمية»(١)

ويقول أيضا أنه قد يكون الثمن المذكور فى العقد صوريا « لا يقصد البائع أن يتقاضاه من المشترى بل ذكر مبلغا من النقود ليكون ثمنا حتى يسلم للبيع مظهره الخارجى .. ومتى ثبت أن الثمن صورى فان العقد لايكون بيعا ولكنه يكون هبة مستترة فى صورة بيع فيصبح كهبة دون حاجة الى ورقة رسمية»(٢)

ويقول المرحوم الأستاذ نجيب الهلالى فى مؤلفه عن عقد البيع « أن العبرة فى وصف العقد بانه بيع أو هبة بحقيقة الحال لابالفاظ المتعاقدين ويتفرع على ذلك أنه لو وجدت نية

التبرع لم يكن العقد بيعا . ولهذا حكمت المحاكم بأن العقد الذى ينص فيه على اعفاء المشترى من الثمن يعتبر عقد هبة لاعقد بيع » (٣)

٣ - تحرير عقد بيع مع اشتراط بقاء العقار فى ملك البائع واستمرار حيازته له الى حين وفاته .

أو تحرير عقدين ، أحدهما بيع فينجز كامل الشروط والاركان ، والاخر عقد يتفق فيه بين الطرفين على أن المشترى لا يضع يده على العين المبيعة الا بعد وفاة البائع .

وهذه العقود هى حقيقتها وصايا وليست عقود بيع لأنها تمليك مضاف الى ما بعد الموت .

ومما تقدم يتبين ان العقود السالف ذكرها مقصود بها أن يفوز الوارث المرغوب تمييزه بالنصيب الذى يميز به مهما بلغ قدره أو بلغت قيمته من غير أن يكون عرضة لمنازعته فيه .

ولما كانت تلك النتيجة التى تتمثل فى فوز الوارث بالقدر المطلوب تتعارض مع قواعد الميراث فى الشريعة لانها تتضمن التصرف لوارث فى قدر يتجاوز النصيب المحدد له فى التركة شرعا ، وذلك بموجب تلك العقود ، فانه يجب اعتبارها عقودا باطلة لمخالفتها للنظام العام ، ورغم انها قد استكملت شروط صحتها شكلا وموضوعا ، وعلى هذا الاعتبار فليس ثمة ما يمنع كل من كان ذا صفة أو كان ذا مصلحة من الطعن على تلك العقود واثبات طعنه بكافة طرق الاثبات .

وتعتبر باطلة أيضا العقود الساترة لوصايا فيما زاد على القدر الجائز الوصية به طبقا للقانون رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ .

وقد سبق أن عرض هذا الرأى ، فى مناسبة من المناسبات ، واعترض عليه من البعض بأن الوارث الذى تملك بعقد صحيح منجز أو بهبة مستترة فى صورة بيع مثلا ربما يكون قد تصرف فيما ملك ثم قد تكون التصرفات تعددت بعد ذلك فى شخص لاخر ، فابطال هذه العقود وما ترتب عليها من آثار قد يترتب عليه اختلال فى المعاملات ليس من المصلحة العامة فى شئ .

وهذا الرأى مردود بان ابطال التصرفات بموجب القانون متعددة أشكاله ، ولم يقل أحد بأن ابطالها تطبيقا للنصوص الموضوعة يتسبب عنه أو يترتب عليه اختلال فى المعاملات الجارية يعود على المصلحة العامة بضرره بل العكس هو الصحيح لان المشرع اذ نص على ابطال تصرفات معينة تحت ظروف معينة انما كان يهدف الى اقرار حقوق فردية فى الوقت الذى كان يهدف فيه أيضا الى اقرار مصلحة اجتماعية .

ومثلا ، من التصرفات التى اجاز القانون ابطالها : بيع العقار المملوك لشخص لا تتوافر فيه الأهلية بغبن فاحش يزيد على خمس الثمن بحسب قيمته وقت البيع .

ومنها بيع ملك الغير ، حيث اجيز لكل من البائع والمشترى الحق فى بطلان العقد ، كما اجيز للمالك الحقيقى الحق فى استرداد المبيع بدعوى الاستحقاق .

وقد كان القانون المدنى السابق يجيز بيع الوفاء ، وفى هذا البيع ، اذ رد البائع الثمن والمصاريف للمشترى بالشروط التى وردت فى ذلك القانون ، انفسخ العقد واعيد المبيع للبائع وسقطت جميع الحقوق التى كان المشترى قد رتبها عليه .

ونكتفى بهذا القدر من الامثلة .

والرأى الذى ابديته من حيث الغاء العقود التى تنطوى على تفضيل وارث على آخر حسب التفضيل السابق بيانه كفيل بمنع الناس ، ولو الى حد ما ، من التمادى فى اثيار بعض الورثة على بعض اثيارا منافيا للشريعة والقانون ومصلحة الافراد والمجتمع فى وقت معا .

ومع ذلك ، أفليس من الافضل امكان النظر فى سن تشريعات أوفى بالغرض وأقوم سبيلا .

اتمنى أن يكون ذلك أمرا ميسورا ومقدورا والله الموفق .

التأمين والإسلام

الأستاذ البهى الخولى

– ١ –

فى آخر مقالنا السابق عرضنا للفتوى التى نحل التأمين بناء على أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد لاهلها ضروبا من المعاملات ، بعضها يحله الله تعالى ، فأحله لهم عليه السلام ، وبعضها يحرمه الله تعالى ، فحرمه عليهم ، وبعضها يتضمن شيئا قليلا مما حرم الله فأباحه لهم لأن المصلحة فيه هى الغالبة • وخلال هذا السياق النبوى الكريم وردت كلمة « السلم » باعتبارها ضربا من المعاملات التى أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما فيها من شائبة التحريم •• ويريدون بهذا أن التأمين كالسلم ، فاذا كان الرسول – عليه السلام – قد أباح السلم على ما فيه لأجل المصلحة ، فهم يبيحون التأمين على ما فيه – أيضا – لأجل المصلحة •

ومما قيل فى تحليل التأمين : انه عقد مضاربة اسلامية مشروعة لا شائبة فيه لتحريم ما •• وفى مقام ثالث قيل : ان الأصل فى المعاملات الحل ، حتى يقوم دليل التحريم • والتأمين معاملة « عصرية » فهو على أصله من الحل ، ولم يرد عن الله ، ولا عن رسوله ما يحرمه ، والاسلام دين مرن ، لم ينه المسلمين عن التطور والمعاملات المبتكرة ، ليظلوا مسايرين للتقدم ظافرين بأوفر مايمكن من المصالح •• وفى رابعة قيل : ان مايدفعه المستأمن للشركة يعتبر قرضا ، وما المبلغ الذى يأخذه – فى نهاية المدة – فوق مبلغه الذى دفعه ، الا تبرع منها ، تدفعه له مما ربحته هى من ماله •• وفى خامسة قيل : انه تكافل اجتماعى •• الى غير ذلك مما يطول تعقبه •

* فالفتوى على ما ترى ، تعتبر التأمين من قبيل « السلم » الذى عفى عما فيه من شائبة التحريم للمصلحة ، وتعتبره فى الوقت نفسه عقد مضاربة مشروعة لا شائبة فيه ، وفى

الوقت نفسه تقول : انه ليس من قبيل السلم ، ولا من قبيل المضاربة ، انما هو معاملة مبتكرة تدخل فى حكم القاعدة التى تقرر : ان الأصل فى المعاملات الحل ، حتى يقوم الدليل على الحرمة ٠٠ الى آخر ماجاءت به من أنه يعتبر قرضا ، أو يعتبر تكافلا اجتماعيا يتعاون فيه الافراد على السراء والضراء ٠٠ الى غير ذلك مما يبلبل الذهن ، ويشتت الخاطر ، ويدل على أن الفتوى لا ترجع الى أصل اسلامى وثيق ، اذ لو كانت ترجع الى أصل لوجدوا فى أصالته ما يغنيهم عن ذلك التناقض ، وتلك الاقوال التى لا يتماسك أحدها فى ذاته ، ولا يمسك بعضها بعضا فى النهوض للاستدلال ٠٠ وتلك ظاهرة ان لم تكن كافية لابطال الحل ، فهى كافية لابطال الفتوى لانها تقوم على أساس مضطرب لا يوثق به ٠٠٠

* والذى أورث الفتوى ذلك التناقض وتلك الخلخلة والحيرة ، أن عقد التأمين يتضمن أمرين خطيرين مما حرم الاسلام : أحدهما الغرر ٠٠ والآخر الربا ٠٠

أما الغرر ، فهو مبنى عقد التأمين ، أو هو طبيعة ذلك العقد ، لأنه من عقود المعاوضة الاحتمالية ، والاحتمال من الغرر ٠٠ وذلك هو نظر القانون المدنى ، وما يقرره علماؤه فى مدوناتهم ، فضلا عن أنه نظر البديهة ، قال الدكتور عبد المنعم البدراوى فى كتابه : الايجار والتأمين ، تحت عنوان : عقد التأمين من عقود الغرر : والتأمين من القود الاحتمالية أو عقود الغرر ، ويظهر هذا الوصف من الوضع الذى يحتله عقد التأمين فى المجموعة المدنية المصرية ، فالمشرع تكلم فى عقد التأمين فى الباب الرابع من كتاب العقود الذى يحمل عنوان : « عقود الغرر » ٠٠ ثم استطرد يشرح ذلك ٠٠ ومرادنا أن التأمين يقوم على الغرر ٠٠ ولا خلاف بين العلماء على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نهى عن بيع الغرر

وأما الربا ، فان المؤمن على حياته – مثلا – يأخذ فى نهاية مدة العقد مبلغه الذى دفعه مقسطا ، زائدا مبلغا آخر ٠٠ وهذا هو الربا الذى نهى عنه الاسلام ٠٠

فهذان الأمران : الغرر والربا ، يكفى أحدهما لتحريم التأمين ، فاذا اجتمعا معا فيه كانت علة التحريم أوثق ، وتعذر على المفتى أن يفتى بحله ، الا أن يذهب هنا ، وهناك ، وهنالك ، متلمسا مخرجا أو تأويلا يبرر به أو يبنى عليه فتوى الحل ، على نحو الحيرة التى أوردنا ٠٠ ولكن على غير طائل ٠

– ٢ –

فان ذهاب الفتوى الى أن التأمين كالسلم ، وأن دواعى المصلحة التى أجازت السلم على ما فيه ، هى الدواعى التى تجيز التأمين على ما فيه ، ذهاب الفتوى الى ذلك غير صحيح ٠٠

ولعل من حق القارىء أن نقدم له صورة عامة للسلم يدرك بها ما بين السلم والتأمين من تقارب أو تباعد ٠٠ قال فى المصباح المنير : « السلم فى البيع كالسلف وزنا ومعنى » ، وكل منا يعرف أن ذلك السلم ، أو السلف أمر تجرى به المعاملة بيننا فى الريف على نحو طبيعى ، اذ يدفع رجل مبلغا معينا من المال ، لأحد الفلاحين ثمنا لمقدار من القمح أو الشعير – مثلا – معلوم الكيل ، اردب ، أو نحوه ، وينتظر تسلم القمح الى وقت معلوم يحصد القمح خلاله ، فيستطيع الفلاح تقديمه ٠٠ فلك مثلا أن تدفع – أو تسلم – الى أحد الفلاحين أربعة جنيهات ثمنا لاردب من القمح ، تتسلمه منه فى موسم الحصاد ، فى شهر يونيه ، مثلا ٠٠ فتسليمك المبلغ على هذا المعنى ، لذاك الغرض هو السلم ، قال فى لسان العرب : « السلم – بالتحريك – السلف ٠٠ وهو أن تعطى ذهبا وفضة فى سلعة معلومة ، الى أجل معلوم ، فكأنك قد أسلمت الثمن الى صاحب السلعة » ٠

والمعروف أن الاسلام نهى عن بيع ما ليس موجودا ، لأنه غرر ٠٠ وبيع السلم على ما رأينا هو بيع شىء غير موجود ، لأن القمح فى المثال الذى أوردنا لم يكن موجودا مع الفلاح وقت العقد ، فهو على هذا من الغرر ، ولكن الاسلام استثناه لما رأى من حاجة الناس اليه ، قال القرطبى فى الجامع لأحكام

القرآن : والسلم بيع من البيوع الجائزة بالاتفاق ، مستثنى من نهيه عليه السلام عن بيع ما ليس عندك » .. ومن الأدلة على جوازه ما رواه البخارى عن عبد الله بن أبى أوفى ، قال : « **كنا نصيب المغانم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يأتينا أنباط من أنباط الشام ، فنسلفهم فى الحنطة والشعير والزبيب ، - فقيل له : أكان لهم زرع ، أم لم يكن لهم زرع ؟ فقال : ما كنا نسألهم عن ذلك** » ، قال الحافظ فى الفتح شرحا لذلك : « واستدل به على جواز السلم فيما ليس موجودا فى وقت العقد ، اذا أمكن وجوده وقت حلول الأجل ، وهو قول الجمهور » ..

وقال ابن قدامة فى المغنى فى اجازة السلم : « **لأن بالناس حاجة اليه ، فان أرباب الزرع والثمار والتجارات يحتاجون الى النفقة على أنفسهم وعلى زروعهم وثمارهم وتجاراتهم لتكمل ، وقد تعوزهم النفقة ، فجوز لهم السلم - أى السلف - ليرتفقوا ، ويرتفق المسلم - أى صاحب المال - بالاسترخاص** » وما ذكره ابن قدامة من حاجة الناس الى السلم حين تعوزهم النفقة ، ألحقه القرطبى « بالمصالح الحاجية » اذ قال عن السلم : « **انه بيع غائب تدعو اليه ضرورة كل واحد من المتبايعين ، فظهر أن بيع السلم من المصالح الحاجية » وقد سماه الفقهاء : بيع المحاويج** » .

تلك صورة عامة للسلم ، فأين هو من التأمين ، أو أين التأمين منه ؟ .. لعل موازنة يسيرة بين الاثنين تجيبنا عن ذلك **السؤال** ..

أ - فدواعى السلم هى « المصلحة الحاجية » ، نسبة الى الحاجة .. وهذه الحاجة هى اضطرار أرباب الزروع ، والثمار والتجارات الى أن ينفقوا على أنفسهم وعلى زروعهم ، وثمارهم ، وتجاراتهم حتى تكمل أما التأمين ، فالمصلحة فيه مصلحة كسب محض ، لا مصلحة حاجية ، اذ ليس بأحد من طرفى العقد فيه - الشركة والتأمين - حاجة الى أن ينفق على نفسه ، وزرعه وثمره .. أى أن المصلحة فى السلم مصلحة ضرورة « قائمة بالفعل ، تدعو اليه » ، وليس فى التأمين من ضرورة قائمة تحوج أحد طرفيه الى النفقة على نفسه وعلى ماله فتضطره الى أن يؤمن .. وما أبعد الفرق بين ضرورة المحتاج ورغبة الآمل فى الكسب والتنمية .. واذن فلا وجه لقياس المصلحة فى التأمين بالمصلحة الحاجية ، أو الضرورة الحازبة فى السلم .

ب - هذا وليس فى السلم من شوائب التحريم سوى غرر يسير جدا ، أما التأمين ففيه الربا وفيه الغرر بأوسع حقيقة الاحتمال فانك اذ تسلف الفلاح نقودك ثمنا لأردب القمح الذى تنتظره فى موسمه كما قدمنا ، انما تسلفه أو تسلمه ، وأنت تعرف أن الطبيعة لا تخلف عادتها فى انبات القمح واتمام نضجه ، فالغرر هنا ، أى احتمال أن تخلف الطبيعة عادتها ، احتمال ضئيل جدا ، يكاد يكون لا غرر ، ومع هذا فقد احتاط الاسلام لهذا القدر الضئيل ، فشرط لصحة السلم امكان وجوده عند حلول الأجل .. أما الغرر فى التأمين ، كالتأمين على الحياة - مثلا - فالاحتمال فيه قائم على أتمه ، اذ تقول الشركة للمستأمن ، اذا بقيت حيا الى نهاية مدة العقد ، فلك كذا ، واذا توفيت قبل تلك النهاية ، فلك كذا .. ولا يعرف أحد المتعاقدين ولا غيرهما متى تحل الوفاة ، انما يعرف الجميع أن البقاء الى نهاية المدة أمر محتمل غير مؤكد ، وأن الوفاة قبل تلك النهاية بقليل أو كثير ، بسبب مرض ، أو حادث ، أو سكتة فجائية أمر احتمالى أيضا جرى به الواقع .. فغرر الاحتمال هنا على أوسعه .. واذن ، فلا محل لقياس مايحتويه التأمين من الربا المحض ، والغرر المحض ، بما يحتويه السلم من غرر يسير جدا قد احتاط له الشرع على ما قدمنا .

وبما قررناه فى فقرة « أ » وفقرة « ب » يتبين فى وضوح تام ألا وجه لما يقال من أن التأمين يباح لأن المصلحة فيه غالبة على

ما يحتويه من شائبة الحرمة ، قياسا على أن الأسلام قد جوز السلم لغلبة جانب المصلحة على ما فيه من شائبة الغرر ، اذ التأمين يقوم على استحلال الحرام البواح فى غير ضرورة ، بينما السلم لم يستحل فيه الا أيسر الغرر ، لاضطرار المحاويج الى النفقة على النفس والمال.

جـ ـ ذلك كله الى أن السلم عملية بيع وشراء بين من يملك الثمن ، ومن يملك البيع عند حلول الأجل .. أما التأمين فلا وجه لأن نسميه بيعا ، ولا شراء ، اذ ليس موت انسان أو حياته من السلع التى يجرى فيها الأخذ والعطاء فى الأسواق وغير الاسواق بين محترفى التجارة وغير محترفيها .. فقياس عملية لا رائحة فيها لبيع ، على عملية هى من صميم البيوع ، أمر لا يقره منطق على أى حال

ولعل ما قدمنا كاف لبيان فساد قياس التأمين على السلم ، أو فساد دعوى حل التأمين المؤسسة على ذلك القياس .

*** وأما ذهاب الفتوى الى أن التامين حلال لأنه عقد مضاربة اسلامية ، فقد قيل فى توجيهه : ان المستأمن فى عقد التأمين لا يخرج عن كونه رجلا دفع الى جماعة مبلغا من المال ليتجروا به ، فلما استرد مبلغه ، استرده وفوقه نصيبه من الربح ، وتلك هى المضاربة التى شرعها الاسلام .**

ونرى أن من حق القارىء ، ومن حق المقام ، أن نعرض الصورة الصحيحة الكاملة للمضاربة التى شرعها الله ، فهى أن يدفع رجل الى رجل آخر مبلغا من المال ليتجر فيه ، على أن يكون الربح شركة بينهما بالنسبة التى يتفقان عليها ، ولصاحب المال النصف ، وللشريك المضارب النصف ـ مثلا ـ أو لصاحب المال الثلثان من الربح ، وللشريك الآخر الثلث ـ أو العكس ، أو غير ذلك من النسب التى يتفقان عليها .. فاذا لم تربح التجارة ولم تخسر ، فلصاحب المال ماله ، ولا شىء للآخر لأنه شريك فى الربح .. واذا خسرت التجارة ، فالخسارة على صاحب المال من رأس ماله ، ولا شىء للمضارب ..

فاذا تضمن العقد شرطا أن يدفع المضارب لصاحب رأس المال مبلغا معينا فوق رأس ماله اذا لم تربح الشركة ولم تخسر ، فهو شرط فاسد مخالف لأحكام المضاربة .. واذا شرط صاحب المال على المضارب أن يرد المال فى حالة الخسارة وفوقه مبلغ معين ، فهو أيضا فاسد ، مخالف لحكم المضاربة .. واذا شرط صاحب المال على الطرف الآخر أن يسترد مبلغه فى النهاية ، وفوقه مبلغ معين ، دون اعتبار لربح أو خسارة ، فهو ـ أيضا ـ شرط فاسد ، يلغى الشركة فى الربح .. وأى مبلغ يأخذه صاحب رأس المال من المضارب على أى شرط من الشروط السابقة فهو حرام ، لأنه من قبيل أكل أموال الناس بالباطل .

ذلك شأن المضاربة الاسلامية المشروعة ، فلننظر على ضوئه الى عقد التأمين .. ولنغض النظر عما فى هذا العقد من الغرر الذى ينص على انه اذا عاش المستأمن الى نهاية المدة فله كذا ، واذا مات قبلهما فله كذا ، ونحو ذلك مما لا يمت الى المضاربة بصلة .. فلنصرف النظر عن ذلك ولنحصره فى الصورة التى تقول : ان المستأمن ليس الا رجلا دفع ماله الى آخرين ليتجروا به ، وفى نهاية المدة أخذ مبلغه وفوقه نصيبه من الربح .. ولنسأل هل هذه الصورة هى صورة عقد التأمين ؟.. انها قطعا صورة غير صورته ، فان عقد التأمين يشترط ويلتزم لصاحب المال أن يسترد مبلغه فى نهاية المدة كاملا ، وفوقه مبلغ معين بصرف النظر عن ربح أو خسارة ، وذلك بين فى شروط عقد التأمين لا مراء فيه .. وهو الشرط الذى قلنا انه فاسد مبطل للشركة فى الربح ، مخالف لأحكام المضاربة المشروعة وبهذا تبطل الفتوى التى تحل التأمين على أنه عقد المضاربة التى شرعها الله ..

*** أما ذهاب الفتوى الى حل التامين على اعتبار أن الأصل فى المعاملات هو الحل ، فقبل أن نناقشه نذكر أن نص القاعدة هو : « الأصل فى الاشياء الاباحة ، حتى يدل الدليل على التحريم » .. وكلمة « الاشياء »**

في القـاعدة ، كلمة علمة المفهـوم ، يتعين مرادها بالرجوع الى المقـام الذى أوردها السيوطى فيه من كتابة الاشباه والنظائر ، وهو مقام يدل - بأحاديثه وأمثلته - على أن المراد هو المواد المحسة التى يطعمها الانسان ويشربها ، ويلبسها ، ويستعملها ، ويصنعها ليرتفق بها ، فثمت سؤال عن الجبن ، والسمن والغراء .. وثم بعض ما يشكل على العلماء من مثل حل أو حـرمة أكل لحم الزراف ، وحل وحـرمة أكل النبـات الذى لا يعـرف اسمه ، وحل وحـرمة أكل الحيـوان الذى يشكل حاله .. الخ .. والأشياء على هـذا المعنى الخاص ، غير « المعـاملات » التى هى مظهر تفاعل أفراد المجتمع بعضهم مع بعض وقد يكون مما له مغزى فى هذه التفرقة أن السيوطى نفسه أورد بعـد قاعدة « الأصـل فى الأشياء الاباحة » قاعدة أخرى تقول : ان « الأصل فى الأبضاع التحريم » ، والأبضـاع - أى الفروج - من الأمـور ذات الصلة بالتنظيم الاجتماعى ، فلو كانت كلمة «الاشياء» عامة فيما تقوم به حياة الانسان فى خاصة نفسه ، وفيما تقوم به علاقته بسواه اجتماعيا واقتصاديا ، لكانت الأبضـاع مندرجة فى مفهومها لأنها أشياء ، ولكان الأصل فى الابضاع الاباحة لا التحريم ..

ومع هذا خالفها أبو حنيفة بضدها اذ قال : « الأصل فى الأشياء التحريم ، حتى يدل الدليل على الاباحة »

نقول هـذا من قبيـل مناقشـة مدلول القاعدة ، ليتسع مجال نظر القارىء اليها ، ولا نريد به اثارة جدل ما حول ما تتضمنه من مفهومات ، وما لا تتضمنه ، فلتكن كلمة « الأشياء » شاملة لحقيقة «المعاملات» ، بل فليكن نص القاعدة نفسها هو « الأصـل فى المعاملات الاباحة » ، ولنسلم مع ذلك - جدلا بأن القاعدة موضع اجماع الأئمة ، ولا خلاف حولها ، فان القاعد - بعد فرض هذا كله - تقضى بتحريم التأمين ، لا بتحليله ، فانهـا ذات مفهومين واضحين ، لا خفاء فى دلالتهما عليهما : الأول ، أن الأصل فى الأشياء ، أو المعاملات الاباحة ، مـا لم يدلّ دليـلّ علىّ التحريم .. والمفهوم الثانى ، أن الدليل اذا دل على حرمة شىء من تلك المباحات فهو حرام ... وهذا التأمين يتضمن أمـرين - لا أمرا واحدا - قام الدليل على تحريم كل منهما على حدته : الربا ، والغرر ، فهو بهما ، أبعد من أن يقال فيه : انه قائم على أصل الحل ، فان الربا وحدة كبيرة تسلكه فى أغلظ المحرمات فكيف بالربا والغرر مجتمعين ؟!

* واما ذهاب الفتوى الى أن التأمين حلال، لأن ما يدفعه المستأمن للشركة يعتبر قرضا، وأن المبلغ الذى يأخذه فى نهـاية المدة فـوق مبلغه ، انما هو « تبرع » تدفعه له الشركة مما ربحته من مـاله ، ومعـروف أن التبرع مشروع لا جدال فى حله .. ذهاب الفتوى الى ذلك مردود بأن « حقيقة عملية التأمين » غير « حقيقة عملية القرض » ، وأن المستأمن لم يدر بباله ، ولا ببال الشركة أن المبلغ الذى يدفع انما يدفع على سبيل القرض ، وعقـد التأمين نفسه ، شكل شروطه والتزاماته ينفى حقيقة القرض ظاهرا ، ونيته باطنا نفيـا باتا والاسلام يقول : انما الاعمـال بالنيات .. فمن الوجهـة المدنية ، والوجهة الاسلامية ، لا يعتبر التأمين قرضا على أى حال .. ومع ذلك فلنسلم - جدلا - أن التـأمين قرض ، فانه ليس للمستأمن - أى المقرض - الا أن يأخذ مبلغـه فحسب ، وليس له شرعـا ان يأخذ أى مبلغ فوقه ، لأن الاسـلام يقرر : أن كل قرض جر نفعـا فهو حـرام .. فاذا قالوا : ان المبلغ الزائد انما تدفعه الشركةعلى سبيل التبرع ، فهوقولمنقوض ، لأن الشركة انما تدفع المبلغ لا على سـبيل التبرع ، بل تدفعه تنفيـذا لالتزام يلزمها به العقـد فى بعض شروطه ، والالزام يتنافى مع التبرع ، فلا يبقى معنا الا صورة القرض الذى جر نفعا وهو عين الربا الذى حرمه الاسلام .

وأما ذهاب الفتوى الى أن التأمين حلال ، لأنه تكافل اجتماعى يتعـاون به الأفراد فى السراء والضراء ، اذ تكفل الشركة للمستأمن دفع مبلغ التأمين كاملا - عنـد الوفاة - ولو لم يدفع الا قسطا واحدا - تدفعه الى ذرية

الضعفاء الذين يخاف عليهم العوز من بعده ، فيجدون فى المبلغ سداد حاجتهم ، وقوام عيشهم .. ذهاب الفتوى الى ذلك على هذا التوجيه غير صحيح .. فالتكافل الاجتماعى فريضة فرضها الله تعالى ، لأنه ألقى حقيقتها فى فطرة كل انسان ، وجعلها احدى مقومات المجتمع الفاضل ، فالانسان – بدون تكافل – يحس فى فطرته قلقا أزليا عميقا يدعوه الى التماس الطمأنينة على نفسه ، وعلى من يعول ، وعلى مركزه المالى ، ففرض الله تلك الفريضة لمواجهة ذلك القلق وعلاجه أفضل علاج ليفرغ المرء لرسالته العليا وغايته الأصيلة : عبادة الله تعالى ، وفعل الخير ابتغاء وجهه ومثوبة الآخرة .. فماذا فى التأمين من حقيقة ذلك التكافل ؟

ان المستأمن – بمقتضى عقد التأمين – اذا طرأت عليه ظروف عجز معها عن مواصلة دفع أقساط المبلغ المؤمن به – كأن فصل من عمله ، أو مرض مرضا طويلا ، أو لحقته عاهة أعجزته عن العمل ، أو نحو ذلك – فان الشركة « تصفى » حسابه ، وتقطع علاقتها به ، فماذا فى هذا العمل من حقيقة التكافل والرعاية فى السراء والضراء ؟ .. واذا كان ذلك يعنى التكافل ، فماذا تكون حقيقة التنكر والكنود ؟ ذلك الى أن الصورة التى عرضتها الفتوى لتنتحل بها للتأمين صفة التكافل الاجتماعى ، لا تمت للتكافل بصلة . فان الكفالة تعنى رعاية الذرية الضعيفة فى جميع أمرهم حتى يكبروا ويغنيهم الله من فضله ، اما أن تعطيهم الشركة مبلغا ، ثم تدعهم ، فلا تدرى ما هو صانع لهم ، ولا ماهم صانعون به ، وقد ينفد وهم صغار فيتعرضون للعوز والمضيعة ، فان ذلك فى مفهوم اللغة وفى حقائق الأمور لا يقال له كفالة ، بل هو أمر آخر .. فاذا انتفى أنه كفالة فمن الأولى أن ينتفى أنه تكافل ، لأن التكافل تفاعل بين طرفين يكفل كل منها الآخر على أصح مدلول الكفالة بين المتكافلين ..

هذا والمعروف أن التكافل «عمل انسانى» محض ، يقترن بعاطفة نبيلة ، ولا ينظر فيه القائمون به الا الى مرضاة الله ، وما يجدون فى نفوسهم من ارتياح وغبطة .. اما التأمين فانه « عمل مالى » محض ، يتحرى القائمون به عامل الربح وحده ، ويتبعونه أينما وجد ، ولا دخل فيه لعامل المروءة والأريحية ، اذ لا ينظر أحدهم الا الى ما يود عليه خاصة من كسب .. فادعاء أن التأمين تكافل اجتماعى ادعاء لا يعبأ بالتفرقة بين حقائق الاشياء ، اذ يخلط العمل الانسانى المحض بالعمل المالى المحض على ما بينهما من خلاف شاسع فى « طبيعة » الموضوع ، وعلاقة العاطفة ، وهو أمر لا تقوم به فتوى ، ولا يصح عليه حال.. على أن النظر الذى يعتبر التكافل عملية مالية يقوم بها التأمين ، هو نظر وثنى ، يجرد الأعمال النبيلة من أشرف بواعثها المتصلة بالله وفطرة الخير فى نفس كل آدمى ، ليجعلها سلعة فى الأسواق يتحدد سوقها بمدى ما يجد فيها طالب المال من ربح ، وهو مسخ للفطرة الانسانية قبل أن يكون مسخا لعمل الخير ، وما ظنك بسمسار يمعن فى مسخ الخير ، حتى يقول لمن يعرض نفسه عليه : ان كانت سنك كذا ، كلفتك بكذا ، وان كانت كذا ، فلك كذا .. أى ان كانت سنك عشرين – مثلا – فقيمتك عالية ، وان كانت أربعين فقيمتك أقل .. وان كانت صحتك جيدة ، فأنت مقبول ، وان كانت دون ذلك ، فسعرك زهيد ، أو لا مكان لك عندنا ، الى نحو ذلك من ضروب المساومة التى تزرى بالخير وبكل قيمة شريفة للانسان .. ولقد حرم الله على المرء أن يفعل الخير رياء الناس ، فكيف يجعله تجارة تتداولها الأسواق ، ويجرى وراءها من لا يملأ عينه الا التراب ؟! وننتهى من كل ما قدمنا الى نتيجة لا يجيز المنطق سواها هى أن التأمين لا يمت الى التكافل الذى تعرفه اللغة ، والخلق ، والدين بصلة ما ..

وبعد ، فما حقيقة التكافل الذى شرعه الاسلام ؟.. وما موقف الاسلام من التأمين التى تزاوله الجمهورية العربية المتحدة الآن ؟ ذلك ما سنجيب عنه – ان شاء الله – فى العدد القادم .

نحن نبنى مجتمعنا بالعلم وبالاخلاق

من خطبة السيد الرئيس بجامعة الاسكندرية فى ٢٨ يوليو ١٩٦٣

موقف الإسلام إزاء العلوم الحديثة

الدكتور محمد غلاب

سنعالج فى هذه الكلمة أيضا دراسة علائق الاسلام بالعلم الحديث • وقبل أن نخوض فى تفاصيل هذه الدراسة ، يجب أن نعيد الى الأذهان تلك العبارة الحكيمة التى نطق بها المندوب الكردى فى المؤتمر الاسلامى الأول منذ أكثر من ستين عاما ، والتى سجلناها فى الكلمة السالفة والتى يقول فيها : « ان السبب الأسيف فى ضعف العالم الاسلامى بل ان منشأ الشر كله هو أن علماء الاسلام قد ضيقوا آفاقهم بتصرفاتهم الجامدة ، وحصروا انفسهم فى نطاق العلوم الدينية ، وجزئية صغيرة من العلوم الرياضية ، ونبذوا الجانب الأكبر من تلك العلوم الرياضية، وجميع العلوم الطبيعية، وان آثار العلماء الذين كانوا يعنون بتلك المعارف فى عهد العظمة الاسلامية قد فقدت ، وأن المتنطعين والمتعصبين قد محوا منتجات اسلافهم الأجلاء خاضعين لتلك القاعدة الشهيرة وهى : « الناس أعداء ما جهلوا » ••

وليس هذا فحسب ، بل لو أراد أحد اليوم العناية بتلك المنتجات العالية القيمة ، لحكم عليه أولئك المتعصبون بأنه فاسق أو زنديق • ومع ذلك فان هذه العلوم هى التى أخذها الغرب عن المسلمين • وانها هى التى نمت لدى الغربيين وأنتجت تلك الثمار الباهرة فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والعلمية ، وهى التى صيرتهم شموس المدنية الحاضرة ، بينما أن المسلمين الذين هجروها قد انحدروا الى الدركة الدنيا اذا قيسوا بالغربيين فى الصناعة والزراعة الآلية والفن والتربية والأدب وسياسة الحكم ، وما ذلك الا لأنهم - بهجر تلك العلوم - قد ابتعدوا عن الروح الحقيقية لدينهم الحنيف » •

ونحن نجزم بأن هذا هو أحد الأسباب التى تضافرت على قهقرة الأمم الاسلامية حتى سبقها غيرها بأشواط طويلة ومراحل بعيدة كما نجزم بأن الاسلام فى مبدأ شبابه كان - بوساطة الدفع القرآنى والوثوب النبوى - بريئا أتم البراءة وأكملها من رذيلة الجهل ، بل ان التأمل فيما كانت عليه حالة المسلمين

فى القرون الأولى للهجرة يبعث على الاعجاب ، بل يسحر الألباب ، اذ أن حرارة الايمان وحماسة العقيدة والنهم فى العلم ، والشغف بالاطلاع ، والنشاط العقلى كانت متضافرة متكاتفة كأنها « البنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » . وكان المسلمون فى تلك العصور الذهبية يتلألأون فى العلوم السماوية ، ويلمعون فى المعارف الأرضية ، وكان اعلامهم البارزون يسطعون سطوع المنارات فينشرون الضوء فى كل مكان ، ويشيعون النور فى كل صقع من وطنهم . ومن البلاد التى شرفوها بفتوحاتهم العادلة الفائضة بالرحمة والنزاهة والانقاذ . ولقد تنبه المهيمنون على أزمة الأمور فى الأمة العربية منذ فجر الاسلام الى خطورة العلم ووجوب جعله أساسا رئيسيا لكيان الدول التى تريد أن تحيا كريمة عزيزة . ثم نظروا فى تعاليم دينهم فوجدوها كلها متفقة على هذا المبدأ التأسيسى فتشبثوا به وعضوا عليه بالنواجذ ، فأنشأوا أعظم نهضة علمية وأدبية عرفها تاريخ الانسانية .

سار الخلفاء الراشدون على هذا المبدأ الحكيم الرفيع وتبعهم فيه الأمويون ثم العباسيون والأندلسيون فترجموا حكمة الهنود وفلسفة الاغريق وعلومهم الرياضة والفلكية والطبيعية والكيميائية والطبية وفهموها فهما دقيقا ، وهضموها هضما حقيقيا ووجهوها توجيها مستقيما ، وعلقوا عليها تعليقات رشيدة مفيدة . وجددوا فيهاتجديداتأساسية نافعةوبالاجمال كانوا يتناولون المنتجات الانسانية فى عصرهم بالترجمة واصلاح الأخطاء والتقويم، ويتقدمون نحو الكمال بالمبادىء العلميةالتى يلتقون بهافى الأصقاع التى يفتحونها والتى يستقدمونها من البقاع التى نشأت فيها دون تعصب أو تحيز أو ضيق بما يخالفهم فى الرأى أو يباينهم فى الاعتقاد . وكانوا يشيدون المراصد، ويقيسون الأبعاد ويتعمقون فى دراسة أصول الحياة ووظائف الأعضاء ، ويحملون الى أوربا البربرية نتائج أبحاثهم وتعليقاتهم ، وينقلون اليها علوم : مصر والهند واغريقا وفارس بعد تنقيتها من ادرانها وازالة ظلمتها وغموضها ومنحها الأضواء الضرورية لانارة السبل أمام الذين كانوا يعيشون فى الجهالة، ويحيون فى الغابة ، ويتخبطون فى الظلمات ، والذين عرفوا بعد ذلك كيف يستثمرون هذه المنتجات ، ويستغلون تلك الجهود لأنفسهم ولمواطنيهم ، بل عرفوا كيف يستخدمونها فى استذلال أساتذتهم من المسلمين الذين أنقذوهم من الظلمات الى النور ، ولكن التبعة ليست على أولئك الذين حملهم العقوق على انكار الجميل ومقابلة الاحسان بالاساءة ، وانما هى واقعة على هؤلاء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وغفلوا عن مبادىء دينهم فألبسهم الله لبـاس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

وأيا ما كان ، فقد اينعت رسالة الاسلام التى أداها المؤمنون الأولون خير تأدية فى أوطانهم ثم نقلوها الى الغرب فأخصبت وآتت أكلها فى تلك الربوع بعد أن أصبح الشرق راكدا يغط فى نوم عميق كان من نتائجه الحتمية أن يهوى فى العبودية ويظل يرزح تحت نيرها الثقيل حتى عادت النهضة الاسلامية سيرتها الأولى ، لأن كل شعب من الشعوب الاسلامية يحتوى - والحمد لله - على عناصر القوة الكامنة فى رجال أعزاء يدركون منزلتهم الحقيقية فى أممهم ويعرفون رسالاتهم أكمل المعرفة ويقدرون واجباتهم حق قدرها ، ويشعرون بالظروف المحيطة بهم أدق الشعور ، ويميزون الأسس التى تصلح وحدها لأن تبنى عليها النهضات والتى بغيرها لاتنتج النتائج المقصودة منها .

ولحسن الحظ أيقن رجال ثورتنا المباركة - وعلى رأسهم السيد الرئيس جمال عبد الناصر - بحقية هذا المبدأ ، والايمان بأنه القبس الذى تتفجر منه جميع أضواء الحياة الكريمة وأنوارها المرشدة الى الهدى والمنتهية الى الفوز والنجاح ، فجعلوا يبذلون الجهود الجبارة ، وينفقون المال رخيصا هينا فى سبيل انعاش حركة التعليم ونشر الكتب الثقافية بين أفراد الشعب وطوائفه ، وانشاء المدارس الكثيرة العدد فى المدن وعلى هوامش القرى لكى تكون رمزا حقيقيا ساطعا ناطقا بمجهودات رجال هذا العهد ، معبرا عن عقلياتهم ونفسياتهم وأذواقهم الرفيعة الممثلة فى جمال هذهالمدارس

ورشاقتها التى نستطيع أن نباهى بها دول الغرب فى العصر الراهن • ولكى يسجل الرئيس أن نهضة الثورة قائمة على العلم قبل كل شىء أعلن بلا مواربة ولا تردد فى احدى خطبه الحديثة فى جامعة الاسكندرية « اننا نبنى مجتمعنا بالعلم وبالأخلاق » ••

وليس هذا فحسب ، بل ان أولئك القادة الأقوياء ، المؤمنين يدركون أن نهضات الأمم الاسلامية لا بد لها من استعادة شباب الاسلام الأول ومجده التليد ، فيبذلون جهودا جبارة فى احياء تراثه والاسترشاد بنوره دون أن يبالوا بمثيلات تلك الحملة المنافقة التى شنها علينا بعض الغادرين ، لالشىء الا اننا نسترشد بهدى الاسلام والتى رد عليها رئيس جمهوريتنا ذلك الرد الخالد الجليل الذى يعلن فى صراحة قاطعة حازمة أننا نتشرف بهذا الاسترشاد •

غير أننا ـ لكى نحقق هذه البغية العالية من نهضتنا ـ يجب أن نتتبع ذلك الطريق القويم الذى سلكه أسلافنا الأجلاء فى تعهد الحركة العلمية وتغذيتها بعصارة القلوب وخلاصة العقول ، وأن نتخذ قدوتنا من بين أولئك الأماجد الذين عرفوا منذ فجر الاسلام أن عظمة الدين لا تتركز فى الاقتصار على العلوم الدينية وتفاسيرها وتأويلاتها واستنباط الأحكام الشرعية من الآيات والأحاديث فحسب، ولكنها تتمثل قبل كل شىء ، فى تحقيق غايته العليا التى هى الاصلاح والتنظيم اللذان أشرنا اليهما فى الكلمة السالفة ، وهذا يتطلب من صفوة المسلمين أن يكونوا على رأس الحركة العلمية العالمية ما دام أن العلوم هى التى تقوم بشرح نواميس الكون وأسرار الطبيعة •

ولقد تنبه المغفور له الأستاذ طنطاوى جوهرى الى هذه الحقيقة المرة الأليمة التى سجلها المندوب الكردى فى المؤتمر وهى أن جهل المسلمين بالعلوم الكونية قد جعل العالم الاسلامى يتقهقر وينحدر وينزل عن مكانة الصدارة للغرب • ومن ثم فقد جعل يبذل جهودا مقدرة مشكورة فى حمل المسلمين على الاستزادة من العلوم الكونية والتضلع فيها بعد أن برهن لهم على أن روح الاسلام تتطلب منهم هذا ، بل توجبه عليهم • وأن هذه هى الوسيلة المثلى التى تضمن عودة الاسلام الى مجده الأول وقوته الفطرية • وقد أمعن فى هذا المجهود فراح يعلن أن القرآن قد اشتمل على سبعمائة وخمسين آية تحث على دراسة عجائب الطبيعة وتأمر من قريب أو من بعيد بالنظر « فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء » •

وأخيرا ينتهى من هذه الدراسة العميقة بأن سمو الاسلام على غيره من الأديان الأخر يبدو فى أنه يأمر بالعلم والنظر والتأمل ويحض عليها فى عناية وشدة، بينما أن الاديان الأخر تكتفى بأن تجيزها وأن تسمح بها ، أو الا تعترض على وجودها •

بيد أن هذه النتيجة المزهرة التى نود الانتهاء اليها من دراسة تلك العلوم الحديثة ، والتى نجزم بأن العالم الاسلامى يظفر عن طريقها بالصدارة المقبلة كما كانت له الصدارة السالفة ليس معناها أن العلوم العملية والميكانيكية يجب أن تكون لها المنزلة الاولى فى حياتنا الثقافية ، أو ينبغى أن تصبح هى الغاية المرموقة من جهودنا العقلية ، والا لكان ذلك قلبا للأوضاع التى نبغيها ، وعكسا للأهداف التى نرنو اليها ، والتى تمنح الأولية دائما للتأملات الفلسفية والمبادىء الخلقية •

وينبغى الا يفوتناهنا أن نعلن أن العلم بطبيعته لا ينفعل ولا يتأثر ، وهو من هذه الحيثية يتعارض مع الطابع الانسانى الذى تتميز به الفلسفة التى تجابه كل شىء من وجهة علائق الانسان بالانسان • ومعنى هذا أن الفلسفة مجهود يبذل للعثور على كل ما هو انسانى فى الكون ، وبالتالى يجب أن ترفرف بأجنحتها على كل شىء وأن تكون ممثلة فى كل موضع ،وهذا المرمى هو الذى يقصده الأستاذ « أبيل ريه » فى كتابه « الفلسفة الحديثة » حين يلاحظ أن عظماء الفلاسفة بوجه عام كانوا علماء يشار اليهم بالبنان ، وأن أماجد العلماء لم يترفعوا عن أن يفلسفوا ••• ان أولى مهمات الفلسفة المتفق عليها اليوم من كل الذين يجمع الرأى العام على أنهم أساتذة العقل المعاصر هى « أفكرة العلم » أى مزجه بالفكر النظرى أو الفلسفى •

ومما لاريب فيه ان هذه العبارة الشائقة تسمح لنا بأن نفهم مخاوف العالم الذرى الأمريكى الكبير « فيليب أوبينهيمير » الذى يقرر فى سنة ١٩٥٨ : « أن الحقيقة البشرية لا تتعلق بالعلم بل بالحكمة ٠٠ حقا ان الانسانية لم يعد لديها أية نظرية عن معنى الحياة ، اذ أن معارفنا العلمية تتضاعف فى كل عشرة أعوام ، ولكن جهلنا بالفلسفة ينمو بهذا المقدار أيضا ، فنحن لم تعد لدينا رغبة فى معرفة الانسان ، وحياة العقل أصبحت لاتشوق أحدا ، بينما حياة العلم المادى صارت هى الغاية٠ ان مدنيتنا قد أمست فظيعة ، لأننا لا نعرف فيم نستعمل قوتنا ٠ واذن فنحن فى حاجة الى فلاسفة » ٠

ولاريب أن هذه الشكوى الصارخةالصادرة عن هذا العالم الطبيعى الأمريكى تعبر تعبيرا واضحا صادقا عن روح الاسلام ومبادئه التأسيسية التى تنادى فى كل كلمة من كلماتها بأن العلم الطبيعى ليس غاية للانسانية ، بل هو وسيلة من وسائل اسعادها وتقدمها نحو الكمال الثقافى والخلقى ، وأن المدنية المؤسسة على الدعائم المادية والقوة الوحشية ، مآلها الى الزوال العاجل والفناء السريع ٠

وفى الحق أن العلوم الطبيعية فى مجموعها تمثل مظهرين متباينين من حيثيتين مختلفتين، أولهما نظرى ، وظيفته شرح أسرار الكون وارضاء حاجات العقل البشرى الى المعرفة البريئة ، وثانيهما عملى، هدفه اشباع الحاجات المادية للانسان ودور الاسلام بازاء هذا المظهر العملى هو كبح جماح طغيانه الذى يرعب ذلك العالم الذرى الأمريكى ، ويملأ قلبه بالفزع والانزعاج ٠

والعلم الطبيعى من حيثيته الأولى النظرية ، يدخل فى محيط الثقافة الرفيعة التى تسترشد بنور الفلسفة ٠ ولا ريب أن هذه الثقافة العالية هى التى تضمن الصدارة والأولية للأمم التى تنمو فيها ، وهى لا تنمو الا بمقدار التوسع فى التعليم العالى ٠ ومن ثم فان تلك اللفتة الكريمة التى بدت من السيد رئيس الجمهورية فى هذه الآونة الحاضرة نحو التعليم العالى ، قد وضعته فى منزلته الحقيقية السامية ، اذ أنه عندما نطق بهذا التوجيه الحكيم فى محيط التعليم العالى فأيقظ فى تلك البيئة كل نائم ٠ ونبه كل غافل ، وأرشد قادتها الى أن الأمم لا تسمو ولا تتفوق على غيرها الا اذا اتسع فيها نطاق التعليم العالى الى أبعد الحدود الممكنة ٠ عند ذلك أحسست كأنى انغمست فى بحر عميق من التأمل ٠ وسرعان ما تداعت المعانى فى ذهنى ، وازدحمت فى عقلى ، فتاملت مليا فى سعادة الشعوب التى تفيض لها السماء من أبنائها رجالا ذوى عقول ممتازة وأفكار مستنيرة ، وآراء ثاقبة ، وعزائم فولاذية ، وارادات حازمة يرشدون نهضاتنا الى الخير ويأخذون بأيديها الى الرفعة حتى يحلوها فى المنزلة التى يغبطها عليها غيرها من الأمم الأخرى ٠ وبينما أنا على هذا النحو من الثمل اذ دار بخلدى أحد أسماء أولئك الأفذار التاريخيين الذين اقتادوا أممهم الى أسمى أوج الثقافة والعرفان ، اتدرى من هو ذلك البطل الذى نقلتنا الى عصره لفتة الرئيس جمال عبد الناصر العملاقية الى العناية بالتعليم العالى٠ ودفعتنا الى التأمل فىذكريات ما أداه الى التعليم العالى فى بلاده من مكرمات خالدة ، ذلك الرجل هو « جول فيرى » الذى كان أعظم رجال حكومة الجمهورية الفرنسية الثالثة فى القرن التاسع عشر ، والذى كان له أكبر الأثر فى مصيرها الثقافى لان الدولة الفرنسية كلها مدينة لهذا الوزير الخالد بصدارتها العقلية وسطوعها الثقافى الذى يعترف لها به العدو قبل الصديق ٠ ولم لا ؟ ألم يقف جول فيرى فى أبريل من سنة ١٨٧٠ ابان الحرب السبعينية الطاحنة التى اشتعل أوارها بينها وبين ألمانيا ، وكادت تأتى فيها على الأخضر واليابس ، ثم يرفع الصوت قائلا : « اننى اخترت من بين جميع مشاكل العصر الحاضر مشكلة واحدة أريد أن أهبها كل ما لدى من قلب وعقل وقوة معنوية ومادية ، وهى مشكلة تربية الشعب ٠

لم يكن هذا من جانبه قول عابث ، ولا تعبير لاه ، بل كان عزما صارما ، وتصميما قاطعا ٠ اذ قد خصص جميع قواه ومواهبه لقضية التعليم ، ولم يقتصر كغيره من رجال الحكومات السابقة على التعليم الأولى اجبارى ، بل بذل كل ما فى وسعه من جهود لنشر التعليم العالى ٠

ولم يكترث جول فيرى بتلك الفكرة الخاطئه التى كانت تسود عقول رجال السياسة فى عصره ، وهى فكرة محو الأمية من الشعب ، بل اليه يرجع الفضل فى هدفها ، اذ أعلن أنه لا يؤمن بعقيدة الاقتصار على تلك الفكرة الساذجة التى ترفع من شأن الكتابة والقراءة ومعرفة الأرقام فحسب » ..

أجل انه كان يعرف أن التعليم الابتدائى والعملى هما الخطوة الأولى الضرورية لاحتفاظ الأمة بمنزلتها فى صفوف الكفاح الاقتصادى بين الأمم ، ولكنه يعلم علم اليقين « أن الأمة لا تستطيع أن تظفر بالصدارة الا عن طريق التعليم العالى والأخذ منه بنصيب موفور ، وهذا لا يتيسر الا اذا أحيطت الجامعات بالعناية الفائقة . وتلك العناية هى التى تبينت لنا صورتها من خلال لفتة الرئيس جمال عبد الناصر ، اذ أن اليوم الذى تتخلى فيه أمة من الأمم عن منزلة الصدارة الفكرية ، وتكتفى بأن تحصر نفسها فى دائرة الأوليات العملية النفعية هو أول يوم من أيام انحدارها وهويها .

وهكذا قهرت تلك الارادة الحديدية أنصار تضييق التعليم العالى ، وتخطت حواجز الأزمات المالية التى سببتها هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية ، اذ اتخذ ذلك الوزير العظيم شعاره الدائم تلك العبارة الخالدة وهى « انى أقبل الاقتصاد فى كل شأن من شؤون الحياة ما عدا شؤون التعليم .

وبهذا المبدأ استطاع أن ينفذ برنامجه بحذافيره ، فأسس أو أيد الكليات فى أهم المدن الفرنسية ، وأنشأ الكراسى لكثير من أنواع المعرفة ، وأوجد المعامل العصرية ، وبعث البعثات العلمية والأدبية وبذل جهده فى تحسين حالات الأساتذة ، وعمل على احياء تراث الأقدمين ، ورفع من شأن الفن والفنانين، وأعلن رأيه فى أن التعليم العالى هو فى مقدمة اهتمامه وعنايته ، فكان بمثابة حجر الزاوية فى رفع منزلة فرنسا وفوزها بالصدارة العقلية من بين أمم العصر الحديث ، وجعلها مصدرا هاما من مصادر الاشعاع الفكرى رغم ما توالى عليها من كوارث الحروب فى الحقبة الأخيرة . والفضل فى هذا راجع الى تأسيس ذلك الوزير الخالد .

هذه هى المعانى التى ازدحمت فى خاطرى عند ما كنت أقرأ توجيهات السيد رئيس الجمهورية الخاصة بالجامعات فأشعر بأن أمنيتنا الثقافية القديمة قد جعلت تخطو الى التحقق خطوات واسعة ، وأن مركز الاشعاع الثقافى المصرى الذى أخذ ـ منذ الأعوام الأولى لثورتنا المباركة ـ يسطع فى جميع جوانب الأصقاع الناطقة بالضاد وغيرها من البلاد الاسلامية سيستمر وينمو ويظفر فى الشرق باللألاء الذى ظفرت به فرنسا فى الغرب .

((بقية مقال الرأى العام))

((بقية مقال الرأى العام))

الجماعة فى أحوالها المختلفة ، وهم متفقون على ضرورة وجوده للجماعة . ويعبر عن ذلك الغزالى الفيلسوف الفقيه فى كتابه الاحياء فيقول « **ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الاعظم فى الدين . وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين ولو طوى بساطه . وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة . واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد وانسع الخرق وخربت البلاد ، وهلك العباد** »

ولعل انسب الوسائل لمباشرة الرأى العام وظيفته فى ظلال الحضارات الراهنة هى وسيلة النصح الهادىء والاعتماد على الحجة والمنطق والاقناع ، أما الركون الى العنف والتعصب للرأى العام فانه يفضى الى نتائج سيئة والى ضد مايراد به ، والاعتماد على وسيلة النصح هو دستور القرآن الملخص فى قوله تعالى : **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** » .

الإسلام بين العقل والنقل

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم » البقرة ١٢٥ .

بهذا يعلمنا الله عز وجل معاشر المسلمين ، أن الله أوسع وأشمل وأعلا من كل شيء تراه أو يخطر على بالناء ولذا يعرفنا أن طى يمينه المشرق والمغرب ، وأينما يولى الانسان بعقله أو ببصيرته فثم وجه الله ، يواجهه احاطة وعلما ، وأينما يولى بصره أو يوجه بقية حواسه ، فثم فعل الله يواجهه أيضا ، وبما أنه مبدع كل شيء ، فكل شيء نسبى يحيط هو به فى مجده وملكوته ولايحيط به شيء من خلقه كالعقل وغيره الا أنه الكلى وكل جزئى من فعله ، والجزء لا يحيط بالكل ضرورة ، وما ذلك الا لأن الله واسع عليم ، ولا يعلم عن الله حقيقة بعض العلم ، سوى كائن واحد هو القلب .

فحقيقة الايمان فى شرعة الاسلام أن يطمئن قلب المسلم بما جاء به فى الشرع الشريف كتابا وسنة ، كالتوحيد والتنزيه وبقية أحكام الاسلام على أن يصدق بجميع ذلك تصديقا شهوديا كأنه يرى وكما جاء فى الحديث ، تصديقا يباشر الروح والفؤاد ولو خالف ادراكه المحدود وحسه القاصر ، الذى كثيرا ما يغلب عليه الخطأ ، بحيث لو خالفه كل أهل العالم فى عقيدته تلك ، لا يجد فى نفسه شكا أو ريبا ، وتلك هى شرعة الاسلام والايمان ، ثم العمل لله على وجه الاخلاص واليقين ، ومراقبته فى كل صغيرة وكبيرة ، والحياء منه والتحبب اليه ، وذلك هو الاحسان .

ومعنى هذا أن الاسلام علم واعتقاد وعمل ، ومن مقتضياته أن العمل لا يصلح الا بعلم والأصل فيه النية ، ولا تصلح النية الا بالاعتقاد ، ولا يصلح الاعتقاد الا اذا كان عن ايمان صادق ، مشمول بمراقبة الكتاب والسنة .

وتفصيل المعتقد الاسلامى فى مجموعه كما يأتى :

أن يعتقد المسلم المؤمن ، أن الله هو الحى الذى لايموت والدائم الذى لا يفنى ، وهو القيوم الذى لا ينام والمنيع الذى لا يضام والعزيز الذى لا يرام ، وهو المحصى لأنفاس الخلائق والمنزه عن الاضافات والعلائق ، القائم على كل نفس بماكسبت المجزى كل نسمة بما فعلت « لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا (مريم ٩٤ ، ٩٥) « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى » (النجم ٣١) وانه سبحانه وتعالى واحد فى ذاته وصفاته لا شريك له ، فرد لا مثل له ، قديم لا أول له ، أزلى لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبدى لا نهاية له ، قيوم بلا انقطاع ودائم بلا انصرام ، لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الكمال ، وليست صفاته خارجة عن ذاته ولا هى شيئا سواها ينفصل عنها أو يتصل بها ، فهو فى ذاته وصفاته منزه عن الحلول والاتحاد والاتصال والانفصال ، لا جسم له ولا يشبه الأجسام ، فلا يشبهه موجود من الموجودات ولا يماثله قط معبود من المعبودات .

ليس كمثله ولا هو مثل شيء ، لا يحده المقدار ولاتحويه الاقدار ، ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارضون ، والسموات ، لا تتصوره الأوهام ولا تصل الى كنهه الأفهام ولا تقدره الأذهان لانه أعلا من كل ذلك وأسما ، فلا يعرف الله الا بالله . ومعنى هذا أنه لا يعرف الله الا الله لأنه الواسع العليم و « ماقدروا الله حق قدره » (الانعام : ٩١) .

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد
الا على أكمه لا يبصر القمر

لكن بطنت بما أظهرت محتجبا
فكيف يعرف من بالعرف قد ستر

فهو فرد معبود أبدى الملكوت سرمدى الجبروت ، عليم بذات الصدور وبيده مقاليد الامور ، لا مؤخر لما قدم ولا مقدم لما أخر ، ولا معقب لحكمه ولا راد لأمره ، ولا دافع لمشيئته ولا مصادر لفعله ، كل الخليقة مفتقرة اليه وهو الذى يجير ولا يجار عليه ، لا شريك له فى تدبير ملكه ولا معين ولا وزير ، ولا ظهير ولاندولاضد .

عادل فى حكمه وقضائه ، محسن متفضل فى جوده وعطائه ، حليم لا يعجل وجواد لا يبخل ، حفيظ لا ينسى ويقظان لا يسهو ولا يغفل ، وهو الذى أضحك وأبكى ، وأسعد وأشقى ، وأفقر وأغنى وله سبحانه وتعالى الآخرة والأولى .

ومن صح اسلامه يعتقد أن الله سبحانه وتعالى متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقص ، جائز فى حقه فعل كل ممكن أو تركه ، لهذا وذاك وجب له كل كمال ولا يجب عليه شيء من خصائص الكائنات لان الكائنات من ابداعه ووجودها متأخر عن وجوده ، وهى نسبية ، أما هو فحقيقة كاملة ذات أسماء ونعوت لا تحصى .

ومعنى ما نريده من القول اجمالا : أن كل ما خطر ببالك ، فالله بخلاف ذلك . وهو انما يعرف بالقلب والروح فقط كما قدمنا ، معرفة غير محدودة بحيز من الزمان والمكان ، فلا يناله الحس ولا يحتوى كنهه العقل .

وفى معنى شمول العقيدة يقول سبحانه وتعالى « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » (٣) .

وهذه العمومية وتلك الاحاطة ، مصدرها الوحدانية لله دون شك ودون شريك أو مثيل . وقد أشار تعالى الى هذا المعنى فى القرآن ، ليلفت الأذهان الى الخطأ الناشىء من التعصب والتحزب وعبادة الله ، بقوله تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون (٤) .

فالاسلام اذن هو دين الله الذى أسلم له من فى السموات والأرض من محسوس ومعقول ومن حسن وعقل ، وهو بعد ذلك بعد هذا الامر الوحيد « أى التوحيد

المطلق) يحث متبعيه على النظر والتفكير في خلق السموات والأرض وما فيهن وما عليهن من معقولات ومحسوسات ، وفي النفس والحياة والموت والنشور والبعث .

وبكل هذا وذاك ، كان المتقد الاسلامي يؤمن بعالم الغيب وعالم الشهادة معا كما أمر الله « عالم ما غاب عن العقل والحس ، وعالم ما يدركه العقل والحس » وبسبب هذا الشمول والاحاطة كان الاسلام دينا عاما ، صالحا للدنيا والآخرة ولكل زمان ومكان . فهو يبعث على التفكر والنظر لقوله تعالى « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وماخلق الله منشيء» الاعراف: ١٥٨ ومعنىملكوت السموات - ما غاب عن الحس والعقل - ومعنى ملكوت الارض - ما يدركه الحس ويفكر فيه أو يفسره العقل.

ولا معنى لهذا : الا أن الاسلام يامر بالنظرة الشمولية للكائنات علويها وسفليها كما قدمنا .

ومعنى الشموليه : جمعها بين النظر الحسي والعقلي والبصري جميعا ، الى ما في السموات ومافي الارض من خلق. وهذا من اقوى الدلائل على أن القرآن يسع ويحث على النظر العقلي والعملي ، وما بين ذلك ضرورة من علم النور القلبي ، والابصار الروحي ، ثم التجربة بالحواس، والتعقل لأحوال الكائنات وخصائصها .

ففي الاسلام بعد التوحيد ، تحرير كبير للعقل البشري من قيود التقاليد ، والعكوف على ما كان يراه الاباء أو الاحبار من عقائد ، ولو كانت في عهدها وفي عهد الاسلام باطلة ، وذلك ما لم يحدث في دين سابق عليه .

وأصول الاسلام كان يفهمها المسلمون الاوائل ، فهما واضحا بسيطا لا لبس ولا جدل ولا لجاج فيه . حتى اذا انقسمت الآراء الى مذاهب بعد التوحيد الخالص ، وتفتت المذاهب الى وجهات في النظر متناقضة ، ثم الى مدارس وأشياع الى آخره ، واصبح الناس في حيرة من تعدد الآراء والمذاهب واختلاف العقائد في الامرالواحد. ثم ولى ذلك وضع الشروح والهوامش والتفاسير ،والبحث في الاصول والمتون والحواش ، وما يتعلق بذلك من تيه وتشتيت وحيرة وتردد ، وبالاخص فيما يتعلق بالالوهية وما لها من صفات وخصائص .

احتاجوا الى من يرشدهم الى صريح الحق بين هذا الخليط المتناقض ، الذي يهدم بعضه بعضا ويتعارض كل مع النقل مرة ومع العقل مرة أخرى . على أن القران صريح في وحدانية الالوهية ، وتوحد الصفات والاسماء وردها الى ذات واحدة عليا ، هي ذات الله ، ويبين ذلك بقوله في كتابه العزيز « أفي الله شك فاطر السموات والأرض » (٢) .

وماكان أغنى المسلمين عن كل ذلك ، ولكن العقل الشك والهوى الغالب ، والنزوع الى التفرقة ممن دخلوا الاسلام ظاهرا ، ولهم أديان سابقة يحنون اليها ويأبون توحيدها ، يأبون على الاسلام أيضا الا أن يكون مجالا للاخذ والرد ، وحجتهم في ذلك منطق العقل . ومنطق العقل « المنطق اليوناني » ومن قضاياه المحق والمبطل ، والعادل والمسفسط ، والراجح والمرجوح . لا يصح أن يكون معيارا لمنطق القرآن .

ومن طبيعة العقل حيال المسائل الغيبية ، التي هي بالضرورة فوق وسعه ، ولا يهتدي اليها سوى الايمان القلبي . والعقل لو لم يقومهالوحي ويلجمه التوحيد - من طبيعته المبالغة أو التردد ، ثم يدور حول نفسه في دائرة مفرغة مقفلة لا أول لها ولا آخر .

ودليلنا على هذا : انقسام الفرق الاسلامية الىماينوف على ثلاث وسبعين فرقة كما جاء في الحديث ، والاسلام واحد والتشريع واضح والحق ظاهر مستشرف . ولن تكون الفرقة الناجية الا واحدة ، وهي التي تقتدي بذلك الهوى الفطري ، وهي التي لا تزعجها الآراء بعد أن جاءها الحق .

ذلك الحق الذي مفتاحه « لا اله الا الله محمد رسول الله » ومغلاقه حيرة العقل بين الظنون والاوهاموانتاج المناهج الظنية أو المغالطية الكلامية ، توسلا الى معرفة الله وأسمائه ونعوته ، والاداة مصدرها منطق غريب عن الاسلام وأهله .

ولا معنى لهذا سوى أخذ الشيء من غير معدنه ورده الى غير أصله ، وحسبنا دون كل هذا قول الله تعالى « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يدي بهالله مناتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (١)

هذ وليعلم القارىء أن غرضنا الهدفي فيما نكتب : انما هو تبيين الصراط الحق الذي يتفق مع المعتقد الاسلامي الصريح ، والذي يتضمنه القرآن في مجموع عقائده الواجبة ، وقد هدى اليه الذين أنعم الله عليهم منالنبيين والأولياء والصديقين ، وكافة المؤمنين السويين وعباد الله الصالحين .

وليس بدعا أن تغمض اسرار الذات الالهية على العقل، لأنها الذات الرفيعة الشاملة ، والعقل مشمول محدود مهما اتسع مداه النظري ، لما فيه من قصور ذاتي ككل مخلوق .

انما الاطلاق والشمولللالوهية الموحدة التي تحيطبكل شيء ولا يحيط بها شيء ، وكل شيء دونها نسبي محدود وان أدرك وعلم وفكر . « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض » وكل ما يحدث في السموات أو في الأرض أو ما بينهما ، فلا يقع الا بعلمه سبحانه وتقديره . واذن فالغيب والقدر سران من خصائص الاله ، لا من خصائص العقل .

وهذا هو المعتقد الاسلامي الخالص ، وسبب ذلك أن الوحي من الله ، وقد خاطبنا به على لسان رسوله الصادق الامين . فان قيل والعقل أيضا من الله .قلنا : نعم .

ولكن فرقا واضحا بين ما يمليه الوحي وهو املاء الله نفسه وبين ما يمليه العقل وهو خلق من خلق الله يصيب ويخطىء .

والمعتقد الصحيح والخلق الصحيح يجب أن يصدرا عن الله مباشرة ، باعتبار انه خالق الكل والعليم بالكل ، والمستغني بذاته عن الكل . وانما يطلب الخير لمخلوقاته عطفا عليهم ورحمة بهم . فكانت شرعته العقل تشريعا عاما ميسرا للجميع ومتفقا معمافطر عليه الانسان ،وما يستقيم به مصالحه الدنيوية وآماله الأخروية .

بفعل الله ذلك : لا لمصلحة ترجى ، ولا مخوفة تتقى.

وأما العقل وما يفلسف به من أوامر ونواهي ، فهي تعود لقوة الضمير لا لقوة العقل . وأما ما يضعه العقل من تشاريع وضيعة ، فهي متأثرة دائما بحدود البيئة ونوع الثقافة والتنشئة بل قل والغرض والهوى .

الله أكبر من أن يحيط به
ظن ووهم جل سلطانا
أو العقول احاطته بديهتها
أو أن يكون به لولاه عرفانا

إعجاز القرآن البياني

دكتور حفنى شرف

ها نحن أولا - نقف على عتبة القرن السابع وقد ثنينا عطفنا قليلا صوب ما سبقه حيث نرى عبد القاهر رأى العين وهو يضم فكرة الاعجاز تحت ابطه : الامر الذى يوقفنا على تقديره لها وتمسكه بها .

ولكن عبد القاهر لم يستطع - رغم هذا الحرص - أن يرد الواردين على دراسته والناهلين منها اذ جل من اتى بعده قد أخذ عنه وتأثر به وان حاول كل فريق ان يصبغ ما اخذه بصبغته الخاصة التى طبع عليها أو سوغها له اتجاهه .

فنرى على وجه التقريب ثلاث طوائف . كل منهن لها طريقتها الخاصة فى التأليف فطائفة لخصت فكرة الاعجاز كما استقر عليها رأى عبد القاهر وعلى رأسها نذكر : فخر الدين الرازى وطائفة صاغت الفكرة الوانا وصورا بلاغية وعملت جاهدة على الاستشهاد لها من القرآن الكريم لتثبت الاعجاز عن ذلك الطريق ومن هؤلاء : ابن أبى الاصبع المصرى . وهناك فريق ثالث اكتفى بسرد آراء السابقين ومنه : السكاكى وعلى بن أبى على الآمدى والقرطاجنى .

وسوف ألتقى بهؤلاء الجهابذة الاعلام : واحدا واحدا وسوف اتصل بهم اتصالا مباشرا حتى يتسنى لنا فى النهاية فهمهم عن قرب ودراستهم عن كثب لنكون على بينة من أمرهم حيال فكرة الاعجاز البيانى لأعظم كتاب مقدس وهو « القرآن الكريم » .

الرازى وفكرة الاعجـاز

هو الامام أبو عبد الله محمد بن العمر بن الحسين البكرى الطبرستانى الرازى المولد الشافعى المذهب ولد سنة ٥٤٣ أو ٥٤٤ على خلاف فى ذلك وهو الملقب بفخر الدين المعروف بابن خطيب المرى .

تلقى العلم أول ما تلقى على والده ضياء الدين بن عمر فى الرى ثم رحل الى خوارزم واتصل بالشاه هناك فتقرب منه ونال عنده درجة سامية وأخذ يتجول هنا وهناك وهو بين الحل والترحال فى ذياك التجوال الى أن استوطن مدينة هراة ومكث بها زمنا ليس باليسير فطارت شهرته بين أبنائها وعلا صيته حتى لقب بشيخ الاسلام فاكرمته دولته اكراما عظيما ونال بها مكانا مرموقا ولكنه لم يمكث على تلك الحال اذ قلب له الحظ ظهر المجن فحقدت عليه طائفة الكرامية ونفسوا عليه جاهه ومنصبه فمكروا صفوه وخوفوه بعد أمن ولم يزل بينه وبينهم السيف الاحمر كما يقال حتى دسوا له السم فى الطعام فمات من فوره وكان ذلك يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ هـ بعد أن خلف تاريخا حافلا فى تأليف المصنفات العديدة وتثقيف الكثيرين من العلماء على يديه (عيون الابناء ٢ - ٢٣) .

هذا وقد ترك الرازى كثيرا من الآثار الجليلة الفائدة الكثيرة النفع نكتفى بسرد بعضها حتى اذا

انتهينا الى أثره الذى جلا فيه فكرة الاعجاز أسرفنا فى الكلام وأطلنا الحديث . فمن هذه المؤلفات القيمة .

١ - تفسيره الكبير « مفاتيح الغيب » قال عنه ابن خلكان (١ : ٦٠٠) انه جمع بين كل من الشيخ نجم الدين احمد القمولى ولكن الموت لم يمهله فمات سنة ٧٢٧ وشهاب الدين بن خليل الجوبى الذى حاول تكميل ما نقص منه .

٢ - مناقب الامام الشافعى .

٣ - اساس التقديس وهو عبارة عن رسالة بسط الكلام فيها على تأويل المتشابهات من الآيات والاحاديث

٤ - شرح قسم الالهيات من اشارات ابن سينا .

٥ - لباب الاشارات هذب فيه كتاب الاشارات لابن سينا .

٦ - اللوامع البينات فى شرح اسماء الله تعالى والصفات .

٧ - محصل افكار المتقدمين والمتاخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين .

٨ - المسائل الخمسون فى اصول الكلام .

٩ - معالم اصول الدين : مشتمل على خمسة أنواع من العلوم المهمة ، علم أصول الدين ، علم أصول الفقه ، علم الفقه ، اصول معتبرة فى الخلاف ، اصول فى آداب النظر والجدل .

١٠ - نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز .

هذه هى أهم مصنفات الرازى وتواليفه عرجنا عليها سراعا موقنين أن ذلك لا يخل من فائدة وان كان يهمنا من هذه الكتب كلها آخر كتاب سردناه وهو «نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز »

الذى يعتبر تلخيصا لكتابى عبد القاهر : اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ولكن مع شىء من التنظيم والتبويب والذى يتصل بالبحث من هذا الكتاب هو الفصل الاول الذى ساق فيه الدليل على اعجاز القرآن بقوله « ص ٥ » :

« ان العرب تحدوا الى معارضته ولم يأتوا بها ولولا عجزهم عنها لكان محالا ان يتركوها ويتعرضوا لشبا الاسنة ويقتحموا موارد الموت » ثم يذكر اربعة أوجه من وجوه الاعجاز ولكنه لا يتخذ موقف الناقل بقدر ما يتمثل موقف العالم الناقد .

الوجه الاول : مذهب الصرفة ويشرح الرازى هذا المذهب ولكنه لا يرتضيه لان عجز العرب عن معارضته لو كان لان الله اعجزهم عنها بعد ان كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحة القرآن بل كان يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم بعد أن كان مقدورا عليه لهم .. كما انه لو كان كلامهم مقاربا فى الفصاحة قبل التحدى لفصاحة القرآن لوجب أن يعارضوه بذلك ولكان الفرق بين كلامهم بعد التحدى وكلامهم قبله كالفرق بين كلامهم قبل التحدى وكلامهم قبله وبين القرآن ولكن لم يكن كذلك فقد بطل ذلك .. كما انه من المعلوم والمقطوع به ان نسيان الصيغ المعلومة فى مدة يسيرة يدل على زوال العقل ومعلوم أن العرب ما زالت عقولهم بعد التحدى ولهذا بطل مذهب الصرفة .

الوجه الثانى : الذى اشار اليه الرازى هو ان اسلوب القرآن مخالف لاسلوب الشعر والخطب والرسائل لاسيما فى مقاطع الايات مثل : « يعلمون ويؤمنون » وهذا الوجه لم يعجب الرازى ايضا فانبرى لابطاله وقد حصر ذلك فى خمسة أسباب :

أولا : لو كان الابتداء بالاسلوب معجزا لكان الابتداء باسلوب الشعر معجزا كذلك .

ثانيا : ان الابتداء باسلوب لا يمنع الغير من الاتيان بمثله .

ثالثا : ان الذى تعاطاه مسيلمة من الحماقة فى «انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر » وكذلك والطاحنات طحنا » فى اعلى مراتب الفصاحة .

رابعا : انه لما فاضلنا بين قوله تعالى . « ولكم فى القصاص حياة » وبين قولهم « القتل انفى للقتل » لم تكن المفاضلة بسبب الوزن والاعجاز انما يتعلق بما ظهرت به الفضيلة .

خامسا : ان وصف بعض العرب القرآن بان له لحلاوة وان عليه لطلاوة لا يليق بالاسلوب .

الوجه الثالث : انه ليس فيه اختلاف وتناقض ويبطله بقوله :

« ان التحدى كما وقع بالقرآن كله فقد وقع بالسورة وقد يوجد فى خطبهم ما مقداره مقدار سورة الكوثر ولا يكون فيه اختلاف وتناقض » .

الوجه الرابع : اشتمال القرآن على الغيوب وابطله بقوله : « ان التحدى قد وقع بكل سورة والاخبار عن الغيوب لم يوجد فى كل سورة .

وبعد ان انتهى الرازى من سرد هذه الوجوه الاربعة وبين فيها وجه الخطأ من الصواب عقب عليها جميعها بقوله ص ٧ من نهاية الاعجاز :

« ولما بطلت هذه المذاهب ولا بد من امر معقول حتى يصح التحدى به ويعجز الغير عنه ولم يبق وجه معقول فى الاعجاز سوى الفصاحة علمنا ان الوجه فى كون القرآن معجزا هو الفصاحة » .

من هذا نعلم أن الفصاحة لدى الرازى هى المناط الذى علق به الاعجاز او قل انها قطب الرحى التى دار حولها الاعجاز ولما كان ذلك كذلك فانه اخذ على عاتقه بيان شرف الفصاحة التى جعلها دليل اعجاز القرآن واستمع اليه يقول :

« لما ثبت أن عجز العرب انما كان عن المزايا التى ظهرت لهم فى نظم القرآن والبدائع التى راعتهم من مبادىء الايات ومقاطعها وفى مضرب كل مثل . ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبيه واعلام وتذكير وجب على العاقل أن يبحث عن تلك المزايا والبدائع ما هى ؟ وكم هى ؟ وكيف هى ؟ ولا يمكن ذلك الا بالبحث عن حقيقة المجاز والحقيقة والاستعارة والتشبيه والتمثيل وحقيقة النظم والتقديم والتاخير والايجاز والحذف والوصل والفصل وسائر وجوه المحاسن المعتبرة فى النظم والنثر .

واذا ثبت ذلك كان العلم الباحث عن حقيقة الفصاحة والكاشف عن ماهيتها والمتفحص عن أقسامها والمستخرج لشرائطها وأحكامها والمقرر لمعاقدها وفصولها

والملخص المحرر لفروعها وأصولها باحثا عن اشرف المطالب الدينية وأرفع المباحث اليقينية وهو البحث عن جهة دلالة القرآن على صدق النبى محمد صلى الله عليه وسلم بالتفصيل والتحصيل » .

هذا وقد اسهيب الرازى فى تبيان الفصاحة اذ اخذ يتكلم على العائدة منها على المفردات والراجعة الى الجمل ورتب كل ذلك فى فصول فكان بذلك العمل كل ما ذكره الرازى فى كتابه « نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز » .

فاذا نحن انتقلنا الى اثر آخر من آثار الرازى الكثيرة وجدناه فى تفسيره « مفاتيح الغيب » يعلق على آية التحدى بسورة البقرة « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا » بقوله :

« ان ذكر هذه الآية فى القرآن هو للبرهان على صحة النبوة » ثم ذكر فى هذا التفسير طريقين من طرق الاعجاز التى سبق ذكرها فى نهاية الايجاز يهمنا منهما طريق واحد وهو زيادة القرآن على سائر كلام الفصحاء بقدر ينقض العادة مع الاستدلال على ذلك بعجز العرب عن معارضته بعد أن تحداهم مع توفر الدواعى .

واقول يهمنا ذلك الطريق أكثر من أخيه اذ انه فيه هنا زاد على ما أتى به هناك وذلك اذ يقول :

انه اجتمع فى القرآن وجوه كثيرة تقتضى نقصان فصاحته وهو مع ذلك فى النهاية مع الفصاحة فمن هذه الوجوه :

١ - ان فصاحة العرب فيما تقع عليه مشاهدهم واحاسيسهم من بعير وجمل ولم يتكلم القرآن فى شىء منها فكان يجب الا تحصل فيه الالفاظ الفصيحة التى اتفق العرب عليها فى كلامهم .

٢ - ان القرآن تجنب للكذب ومع ذلك فهو فصيح والشعر أعذبه أكذبه ولهذا نزلت قيمة شعر حسان ولبيد بعد الاسلام لتحريهما الصدق .

٣ - لاتقع الفصاحة فى كل كلام الشاعر أو الخطيب والقرآن كله فصيح .

٤ - كل فصيح اذا كرر الكلام فى موضوع واحد لم يحافظ على فصاحته الأولى والقرآن فصيح فى تكراراته الكثيرة .

٥ - انه يتكلم فى العبادات وأحكام الدين والآخرة والكلام فيها يوجب نقص الفصاحة وهو مع ذلك فصيح .

٦ - كل شاعر ينبغ ويحسن شعره فى فن والقرآن كان فصيحا فى كل من يتكلم فيه .

٧ - القرآن أصل العلوم كلها ولكنه حين عددها عد منها علم الكلام والفقه والأصول واللغة والزهد وأخبار الآخرة ومكارم الاخلاق .

ونلاحظ على الرازى عند كلامه على هذا الطريق من طرق الاعجاز انه يتكرر مع نفسه كما نلاحظ عليه ايضا انه فى الوجوه السته الاولى يلتقى مع الباقلانى فى برهانه وفى السابع منها يلتقى مع الغزالى فى حديثه عن الاعجاز العلمى .

وتتمة لما ذكر نثبت هنا المذهب الثانى الذى ذكره فى التفسير وهو مذهب الصرفة .

والرازى وان تكلم عن هذا المذهب فى نهاية الايجاز وأبطله الا أنه فى التفسير ناقض نفسه وارتضاه وجعله أقرب الى الصواب فى نظره ثم تكلم عن المعارضة وتدرجها والتحدى وتطوره ورأى أن شدة التحدى فى قوله تعالى « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا » دليل على صدق النبى - صلى الله عليه وسلم - وثقته بنفسه وعلمه بعجز الناس عن معارضة القرآن ثم يزيد كلامه وبيانه بقوله :

« انه لم يستطع انسان معارضته من ايام النبى الى الآن » وهذا يؤيد قوله الذى سبق .

والذى لاحظته على الرازى انه تأثر بمن سبقه من العلماء وبخاصة عبد القاهر والباقلانى ويتضح هذا التأثر فى كثير من مناحى مؤلفاته كما أنه فى كثير من الأحيان كان يجمع الآراء العديدة ويوجزها فى تلخيص وجيز فتبدو كما لو كانت الماما نفكرة من جديد والواقع انها كل له اجزاؤه العديدة فى كتب السالفين وخاصة من نبهنا عليها فى هذا المجال .

كما لاحظنا أيضا أن الرازى ينظر الى الاعجاز من ناحية واحدة ويبطل ما عداها وبذلك وقع فيما وقع فيه غيره من السابقين حين قدموا وجها ارتضوه وأبطلوا غيره من وجوه .

ونسى هؤلاء أو نسى هو مع هؤلاء وجوب النظر الى القرآن نظرة كلية عامة ليعلم أنه معجز لعدة امور كثيرة تراصت بعضها بجوار بعض فكان من ذلك كله نسيج محكم وكتاب مقدس من لدن عزيز حكيم .

السكاكى الخوارزمى وفكرة الاعجاز

تركت الرازى وطوفت بعده تطوافة واسعة النطاق حتى وقع بصرى على أبى يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على الخوارزمى المولود سنة خمس وخمسين وخمسمائة من هجرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم -

التقيت به وأخذت فى تعرفه وتفرسه فوجدته نعم الامام الذى اتسعت دائرة امامته وامتدت جذور معرفته حتى شملها : نحوا وصرفا وبلاغة وشعرا وعروضا الى غيرذلك كثير بالاضافة الى انه كان فقيها متقنا له فى الدين راى وفى الشريعة اجتهاد .

ولا غرو فهذا هو محمد بن فضل الله العمرى العالم الصدوق يحدث عنه فى كتابه « المسالك والممالك » فيقول : انه ذو علوم سعى اليها فحصل طرائقها وحفر تحت طوابقها واهتز للمعانى اهتزاز الغض البارح الى آخر ما يقول من صفات الجلال والكمال .

وقد توفى السكاكى سنة ست وعشرين وستمائة بعد ان خلف وراءه ماضيا آلاقا بالجهاد المتواصل فى دروب المعرفة وكنوزا ذوى قيمة جلية فى تاريخ البلاغة .

لم ينس الرجل فى كتابه « مفتاح العلوم » الادلاء برايه فى اعجاز القرآن فهو يرى أن القرآن معجز بالنظم كما قال عبد القاهر والاعجاز فى نظره لايدرك الا بالذوق وطول خدمة علم البلاغة وممارسة الكلام البليغ وذلك لأن شأن الاعجاز فى رأيه عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ومدرك الاعجاز عنده هو الذوق ليس الا وطريقة الذوق خدمة البلاغة .

ويتقدم السكاكى برايه خطوات الى الامام فيورد أربعة وجوه من وجوه الاعجاز وهى الصرفة والأسلوب من

حيث الابتداء به وسلامته من التناقض واشتماله على الغيوب ويبطلها جميعا وهو فى ذلك متفق مع الرازى فى نهاية الايجاز ثم يتبع الأربعة بوجه خامس ويرتضيه وهو كون الاعجاز أمر من جنس البلاغة والفصاحة وهذا لا يتأتى الا بطول خدمة علمى . المعانى والبيان بعد فضل الهى من هبة يهبها بحكمته من يشاء وهي فى النفس المستعدة لذلك فكل ميسر لما خلق له « المفتاح ٢٧٢ »

ولما كان الاعجاز قائما لديه على عمد الفصاحة والبلاغة ونظمه فقد أراد أن يدلل على هذه الناحية النظرية بشىء تطبيقى لتكمل فكرته وتتضح فى الأذهان فاورد الآية الكريمة : « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين » .

وابتدأ تعليقه عليها بقوله فى صحيفة ٢٢١ من كتابه المذكور : « والنظر فى هذه الآية من أربع جهات : من جهة علم البيان ، من جهة علم المعانى وهما مرجعا البلاغة ومن جهة الفصاحة المعنوية ومن جهة الفصاحة اللفظية » ثم ذكر ما فى الآية من وجوه البلاغة المتعلقة بالاستعارة والكناية والتشبيه والمجاز وأشار كذلك الى جهة النظر اليها من حيث فصاحتها المعنوية قائلا ص ٢٢٤ . « فهى كما ترى نظم للمعانى لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر فى طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد بل اذا جربت نفسك عند استماعها وجدت ألفاظها تسابق معانيها ومعانيها تسابق ألفاظها فما من لفظة فى تركيب الآية ونظمها تسبق أذنك الا ومعناها أسبق الى قلبك .. وألفاظها على ما ترى عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة سليمة من التنافر بعيدة عن البشاعة ... كل منها كالماء فى السلاسة وكالعسل فى الحلاوة وكالنسيم فى الرقة » .

والسكاكى ـ مع كل ذلك ـ لايكاد يترك المعترضين الذين يوجهون بعض الطعون للقرآن الكريم من ناحية ألفاظه واعرابه وفصاحته وبلاغته وسلاسة نظمه ويأتى بحججهم حين يقولون انه قد ورد فيه ألفاظ غير عربية كقوله : « مقاليد » والمقاليد جميع اقليد وهو معرب « كليد » ، « استبرق » وهو معرب « استطبر » .

وبعد أن يعرج على التعريف بهم ويذكر حجتهم ينبرى للدفاع عن ذاك الذى عابوه ويقف للرد عليه كله فيرى أن هذا من باب التغليب

« فما أدخلتموه فى جملة كلم العرب من باب ادخال الأنثى فى الذكور وابليس فى الملائكة » .

كذلك فانه رد على الطاعنين على القرآن لما فيه من خطأ اعرابى فى قوله :

« ان هذان لساحران » وقوله : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون » ظنا منهم أن الصواب « والصابئين » لعطفه على اسم « أن » قبل مضى الجملة. وأيضا فقد رد على الذين طعنوا على القرآن بصرف ما لا ينصرف كقوله : « قواريرا وسلاسلا » بالتنوين فطالبهم السكاكى بالتبحر فى علم النحو وادراك نكاته حتى يمكنهم الوقوف على سبب هذه المخالفة الاعرابية هذا كله بالاضافة الى رده على الذين طعنوا على القرآن نظمه فى اعادة المعنى فى مواضع كثيرة على تفاوت فى النظم بين حكاية وخطاب وغيبة وزيادة ونقصان وتبديل كلمات طعنوا وقالوا : ان كان النظم الأول حسنا لزم فى الثانى الذى يضاد الأول بنوع من الزيادة والنقصان أو غير ذلك رد السكاكى على ذلك وغير ذلك فوضع الصواب موضعه ورد الحق الى نصابه وبين الطريق السليم أمام من سولت له نفسه الطعن على القرآن أو النيل منه فى قليل أو كثير . (المفتاح ٣٠٩) .

وبهذا أستطيع أن أقول : ان السكاكى قد قارب الحقيقة والطريقة المعقولة فى القدرة على فهم الاعجاز دون تعليله بقواعد جافة يناقض بعضها بعضا ويصنع جزؤها الجزء الآخر . ولئن قيل انه لم يعرف الموضوع حقه فله العذر على كل حال سيما وأن مقومات الجمال لم يكن قد فصل فيها القول بعد كما هو الأمر فى عصرنا الحاضر.
وبذا نسدل الستار على فكرة الاعجاز لدى السكاكى لنتفرغ لتتبعها لدى امام آخر يفصله عنه بعد فى الزمن ونأى فى المكان .

ابن أبى الاصبع وفكرة الاعجاز

تركت خوارزم وشددت رحالى الى مصر فعدت اليها بعد طول غياب والتقيت بعلم من أعلامها الأمجاد الذى ضرب بسهم وافر فى ميدان البلاغة والأدب وشعر البديع : التقيت بزكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد ابن ظافر بن عبد الله بن محمد المصرى المعروف بابن أبى الاصبع « ٥٨٥ ـ ٦٥٤ » عنى هذا الرجل كغيره من البلاغيين بالقرآن أول ما عنى فألف فى بلاغته « بديع القرآن » وفى فواتحه « الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح » وفى مشكلاته « التأويل » تلك عشرة كاملة .

فكان بليغ مصر الأوحد الذى لم يلحق شأوه ولم يشق غباره وهذا ما حدثنا به صاحب « مسالك الأبصار » عند كلامه على علماء مصر فى البلاغة .

هذا ولم يقف أمره عند هذا الحد بل كانت له جولات وصولات فى وضع الأسس الراسخة لصناعة الكلام اذ أن هذه الصناعة شعرا ونثرا قد شغلت كثيرا من نقادالعرب وأدبائهم على مر العصور .

ويعنينا هنا أن نبين أثر ابن أبى الاصبع فى فكرة الاعجاز أو قل ان شئت توضح الفكرة بتبيانها عنده .

فهو فى كتابيه : « تحرير التحبير » ، « بديع القرآن » يؤمن باعجاز القرآن البيانى .

ويرى أن القرآن معجز بألفاظه وأسلوبه وتراكيبه وأثره فى النفوس البشرية ويخالف عبد القاهر والباقلانى فى رأيهما الذى يقولان فيه بأن وجود الأنواع البديعية فى القرآن غير دال على اعجازه ويؤيد ذلك جمعه الأنواع البديعية التى عرفت الى عهده وجديده الذى اخترعه ـ وقد استشهد لهذه الألوان بآيات القرآن مخرجا لتلك الآيات على الوجوه البلاغية مبينا فى دراسة لهذه الشواهد سلامة نظم القرآن وسلاسة أسلوبه وبلاغة معانيهوفصاحة ألفاظه ثم يقارن هذه الشواهد بأمثالها من الشعر والنثر ليثبت بلاغة القرآن واعجاز البشر عن الاتيان بمثله ـ وتكاد لا نرى غيره ممن سبقوه فى التأليف يتميز مؤلفه ببيان بلاغة القرآن وبديعه على الوجه الصحيح مثلما ترى مؤلفات زكى الدين وكان هدفه من وراء ذلك التميز : سهولة استخراج اعجاز القرآن وتقريب طرق اطنابه وايجازه (انظر مقدمة بديع القرآن)

ولذلك فقد كان ابن أبى الاصبع متفردا بهذه الدراسة وان سبقه غيره الى الاستشهاد ببعض الآيات على بعض الالوان البديعيةكابن المعتز وابىهلال والرمانى الا ان ذلك لم يكن على سبيل الحصر لهذه الانواع أو خصوصية دراسة بلاغة القرآن كما هو الحال لدى زكى الدين .

اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم

فى بعض الحوادث قبل نزول الوحى فى شأنها

الأستاذ عبد الرحيم فرغل البليني

أيها القارىء الكريم :

البشر معرضون للخطأ فى أحكامهم وتصرفاتهم ، واقوالهم وافعالهم ، قد قصرت افكارهم عن الوقوف على بواطن الامور فى كل الأحيان ، والوصول الى كنه الحقيقة فى جميع الشئون ، فهم ان وصلوا الى الصواب فى بعضها ، فاجأهم الخطأ فى البعض الآخر •

شأنهم فى ذلك شأن الغريب النازح الى غير بلده ، الذى لا يجد مرشدا يهديه لمقصده ، فانه يجتهد بفكرة فى تعرف بغيته ، فيصيب مرة ، ويضل مرة أخرى •

لقد كتب الله هذا على البشر ليعلموا أن الكمال لله وحده ، وأن النقائص لاتلحق ذاته ، ولا تطوف بمقامه الأعلى ، ((ليس كمثله شىء وهو السميع البصير))

وليس التصرف الخاطىء مما يزرى بالانسان ، أو يثلم شرفه أو يمس عرضه ، ما دام الاجتهاد ، مصدره ، ومادام صاحبه لايصر على خطئه ، ولايفر عن قبول الحق اذا ظهر •

وقد ذكر بعض علماء الأصول أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان يجوزله الاجتهاد فى الحوادث التى لاوحى فيها ، حتى لاتتعطل عقليته المشرقة ، ولا تخبو أفكاره النيرة التى هى مشكاة العقول والأفكار •

وقد نحوا باللائمة على من قال : كل أفعال الرسول وأقواله وأحواله كان يتنزل بها الوحى ولايجوز له الاجتهاد •

ولعمرى ان هذا من التغالى الذى لايشرف الرسول ، ولايحقق له الرفعة ، لما يترتب عليه من تعطيل مواهبه وافكاره

وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجتهد ويصيب فى أغلب الأمور ، ويجتهد ويخطىء فى بعضها ، ولكنه لا يقر على خطئه ، بل كان الوحى ينزل ويرده الى الصواب ، ويرشده الى الحق ، ويبين له الطريق المستقيم

ولعل الله سبحانه وتعالى كتب ذلك الخطأ فى بعض الأمور على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى لايتغالى الناس فى تنزيهه ، ويخرجوا به عن البشرية الى الألوهية •

وما سقط بعض الناس فى هوة الاشراك الا حين اضفوا على المخلوق صفات الخالق فمالوا بذلك على النهج القويم ، وحادوا عن الصراط المستقيم •

هذا ، وان وقوع الاجتهاد من الرسول عليه الصلاة والسلام فى الحوادث التى لا وحى فيها ، فيه تشريع لنا باباحة الاجتهاد فيما يجد من الشئون التى تتمخض عنها الأيام ولم نظفر لها بحكم فى وحى السماء ، ولافيما استنبطه العلماء •

ومانراه فى هذه الآونة من انعقاد المؤتمرات التى تجمع ملوك الدول ورؤساءها ، وحكامها وعواهلها ، للتشاور وتمحيص الآراء ، واقرار النافع منها لخير الأمة العربية الاسلامية ، الاوليد ذلك التشريع الحكيم الذى سلكه الرسول فى سياسته للامة ، والأخذ بيدها الى مهيع السلامة ، والوصول بها الى فردوس السعادة •

ولن تزال هذه الأمة بخير ماكان لها برسول الله قدوة ، وبعمله المجيد أسوة ، وبدينه وتشريعه اهتداء •

وقد وقفنا فى كتاب الله تعالى على آيات تضمنت عتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تصرفات اجتهد فيها وأخطأ ، قبل نزول الوحى ببيان أحكامها ، وقد عاتبه الله تعالى من أجلها •

١ ـ ومن الأمور التى اجتهد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحاد عن الصواب ، فوجه الله اليه العتاب • ماصنعه مع السبعين الذين أسرهم المسلمون فى غزوة بدر ، حيث أطلقهم بعد أن أخذ منهم الفداء •

وحاصل قصتهم أنه عليه الصلاة والسلام استشار اصحابه فيهم ايأخذ منهم الفداء ثم يطلق سراحهم ؟ أو يقتلهم ويمحو ظلالهم ؟ • فقال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله هؤلاء قومك وعشيرتك فاستبقهم لعل الله أن يهديهم • وقال سيدنا عمر يارسول الله هؤلاء أئمة الكفر ، وشيعة الضلال ، ورؤساء الفتنة فمكنا منهم لنقضى عليهم • فمال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى رأى أبى بكر وأخذ منهم الفداء وفك أسرهم •

فعاتبه الله تعالى على ذلك بقوله :

((ماكان لنبى أن يكون له اسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)) الانفال

أى ماصح وما استقام لنبى لم تقو شوكته ، ولم تغز أكثر القلوب دعوته ، ولم يرهب أعداؤه جانبه أن يكون له أسرى يطلقهم بعد أن يأخذ الفداء منهم ، حتى يمعن فى قتل أعدائه واذلالهم ، واثخانهم واضعافهم ، فانهم سيجمعون صفوفهم بعد الاطلاق ، ويضاعفون قوتهم ، ويعودون للقتال والنضال ـ تريدون بأخذ الفداء عرض الدنيا الزائل ، ومتاعها الفانى ، والله يريد لكم بقتل أعدائكم ثواب الآخرة الدائم ، ونعيمها الباقى ، والله عزيز غالب ، حكيم عليم •

لولا قضاء من الله سبق ألا يعذب المجتهد اذا اخطأ لأصابكم فيما أخذتم من المال عذاب عظيم •

ويستنبط من هذا أن الواجب على رئيس الجماعة الا يخلى سبيله أعدائه ، اذا وقعوا فى قبضته ، وسقطوا فى حبائله • لأنه بذلك يسىء الى نفسه وأمته ، وسياسته ووطنه ، فان شرهم بعد الاطلاق غير مأمون ، وضررهم متوقع فى كل لحظة ، لأنهم يغضون العيون على القذى ، ويطوون الضلوع على الأذى ، ولأنهم موتورون ولاينامون عن الوتر •

وما أضر بالمسلمين فى القرن السابق الا مجاملة الأعداء وملاينتهم ، وموادعتهم ، ونسيان

ماهم عليه من نية الشر والضر عند سنوح الفرصة •

كما يستنبط منه أن الواجب على القاضى ألا يخضع لعاطفة الرحمة عند الفصل فى الخصومات ، لأنه بذلك يضيع الحقوق ، وينشر الشرور ، ويشيع الاجرام •

فالرحمة مطلوبة حيث لايترتب عليها ضرر للافراد والجماعات ، ومخالفة للنظام والقانون وعتو وافساد فى الأرض •

ولقد شدد الله العقوبة على المفسدين فى الأرض تشديدا لا هوادة فيه ولارحمة ، ولا ملاينة ولا رأفة ، حتى لا يتزعزع الأمن فى ربوع الأمة ، وحتى تسود الطمأنينة بين الأفراد والجماعات •

فقال تعالى : ((انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم)) المائدة •

ويستنبط من هذه الآية أنه يجب على قائد الأمة اذا وقف على آثار الميول الخبيثة ودلائل النوايا السيئة ، فى أفراد أو جماعة تخضع لسلطانه ، أن يقلص ظلالهم ، ويمحو آثارهم من صفحة الوجود ، ويقطع دابراهم كما يقطع العضو الفاسد من الجسد ليسلم باقيه •

٢ ــ ومن الأمور التى اجتهد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقضى فيها برأيه ، قبل أن يستنير بوحى ربه ، ولكنه اخطأ فى قضائه واجتهاده ، ثم عاتبه الله تعالى على ما صنع ، وبين له وجه الصواب ، ليصقل عقله بصقال المعرفة الكاملة ، ويملأ نفسه بأنوار العلم وأضوائه ، أنه صلى الله عليه وسلم أذن لقوم فى التخلف عن الغزو ، حين أبدوا له بعض الأعذار ، فقال جل وعلا :

((عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ــ لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ، انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الاخر ، وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون)) • سورة التوبة •

لام الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فى هذه الآيات على قبول عذر هؤلاء القوم • وأذن لهم فى التخلف • ثم بين له انه عذر زائف صدر من قوم لايصدقون بالله واليوم الآخر ، وأنهم يترددون فى شكهم •

وانما لامه على هذا التصرف ، لأنه لم يقم على سبب صحيح ، حتى لايقبل بعده من أحد عذرا الا اذا قامت الحجة على صدقه ، لأن فتح هذا الباب يغرى كثيرا من الغزاة على انتحال اعذار التخلف ، والقعود عن الجهاد ، ولاشك أن هذا يؤدى الى اضعاف الجيش ، وشيوع التمرد فيه ، حين يرى الجنود اراحة البعض دون البعض •

ويستنبط من هذا العتاب الموجه لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى هذه الحادثة أنه لابد من التسوية بين أفراد الأمة فى الانخراط فى سلك الجندية ، فلا يليق أن يؤخذ فيها أبناء البسطاء ، وينحى عنها أبناء العظماء •

انه ما أصاب الأمة المحمدية من الأضرار الا التمييز بين أفرادها ، باكرام البعض وتركهم فى أحضان النعيم ، واشقاء بعض آخر بزجهم فى سلك الحروب والمتاعب والخدمات • ذلك أن الناس سواء فى الحقوق والواجبات ، لا فضل لواحد على آخر الا بالتقوى وصالح الأعمال

لقد كان الحال قائما على المحسوبية والتفاضل بين أبناء الأمة الواحدة فى العهود السابقة المظلمة ، حتى فى الجيش الذى يحمى الوطن ، ويصون الشرف ، ويحفظ الكرامة ، ويرد العار •

فلما جاءت الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة محت الفوارق ، وأزالت المحسوبية ، ورجعت بالأمة الى عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه الغرالميامين •

ان الرسول وهو سيد الخلق قد غزا بنفسه وجاهد ، وهكذا كان حال الخلفاء الراشدين ، وكبار الصحابة والتابعين ، كانوا ينخرطون فى سلك الجيش ، لايعرفون الراحة ، ولايتهيبون الموت ، ولايقعدون عن واجب الجهاد •

ولذلك مات أغلبهم غرباء عن الأوطان ،

واستشهد كثير منهم فى ساحات الشرف تحت ظلال السيوف ·

فاذا كان منا أناس فى هذه الأيام قد استشهدوا فى سبيل الذياد عن الحرية ، والدفاع عن الكرامة ، ومنازلة الغاصب ، واسترجاع الوطن السليب ، فان لهم فى أسلافهم من الصحابة أسوة ، وانهم فى الجنات ناعمون ·

قال الله تعالى : ((ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون))

ذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الآية أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر على سيدنا جابر بن عبدالله الانصارى فوجده يجلس جلسة البائس المهموم ، فقال له : مالك ياجابر ؟ فقال : يارسول الله أن أبى قد استشهد فى غزوة أحد ، وترك لى اخوة صغارا ، وترك على ديونا كثيرة ، فازداد لذلك همى · فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتدرى ياجابر ماقابل الله به أباك ؟ قال : لا · قال : ان الله تعالى لم يكلم أحدا من خلقه الا من وراء حجاب ، وقد أحيا أباك وكلمه كفاحا ، أى مواجهة ، ثم قال له : تمن على ، فقال : يارب أتمنى أن أعود الى الدنيا ، فأجاهد فى سبيلك ثم أقتل مرة فاخرى · فقال الله تعالى : قد سبق فى علمى أنهم لايرجعون ، فقال : يارب ومن يخبر قومى بما لقيت من الخير ؟ فقال تعالى : أنا أخبرهم وأنزل هذه الآية · ١ هـ بمعناه من تفسير الآلوسى ·

أيها القارىء الكريم : ستأتيك ايام قريبة يتطلب الوطن العربى فيها عونك وجهادك ، فلا تبخل بنفسك على أرضاء ربك بالاندماج فى هذا السبيل ، وانتهزها فرصة تنال فيها احدى الحسنيين اما الحياة الكريمة ، وأما الشهادة الموصلة الى نعيم الأبرار ·

سننزل جميعا ان شاء الله فى ساحات الشرف لانقاذ فلسطين الشهيدة ، باذلين فى ذلك كل ما نملك ، حتى يحكم الله بيننا وبين أعدائنا وهو خير الحاكمين ·

فاما الى حال يكون محببا
يعيش به الانسان عيش الأكارم
واما الى موت يجىء مراغما
فيعذر من أبدى صحيح العزائم
أيا فتية الاسلام ان جهادكم
يرد عن الأوطان أهل الجرائم
ويمحو سواد الذل فى آفاقكم
ويبدى ضياء العز فوق الغمائم
فكونوا لدى الباغى أسود ملاحم
وذودوا عن الأوطان ذود الضراغم
فأنتم رجال تعرفون حقوقكم
ومنكم جيوش النصر بين الملاحم

اقرأ ياأخى تاريخ أسلافك ، وانظر ذلك العربى المؤمن ، وهو يصول ويجول فى ساحة الوغى ، ويردد ذلك الشعر الحماسى بين الصفوف حتى الهبت العزائم ، وتم النصر ، وتحقق الفوز . قال رحمه الله :

للمجد عندى حق لست أنكره
وللمكارم سر لست أستره
ولى همامة نفس لو رميت بها
جيش الحوادث لم يزحف معسكره
ان لم أذد حائمات الضيم عن حرم
جللت فيه وعن عرض أوفره
فلا فرعت من العلياء عذرتها
ولا وثبت لغصن المجد أهصره

هكذا يكون حال من رسخ الايمان فى قلبه واختلط بلحمه ودمه ، وهكذا يكون حال من باع نفسه لله ، ونشد ثوابه وجزاءه ، ونظر الى الحياة الدنيا نظرة عابرة ، واتخذها مطية لأخراه ·

قال الله تعالى : ((اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم ، وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ، آية ٢٠ من سورة الحديد ·

وفقنا الله سبحانه وتعالى لأداء الواجب المقدس نحو الوطن والدين فى ظل فخر العرب والاسلام رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، وأدامه محوطا بنعمة الفوز والتوفيق ·

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الإسلام

الاستاذ
حسنى عبد المجيد

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .. الحمد لله الذى توج جيلنا بقوة ارادته الثورية العربية فى أعز قوامها وأعظم نبضاتها .. فالارادة الحرة كما أطلق عليها الرئيس عبد الناصر فى خطابه الشعبى فى ٢٢ يوليو ١٩٦٤ كانت فى واقعها أعظم وأكبر وأشمل من أن يقاومها الطغيان أو التآمر .. مهما عززته أو دعمته قوى الشر . وهذه الارادة الحرة هى التى ذكرها الميثاق الوطنى أيضا فى بابه الخامس « لمن هذه الارادة الحرة التى استخلصها الشعب المصرى من قلب معاركه ؟ وكان الرد التاريخى أن هذه الارادة لا يمكن أن تكون لغير الشعب ولا يمكن أن تعمل لغير تحقيق أهدافه » .. والارادة الحرة .. هى فى واقعها التى تجعل المسلم المؤمن انسانا ايجابيا فى شئون دينه ودنياه .. فهو حر .. لا تستعبده نزوة أو نازعة وهو أبى لا يستذله الحرص على ارضاء الناس . وهو كريم كبير النفس لا يدفعه الى الطاعة والعبادة غرض من الأغراض المادية .. والمؤمن المسلم حينما تنمو ارادته النابعة من وجوده الحى الخلاق والتى تدفعه دفعا الى أن يصبح مؤمنا قويا .. متحررا ومحررا نفسه من رياء أو تزلف لحاكم أو محكوم انما يلتقى هذا فى لقاء رائع من الحديث الشريف « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى . فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله . ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » وهذا الحديث الصحيح الذى صح برواية عمر .. أخرجه البخارى فى ستة مواضع من صحيحه . وأجمع المسلمون على صحته . وقال الامام الشافعى أن هذا الحديث هو ثلث الاسلام . والواضح الثابت من هذا الحديث أن أعمال المواطن الفرد انما مردها والحساب عليها يأتى من حيث باعثها

أو بمعنى أوضح البواعث التى دفعت المواطن للفعل . ثم لازمته وهو يقوم بهـا سواء كان هذا بالقول أو بالفعل ومن هنا .. ومن هنا فقط تكمن الارادة المتوجهـة نحو الفعل .. وينتج عن الارادة .. الايجابية أو الاسلام فى كل ما يحيط بالمواطن .. ومن هنا أيضـا يمكننا أن نتفق سويا على انه لا اعتبار لواقع لم تفرضه الارادة .. ولا مكافأة على عمل لم يبن على الارادة .

وفى خضم حياة مجتمعنـا المـاضى الذى عاصر مئات السنين من التخلف والتآمر على الرزق والوجود . وفى خضم الاستغلال الذى استشرى فى مجتمعنا حتى كاد يصبح ظاهرة طبيعية .. ضاعت معالم الارادة بمفهومهـا الايجابى المتدفق .. ولم تبق الا خلايا من « الارادة » متناثرة هنا وهنـاك بين ثنايا مجتمعنا المتحرق شوقا الى العدل والى تحرير لقمة العيش ..

« كان الغزاة الأجانب يحتلون أرض الوطن وكانت الأسرة المالكة تحكم بالمصلحة والهـوى وتفرض الذلة والخنوع . وكان الاقطاع يملك حقوله ويحتكر لنفسه خيراتهـا ولا يترك لملايين الفلاحين العاملين عليها غير الهشيم الجاف . وكان رأس المال يمارس ألوانا من الاسـتغلال للثروة المصرية » . باب ١ من الميثاق .

تلك هى صورة مجتمع ما قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. هذه الصورة عاشت واستقرت عدة مئات من السنين فأين المواطن المسلم من خلال هذه الصورة .. أين هو وسـط وجود غير متكافىء بينه وبين مجتمع تسود فيه قوانين تحكم علاقات أقرب ما تكون الى علاقة الغاب . ثم نتصور هذا المواطن وهو فى كفاحه المرير من أجل وجوده وعيشه. نتصور ونتأمل القيم التى قد تتبلور داخل نفسه وفى قلبه .. ثم نبحث عن ارادة هذا المواطن . الارادة الحرة. لا نجدها .. لا نجد ارادة حرة دافقة دافعة الى العمل والجهد والعرق الا بالقدر اليائس الذى يكفل عيشه . فى الوقت الذى نجده فى الطاعة والمعصية لأوامر الله تبارك وتعالى ونواهيه ..

والتى تصدر عن ارادة مسـلم عضو فى مجتمع مسلم .. متمسكا بشكليات دينه .. قائما عليها بقدر .. فهو أبعـد ما يكون عن المسلم المؤمن القوى . ملتمسـا سـماحة الاسلام . ومغفرة من الله ورحمته .

يقول الرسول الكريم « **لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » هذا الحديث العظيم . فيه فلسفة كبرى لقمة العـلاقات التى ينبغى أن تسود المجتمع الاسلامى . واذا نظر المسلم الى أخيه نظرته الى نفسه لم يظلمه ولم يسلمه ولم يخذله . ولم يسوءه ولم يحقد عليه ولم يطارده فى رزقه .. صـلح حال المجتمع . واستقام البناء . وهبت ارادة الفرد لتأخذ مكانها الصحيح فى المجتمع لتسهم فى دور البناء والعمل عن ايمان وعقيدة ورضاء .

« ان مجتمع الرفاهيـة قادر على أن يصوغ قيما أخلاقية جديدة لا تؤثر عليهـا القوى الضاغطة المتخلفة من العلل التى عانى منهـا مجتمعنا زمنا طويلا .. كذلك فان هذه القيم لا بد لها أن تعكس نفسها فى ثقافة وطنيـة حرة تفجر ينابيع الارادة .. فى حياة الانسان الفرد الحر » باب ٧ من الميثاق .

والارادة الحرة التى تدفقت يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم يكن هدفها سوى أن « تغسـل » ارادة المواطن المسلم من كل أدران الماضى .. بعد أن أصبحنا بفضل الله وتوفيقه أمـة وسطا .. الوسط فى مكانهـا بين الشرق والغرب . الوسط فى عقيدتهـا فلا غلو ولا انحراف والوسط فى سلوكها فلا هوان ولا عدوان .. وصدق القرآن الكريم « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »

والارادة الحرة لكى تولد فى قلب المواطن لابد لها من (بيئة خاصة) تساعد على تفاعل هذه الارادة وما بهـا من قوى بناءة هادفة بحيث يشعر المواطن أن ارادته انما تشكل لبنة ضرورية فى صرح الاسلام العظيم .

والسؤال هو : كيف يمكن خلق هذه البيئة الخاصة ؟

الجواب : ان الأديان ـ كما نص الميثاق ـ ذات رسالة تقدمية وأن جوهر الاسلام يؤكد حق الانسان فى الحياة والحرية . بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان . ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر (الارادة هنا هى الأساس) ولا يرضى الدين بطبقة تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم ..

هذه المبادىء ترسم فى واقعها الخطوط العريضة .. لما ينبغى أن تكون عليه حياة المواطن الفرد فى بيئته الجديدة المتكاملة اجتماعيا واقتصاديا التى تستهدف وضع حد لكل استبداد ناشىء عن الاستغلال والتحكم وعدم تحقيق التكافل الاجتماعى بين أفراد المجتمع لتختفى فيه كل مظاهر الحرمان وتتوارى فيه كل علامات الفقر والحاجة .. ومن هنا .. فقط ومن التكافل الاجتماعى .. تنبثق الارادة الحرة للمواطن .. وكيف يكون ذلك ..!!

الواقع أن مجتمعنا بما ورثه من آفات جاءت كلها نتيجة للمستعمر . فالاستعمار مسئول أمام التاريخ وامام الانسانية حينما عمد الى طمس معالم الدين وتشويه صورته .. وفتح امام الكثير من المثقفين منافذ واسعة تطل على حضارته وثقافته وتقدمه حتى نجح فى أن يرسب فى اذهان مجتمعنا كل ما يفد الينا من ثقافة الغرب وحضارته ..

وأزمة الدين اذن هى جزء من مخطط الاستعمار .. وأزمة التخلف والفقر والضياع الاقتصادى جاءت وليدة المستعمر أيضا .. وبالرغم من أن الاسلام فيه العلاج الكامل « للمشكلة الاقتصادية » علاجا غير منفصل عن نظرته العامة الشاملة لكافة جوانب الحياة سواء فى قواعد المعاملات أو الملكية أو حقوق الأفراد والتزاماتهم .. الا ان المسلم نفسه عجز فى هذه الفترة من حياة الأمة العربية عجزا فيها أو بمعنى أصح عجزت ارادته من أن تقيم لنفسها البيئة الصالحة النابعة من كتاب الله وسنة رسوله وذلك لأن ارادته كانت قد فقدت الجذور العميقة التى تمكنها من الارتباط بمشكلات المجتمع .. فكيف يتسنى تطبيق التكافل الاجتماعى فى ظل قواعد وعلاقات ثبتت واستقرت عبر القرون . تزيد القادر قدره وتضيف العجز الى الكادح العاجز .. فكان ولا بد أن يهب مجتمعنا أولا .. عملا بقوله تعالى « **ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** »

ولقد كان الرئيس عبد الناصر دائب التنبيه لضمير الأمة العربية منذ قيام الثورة .. الى موضوعية التغيير الكبير الذى تتكامل صورته فى ضميره هو وفى تفكيره وكان وهو يخطو بالثورة قدما لتحقيق أهدافها السياسية .. يعلن عن ايمان بانه لاسبيل لتحقيق اى هدف سياسى ايجابى ما لم يكن ذلك من خلال أهدافنا وآمالنا الاجتماعية .. فالحرية الاجتماعية هى باب الحرية السياسية .. والحرية الاجتماعية هى خلاصة التكافل الاجتماعى الذى يضىء نفسية المسلم . ويودع فيها قبسا من نور الايمان بالوطن المسئول . والايمان بالمثل والقيم والايمان بكل خلجة .. وخطوة يخطوها هذا المجتمع المسلم فى سبيل عزة المواطنين ورفاهيتهم .. وحين يمارس الدين دوره فى المجتمع فانه يجعل ضمير الفرد وارادته بمثابة الجارى اليقظ على كل المكاسب .. واذا كانت العبادات هى صلة العبد بخالقه . وهى توقظ فى نفسه على الدوام معنى المراقبة . وأن الله تبارك وتعالى معه أينما حل وانه مثيبه على احسانه مجازيه على اساءته .. فان هذه المراقبة حتما .. وهذه الارادة المتولدة حتما ستنعكس

على سائر حياته وصور نشاطه .. فيسهم فى عمله عن أمل وجد وينتج فى كل مايكلف به عن ايمان وعقيدة . فالله تبارك وتعالى يحب للفرد اذا عمل عملاأن يتقنه. وستنعكس الصورة حتما فى المجتمع .. لأن النفس البشرية هى القوة الحقيقية المعول عليها فى بناء مجتمعنا الجديد الذى آمن ونادى وطبق .. مبادئه الانسانية العظيمة لاستخدام الموارد والطاقات . وثورات التصنيع والتطوير وأخيرا وليس آخرا تخليد الحقوق الطبيعية التى طمسها المستعمر والمستغل .. وهى حقوق الحياة الكريمة والحرية وحق العلم المفروض لكل مواطن وحق العمل .. بما ينشر العدالة والمساواة .. ثم الكفاية .. وبذا يسير التقدم والرقى لهذا المجتمع وينطلق فى رحاب الاسلام .. الذى حرر الفرد من كل مظاهر الرق والضعف وأزال كل ما يعترض طريق حياته ومعاشه من عقبات وعثرات .. لأن التكامل العضوى بين الاسلام كدين ودنيا .. وبين بناء مجتمعنا الحديث واضح لايحتاج الى اثبات أو دليل . فالاسلام لا يفرق أبدا بين الصلاة والزكاة ولا بين الأخلاق والاقتصاد ..

فالنبى الكريم حينما يستعيذ من الفقر ويجعله قرين الكفر فى دعائه « **اللهم أنى أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا اله الا أنت** »

والله تبارك وتعالى حينما يجعل الانسان خليفته فى الأرض .. انما يرسم لها طريق الصلاح والكمال فى المعاملات وما ينبغى أن تكون عليه . دون تسلط أو استغلال من الانسان القادر لأخيه الانسان العاجز . والانسان فى عمله هذا كله يؤمن بفضل الله عليه ويؤمن أن أمر المسئولية لا يقتصر على مكافأة المجتمع أو عقوبته وانما يمتد الى جزاء أخروى « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين »

وميزة هذا الايمان .. أنه يولد الارادة الحرة التى تطاق النفس الى العمل والانتاج .

ويجىء الميثاق ليقول فى بابه السابع « **ان القضاء على الاستغلال والتمكين للحق الطبيعى فى الفرصة المتكافئة وتذويب الفوارق بين الطبقات وانهاء سيطرة الطبقة الواحدة ، ثم ازالة التصادم الطبقى الذى يهدد الحرية الفردية للانسان المواطن بل يهدد الحرية الكاملة للوطن كله** » .

وهكذا يربى الاسلام .. ارادة المسلم اذ يرسم له منهج سلوكه فى الحياة ويضع على الطريق أمامه علامات تنير له السبيل وتهديه فى كل خطوة يخطوها .

ولكن .. هل نتصور أن يلتزم المسلم بهذا المنهج وهو عاجز العجز كله فى تخطى كل عقبات الحياة ومشاكلها .

وهل نتصور أن يلتزم المسلم بهذا المنهج وهو ضائع فى مجتمع شعاره الاستغلال والاحتكار والاقطاع .. ومعاملاته قائمة على شريعة الغاب والبقاء للأقوى .. أظن لا ..

وهل يربى الارادة الحرة شىء كما يربيها ايمان الانسان بوطنه. وبنفسه كعضو مسئول عامل .. وهل يربى الارادة الحرة شىء كما يربيها أخذ الانسان نفسه بلون من الجسم حتى فى عواطفه .. فلا يحب لنفسه شيئا لا يحبه اخوانه .. (وليس أعداءه أو مستغليه) .. وهل يربى الارادة الحرة شىء كما يربيها مجتمعنا الاشتراكى الذى يوفر لأبنائه فرص العمل ويدعوهم اليها ما وسعهم الطاقة ... ويخطط للانتاج حتى تستطيع النفس الانسانية أن تحقق كل ما فيها من خير لصالح مجتمعنا ..

اللهم فاشهد فاننا على الطريق .

حياة المقر الشهابي ابن فضل الله العمري

مؤلف أكبر موسوعة عربية في التاريخ والجغرافيا والأدب

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

(٥)

تتمة وصف « مسجد دمشق » أو « المسجد الأموى »

..٥ر١ دينار ثمن عمودين .

وقال خالد بن تبوك . اشترى الوليد العمودين الأخضرين اللذين تحت النسر من حرب بن خالد بن يزيد ابن معاوية بألف وخمسمائة دينار .

وقال احمد بن ابراهيم الغسانى . حدثنا أبى عن ابيه عن زيد بن واقد ، قال . وكلنى الوليد على العمال فى بناء « مسجد دمشق » فوجدنا فيه مغارة ، فعرفنا الوليد ذلك . فلما كان الليل وافى ، والشموع تزهر بين يديه ، فنزل .

رأس يحيى بن زكرياء فى كنيسة تحته :

فاذا كنيسة لطيفة : ثلاثة أذرع فى ثلاثة ، واذا فيها صندوق ، فاذا فيه سفط ، وفى السفط رأس يحيى بن زكرياء . فأمر به الوليد ، فرد الى المكان . وقال : اجعلوا العمود الذى فوقه مغيرا من الأعمدة . فجعل عليه عمودا مسفط الرأس .

وقال ابن الرامى : سمعت أبا مروان عبد الرحيم بن عمر المازنى يقول : لما كان فى أيام الوليد وبنائه المسجد احتفروا فيه فوجدوا بابا مغلقا .

تمثال قديم وجدوه فى حفر الأساس .

فأتى الوليد ، ففتح بين يديه . فاذا مغارة فيها تمثال رجل على فرس ، فى يده الواحدة الدرة التى كانت فى المحراب . ويده الأخرى مقبوضة ، فأمر بها ، فكسرت . فاذا فيها حبتان : حبة قمح وحبة شعير . فسأل عن ذلك ، فقيل له : لو تركت الكف لم يسوس فى هذه المدينة قمح ولا شعير .

الأقباء المعقودة تحت المسجد :

(قلت) : وحكى لى شيخنا أبو عبد الله محمد بن أسد النجار الحرانى الكاتب المجود ، وكان يباشر بعض العمائر ، أنه فتح فى حفرته الشرقية المعروفة بتحت الساعات لكشف قنى الماء . فاذا تحت المسجد أقباء معقودة وعمد منصوبة يفرق بينهما عضائد محكمة ، قد أحكم بناؤها ، وشدت فى سلاسل الأساس معاقدها . قد بنيت بالصفاح والعمد ، والبناء الذى ما هو فى قدرة أحد . قال : ودخلناها وجعلنا فى جوانبها .

كتب أستاذنا العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم احمد زكى باشا تعليقا على كلمة « الصفاح » فقال ـ رحمه الله تعالى ـ : « الصفاح : حجارة عراض كما فى اللسان . وقد استعملها كتاب الأندلس بمعنى الصخور

(راجع دوزى فى تكملة المعجمات العربية) . فلعل ابن فضل الله جرى فى هذا المقام على هذا الاصطلاح .

الرواق الذى كان محيطا به ، وانقاضه وماذا بنى بها :

وحكى لى المعلم على بن محمد بن التقى المهندس ، قال : حدثنى ابى عن ابيه ، قال : كان لهذه الكنيسة رواق يحيط بها من الجهات الأربع بابواب اربعة . فى كل جهة باب . فالشرقى باب جيرون ، وكان الباب الغربى تلقاءه ، وراء المسرورية ، مابين المعصروية وبينها . وبقى الى زمن العادل ابى بكر . ففكه لما عمر القلعة . ونقل حجارته وعمده اليها .

قال : وكان فى هذا الرواق قلالى وصوامع .

(قلت) : ومن آخر ما نقض منها الباب وما يجاوره براس القباقبيين ، مما يلى عقبة الكتان .

وبنى منه منارة الجامع الشرقية ، بعد الحريق الكائن سنة أربعين وسبعمائة . وتاخر من حجارته بقايا اشتريت لعمارة الجامع اليلبغاوى ، جوار بردا ، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

وثم بقايا من سور ذلك الرواق وباب قديم ، موجود بين المدرسة النورية وبين المدرسة المجاهدية المعروفة بقصر هشام .

تعويض عمر بن عبد العزيز على النصارى بكنيسة اخرى :

قال ابن المعلى : أخبرنى احمد بن ابى العباس ، حدثنا ضمرة عن على بن ابى جميلة قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز ، قالت النصارى : يا امير المؤمنين ، قد علمت حال كنيستنا ! قال : انها صارت الى ما ترون . فعوضهم كنيسة من كنائس دمشق ، لم تكن فى صلحهم ، يقال لها : كنيسة توما .

عمر بن عبد العزيز اراد ارجاعه للنصارى ، وكيف ارضاهم القوم وارضوا عمر :

قال ابن المعلى : وبلغنى عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر : أنهم رفعوا الى عمر بن عبد العزيز ما اخذوا عليه العهد فى كنائسهم . فكلمهم ورفع لهم الثمن ، حتى بلغ مائة الف . فابوا . فكتب الى محمد بن سويد الفهرى أن يدفع لهم كنيستهم ، الا أن يرضيهم . فاعظم الناس ذلك وفيهم بقية من أهل الفقه . فشاورهم

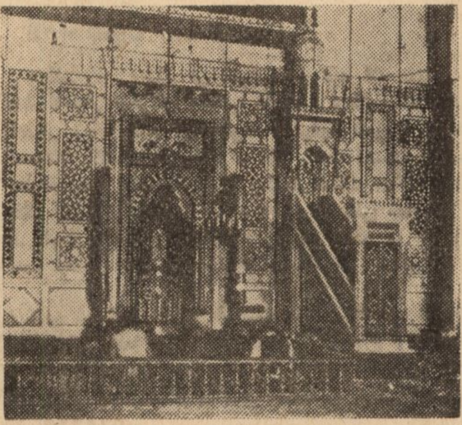

محمد بن سويد ، متولى دمشق . فقالوا : هذا امر عظيم ! ندفع اليهم مسجدنا ؟ وقد اذنا فيه بالصلاة وجمعنا فيه يهدم ويعاد كنيسة ؟ فقال رجل منهم : هاهنا خصلة ، لهم كنائس عظام حول المدينة : دير مروان ، وباب توما ، والراهب ، وغيرها . ان أحبو ان نعطيهم كنيستهم ولا يبقى حول دمشق كنيسة الا هدمت ، وان شاءوا تركت هذه الكنائس ونسجل لهم سجلا . ثم عرضوا عليهم ذلك . فقالوا . أنظرونا ، ننظر فى أمرنا ! فتركهم ثلاثا . فقالوا : نحن ناخذ الذى عرضت علينا ، ونكتب الى الخليفة نخبره بذلك ، ويسجل هو لنا بان على ما فى الغوطة . فكتب الى عمر . فسره ذلك وسجل لهم كنائسهم . انهم آمنون أن تخرب أو تسكن . واشهد لهم شهودا بذلك .

شروع عمر بن عبد العزيز فى نزع زخارفه لوضع ثمنها فى بيت المال . وكيف ردوه عن ذلك مع المخاشنة :

وقال صفوان بن صالح : حدثنا الوليد ، حدثنا محمد ابن مهاجر : سمعت اخى عمرا قال : سمعت عمر بن عبد العزيز ، وذكر « مسجد دمشق » ، فقال : رايت اموالا انفقت فى غير حقها ، فانا مستدرك ما استدركت منها ، فراده فى بيت المال : اعمد الى ذلك الفسيفساء والرخام ، فاقلعه واطينه ، وانزع تلك السلاسل واجعل مكانها حبالا ، وانزع تلك البطائن . وابيع جميع ذلك . فبلغ ذلك أهل دمشق فاشتد عليهم . فخرج اليه اشرافهم فيهم خالد القسرى فقال لهم خالد : ائذنوا لى حتى اكون أنا المتكلم . فاذنوا له . فلما اتوا دير سمعان استاذنوا على عمر . ثم قال له خالد : بلغنا يا أمير المؤمنين انك هممت بكذا وكذا .

قال : نعم . قال : والله مالك ذلك . فقال عمر : لمن هو ؟ لامك الكافرة ! (وكانت نصرانية أم ولد) . فقال : ان كانت كافرة ، فقد ولدت مؤمنا . فاستحى عمر ، وقال : صدقت ! فما قولك : « ما ذاك لى » ؟ قال : لانا كنا معشر أهل الشام ، واخواننا من اهل مصر والعراق نغزو فيفرض على الرجل منا أن يحمل من ارض الروم قفيزا بالصغير من فسيفساء ، وذراعا فى ذراع من رخام .. فيحمله اهل العراق وأهل حلب الى حلب ، ويستاجر على ما حملوه الى دمشق . ويحمل أهل حمص الى حمص ، فيستاجر على ما حملوه الى دمشق ، ويحمل أهل الشام ومن وراءهم حصتهم الى دمشق . فذاك قولى : ما ذاك لك . فسكت عمر .

يلاحظ أن الوحدة الشاملة التى ينادى بها الآن رائد العروبة ، والقائد المظفر ، والزعيم الملهم ، رسول السلام الرئيس « جمال عبد الناصر » كانت تعم الأقطار العربية منذ مئات السنين ، كما هو واضح من رد خالد القسرى على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز .

وفود الروم واعجابهم به :

ثم جاء بريد من والى مه ريخبره أن قاربا ورد عليه من رومية ، فيه عشرة من الروم يريدون الوصول الى أمير المؤمنين . فاذن لهم وأمره أن يوجه معهم عشرة من المسلمين يحسنون الرومية ، ولا يعلمونهم بذلك حتى يحملوا الى كلامهم . فساروا حتى نزلوا دمشق ، خارج باب البريد . فسال الروم رئيس العشرة من المسلمين أن يستاذن لهم فى دخول المسجد . فاذن لهم فمروا فى الصحن حتى دخلوا من الباب الذى يواجه القبلة . فكان أول ما استقبلوا المقام . ثم رفعوا رؤوسهم الى القبة . فخر رئيسهم مغشيا عليه . فحمل الى منزله .

فاقام ما شاء الله أن يقيم . ثم افاق . فقال له أصحابه بالرومية : ما قصتك ؟ وما الذى عرض لك ؟ قال : كنا معشر أهل رومية نتحدث أن بقاء العرب قليل . فلما رأيت ما بنو ، علمت أن لهم مدة سيبلغونها . فلذلك أصابنى ما أصابنى . فلما قدموا على عمر ، أخبروه . فقال : لا أرى « مسجد دمشق » الا غيظا على الكفار . فترك ما كان هم به من أمره .

رواية أخرى فى عزمه على تجريد القبلة مما فيها من الذهب :

وقال أبو زرعة الدمشقى : حدثنى أحمد بن ابراهيم ابن هشام ، حدثنا أبى عن أبيه عن جده ، قال : أراد عمر بن عبد العزيز أن يجرد ما فى قبلة « مسجد دمشق » من الذهب . وقال : انه يشغل عن الصلاة . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، انه أنفق عليه فىء المسلمين وأعطياتهم . وليس يجتمع منه شىء ينتفع به . فأراد أن يبيضه بالجص . فقيل له : تذهب النفقات فيه . فاراد أن يستره بالخزف ، فقيل له : ضاهيت الكعبة . فبينا هو كذلك اذ ورد عليه وفد الروم فاستأذنوا فى دخوله فأذن لهم . وأرسل معهم من يعرف الرومية وقال : احفظوا ما يقولون . فلما وقفوا تحت القبة ، قال رئيسهم : كم للاسلام ؟ قالوا : مائة سنة . قال : فكيف تصغرون أمرهم ؟ ما بنى هذا البنيان الا ملك عظيم ، وأتى الرسول عمر فاخبره ، فقال : اما اذا غايظ العدو ، فدعه .

اقرار المهدى العباسى بفضل بنى أمية فى أربعة أشياء :

وقال أحمد بن ابراهيم بن ملاس : حدثنا أبى عن أبيه قال : لما قدم المهدى يريد « بيت المقدس » ، ومعه أبو عبيد الله الأشعرى كاتبه ، فقال : يا أبا عبيد الله ! سبقنا بنو أمية بثلاث : بهذا البيت ، لا أعلم على الأرض مثله ، وبنبل الموالى ، وبعمر بن عبد العزيز . لا يكون والله فينا مثله أبدا . فلما أتى « بيت المقدس » ودخل الصخرة قال : يا أبا عبيد الله ، هذه رابعة .

اعجاب المأمون ببنائه على غير مثال تقدم :

قال أحمد : وحدثنا أبى أن المأمون لما دخل « مسجد دمشق » ومعه المعتصم ويحيى بن أكثم قال : ما أعجب ما فى هذا المسجد ؟ قال المعتصم : دهنه وبقاؤه ، فانا ندعه فى قصورنا فلا يمضى عليه عشرون سنة حتى يتغير . قال : ماذاك أعجبنى منه . فقال يحيى بن أكثم : تاليف رخامه ، فانى رأيت فيه عقدا ما رأيت مثلها . قال : ماذاك أعجبنى . قالا : فما هو ؟ قال : بنيانه على غير مثال متقدم .

عجائب الدنيا خمس عند الشافعى منها : « المسجد الأموى » :

وقال الشافعى . عجائب الدنيا خمس : منارة ذى القرنين ، والثانية أصحاب الرقيم بالروم ، والثالثة مرآة ببلاد الأندلس معلقة على باب مدينتها الكبيرة اذا غاب الرجل من بلادهم على مسافة مائة فرسخ وجاء اهله اليها يرون من مسافة مائة فرسخ ، والرابعة « مسجد دمشق » ، والخامسة الرخام والفسيفساء ، فانه لايدرى له موضع .

(قلت) : وكذا ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر .

صناعة الفسيفساء وأنواعها :

والفسيفساء مصنوع من زجاج يذهب ثم يطبق عليه زجاج رقيق . ومن هذا النوع المسحور . وأما الملون فممجون .

الفسيفساء التى احترقت سنة ٧٤٠ هـ :

وقد عمل منه فى هـــذا الزمان شىء كثير برسم « الجامع الأموى » وحصل منه عدة صناديق وفسدت فى الحريق الواقع سنة أربعين وسبعمائة ، وعمل منه قبل « للجامع التنكزى » ما على جهة المحراب .

الفرق بين القديمة والجديدة فى أيام « ابن فضل الله العمرى » :

غير أنه لا يجى تماما مثل المعمول القديم فى صفاء اللون وبهجة المنظر . والفرق بين الجديد والقديم أن القديم قطعة متناسقة على مقدار واحد ، والجديد قطعة مختلفة . وبهذا يعرف الجديد والقديم .

هذا المسجد يشوق الى الجنة :

وروى الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان قال : ما ينبغى أن يكون أحد أشد شوقا الى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجدها .

الدرة المسماة « قليلة » :

وروى أحمد بن البرامى بسنده عن عبد الرحيم الانصارى قال : سمعت بعض الأعراب وهم يدورون المسجد ، يقولون : لا صلاة بعد « القليلة » فقيل له : رايت « القليلة » ؟ قال: نعم ، وهى تضىء مثل السراج . قلت : من أخذها ؟ قال : أما سمعت المثل ؟ : « منصور سرق القلة ، وسليمان شرب المرة » . منصور الأمير ، وسليمان صاحب الشرطة ، يعنى صاحب شرطته .

الأمين يسرقها ، والمأمون يردها للتشنيع عليه :

وذلك أن الأمين كان يحب البلور . فكتب الى صاحب شرطة متولى دمشق أن ينفذ اليه « القليلة » فسرقها ليلا ، وبعث بها اليه . فلما قتل الأمين رد المأمون « القليلة » الى دمشق ليشنع بها على الأمين .

ضياعها وانكسار البرنية الزجاج التى وضعت محلها :

وكانت فى « محراب الصحابة » . فلما ذهبت جعل موضعها برنيه زجاج رأيتها ثم انكسرت فلم يجعل مكانها شىء .

أستار المسجد :

وقال على بن أبى جميلة : كنا نستر « مسجد دمشق » بلبود حسنة ، فدخلته الريح فهرته . فثار الناس فخرقوا اللبود .

وصف « ابن فضــل الله العمرى » لبنائه الوثيق الأنيق :

(قلت) : واما بناؤه ، فهو وثيق البناء ، انيق البهاء ، قد بنى بالحجر والكلس الى منتهى حوائطه ، وشرف بالشراريف فى أعاليه ، واتخذت له ثلاث منائر : اثنتان فى جناحى قبلتــه ، شرقا وغربا ، والثالثة فى شامة وتعرف « بالعروس » .

ابوابه القديمة والمستجدة :

ويدخل اليه من ستة أبواب ، منها اربعة أصول واثنان مستجدان .

فالأصول : « باب الزيادة ، وهو فى حائطه القبلى ، « وباب الساعات » ، وهو فى حائطه الشرقى ، يفضى الى حضرة الساعات المعمولة لمعرفة الأوقات ، تدار بالماء ، وتعلق بها أبواب الساعات . وتجاهه فى الحائط الغربى « باب البريد » ، وهو أشهر من الشمس فى الآفاق ، وأكثر ذكرا من « ذكرى حبيب ومنزل » المرفاق . وهو حضرة فسيحة فى جانبيها حوانيت للفواكه والشمع والعطر والشراب وأطايب المأكول . وبها القنى من المياه الجارية ، توقد عليها المصابيح بالليل فيموه الماء ذهب شعاعها ، وتطرب أنابيبها الأسماع بلذة ايقاعها . والرابع « باب النطاقين وهو فى حائطه الشمالى ، تلاصقه « الخانقاه الشميشاطية » وتقاربها « الأندلسية » .

وأما البابان المستجدان فهما الباب النافذ الى الكلاسة والباب النافذ الى الكاملية . وهما جناحا باب النطافين .

صحن المسجد وفسيفساؤه :

والمسجد ذو صحن يصاقب باب النطافين ، قد فصصت حوائطه بالفسيفساء الرومى المذهب والملون بغرائب الأشجار والصباغة .

رواق الصحن :

ويدور به رواق قد أزرت جدره وسواريه بالرخام الملون ، وعقدت رؤوس عمده وسواريه بالقناطر ، وجعل على قنطرة منها طاقات صغار ، يفصل بين كل اثنتين منها عمود رخام أو سارية .

أروقة القبلة وقبة النسر :

وفى قبلته ثلاثة أروقة ، وفى وسطها القبة المعروفة « بالنسر » قد عقدت على المحراب الكبير الذى يصلى فيه خطيب الجامع وعامة الناس ، ومقصورة الخطابة وبها المنبر ، وأمامه سدة الأذان .

المصحف العثمانى الذى كان فيه :

والى جانبه الأيسر « المصحف العثمانى » بخط امير المؤمنين « عثمان بن عفان » رضى الله عنه .

محراب الصحابة :

وفى شرقى هذه المقصورة المحراب المعروف « بمحراب الصحابة » . وهو محراب المسلمين الأول . وبه تصلى المالكية الآن .

محراب الحنفية :

وغربى المحراب الكبير محراب يعرف « باللازوردة » . تصلى به الحنفية ، جوار دار الخطابة .

محراب الحنابلة :

ثم يليه باب الزيادة ، ويليه من الغرب محراب تصلى به الحنابلة . ولكل من هذه المحاريب الثلاثة امام ومؤذن . وقد وقف فى كل محراب منها وقف على مدرس وجماعة من الفقهاء من المذاهب الثلاثة : كل طائفة فى محرابها .

وصف الأروقة :

وكل أروقته بالعمد والعضائد ، عليها طاقات القناطر المعقودة بعضها على بعض . وقد أزرت جدر هذه الأروقة بالرخام الأبيض والمجزع والاحمر المنقط والأخضر المرشوش والأسود الغرابى والابقع والمعجون الازرق .

وصف قبة النسر :

وأما أركان القبة الأربعة وجناحا النسر القبلى والشامى فمن الرخام الى أعلى الجدر والأركان معمول بالفسيفساء مسقوف بالبطائن المعمولة بالذهب واللازورد والزنجفر والاسفيداج والأصباغ الخالصة من لون والمركبة من لونين .

« للترجمة بقية »

ليس شك أن حـركة « تغريب الشرق » Wastrnism هى دعـوة كاملة لهـا نظمهـا وأهـدافها ودعائمها ولها قادتها الذين يقومون بالاشراف عليها . وهى حلقـة من مخطط واسع فى تاكيد الاسـتعمار ودعمه قوامها عمل استعمارى فكرى بعيد المـدى قصد به القضاء على معالم شخصية هـذه الامة وتحويلها الى صورة غـربية الملامح ، لتخليصـها من القيم والمثل والتراث الذى يتصل بها والذى كان عاملا على تكوينها خلال الاجيال الطويلة .

تغريب الشرق

الأستاذ أنور الجندى

كان الاستعمار يفهم أنه بعد أن سيطر على العالم الاسلامى بجيوشه وقواه العسكرية ونفوذه السياسى لابد يوما أن ينسحب ، فكان لابد من وضع مخطط دقيق لبقاء نفوذه فى المناطق التى احتلها ، وكان لابد له أن يبقى حتى تتكون له طلائع تخلفه من أهل الاقطار نفسها ، يؤمنون بفكره ، ويسيرون فى اتجاهه ويخدمون مصالحه ، يكونهم عن طريق التعليم فى مدارسه ، ووفق أهدافه ، وتكون أمانتهم له اكثر من أمانتهم لاوطانهم .

وليس كل من تثقف بالغرب ، أو اتصل بالمستشرقين ودوائر الفكر الغربى كذلك . وليس كل من اتصل بالغرب وآمن به استمر

على ايمانه ، فان الحقائق لاتلبث أن تنكشف عن زيف الاستعمار ومغالطته ، فلا يلبث الامر ان يظهر أن هناك خداعا قوامه كلمات براقة ، وشعارات تقول بتنوير الشعوب وتمدينها وتدعو الى الحرية أو الاخاء أو المساواة ، أو ماشابه ذلك ، ثم لاتلبث الاحداث أو تثبت تعصب الغرب وتناقضه ، وائتماره بهذه الامة وفرض سلطانه بالحديد والنار ، هنالك تتحول الافكار عنه ويكفر به من كان قد خدع يوما .

ولسنا فى هذا الرأى نذهب الى الغض من شأن الفكر الغربى أو نصرف وجوهنا عنه ، بل على العكس من ذلك ، نحن لانراه فكرا غربيا وانما نراه فكرا انسانيا فى الاساس وان انحرف فى بعض مفاهيمه ، ونحن لانقفل ابوابنا أمام الثقافات العالمية شرقية وغربية فقد شاركنا فيها ، وكان لنا دورنا الكبير فى بناء هذه الحضارة ، دورنا غير المذكور عند المنصفين من كتاب الغرب ومفكرية .

ولكنا قبل أن نفتح الأبواب لكل الثقافات لابد أن نكون من متانة الاستعداد النفسى والذهنى والروحى بحيث لا تقتلعنا ثقافات الأمم ، ولاتحولنا وجهة غير طريقنا ، ولاتفسد معالم شخصيتنا الاساسية الواضحة .

فلقد نقلت أوربا ثقافتنا العربية الاسلامية وأقامت عليها أسس حضارتها ومع ذلك لم يتحول وجها عربيا أو اسلاميا أو شرقيا .

كذلك نحن ، امة لهامقوماتهاوكيانها ووجهها ذى الملامح الواضحة ، فلابد أن يبقى هذا « لأساس » ثم لنأخذ ما نشاء من حضارات الأمم وثقافاتها ، مايزيد شخصيتنا قوة وحياة ويدفعنا الى الامام فى ركب الحضارة .

ولعل « حركة التغريب » لم تكن قاسية الا بالنسبة لهذا الأمر فقد كانت صيحتها على لسان دعاتها واتباعهم من كتابنا ، ان الحضارة الغربية كل لا يتجزأ وانه لابد من اخذها جميعا ، أو تركها جميعا ، وهذا رأى مدخول فيه من الخطأ والاستهانة بالفكر نفسه ما فيه ، فما من امة تستطيع أن تأخذ كل ما عند الامة الاخرى ، ولقد عاشت الامم تتعارض الحضارات وتقيس الثقافات دون أن تتحول عن طوابعها الاساسية .

ولقد كان الاستعمار والنفوذ الاجنبى يعرفان أن السيطرة الكاملة على هذه الامة امر مستحيل فان لها من مقومات شخصيتها القوية الصامدة العنيدة ، ومن أسس فكرها العربى الاسلامى القرآنى مايحول دونها ودون الاستسلام أو الركوع أوالخضوع لاى قوة خارجية أجنبية ، فكان لابد من الحملة على هذه المقومات للقضاء عليهاوتحويل وجه الامة الى قيم أخرى تدمر كيانها وتفرض عليها التسليم للقوى الخارجية فى أن تسود وتمتد وتتوسع ، وبذلك يبقى الاستعمار حيا فى صورة اخرى من صور النفوذ الفكرى .

اذن فالتغريب هو محاولة ((تغييرالمفاهيم)) فى العالم العربى والاسلامى والفصل بين هذه الامة وبين ماضيها وقيمها ، والعمل على تحطيم هذه القيم بالتشكيك فيها واثارة الشبهات حول الدين واللغة والتاريخ ومعالم الفكر ومفاهيم الاراء والمعتقدات جميعا .

ولقد صور لورد كرومر منهج هذا العمل الذى اصطنعته فرنسا وانجلترا وهولنده فى العالم الاسلامى حين قال : ((ان الشبان الذين يتلقون علومهم فى انجلترا وأوربا يفقدون صلتهم الثقافية والروحية بوطنهم ، ولا يستطيعون الانتماء فى نفس الوقت الى البلد الذى منحهم ثقافته فيتأرجحون فى الوسط ويتحولون الى مخلوقات شاذة ممزقة)) .

وكان هذا بالطبع هو الهدف من الارساليات المختلفة التى غزت بلادنا فى صورة مدارس وجامعات وفى البعثات الموجهة الى أوروبا والى عواصم الدول المحتلة بالذات .

وفى هذا ، قال جيران أن الشاب الذى تناول لقمة من العلم فى مدرسة أمريكية قد تحول بالطبع الى معتمد أمريكى ، والشاب الذى تجرع رشفة من العلم يسوعيه صار سفيرا لفرنسا والشاب الذى لبس قميصا من نسج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا وكان هذا هو الحق الى حد كبير ، فقد غزا الغرب الشرق . بجحافل من العلماء والمبشرين والمستشرقين والاثريين والصحفيين وشيدت مؤسسات ضخمة فى مختلف عواصم العالم الاسلامى لفتح ابوابها لثقافات بلادها . **وبدا**

هذا النفوذ الفكرى يعمل ويسيطر فى مجالات المدرسة والجامعة ، والصحافة ، والثقافة والتربية والطب والسينما والاذاعة .

وهكذا كان « التغريب » عملا خطرا دقيقا قوامه الحرب المنظمة للقيم التى عاشت عليها امتنا ، فى اسلوب مغلف بالضباب ، يحاول ان يثير غمامة كثيفة من التشكيك والتحقير والاستهانة بكل ما لدينا من قيم باسم « القديم » البالى الموروث ، ولم تمض سنوات قليلة حتى كان ابرز المسيطرين على « الصحافة » فى العالم العربى والاسلامى من هؤلاء المتنكرين لقيمنا الذاهبين مع التغريب فى طريقه ، والصحف الوطنية ذات المبادىء كانت تسقط واحدة بعد اخرى ، بينما ظلت الصحف التى تخدم التغريب تقوى وتتوسع . وفى مجال « الترجمة » كان الهدف هو بث فكر جديد قوامه القصص المكشوفة ، والاراء المسمومة ، وفى مجال المدرسة كانت تقدم الكتب التى تنقص من قدرنا وتصم تاريخنا بالضعف وماضينا بالذلة وسيطر على الجو الفكرى كله تيار جديد هدام قوامه الاستهانة بكل القيم وفى مقدمتها الدين والروحية ، كما فرضت الحضارة على بلادنا اسوأ ثمراتها ، ام ترسل لنا الا تجارة الرقيق الأبيض والكحول ومواد الزينة واللهو بغتة تحطيم كيان المجتمع ، وبدت فى جو مجتمعنا ريح تدعو الى الرخاوة والمتعة واللذة والتخلص من كل القيود .

ولم تكن هذه الدعوة تهدف الا الى تدمير القيم الاساسية لهذه الامة ، قيم المقاومة والصلابة والتصميم وتحويل نظر الامة عن الجهاد والتضحية والفداء فى سبيل الحرية .

كان هدف التغريب واضحا هو محاولة قتل شخصيتنا ، ومحو مقوماتها وتدمير فكرها ، وتسميم ينابيع الثقافة فيها .

وفى هذا المجال برزت الدعوة الى التحرر من طابع العروبة وطابع الدين وجرت الشعارات الجديدة فى الارتباط بحضارات البحر الابيض ، وبأن مصر جزء من أوربا ، وبرزت دعوات الفرعونية فى مصر والفينيقيين فى الشام والآشورية فى العراق ، وبرزت النعرات القديمة باسم مسيحى ومسلم ، وعربى وبربرى ، وعربى وكردى ، وكان الاستعمار هو الذى يحمل لواء هذه الدعوات ويثيرها ويقلب جمرها ، ويخرجها من كهوف الماضى ليمنحها الحياة ويجمع حولها بعض أعوانه عن طريق الفكر والكتابة بغية تقسيم الامة .

***

ولم يمض طويل حتى اعترف كتاب الغرب بحركة التغريب وجاءوا يبحثون مدى ما وصلت اليه وما حققته من هدف . وقال جب فى كتاب « وجهة الاسلام » ان حركة التغريب كانت بعيدة المدى بانزال الاسلام من عرشه فى الحياة الاجتماعية » .

***

وقد عملت « حركة التغريب » فى جملة ميادين ، بدأ العمل فيها غربيون نزلوا الى المعركة ثمة ، ثم اسلموا مقاليد الامور من بعد الى كتاب من العرب والمسلمين ، حتى يبعثوا الثقة فى نفوس المواطنين الى الصوت الاليف الذى يجد الصدى ، وفى كل ميدان من ميادين العمل كان النفوذ الاجنبى يجد من يعاونه من ابناء الاوطان ، واذا كان هجومه على الدين كان قاسيا ، فان من المؤسف أن تجد كثيرا ممن حمل لواء هذا الهجوم من الذين ثقفوا أول الامر ثقافة اسلامية وكانت اللغة والدين فى الأغلب هما الميدانان الكبيران للعمل البعيد المدى ، وان كان التغريب لم يترك ميدانا دون أن يوغل فيه ويسممه ويبعث فيه الشك .

وكانت كلمة « حرية الرأى » والتقدمية ، ومقاومة الرجعية ، والتطور من الكلمات البراقة التى لعبت دورا كبيرا فى خداع الجماهير .

واستطاع التغريب أن يجد المنافذ المرنة الماكرة الى مايريد دون أن يصطدم بالعقائد ، أو يواجه المواقف الحرجة ، وان كان المبشرون قد هاجموا المقومات صراحة ، وقاموا بعملهم فى عنف أول الأمر ، فانهم لم يلبثوا ان تحولوا عن هذه الخطة ، واختفوا من المسرح ، واستبطنوا اهدافهم ، ومولدها الى صورة

أخرى أكثر دقة ومكرا . فبرزت احاديث صورية فيها تمجيد للدين وللغة ولمقومات الامة فاذا تخدرت أفكار القراء ، ووثقوا بالكاتب وكتاباته ، بدأت عملية التشكيك الخفى ، المدخول الدقيق ، بل ان بعض الكتاب الذين عملوا مع التغريب وهاجموا المقومات الاساسية فى أول الأمر ، لم يلبثوا بعد قليل أن تحولوا مظهريا ، وخاضوا الحديث فى أقدس مقدسات الامة ، عاملين على كسب الثقة الشعبية العامة فى هذا المجال ، حتى يتأتى لهم من بعد ان يحققوا فى الخفاء ما يهدف اليه دعاة التغريب لقد اختفت المعركة من المسرح ، ودخلت الى الكواليس ، **فكان مجال العمل ، هو مناهج التعليم نفسها ، أو مقالات الصحف أو فرض المذاهب الفكرية الغربية ، وتأكيدها والاختفاء ورائها . وخاصة ما يتصل منها بمقاومة القيم العربية الاسلامية ، كالمذاهب المادية والنظريات الفلسفية والنفسية التى تدمر قيم الانسان وتعريه وتكشفه على نحو يقلل من كرامته ،** وفى هذا المجال ظهرت عشرات من النظريات **والمذاهب والفلسفات المضطربة الذاهبة فى كل مجال ، وكان من شان اذاعة هذه المذاهب والنظريات احداث بلبلة فكرية من شانها أن تقضى على الايمان بالمقومات الاصلية . وتدفع الفكر العربى الاسلامى فى متاهات وتخبطات .**

بل أن الخطط التى قدرها الغربيون ازاء موقف المسجد والكنيسة حين حاولت أن تقف أمام النهضة والحضارة ، حاولوا نقلها الينا مع الفارق البعيد بين موقف الاسلام من الحضارات والنهضات وموقف المسيحية ، فلقد كان الاسلام قادرا دائما على مواجهة كل تطور ، وفيه من السماحة والتفتح والاستجابة ما جعله صالحا لكل زمان ومكان ، فكان هذا الاتجاه فى نقل موقف الغرب من جمود الكنيسة ليس الا لونا من هذه البلبلة الفكرية التى هى قوام دعوة التغريب .

***

ولم تكن حملات التغريب على القيم والمقومات والتاريخ واللغة والدين فى الشرق قائمة على أساس علمى على نحو ما يذهب اليه اسلوب البحث العلمى ، وانما كانت حملات يغلب عليها الهوى والتعصب ، وتسيطر عليها ريح الحقد والاستعلاء وخلق الفوارق البعيدة بين الجنس الابيض وغيره من الاجناس مع سيطرة فكرة التفرقة بين أصحاب الحضارة وبين الشعوب التى كان لها دورها من قبل فى حمل أمانة الحضارة ، حين كانت أوربا تعيش فى الوحل والظلام ، فاذا أضيف الى هذا الاصرار العجيب على انكار فضل العرب والمسلمين على الحضارة على نحو فيه مغالطة وانكار لوقائع التاريخ نفسه تبين الى مدى يذهب دعاة التغريب ، فآسيا هى المتبربرة ، وأوروبا هى المتحضرة ، وليس أكذب ولا ابعد عن الحقيقة ما يحاول الغربيون أن يقولوه فى هذا المحال من أن التاريخ والحضارة قد بدأت من أثينا ومرت على روما .. ثم اختفت الف سنة لتظهر من جديد فى حركة النهضة . أما قبل اثينا فليس شىء ، واما ما قبل النهضة فلا شىء ، وفى هذا الراى ما فيه من الخطأ ومجافاة الحقيقة .

والواقع فان قبل أثينا كانت حضارات النيل والفرات ، وقبل النهضة كان المسلمون والعرب فى دورهم الضخم البعيد المدى حين حملوا لواء الحضارة والفكر ، وترجموا أثار اليونان وزادوا فيها وأضافوا اليها وحققوا الأسس الكبرى التى قامت عليها الحضارة فيما بعد .

***

والحق ان حركة تغريب الشرق قامت على المغالطة والتضليل ، ومحاولة مسخ القيم والمقومات العربية والاسلامية وادخال قيم ومقومات جديدة تهدم شخصيتنا وتصيرنا مسخا لا هو من الشرق ولا هو من الغرب ، ثم هى بعد ذلك تنكر دورنا وتحاول أن تغض من شان لغتنا وتاريخنا وتراثنا على نحو لا يصمد أمام البحث العلمى الصحيح ، وهو ما سنكشف عنه بتوسع فى مختلف مجالاته وجوانبه .

مواقيت الصلاة

الأيام	جمادى الآخرة ١٣٨٤	أكتوبر ١٩٦٤	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
الاربعاء	١	٧	٢٥	٤	٥٢	٥	٤٣	١١	٣	٣	٣٤	٥	٥١	٦
الخميس	٢	٨	٢٦		٥٢		٤٣		٢		٣٣		٥٠	
الجمعة	٣	٩	٢٦		٥٣		٤٢		١		٣٢		٤٩	
السبت	٤	١٠	٢٧		٥٤		٤٢		١		٣٠		٤٧	
الأحد	٥	١١	٢٧		٥٤		٤٢		٠٠	٣	٢٩		٤٦	
الاثنين	٦	١٢	٢٧		٥٥		٤٢		٥٩	٢	٢٨		٤٥	
الثلاثاء	٧	١٣	٢٨		٥٥		٤١		٥٨		٢٧		٤٤	
الأربعاء	٨	١٤	٢٩		٥٦		٤١		٥٧		٢٦		٤٣	
الخميس	٩	١٥	٣٠		٥٧		٤١		٥٧		٢٥		٤٢	
الجمعة	١٠	١٦	٣٠		٥٧		٤١		٥٦		٢٤		٤١	
السبت	١١	١٧	٣١		٥٨		٤٠		٥٥		٢٢		٤٠	
الأحد	١٢	١٨	٣١		٥٨		٤٠		٥٤		٢١		٣٩	
الاثنين	١٣	١٩	٣٢		٥٩		٤٠		٥٣		٢٠		٣٨	
الثلاثاء	١٤	٢٠	٣٣		٠٠	٦	٤٠		٥٣		١٩		٣٧	
الاربعاء	١٥	٢١	٣٣		١	٦	٤٠		٥٢		١٨		٣٦	
الخميس	١٦	٢٢	٣٤		١		٣٩		٥٢		١٧		٣٥	
الجمعة	١٧	٢٣	٣٥		٢		٣٩		٥١		١٦		٣٤	
السبت	١٨	٢٤	٣٥		٣		٣٩		٥٠		١٥		٣٣	
الأحد	١٩	٢٥	٣٦		٣		٣٩		٤٩		١٤		٣٢	
الاثنين	٢٠	٢٦	٣٦		٤		٣٩		٤٩		١٣		٣١	
الثلاثاء	٢١	٢٧	٣٧		٥		٣٩		٤٨		١٣		٣١	
الأربعاء	٢٢	٢٨	٣٨		٦		٣٩		٤٨		١٢		٣٠	
الخميس	٢٣	٢٩	٣٨		٦		٣٩		٤٧		١١		٢٩	
الجمعة	٢٤	٣٠	٣٩		٧		٣٩		٤٦		١٠		٢٩	
السبت	٢٥	٣١	٤٠		٨		٣٩		٤٦		٩		٢٨	
الأحد	٢٦	نوفمبر ١	٤١		٩		٣٩		٤٥		٨		٢٧	
الاثنين	٢٧	٢	٤١		٩		٣٩		٤٤		٨		٢٧	
الثلاثاء	٢٨	٣	٤٢		١٠		٣٩		٤٤		٧		٢٦	
الأربعاء	٢٩	٤	٤٣		١١		٣٩		٤٣		٦		٢٥	

شركة مصر لتجارة السيارات

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت .. القاهرة

تعتبر أولى شركات القطاع العام المصرح لها بالاستيراد والوكيلة عن الشركات العالمية الآتية :-

توكيلات عالمية

مصانع سيارات فولكس واجن — مصانع أوناش بيل

مصانع سيارات مرسيدس — مصانع موتورات كمنز

مصانع سيارات فولفو — مصانع موجارت بالجر

مصانع س.أ.ف — دلوكاس — مصانع موتوكوف بتشيكوسلوفاكيا

مصانع جرارات دافيد براون

محطات الخدمة :

- ورشة مرسيدس
  ١٠ شارع الجلاء ت ٧٣١٣٢ - ٧٣٠٢١ - ٧٣٠
  بالقاهرة
- محطة خدمة سيارات نصر
  بالقاهرة
  ١٢ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٤٩٧١٠
- ورش فولكس فاجن
  ٥ شارع النيل بإمبابة ت ٨٠٠٦٨٢ - ٨٠٩٨٤٩
  ٤ شارع الادريسي بمنشية البكري بمصر الجديدة
  تليفون ٦٠٤٠٦
  ٣ شارع رياض بالأزاريطة بالإسكندرية
  تليفون ٢٥٨٩٦

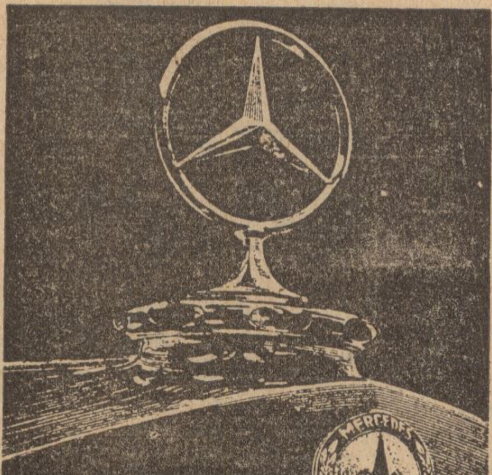

MERCEDES-BENZ

حديث مع طلبة البعوث الإسلامية

الأستاذ عبد العزيز العلي

لقد تفضل الأخ الأستاذ محمد توفيق عويضه سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بدعوتى لزيارة معسكر أبى بكر الصديق بالاسكندرية .. وكان يضم زهاء سبعمائة طالب من مختلف البلاد الاسلامية كدفعة من آلاف الطلبة المنتسبين للمعسكر وهم ممن يدرسون فى المعاهد المختلفة فى الجمهورية العربية المتحدة .. كعادتهم فى كل سنة .. والحق أنه عمل مبرور يشكر القائمون عليه ، اذ فيه رفع لشأن الطلبة علميا ونفسيا ، واشغالهم فى هذه الفترة الصيفية بما يفيد وينفع ، ويقوى عندهم الايمان الصحيح ، ويرسم لهم طريق العمل الصالح ، ويقربهم من كل خير ويبعدهم عن كل شر . فجزى الله القائمين على هذا العمل النافع الذى يحفظ شباب المسلمين خير الجزاء ... وللمجلس الأعلى للشئون الاسلامية أعمال قيمة كثيرة أخرى ليس المقام مقام تعدادها وتبيانها ..

وقد كان حضورى الى المعسكر بغرض التحدث الى الطلبة ، فرأيت أن يكون موضوع حديثى اليهم حول « سورة الرحمن » وكان بعض هذا الحديث خطر لى فى ذلك الموقف وبعضه الآخر سبق أن تحدثت عنه وكتبت فيه من قبل ، فرأيت تسجيله فى هذه الكلمة مع بعض اضافات طرأت عند الكتابة وبعض اضافات لم تأت بالحديث لضيق الوقت . راجيا المولى جل سبحانه أن يحقق ما نرجوه من عزة للاسلام على علم من القرآن ، والله هو الهادى الى سواء السبيل « أما الحديث الذى لاح لى هو أنى وجدت أن اسم الرحمن يلتقى مع لفظ الجلالة « الله » بالجلال ويلتقى مع الرحيم الذى هو اكرام منه لعباده بالرحمة والاكرام ، فيكون ابتداء السورة وختامها بهذا الاسم المبارك ، واذكر بهذه المناسبة ما كتبته سنة ١٩٤٣ فى مجلة التمدن الاسلامى التى تصدر فى دمشق بمناسبة استفتائها حول تعريب كلمة دكتور بكلمة عليم ، ومما قلته فيما أذكر أنه لا مناص من النعت بعليم ، ورحيم ، وغفور ، وشكور ، وغنى وعزيز ، وغير ذلك من الصفات الكريمة فى اللغة كصفات عابرة ، وكلمات جارية على الألسن لمستحقها من الخلق ، ومن المعلوم أن الاكرام من الله القادر على كل شىء ليس كمثل الاكرام من مخلوق ضعيف ، وان الله عز وجل موصوف بصفات الكمال جميعها وجوبا سرمديا ، أى أن صفاته أزلية قديمة قدم ذاته جل سبحانه .. وانه لا يجوز تسمية مخلوق بأى اسم يشعر بالجلال كاسم الله واسم الرحمن ، وبكل اسم يشعر بالجلال أيضا كترادف الصفتين أو ما شابه ذلك فى مثل ما ورد فى القرآن خاصا بالله وحده « كغفور رحيم » وعزيز حكيم ، وغنى حميد ، والعزيز الكريم ، وغير ذلك من ترادف الصفات الكريمة وكذا فيما يظهر شديد العقاب « ذى الطول » ..

وعلى هذه القاعدة فالقلب لا يرتاح لتسمية مخلوق بصاحب الجلالة أى « ذى الجلال » وصاحب العظمة ، وصاحب السمو ، على أن هذه التسميات تقل تدريجيا وسيحرمها أهلها أنفسهم فى يوم ما ويشعر بالجلال . كذلك فيما أعتقد بعض ماجاء على وزن فعال كقيام ، ورزاق ، وجبار وغير ذلك من الأسماء المباركة أو على وزن فعول بفتح الفاء وضمها كقيوم ، وقدوس ، والأمر فى بعض الأحوال على ما اعتقد هو احساس وجدانى واطمئنان قلبى فالشعور التلقائى بالجلال وبالاكرام هو الذى يحدد ذلك « فاستفت قلبك أيها المؤمن ؟ » ..

ولم يرد فى القرآن ولا فى السنة ولا فى اللغة مثل هذا الترادف المخلوق الا ما اختص الله به رسوله (ص) من ترادف الرأفة والرحمة « والصفتان متشابهتان فى المعنى » بقوله جل شأنه « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » ..

اسم الرحمن

فكان اسم الرحمن هو جلال واكرام وهو واسطة العقد وسواد العين لاسم الله الأكبر «بسم الله الرحمن الرحيم» ولقد سئل رسول الله (ص) عن هذا الاسم المبارك «الرحمن» فقال : هو اسم من أسماء الله ما بينه وبين اسم الله الأكبر الا كما بين سواد العين وبياضها من القرب .. وقلت ان الترابط بين أسماء الله الحسنى الثلاثة متين وقوى . وان هذه القاعدة للكون كله اذ أنه يقوم على التماسك بين جميع ذراته وكل مجموعاته ، فكل ذرة من ذرات الكون تشكل ملكوتا كاملا يستوى الرحمن على عرشه (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون) . (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم) ولقد سبق أن نشر لى بمجلة منبر الاسلام الغراء أكثر تفصيلا حول تفسير بعض آيات من مستهل سورة « الملك » .

القرآن علم يعلم ، والانسان مخلوق يتعلم

فى الآية الثانية من سورة الرحمن « علم القرآن » فالقرآن علم من علمه وروح من أمره « له الخلق والأمر » ثم جاء الخلق بعد ذلك فى الآية الثالثة من السورة الكريمة بقوله جل سبحانه « خلق الانسان » فالعلم والخلق صفتان أزليتان من صفات الخلاق العليم ، ولا يمكن لصفة الخلق أن تخلق صفة العلم أو لأى صفة من صفات كماله جلت عظمته ، والله جل سبحانه أزلى بذاته ، وأزلى بصفاته ، ... ولقد نشر لى مثل ذلك وأكثر تفصيلا فى بيان ما ظهر لى من مستهل سورة الرحمن فى مجلة « منبر الاسلام » الغراء ..

فضل الانسان بالعلم

وجاءت الآية الرابعة (علمه البيان) ان هذا المخلوق الانسانى وقد فضله الله على سائر المخلوقات بالعلم « العلم الذى كان هو السر الذى احتفظ به جل سبحانه عن ملائكته الكرام حين غاروا على لله عندما أخبرهم بانه خالق خليفة لسلف فسد فى الأرض وسفك الدماء ، أى غيرة منهم على جلال الله ألا يقدر حق قدره ويعبد حق عبادته ، والملائكة الكرام هم أولى بهذه العبادة الصادقة وذلك التقدير الحق ، والتسبيح بحمد الله والتقديس له لا اعتراضا عليه سبحانه . فقال لهم : « انى أعلم ما لا تعلمون » . وقدم علما لآدم ، بعد أن هيأه له ثم امتحن الله من فى الملأ الأعلى جميعهم امتحانا علميا نجح فيه آدم وحده ، فامر الله سبحانه الملائكة الكرام بالسجود لآدم ، ولا تزال الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم من بنى آدم رضا بما صنع ، واعترافا بفضل العلم ، وفى امكان هذا المخلوق ان يلبس التقوى ، ويتدرع بالورع ، ويجعلها وسيلته المثلى لطلب العلم لقوله جل سبحانه : « واتقوا الله ويعلمكم الله » وقوله (ص) عندما سئل عن الراسخين فى العلم فقال : « من طهرت سريرته وحسنت سيرته وعف بطنه وفرجه » .

الشمس والقمر والأجرام الأخرى بحساب فى الوزن والابعاد والنظام :

تقول الآية الخامسة : « الشمس والقمر بحسبان » ولعل ما تشتمل عليه هذه الآية الكريمة من المعانى المباركة ان الشمس والقمر يسبحان فى الفضاء بحساب دقيق وتماسك متين ..

ومن المعلوم الواضح ان هناك تبادلا فيما بين الارض والسماء ، فماكان وزنه اثقل من وزن الهواء يتجه نحو الارض ، وما خف وزنه عن الهواء يصعد الى السماء وان لكل جرم فى الوجود جهات ست أصلية ، كما ان لكل جرم وزن معين وقد كررت فى كتاباتى السابقة هذه القاعدة العامة وهى « بمقادير الفراغ معايير الوزن » وان ذرة الهايدروجين أكثر فراغا من ذرة اليورانيوم لذا فالأخيرة أثقل وزنا .

والوزن ينصب الى الجهة السفلى أى جهة الأرض ما لم يحصل ما يمنع النزول كالقوة مثلا ، أما الجهات الخمس الباقية فانها خالية الوزن ، ومن المعلوم أن قوة الانطلاق فى كل جرم هى ضد الوزن ، ومن ذلك انطلاق الطائرة فى الفضاء مع احتفاظ الركاب فى داخلها بوزنهم باتجاه مقاعدهم نحو الأرض ، وقد يحصل بالطائرة ذاتها ميل أو مواربة لاسيما عند الاقلاع والنزول فيختل التوازن فتربط أحزمة ركاب الطائرة حتى لا يتحول الركاب عن مقاعدهم نتيجة لفقد التوازن ، كذلك فيما لو أدير اناء به ماء مثلا بسرعة كبيرة يبقى الماء أو غيره فى الاناء دون أن يتجه الى الأسفل نحو الأرض ، ومثال آخر فالدراجة البخارية التى صنعت لتسير على الأرض لتقريب المسافات فقد ترى هذه الدراجة فى بعض الألعاب تسير بسرعتها داخل قفص حديدى يشبه الكرة تسير على قاع الكرة وسقفها وجوانبها على حد سواء ..

ويقول المولى جل سبحانه فى كتابه الكريم « واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله ، وظنوا أنه واقع بهم ، خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » ، ويقول جل سبحانه (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » . وكأن هذه الآيات الكريمة تلفت الى ما فى ذلك من قواعد علمية هامة ..

ولعل القوة الانطلاقية ومواربة الاتجاه يسببان الالتقاء الوسط فيما بين جهة الوزن وجهات اللاوزن الأخرى ، فيحدث انعدام الوزن كما هى الحال خارج غلافنا الهوائى ، ولا يمكن للجرم أن يعود الى الأرض الا اذا تحكم به فى الاتجاه نحو الأرض وانطلق الجرم انطلاقا عكسيا نحوها بقوة فى بادىء الأمر ثم يستسلم لقانون جو الأرض متحاشيا السقوط بموانع عكسية أيضا ..

الوزن

وقد جاء فى الآية السادسة تأييدا لما تقدم بقوله سبحانه « والنجم والشجر يسجدان » والنجم فيما يظهر أنه كل ما نجم عن الأرض من معادن وغيرها ، والشجر وما ينبت على ظهرها ، والسجود هو الاتجاه الى الأرض » وفى اللغة نخل سواجد أى مائلة ، وقيل له اسجد لليلى فاسجدا أى (بعيرها) لتركب ومن ذلك أيضا السجود فى الصلاة وهو وضع جبهة المصلى ورأسه على الأرض ..

والآية السابعة تدعم الآية السادسة وتبينها أيضا بقوله جل سبحانه « والسماء رفعها ووضع الميزان » أى أن كل ذى وزن - فيما يظهر - موضوع نحو الأرض وكل ما فقد الوزن مرفوع نحو السماء ، ويقوم ذلك على الاوزان الدقيقة ، والحسابات الصحيحة ، ويثبت الجرم فى دائرة فلكه فى الفضاء حيث يتم التوازن والتعادل فيما بين الجذب والرفع والجريان وعوامل الجذب الأخرى ، والله سبحانه أعلم ..

وفى الآيتين الثامنة والتاسعة أمر بضبط الموازين بلا زيادة أو نقصان « وكل شىء عنده بمقدار » ، بقوله سبحانه « ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » ..

وتؤيد الآية العاشرة ما تقدم من أن الأرض ذاتها موضوعة فى جهة الوضع أى أن الوضع فيما يظهر ليس للأرض ذاتها بل للجهة التى فيها الأرض. «والارض وضعها للأنام» ، أى أن الأرض ذاتها موضوعة بحساب ورواسى فى جهة الوضع والآيتان الحادية والثانية عشر تذكرنا بفضل الله علينا اذ جعل لنا من هذه الأرض حبا وفاكهة ونخلا ، وجعل لهذا الرزق وزنا ، كى نستطيع تناوله والاستفادة منه بقوله

سبحانه « فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان » ..

وفى الآيتين الرابعة والخامسة عشر تأييد لفضل الله علينا اذ جعل لنا وزنا بخلقنا من طينة هذه الأرض أيضا كى نستقر عليها ، ونتجاوب معها ، ونفلحها ونصلحها .

الجن من الوزن الخفيف المرفوع جهة السماء

أما المخلوق الخفى الآخر فقد خلق من مواد خفيفه لا يستطيع معها الاستقرار على الأرض الا بعوامل عكسية معينة وتقول الآية الكريمة « خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار » وتؤيد هذا المعنى وتبينه الآية الكريمة التى أشارت الى تسخير الجن لنبى الله سليمان بان لها ثلاثة أوزان بقوله سبحانه « ومن الشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد » ومن ذلك يظهر أن وزن البناء قريب من وزن الهواء ، أما الغواص فانه أخف وزنا لاضطراره الاستعانة بالغوص فى الاتجاه الى نبى الله سليمان على الأرض كمايغوص الانسان فى البحر المائى ، أما المقرنين فى الاصفاد فانهم أخف الأنواع الثلاثة لحاجتهم الى تقرينهم فى الأثقال للاستقرار على الأرض ، وهذه أمور بديهية معروفة وقد تقدم الحديث عنها بما هو أكثر تفصيلا .

بحار الأجواء الثلاثة المعروفة

هذا وقد أثبت العلم أن البحار الثلاثة المختلفة الكثافات والأوزان وهى البحر المائى والبحر الهوائى ، والبحر الأثيرى ، متقاربة فى القواعد العلمية ، والسنن الكونية وأن ما ينطبق على أحدها ينطبق على الآخر ، وطالما ان هناك قاعدة لأرشميدس فى البحر المائى . فليس هناك ما يمنع من تطبيقها على البحرين الآخرين أما نظرية نيوتن فلا حاجة لها أصلا لوجود قاعدة أرشميدس ، لأن القاعدة تلغى النظرية فيما لو جاءت بعدها فما بالك اذا جاءت قبلها ، وانتشار نظرية نيوتن مع وجود قانون أرشميدس يدل على أن الأستاذ يستطيع أن يزرع الفكرة فى تلاميذه وان كانت هذه الفكره خاطئة ، أو غير ثابتة ، أو لا حاجة لها أصلا ، ثم يتوارثها الأبناء عن الاباء والطلبة عن الأساتذة ، كتوارث العقائد غير السليمة ، وعلى هذه القاعدة فان هناك الكثير من القوانين العلمية والحكم المفيدة قد ماتت بموت أهلها لعدم وجود تلاميذ يرثون العلم وينشرونه على أنى أعتقد أن التقيد بنظرية نيوتن يكلف العالم كثيرا من المال ويؤخر انطلاقه العلمى. ولا خلاف مع نيوتن فى اتجاه الأثقال نحو الأرض الا أنه يسميها جاذبية وقانون أرشميدس الذى نعتقد أنه هو القاعدة السليمة فى البحار الثلاثة يسميها وزنا ، الأمر الذى أبقى على نظرية نيوتن مئات السنين دون الغائها أو تحولها لقانون .

عرض دون فرض

هذه بعض خواطر ولمحات عرضتها فى حديثى كمعان كريمة شملتها سورة من كتاب الله العظيم ، ومما قلته أن ما ظهر لى هذا أعرضه ، ولا أفرضه ، ولعل أن يجعل الله فيكم أيها الأبناء .. الكرام من يوفق للتقدم العلمى فيستفيد من علم الله فى كتابه الذى لا تنقضى عجائبه ، وبداية العلوم فى القالب أحاديث وتصورات ..

ليس فى القمر جاذبية من الجهة الموالية للارض ولكنه يخضع لقانون الوزن من الجهة الثانية .

ومما قلته أيضا فى حديثى أنه كان من المعتقد ان هناك نقطة التقاء وسط فى الجاذبية ما بين الأرض والقمر ، ولكن التجارب أثبتت عدم صحة ذلك ، وانى أعتقد أن للقمر أعلى وأسفل أى فوق وتحت ، وان كل ذى وزن يمكن له النزول أو الهبوط أو الوقوع من الجانب المظلم الذى لا يوالى الأرض ، كما هى الحال فى الأرض وفى كل قمر ، وكل سطح للجسم المرتفع وجوفه ، أما الجهة المنيرة الموالية للارض فلا يمكن الوصول اليها الا ارتطاما كما هى الحال فى اصابة كل هدف مرتفع من الناحية الموالية للمستهدف . وليس من المستبعد ان يكون فى الصاروخ الروسى الذى أخذ صورة للقمر من الناحية المظلمة انسان، ومما قلته فى حديثى ان الصاروخ المتجه الى القمر اذا لم يرتطم فيه فانه ينفلت منه ويبعد عنه ، وبعد بضعة أيام طالعتنا الاذاعات والصحف بأن أمريكا أطلقت صاروخا « رينجر ٧ » وانه سيأخذ صورا للناحية المظلمة - للقمر ثم يرتطم بالجهة المضيئة منه ، فعجبت لهذا القول وقلت سبحان الله هذا مخالف لما اعتقد . ومن عادة أمريكاالاعلان فى تجاربها ، أى أنها لو أرسلت انسانا لأعلنت عنه ، ومن يدرى لعل ذلك من المفاجآت العلمية التى ليست فى الحسبان ، ثم توقعت أن يكون ذلك غير معقول ، اذ كيف يترك الجهة الموالية ويأخذ صورة للجهة غير الموالية ثم يعود فيرتطم بالجهة الموالية ، وانتظرت بفارغ الصبر الى أن حدث ما هو معقول اذ أن الصاروخ ارتطم بالجهة المضيئة ولا فرق بينه وبين سابقه « رينجر ٦ » الا أن أجهزة التصوير قد سجلت صورا للقمر الى حين وقوع الارتطام ، على أنه وان كان ما جاء به من صور علمية جديدة تعد سابقة مفيدة ، الا أن كل ما فى الأمر انه قد زاد فى توضيح المعالم التى سجلتها آلات التلسكوب قبله ، فعمله يعتبر طفرة تلسكوبية ليس الا ، أما الصاروخ الروسى فقد جاء بشىء جديد وصورة لا يمكن لآلات التلسكوب العالمية أن تصل اليها ، على أن وجود ثغرات وقوف بين تصوير وتصوير فى « رينجر ٧ » مما يجعل الانسان يشك فى أن فيه انسان يستطيع تصليح الآلات كلما حصل فيها بعض الخلل ، والظن لا يغنى عن الحق شيئا والمستقبل كشاف .

الجمهورية العربية المتحدة والفضاء

وقلت فى حديثى ان الجمهورية العربية المتحدة تأتى بالدرجة الثالثة بعد روسيا وامريكا - فى مضمار غزو الفضاء ، وكما أن العلماء الروس والعلماء الأمريكان هم ألمان فعندنا أيضا علماء ألمان ، الا أننى أشرت فى حديثى أيضا انه لو اجتمعت هذه الدول الثلاث وغيرها على محاولة غزو الفضاء فانها تستطيع ذلك لقوله جل سبحانه « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » اذ أن فى هذه الآية الكريمة فيما يظهر رخصة للخروج من أقطار السموات والارض عند الاستطاعة ، وتعليم وهو أن الاستطاعة لا تمكن الا بسلطان ، الذى هو القوة وسلطان الانسان وقوته هى فى العلم .

العالم سوف لا ينتصر فى غزو الفضاء ولو اجتمع وتحزب:

كما أنبأتنا الآية التى بعدها بالنتيجة وهى عدم الانتصار وعلى ما فى الفضاء من قوى رادعة ولاسيما الشهب والنيازك المكونة غالبا من كتل نحاسية ملتهبة لقوله سبحانه

« يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » ويقول جل سبحانه فى موضع آخر « أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب » .

الاخطار التى تواجه الارض وسكانها

بعد ان أوضحنا ان ما كان له وزن ينزل على الارض ويعرج الى السماء ماليس له وزن وأن هناك تبادلا وتجاذبا فيما بين الارض والسماء وأن ما يبخر من الأرض يصعد الى السماء ثم تقطره السماء وتعيده الى الارض مطرا او طلا ويقول جل سبحانه فى مثل ذلك « والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع » ومما تشمل عليه معانى كلمة (الرجع) المطر الذى يصعد الى السماء غازا خفيفا ويرجع ماء ثقيلا ، ومما تشتمل عليه معانى كلمة الصدع

هو ما نجم من باطن الأرض وما نبت على ظهرها اذ بخروج كلا النوعين لابد من صدع للارض وفى ذلك تأييد لقوله جل سبحانه « والسماء رفعها ووضع الميزان » وقوله سبحانه « والنجم والشجر يسجدان » وعلى هذه القاعدة فلابد للارض أن تعجز عن أثقالها فى يوم ما ، لتحول الوزن الخفيف الى وزن ثقيل على هذه الأرض الصغيرة بالنسبة للسماء ومثال لذلك فان من أشعة الشمس ما يتحد مع ثانى أكسيد الكربون الذى ننفثه من صدورنا فيتحول الى وزن فى الشجر وعكس ذلك الأوكسجين اذ ينفثه الشجر فيتحول الى وزن فى الحيوان والجماد ، وسكان الارض فى ازدياد متواصل ، وزيادة السكان تتطلب ازدياد فى الشجر لوجود توائم بين الحيوان والنبات ، اذ يعيش كل نوع على فضلات النوع الآخر وازدياد الحيوان والغابات تؤدى حتما لازدياد الوزن على هذه الارض المحدودة والعالم الآن متخوف من زيادة عدد السكان اذ يقدر له فى سنة ٢٠٠٠ أن يبلغ ستة بلايين نسمة اى ضعف العدد الموجود سنة ١٩٦٠ بينما أكثر من ثلثى العالم تنقصه عيشة الكفاية والكفاف فى الوقت الحاضر ، فكيف بالعالم بعد مائة سنة أو أكثر وكيف يجد المكان الكافى فى رقعة الأرض اليابسة المحدودة ، وكيف يجد الطعام والشراب الكافى لهذه الاعداد الضخمة .

كيف المخرج

على أنى ارى أن المنفذ لتضخم العدد على هذه الصورة الهائلة ولو لأجل : هو استعمال المحيطات التى تشكل ٧٨٪ من مساحة الأرض ، فلو أنفق ما يصرف على غزو الفضاء فى بناء جزر عائمة وقطع بحرية صالحة للسكن ، والنبات لتخفيف الضغط على مساحة الأرض الحالية وخاصة فى منطقة الشرق الأقصى الى حدود الهند وباكستان لكان ذلك أجدى للبشر وأنفع ، على أنه ليس من المستبعد أن يوفق العالم الى التعاون على درء أخطار هجرة الموجات البشرية الى الشرق الأدنى والأوسط والى أفريقيا واستراليا وشرق أوروبا ، ببناء هذه الجزر التى قد تخفف على العالم خطر الزيادة المنتظرة والتى هى أخطر من الحروب ولاستطاع العالم أيضا أن يجد الغذاء فى حيوانات البحر ولعله أيضا يصل الى تربيتها وتأهيلها كحيوانات البر ، ويدرك مايكفيه من الشراب فى ماء البحر بعد ازالة الملوحة منه ، ولعله يصل الى اكتشافات فى المحيطات لم تخطر له على بال تساعد على المخرج .

خطورة الوزن

ونعود الى الوزن ـ نعم أن هناك صعوبة فى علاج مشكلة الوزن وعلى الانسان والحالة هذه أن يحاول معرفة استطاعة احتمال الأرض من الثقل عله يستطيع حل هذه المشكلة بضدها وذلك بالاستعانة باللاوزن بأحد أمور ثلاثة وهى :

١ ـ باستطاعته الوصول الى نقطة الالتقاء الوسط بين الوزن واللاوزن بالحركة الدائمة والقوى المتواصلة .. كما هى الحال فى الفضاء الخارجى ..

٢ ـ أن يستعين بألبسة أو أوعية محشوة بالغاز الخفيف مكبرا مساحات الفراغ الأمر الذى يجعل الوزن خفيفا على هذه الأرض وربما يستطيع الانسان السباحة فى الهواء كما هى الحال فى المنطاد والبالون .

٣ ـ استعمال الطاقة الذرية بتحويل الاجرام الثقيلة الى طاقات خفيفة كطاقات الضوء والصوت والهباء والسراب الأمر الذى يؤمن به العلماء واذا كانوا لم يحققوه تماما فهم فى طريقهم اليه ، ومما جاء فى القرآن العظيم فى مثل ذلك :

(اذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها) .

(ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) الآية ٤٧ ـ الكهف .

(ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا) الآية ـ ١٠٥ ـ طه .

(اذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا) الآية ٥ ـ الواقعة .

(يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا) الآية ١٤ ـ المزمل .

(وسيرت الجبال فكانت سرابا) الآية ٢٠ ـ النبأ .

(واذا الجبال سيرت) الآية ٣ ـ التكوير .

(وتكون الجبال كالعهن المنفوش) الآية ٥ ـ القارعة .

(قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) الآية ٤٠ ـ النمل .

ولقد جاء بكتاباتى عن رحلات « ذى القرنين القرآنى » الثلاث شرقا وغربا وشمالا ما يفيد استعماله الطاقة الذرية وكيف قضى بها على قارة الأنطليس فى المحيط الأطلسى وذلك باعداد روز اليوسف سنة ١٩٥٩ .

وقد تداهمنا أخطار أخرى قد لا تكون فى الحساب من ذلك :

فتح ردم يأجوج ومأجوج

لقد سبق أن حررت فى « مجلة روزاليوسف » سنة ١٩٥٩ وبينت فيها بالأدلة اعتقادى أن ردم يأجوج ومأجوج هو فى القطب الشمالى وأن تصديع هذا الردم وانفتاحه نذير بالقضاء على هذه الأرض التى هى نواة العالم ـ ويعلم الله كم أنى ارتعبت من الزلزال الذى حصل فى المنطقة قريبا كما أنى أخاف من أى انفجار مصطنع فى هذه المنطقة الخطرة (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق) . (فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا) .

انشقاق القمر

ومن ذلك اصابة القمر بشق نتيجة ارتطام الصواريخ به ومن المعلوم الواضح ضرورة سلامة القمر لسلامة الأرض ، لاسيما فى أمر المد والجزر المربوط بالقمر ويقول جل سبحانه « اقتربت الساعة وانشق القمر » وعلى العالم لدرء ذلك عدم محاولة الارتطام بالقمر من الناحية المنيرة كما هى الحال فى « رينجر ٦ » و « رينجر ٧ » وربما يكبر حجم الصواريخ فى المستقبل وتكثر ، لاسيما وأن تربة القمر أو صخرته مهلهلة ضعيفة كما يقول العلم.

خطر نقص العناصر الصالحة للحياة فى الهواء

ومن ذلك فقد العناصر الصالحة للحياة فى الهواء وعلى الانسان لدرء ذلك توفير الطاقات الكهربائية لاستعمالها فى وقوده بدل الفحم والغاز وأنواع الوقود الأخرى الملوثة للجو . بينما المخزون من هذه الوقود لا يكفى للعالم لمدة طويلة والطاقة الذرية هى خير عون فى توفير جريانات الماء وغير ذلك مما يساعد على توليد الطاقات الكهربائية للوقود ... والحالة هذه تحتم تحريم الدخان تحريما تاما خشية من تلويث الهواء لاسيما عند تكاثر الاعداد الهائلة من السكان .

خطر البطالة

ومما لاشك فيه أنه سينتج عن تزايد عدد السكان زيادة البطالة الناجمة أيضا عن ازدياد اختراع الآلات التلقائية ، والاعتماد على الأيدى العاملة ، وكذلك الاختصار على أحد الجنسين فى العمل خارج البيت .

دور النساء

وليس من البعيد أن يكون الدور القادم هو دور المرأة وحدها فى البيت وخارجه على أن يتجرد الرجال للدفاع عن العقيدة والأوطان كما هى الحال فى بعض قبائل البادية وفى رواية للكاتب الانجليزى الساخر برنارد شو : أن تحمل الأخطار ومجابهة الحروب من الرجال أمر ضرورى لبقاء البشر حيث لو فقد البشر ثلاثة أرباع الرجال لعمل بشريعة محمد (ص) فاستعاد البشر مافقده.

بوقت يسير ولكن المشكلة فيما لو فقد العالم ثلاثة أرباع النساء « وفي الأثر عن النبي (ص) فيما معناه « تكثر الفتن والحروب في آخر الزمان فيقل الرجال وتكثر النساء نتيجة لذلك حتى يكون قيم الاربعين امرأة رجلا واحدا » وهذا مما يؤمن خطر الحروب الذرية اذ أن ضحايا الحروب الذرية هم من الجنسين معا - والذى يجعل عودة المرأة الى البيت متعذرا فى المستقبل هو طغيان عدد النساء على الرجال الامر الذى لا يخلو من خطر جسيم .

وهناك أمر آمن به العالم لعلاج هذه الأخطار جميعها وهو تحديد النسل تحديدا اجباريا « وأينما تكون المصلحة فثم شرع الله » « واذا عمت البلوى جازت الفتوى » وقد يحصل ما ليس فى الحسبان وقد يرجع العالم بعد تجارب مريرة .. فيؤمن بأن سعادته واطمئنانه فى الايمان والأخلاق والمثل - وأن حياة المجون والصخب التى يلجأ اليها الانسان لتخفيف متاعبه ما هى الا بمثابة القاء الزيت على النار (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

والعالم بدأ يدرك أن الأمراض النفسية ناتجة عن الارهاق والأرق والقلق وكل ذلك ناتج عن ضعف العقيدة وركاكة الايمان والاحزان المستمرة . كما بدأ يتضح للعالم ان امراض القلب والسكر والسرطان ناتجة عن عدم الموازنة بين العمل والراحة وعن عدم الاعتدال فيما بين التفكير والخمول وعدم التفرقة فيما بين الأحزان المسببة للجزع والهلع والايمان المطمئن . وقد نتج من كل هذا الارهاق لبعض أعضاء ومواهب الجسم تعطيل لبعض الأعضاء والمواهب الأخرى . وقد تقدم فيما كتبته فى مجلة منبر الاسلام الغراء أن من فوائد تكرار الصلاة عدة مرات فى اليوم والليلة فى الاسلام أنها راحة للعامل وعمل للمستريح . ومن يدرى فقد يشكل العالم بعد استيفائه من ذلك كله دولة واحدة مؤمنة عاملة للصالحات متوفرة الخير وترعى المثل « ويأبى الله الا ان يتم نوره » .

خطر القنبلة الذرية

لم أعتبر خطر الحرب الذرية من الاخطار المهددة لهذه الأرض لاعتقادى أن الذرة ستساعد فى اصلاح هذه الأرض بدلا من أن تستعمل فى الخراب والدمار كما أنى أعتقد أنه لولا الذرة لما توقفت الحرب العالمية الثانية التى هى لم تنته بعد انما الذى أجل الحرب الحارة ، هو الخوف من القنابل الذرية الأمر الذى لا يحتاج الى كثير من الجند ، ولا طويل من الوقت ، وانى أطمئن القارىء الكريم بالأمرين التاليين وهما :

١ - ان هذه الارض سوف لا تنتهى الا بعد أن تتم زراعة جميع هذه الصحارى واجراء المياه خلالها « توقع زوالا .. اذا قيل تم » ..

٢ - ان القضاء على هذه الارض سوف لا يكون بفعل الانسان رغم ظنه القدرة على ذلك استنادا لقوله جل سبحانه « حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها أتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » ..

وهناك اطمئنان ثالث يعدنا به القرآن العظيم أيضا وذلك يقول من لا يخلف الميعاد جل سبحانه : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وقوله جل سبحانه « هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا » .

والآيات فى مثل ذلك كثيرة وجميعها تنبىء وتبشر بسيادة عقيدة التوحيد والخير كله للعالم بأسره ، ولا نبى بعد محمد (ص) الا عودة نبى الله عيسى عليه السلام لقوله جل سبحانه « ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » وقوله جل شانه . « اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا » فأعجوبة الكلام فى المهد حصلت وبقيت معجزة الكهولة ، وقد توفاه الله ورفعه اليه قبل سن الكهولة فلا بد اذا أن تتحقق المعجزة ويعود عيسى عليه السلام على هذه الارض ويحدث الناس وهو فى سن الكهولة ويدعو الى دعوة الخير والتوحيد التى دعا اليها اخوه محمد - صلى الله عليه وسلم - وجاء بها ابراهيم أبو الأنبياء عليهم السلام جميعا « لا نفرق بين أحد منهم » ... فتعم الناس كافة وتنتظم العالم أجمع .

لمحة عن القرآن العظيم

وقبل ختام الحديث قلت ان القرآن العظيم نزل بلسان عربى مبين يفهمه العربى بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة والايمان الصحيح ، واذا كنا نتمسك بنصوص هذه التفاسير القديمة والأقوال العتيقة لمجرد سبقها وان ما جاء بها يجب التسليم به أو أن نتخذها كقواميس تترجم لنا كلمات القرآن كما تترجم الكلمات الأعجمية وقد أنزل القرآن العظيم « بلسان عربى مبين » فان فى ذلك تعطيل للتطور الفكرى والتقدم العلمى الذى جاء به القرآن العظيم وأمرنا به وحثنا عليه ، والفهم هو بالتقوى والاخلاص والعلم والتفكير اذ يقول جل سبحانه « ولو نزلناه على بعض الاعجميين فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين» حيث أن الأعجمى يقرأه بلسان غير مفهوم فى الوسط العربى الا بمترجم ثم يقول سبحانه « كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين » أى أن غير المؤمنين قد يسمعون القرآن وكأن المتحدث اليهم يتحدث بلغة غريبة غير عربية أو غير مفهومة أو فى آذانهم وقرعن سماعه « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » ويقول المصطفى (ص) فى خطبة الوداع « من سمع منى مقالة فليبلغها كما سمعها رب مبلغ أوعى من سامع ، فالسامع مع صحابى والمبلغ هو كل مسلم لم يحضر خطبة الوداع الى قيام الساعة ، ويقول جل سبحانه على لسان نبيه (ص) قل ما أسالكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين » .. ويقول سبحانه « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ان علينا بيانه » . ويقول جل سبحانه « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .

ويقول شاعر عربى :

لا تقل قد ذهبت أربابه
كل من سار على الدرب وصل

وجزى الله المتقدمين عنا خير الجزاء اذ جدوا واجتهدوا وعملوا وألفوا وخلفوا لنا تراثا غنيا ، وعلما نافعا ، والقرآن العظيم يشتمل على ما جاء لنا من خير فى أقوالهم وأعمالهم وتراثهم الا انه لا يتقيد بها ، ولا يجمد عندها ، وقال الامام مالك - رضى الله عنه - « كل يؤخذ منه ويرد عليه الا صاحب هذه القبة » أى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، كما يشتمل على أسباب النزول ولا يتقيد بها ولا يقف عندها وقد أنزله الله على المصطفى (ص) رحمة للعالمين ..

وكلمات القرآن العظيم واسعة المعانى تشتمل على كل معنى منسجم لا يتعارض مع الخير والتوحيد ولا يتناقض مع الكتاب والسنة ، بعيد كل البعد عن التكلف وابتغاء الفتنة فى التاويلات من ذى غرض أو مرض ، وهى كلمات الله الخالدة المعجزة لأقلام الكتاب المخلصين ، والعلماء المؤمنين ، والأفذاذ الصادقين ، فى كل فن وكل زمان ويقول جل سبحانه « ولو أن مافى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله والله عزيز حكيم » ..

والله أسأل أن يوفقنا جميعا الى ما يحبه ويرضاه

رحلتي إلى تونس

الأستاذ منصور رجب

درس وعظ في جامع الزيتون الأعظم

وأقول جامع الزيتونة الأعظم لأنه يوجد في تونس اربعة جوامع يحمل كل منها اسم « الزيتونة » .

الأول : جامع الزيتونة الأعظم الذى يضارع الآن الأزهر .

الثانى : بباب البحر . وهو باب من أبواب تونس القديمة .

الثالث : بزنقة أبى سعدية ، وهذا للصلوات الخمس فقط .

الرابع : بمدينة القيروان : تلك التى كانت عاصمة الديار التونسية فى وقت ما .

ويقال : ان هناك فى مدينة « أزمور » بالمغرب الأقصى جامعا خامسا يسمى أيضا جامع الزيتونة .

وأعود فاقول بين يدى درس الوعظ هذا الذى سمعته من فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد بن عمر الزغوانى فى جامع الزيتونة الأعظم عصر يوم الاثنين ١ من ذى الحجة سنة ١٣٨٣ - الموافق ١٣ من أبريل سنة ١٩٦٤ . أعود فاقول : ان مهمتى فى رحلتى هذه أن أسجل ما رأته

عيناى او سمعته اذناى بكل أمانة ودقة واخلاص : غير أنى أشعر هنا بقيود تكبل قلمى فتمنعه من أن يكون فى أسلوبه واضحا صريحا جريئا كما كان فضيلة الشيخ زغوان الأستاذ السابق فى الجامعة الزيتونية وهو يلقى درس وعظه هذا وسط الجامع الأعظم على جمع حاشد من رجال ومن نساء فى موضوع تستطيع أن تسميه بسهولة « أدب المعاشرة الجنسية فى الحياة الزوجية » ولقد ترددت كثيرا فى نشر الدرس كما سمعته . وأخيرا استقر رأيى على أن أكتفى فى موضوعه بإحالة القارىء الكريم على تلك الأحاديث التى كان يشرحها فضيلة الشيخ الزعفرانى من كتاب « الجامع الصغير » للسيوطى وهى فى الكتاب تحت رقم ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ وكلها فى أدب « المسألة الجنسية » تاركا للقارىء أن يقارن بين التفكيرين : التفكير فيما تفرضه الآداب الموضوعة والتفكير الحر الطليق . مع العلم بأن فضيلة الشيخ الزغوانى كان فى وعظه ذاك ـ كما قلت ـ صريحا كأبعد ما تكون الصراحة واضحا كأتم ما يكون الوضوح جريئا كأكمل ما تكون الجرءة فى وصف الاتصالات الخفية بين الجنسين . ولم ألاحظ أبدا على وجه واحد أو واحدة ممن كانوا يستمعون أن الشيخ يخدش حياء أو ينافى أدبا . كأن الشيخ ومريديه فى الدرس قد درسوا جميعا ذلك البحث العلمى النفسى الصحى الاجتماعى الذى ألفه فى « المسألة الجنسية » الدكتور « أوجست فوريل » فلم يعودوا يشعرون بذلك الخوف من الحديث عن المسألة الجنسية بحرية وصراحة تحت تأثير الآداب والتقاليد .

وان أردت ما قال الشيخ عن آداب هذه « المسألة الجنسية » فارجع الى شراح هذه الأحاديث . والى ماقاله المناوى عما فيها من المصالح . أما أنا فلا زلت أعتقد أن للمجلات حكما غير حكم الكتب . فالأغانى مثلا فيه من الشعر مالا يجوز نشره فى مجلة.. هذا باختصار من ناحية موضوع ذلك الدرس .

وأما من ناحية الشكل فقد جلست فى الدرس حيث انتهى بى المجلس فما كان من الأستاذ الشيخ « محسن صقر » أحد القائمين على أمر المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة والذى كان يرافقنى فى ذلك الوقت ما كان منه الا أن ذهب الى فضيلة الشيخ زغوان فى الدرس وأسر فى أذنه كلاما تبينت مدلوله حين نادانى الشيخ قائلا « تفضل هنا » وعبثا حاولت أن أعتذر فاجلسنى الشيخ على يمينه حيث يجلس قائلا هذا درس وعظ للعامة وكان أمام الشيخ فى الدرس طبق كبير من فخار وفيه على لغة أهل تونس « حلاب » مملوء ماء شرب منه الشيخ ومريدوه بعد أن ختموا الدرس بالصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وها هى ذى صيغة الختم

اللهم صل أفضل صلاة على أسعد مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون « ثلاث مرات » ثم قرأوا الفاتحة .. ثم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

ولقد شربت معهم من هذا الاناء تبركا .. ويظهر ان عادة وضع الماء وغير الماء امام القراء فى تونس عادة متبعة فقد رأيتها أيضا فى مقام أبى الحسن الشاذلى أمام قراء الحزب يوم السبت من كل أسبوع . وبعد الانتهاء من القراءة يخرجونها من بينهم ويناولونهـا لأربابها أو لمن يمدونها لأولئكم الأرباب .. وهذه العادة كانت موجودة عندنا فى مصر من زمان رأيناها ولا أدرى ان كانت موجودة الى الآن أو لا ؟... كانوا يجمعون عيشا .. وملحا .. وماء .. وشيئا من الحبوب .. ويضعونها أمام من يقرأ قصة المولد الشريف . وبعد القراءة يأكلون من العيش والملح ويشربون من الماء ويضعون الحب فى مخازن الحبوب اعتقادا منهم أن ذلك ينمى الحب ويجلب البركة للآكل والشارب .

واخبرنى الحاج « طاهر بوعشير » من بلدة بنى خيار بعد أن قمنا من درس الشيخ بأن الشيخ الزغوانى هذا عنده عمائر يسكن فيها الفقراء من غير أجر . ويلقى هذا الدرس تطوعا كذلك من غير أجر : السبت .. والاثنين.. والثلاثاء .. والأربعاء فى جامع الزيتونة بعد صلاة العصر ، والأحد فى جامع الحجامين .. ويستريح الشيخ يومى الخميس والجمعة .

والشيخ الزغوانى كما أخبرنى هو نفسه من مواليد سنة ١٨٩٦ ودرس التفسير والحديث والأصول على الشيخ محمد بن يوسف شيخ الاسلام فى عصره .. وأخذ الادب والبلاغة والأصول على الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .. وأخذ التفسير .. والأصول .. والمزهر للسيوطى على الشيخ محمد النخلى القيروانى .. وأخذ المنطق والنحو فى الأشمونى على الشيخ محمد بن القاضى عم الشيخ محمد الشاذلى بن القاضى الأستاذ الحالى فى الزيتونة .. وأخذ الفقه والبلاغة والأصول على الشيخ بلحسن النجار .. وتلقى القراءات السبع على الشيخ ابراهيم المرغنى شيخ القراء بتونس فى ذلك العصر . بهذا أجابنى الشيخ عقب انتهاء الدرس من غير أن يتردد فى شيخ أو علم .

ومن الأمور التى استلفتت نظرى من علماء الزيتونة القدامى أن الواحد منهم يعد لك أساتذته الذين أخذ عنهم فلا يخطىء منهم أحدا . ويعد لك العلوم التى حضرها عليهم فلا ينسى منها علما أبدا . فما هو السبب؟.

أخذت أفكر فى هذه المسألة حتى كنا ثانى يوم العيد الاكبر فى منزل فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد العزيز جعيط شيخ الاسلام الأسبق أنا وفضيلة أخى الشيخ محمد الشاذلى بن القاضى وكان يتحدث معنا فى شأن كتابين اثنين أتمهما تأليفا ويريد الآن طبعهما فى مصر .

الأول : اسمه « كشف الحنادس فى التعريف برجال المجالس » ويقع فى نحو ٢٥٠ صفحة .

والثانى . واسمه « مناهل العرفان ومواهب الرحمان » ويقع فى نحو ٢٦٠ صفحة .

ثم أخذ يسمعنا فضيلته ترجمة حياته وأنه كان يحضر درس التفسير على فلان .. والحديث على فلان .. والأصول على فلان حتى أخذت من هذا الالمام الواعى فسألت فضيلته كيف تلمون بمعرفة الشيوخ والعلوم على هذا النحو من الدقة مع مضى الزمان وتعاقب الحدثان؟.. فقال . من دفتر الطالب . فما هو هذا الدفتر ؟...

« دفتر الطالب الزيتونى »

كان من نظام التعليم الزيتونى القديم انه عندما يريد الطالب الانخراط فى سلك تعليمه يشترى دفترا. ويحضره معه الى ادارة النظارة العلمية بجامع الزيتونة ويقدمه الى الادارة ويقدم معه مطلبا يضمنه رغبته فى الانخراط فى سلك التعليم الزيتونى . فترسم الادارة اسمه واسم والده ولقبه وتاريخ التحاقه بالزيتونة ويضعون عليه طابع الجامعة وامضاء الناظر ويعيدونه الى الطالب . فيقدم الطالب هذا الدفتر لمن يحضر عليه من الشيوخ فى آخر كل شهر : وفى آخر كل شهر يجعل كل شيخ يوما للدفاتر فيثبت فيه أن الطالب فلان ويصفه بأخص صفاته العلمية قد حضر عليه دراسة كتاب كذا مدة شهر كذا بمواظبة أو تخلف أو نحو ذلك باعتناء أو بدون اعتناء وأمثال ذلك . وهكذا كل شهر الى آخر السنة الدراسية. وفى الشهر الأخير من السنة ينهى الشيخ للتلميذ ماانتهى اليه من دراسة الكتاب ويقول : ختمنا الكتاب .. أو ناهزنا ختمه .. أو انتهينا الى موضوع كذا .

وكل شيخ زاول عليه الشيخ فنا أو فنونا يختص بصحيفة من الدفتر يكتب فيها ذلك مشاهرة الى آخر السنة .. وفى آخر السنة يتقدم الطالب بمطلب للنظارة العلمية يطلب اجراء الاختبار عليه لينتقل الى سنة أعلى ويسلم دفتره الى ادارة النظارة . وهذه تشكل لجنة علمية أو لجانا لاختبار الطلبة فيقع أولا تصفح الدفتر لتتبين اللجنة : هل أتم الطالب البرنامج المقرر لسنته أولا ؟. فان تبين أنه أتم برنامجه يجرى عليه الاختبار وتكتب النتيجة فى الدفتر ويوقع عليها المشايخ وترفع الى النظارة ، ولكل سنة غالبا دفتر .

واستمر نظام الدفتر هذا الى سنة ١٣٣٣ هجرية . وبعدها صار يحفظ فى الادارة ولا يبقى فى يد الطالب . والادارة ترسم فيه الكتب التى درسها الطالب والشيوخ الذين درس عليهم. والرتب التى ينتقل اليها والاختبارات التى جرت معه الى نهاية تعليم الطالب .

وكان نظام التعليم فى الزيتونة قبل الدفتر بالاجازة . وابتدأ نظام الدفتر هذا من صدور قانون نظام التعليم فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى .

ونظام الدفتر هذا من التقاليد الجامعية الممتازة . ولو لم يكن فيه الا أنه يحفظ للشيوخ نسبهم العلمى لكفى. لذلك لا ترى شيخا من شيوخ الزيتونة الذين تخرجوا على نظام الدفتر هذا الا وهو يعرف شيوخه فى كل فن تمام المعرفة . وهذه ميزة قل أن تجد لها نظيرا الا بين من تربوا على مثل نظام الدفتر هذا أو بين من رزقهم الله النظام التام من الصغر حتى الكبر . والنظام أثمن هدية يقدمها الأستاذ لطلبته .

« مجلس الأمة التونسى »

فى يوم الاثنين - ١١ مايو سنة ١٩٦٤ - قال لى فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الفاضل بن عاشور على لسان الحاج ابراهيم نجل فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المختار بن محمود : ان السيارة ستكون عندنا فى تمام الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والأربعين حيث سنذهب الى مجلس الأمة لمشاهدة احدى جلساته . حضرت السيارة فى الموعد المحدد . فذهبنا - الدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين بالجامعة الأزهرية وكان منتدبا استاذا زائرا فى الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين . والحاج ابراهيم .. وأنا - ذهبنا معا الى مجلس الأمة فى باردو . وصلنا فى تمام الرابعة وكان بعض موظفى المجلس فى انتظارنا على الباب الداخلى للمبنى . فصعدنا الى حيث يجلس الزوار فى قاعة فخمة كانت فى الأصل معدة للمقابلات الكبرى فى ذلك البيت الملكى . وترى فى صدر القاعة منصة الرئيس وعلى يمينه علم الجمهورية التونسية ذواللون الاحمر وفى وسطه هلال ونجمه . وفوق رأسه على الحائط شعار أشبه بلوحة لم أتبين ما يرمز اليه لبعدى عنه . وعلى يمينه مقعدان وعلى يساره ثلاثة . وفى القاعة سبعة صفوف على يمين الجالس فيها ومثلها على يساره وفى كل صف ستة مقاعد . وهناك صفوف أمامية أعدت لكتاب الدولة. وفى سقف القاعة ثريات ثلاث من الكرستال الممتاز : اثنتان كبيرتان والثالثة منهما أقل وفى جانبى القاعة أرائك ممدودة مكسوة بالقطيفة الجميلة الحمراء .

دق الجرس لدعوة حضرات الاعضاء فى تمام الساعة الرابعةوالربع - أو وثلاثة أدراج علىاصطلاح أهل تونس- فأخذ كل مكانه وبين يديه مكبر للصوت . وكانوا جميعا حاسرى الرءوس عدا ستة : طربوش واحد .. وعمامة واحدة . وأربعة يضعون على رءوسهم ما يسميه أهل تونس « الشاشية » من غير « كاشته » ومن غير «كبيته» أى طربوش أحمر من غير « زر » ومن غير عمامة : أما العمامة الوحيدة التى رأيتها فى المجلس فكانت لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ « محمد الشاذلى النيفر » أحد نواب تونس العاصمة وأحد أساتذة الزيتونة النجباء . وفى القاعة نائب واحد غسل رأسه الشيب الا أنه لم يشخ « والشيب فى الرأس ليس الشيب فى الهمم » وأظنه الدكتور « محمود الماطرى » .

تكامل الأعضاء . ودخل رئيس المجلس الأستاذ «جلولى فارس» والسادة كتاب الدولة . أذكر من بينهم السيد « الباهى الأدغم » والسيد الحبيب بورقيبة الابن . ولما أخذ كل مكانه افتتح الرئيس الجلسة باسم الله الرحمن الرحيم معلنا أنها مخصصة للنظر فى مشروع قانون يتعلق بملكية الأراضى الفلاحية . ثم تداول على منبر المجلس كل من السيدين « الفاوى حنابليه » لتلاوة تقرير اللجنة السياسية . « والبشير بن نجيمه » لتلاوة تقرير لجنة الشئون المالية والاقتصادية عن المشروع . وعلى أثر انتهائهما من تلاوة التقريرين فتح باب المناقشة فاعطيت الكلمة للاستاذ « مصطفى الفيلالى » الذى أعرب عن ابتهاجه وابتهاج السادة النواب والشعب التونسى بأجمعه بهذه الخطوة الجريئة التى قطعتها الحكومة بقيادة المجاهد الاكبر السيد الرئيس الحبيب بورقيبه محققه بها هدفا من أسمى الأهداف وهو تخليص الاقتصاد القومى من رواسب الاستعمار .. ثم قال : ونحن نذكر أن الاراضى المسترجعة تشكل الجزء الأهم والأخصب من الأراضى التونسية وأن طائفة المعمرين الذين يملكون تلك الاراضى هى التى كانت تقف أكثر من غيرها حجر عثرة فى سبيل استقلال الوطن .

وكان السيد الفيلالى يتكلم باللغة العربية الفصحى ومن مكانه وهو جالس الى أن استدعاه سيادة رئيس المجلس الأستاذ جلولى فارس فاتم كلمته من على المنبر مقترحا اصدار لائحة تتضمن اسداء الشكر لفخامةالرئيس السيد الحبيب بورقيبة ولحكومته على هذه الخطوة التى انتظرها الشعب عشرات السنين وعبر عن عزم الشعب على توفير كل الأسباب الفنية لضمان مستوى انتاج الأراضى المسترجعة .

ثم أعطيت الكلمة للاستاذ عبد المجيد رزق الله فاعرب من شعور الفرح الذى غمر الشعب التونسى لهذه الخطوة . وقال ان هذا الحدث كان منتظرا بفارغ الصبر . وأوضح أنه لابد منه لتصفية الاستعمار نهائيا وبين أن امتلاك الأجانب للاراضى هو الذى مهد لانتصاب الحماية . وفى نهاية كلمته ضم صوته للاقتراح الذى تقدم به الأستاذ مصطفى الفيلالى .

وعلى اثر انتهائه اعتلى المنبر الأستاذ « النورى البودالى » فأعرب عن ابتهاجه لهذا العمل وأيده تأييدا كاملا مبينا أنه لأول مرة فى تاريخ تونس يقع تحرر كامل فى جميع ميادين الحياة القومية اذ به يتحقق الاستقلال الاقتصادى الذى يدعم الاستقلال السياسى .

وكان آخر من أخذ الكلمة من حضرات النواب الأستاذ « أحمد دريرة » فقال : ان هذا المشروع الذى يرد الى الشعب نصف مليون هكتار - الهكتار عشرة آلاف متر - لا يمكن أن نمر عليه دون أن نذكر ما أحاط بقضية الأراضى من دموع ودماء . فالأراضى اغتصبت اغتصابا ساخنا . وبذلك كان من حقنا أن نعلن من فوق هذا المنبر فرحة الأمة بتحررها الكامل المطلق النهائى بعد ما نزل سياط المستعمرين على المعذبين فى الأرض . ثم تعرض الأستاذ دريرة لموقف فرنسا من هذه القضية وأنها رفضت عرض الحكومة التونسية الخاص بفتح مفاوضات فى هذا السبيل .

وبانتهاء كلمات حضرات السادة النواب قام سيادة الأستاذ « الباهى الأدغم » كاتب الدولة للرئاسة والدفاع الوطنى والأمين العام للحزب الحر الدستورى التونسى. فالقى بيانا ضافيا عن هذه القضية مبينا مراحلها العديدة التى لم تكن سوى سلسلة مماطلات من فرنسا ازاء العروض التونسية . وأكد السيد الباهى الأدغم فى بيانه أن « تونسة أراضى الاستعمار لم تفارق بال القادة فى يوم من الأيام أو فى فترة من الفترات منذ استأنفت الأمة جهادها من أجل الحرية والكرامة والسيادة القومية بقيادة الحزب الحر الدستورى الجديد .

وكان سيادة رئيس المجلس الاستاذ جلولى فارس قد استدعى لجنة مكونة من حضرات النواب الذين تكلموا فى هذه الجلسة لوضع لائحتهم التى اقترحوها ورفع الجلسة فى تمام الساعة السادسة والربع ريثما تتم اللجنة عملها.

وقمنا الى حيث يستريح النواب فى بهو فخم بجوار مقصف جميل فيه ما لذ وطاب من شراب حلال مباح . وجلست مع ذلك المثل الفارسى القائل : « من يتكلم يزرع ومن يسمع يحصد » فأخذت أحاسب نفسى على ما حصدت فى تلك الجلسة التاريخية العظمى . وجاءت القهوة ومعها الماء المثلج المنعش اللذيذ . وما أن انتهينا من الشراب حتى كنا فى شبه حلقة من نواب كرام يفيضون وطنية ويشعروننا باخوة تضرب بيننا وبينهم على مدى الزمان وتستمر على مر الأيام . ابتدأت الحلقة بفضيلة الأستاذ الجليل النائب المحترم الشيخ محمد الشاذلى النيفر . ذلك الذى خف محييا لنا : الدكتور عبدالحليم محمود . وأنا . واتسعت الدائرة بالنائب المحترم السيد « البشير بن فضل » نائب الوطن القبلى . فالأستاذ الجليل السيد « الحبيب نويره » وغيرهم ممن ازدانت بهم الحلقة . واخيرا انضم اليها الأستاذ « صلاح بن حميده » رئيس تحرير جريدة العمل التونسية . ومكثنا مدة فى حديث كالعصفور يتنقل من فنن الى فنن ومن شجرة الى شجرة الا انه يلتقى فى دائرة الأفكار والاختبارات

وذلك من أمتن الروابط التى تربط الناس بعضهم ببعض. وافترقنا على لقاء مع فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الشاذلى النيفر . وفى الفندق تلقينا هذه البطاقة :

الحزب الحر الدستورى التونسى .

الديوان السياسى

حضرة الأخ سيدى ....

يسر الديوان السياسى دعوتكم لحضور ندوة اطارات الأمة التى تنعقد برئاسة

المجاهد الاكبر الرئيس الجليل الحبيب بورقيبة

يوم الثلاثاء ١٢ ماى ١٩٦٤ على الساعة التاسعة والنصف صباحا بقاعة البالماريوم بتونس ، والسلام .

عبد المجيد شاكر

وبتنا على انتظار فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الفاضل بن عاشور فسيحضر الينا فى الموعد المحدود لسماع ذلك الخطاب التاريخى بعد أن صادق مجلس الأمة على قانون ملكية الأراضى الفلاحية . واصبحنا وقد خرجت الجرائد بهذه العناوين الكبيرة تزف البشرى الى الشعب فتقول :

* بعد ثلاثة وثمانين عاما من معاهدة باردو .
* اليوم يتحقق تحررنا الكامل .
* القائد الحبيب يزف اليوم لشعبه البشرى .
* مجلس الأمة يصادق على قانون ملكية الأراضى الفلاحية.
* ملكية الأراضى لا تجوز الا للتوانسه .
* الباهى الأدغم يقول : لم نعتبر اطلاقا ملكية الأجانب للارض شرعية .
* حاجتنا أكيدة الى أراضينا بغية توزيع خيراتها توزيعا اشتراكيا عادلا .

وكان برنامج اليوم - ١٢ مايو سنة ١٩٦٤ - أن يخطب السيد الحبيب بورقيبة فى اجتماع اطارات الأمة فى قاعة البالماريوم . وفى الساعة السابعة مساء يشرف فخامته بالقصر الجمهورى على حفل يوقع أثناءه نص القانون الذى صادق عليه مجلس الأمة مساء أمس والمتعلق بتصفية أراضى الاستعمار . ومما يلاحظ أنه فى مثل هذه الساعة وفى مثل هذا اليوم منذ ثلاثة وثمانين عاما - أى يوم ١٢ مايو سنة ١٨٨١ وقع الباى معاهدة باردو التى نصبت رسميا الحماية الفرنسية على تونس .

من أجل هذا كسا الشعب التونسى ذلك اليوم حلة بهيجة من الفرح أعرب فيها عن ابتهاجه لهذا الاجراء الجرىء الذى أقدمت عليه الحكومة الوطنية الشعبية . وجسم نواب الأمة ارادتها بمصادقتهم على مشروع القانون الذى تقدمت به الحكومة بعد أن زكوه على لائحة تكبر هذا العمل الثورى الجرىء . فاصبح الشعب التونسى ولسان حاله يقول : لا استعباد بعد اليوم .

والى اللقاء فى قاعة البالماريوم حيث سيخطب السيد الرئيس الحبيب بورقيبة فيزف لشعبه البشرى .

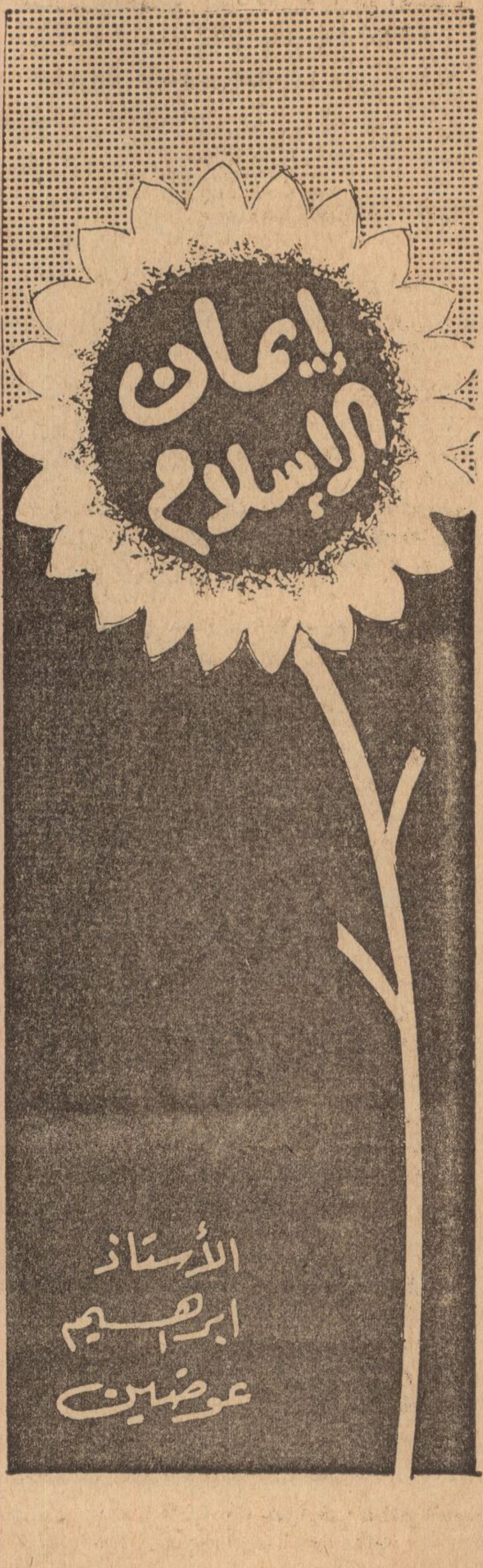

قلنا فى حديث سابق - بمجلة منبر الاسلام - أن ايمان الاسلام يبدأ من القلب ، فهو النافذة التى يصل عنها الايمان الى العقل فيصبح عقيدة راسخة ، تبدو دلائلها فى آلات السلوك - حيث تترجمها تلك الآلات الى أعمال ..

وتلك قمة ايمان الاسلام ، وأرقى أهدافه .

ولقد عرضنا فى ذلك الحديث لحدود ذلك الايمان ومظاهره فى مرحلته الأولى « القلب » وبقى علينا أن نستجلى وسيلة الاسلام التى يوصل بها ايمانه الى القلوب ، والتى يفتح بها القلوب لاستقبال ذلك الايمان - حينما تكون القلوب مغلقة - الايمان بالغيب .

والاسلام فى مهمته تلك - مهمة فتح القلوب أو توصيل الايمان الى القلوب - يلجأ الى وسيلتين ، لا يخرجان عن تكوين الانسان ، ولا يبعدان عن طبيعته ، بل هما مركزان فيه من غير مفارقة ولا انقطاع .

وهاتان الوسيلتان اللتان يعتمد عليهما الاسلام ليستا خاصتين بدعوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وانما هما صاحبا كل رسول ونبى سبق محمدا ، فالدين بعمومه عند الله الاسلام .

هاتان الوسيلتان هما : النظر فى الكون والكائنات ، والفطرة التى فطر عليها الانسان.

***

١ - أما النظر فى الكون والكائنات فهو وسيلة تحمل القلب على جناحيها فى رحلة طويلة ممتدة ، تكتنفها العجائب المثيرة ، والغرائب المدهشات ، فلا يلبث ذلك القلب أن ينفتح على مصراعيه خافقا مؤمنا بمصدر كل هذه الموجودات ، وواضع نظمها تلك النظم التى تقود الانسان - بتوحد دورتها - الى توحيد خالقها ، وتنزيه مدبرها عن الشريك .

أما النظر فى الكون والكائنات فهو وسيلة تنطلق بالانسان الى آفاق بعيدة ، وآماد وسيعة ، تصله بالكون كله وتطوف به فى مشاهده ،

وتغوص به فى أغوار النفس ، وتستجلى أمامه أحوال البشر ... ثم تنتهى به الى عجائب الفطر ، حيث يجد نفسه فى ذلك المحيط الهائل الضخم الرحيب أمام آفاق من المعرفة ، تظهره على قدرة الله ، فترفع حياته وتطلقها من أسارها ، وتوسع آمادها ، وتسمو بأهدافها ، وتخرج به من عزلة المكان والزمان والحادث ـ تلك العزلة الضيقة المحدودة ـ الى رحابة الكون كله ـ ماضيه وحاضره ومستقبله ـ والى نواميس الكون وسننه وروابطه .

فان الانسان اذا ما نظر فى الكون الواسع الذى يحيط به ... أو اذا ما نظر فى نفسه التى يتحرك بها وجد نظاما عجيبا فى كل شىء، ووجد انسجاما رائعا يشتمل الكائنات بأسرها .. فاذا به يشعر بالاله الواحد القهار ، الذى يوجه هذه الكائنات ، ويقوم عليها ، ويمسك بأزمتها جميعا .

« الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت .

فارجع البصر هل ترى من فطور »

« ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » .

....

ودعوة القرآن الى التأمل والنظر فى الكون والكائنات متكررة متكثرة ، لا تقف عند جانب من جوانب الكون ، ولا تثبت عند جزء من أجزائه ... انما هى دعوة تجمع الى التكرر والتكثر الشمول والتعميم .

قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ... »

« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب »

« أو لم يتفكروا فى انفسهم »

« ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى .

« وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون »

وهى دعوة يستثير بها القرآن ـ لذلك ـ الفطر الراكدة حتى تنتقل اليها الحياة ، ويشع فيها نور المعرفة ، فتصل الى الحقيقة التى ضلت طريقها اليها ،وتاهت عنها فى أثناء انهماكها فى متع الحياة الدنيا .

« يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون »

ولذلك يوجه اليهم ـ سبحانه ـ هذا التساؤل الملفت الى الحقيقة .

أم خلقوا من غير شىء ؟!

أم هم الخالقون ؟!

أم خلقوا السماوات والأرض ؟!

بل لا يوقنون »

ويطارد فيهم الغرور والغفلة بالحياة الدنيا عن جبروت الله وقهره ، ونعمه وفضله مع عجزهم وحاجتهم .

« قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون .

« قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون »

ويواصل سيره فى هذا الطريق ، وتأكيده لتلك الحقيقة ، رجاء أن تعود قلوبهم ـ بعد تنظيفها من درن الجهل والاغترار ـ سيرتها الحقة ، فتعود اليها الحياة من جديد .

وفى تلك المرحلة يذكرهم بمن سبقوهم من بنى آدم ، وكانوا قد قطعوا أشواطا فساحا فى طريق التقدم لما يصل اليها الحاضرون ، ولما يتحقق لهم الا القلة منها .

« أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم .

« كانوا أشد منهم قوة ، وأثاروا الأرض . وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »

« ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوآى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » .

ولا يقف الاسلام بالمسلم عند هذا العرض المجمل فى جولتيه هاتين ـ فى أغوار الكون وفى أنحاء التاريخ ـ ولكنه يلح على ذلك القلب فيأخذه فى جولة أخرى عبر هذا العالم .. تختلف عن سابقتيها بما فيها من استعراض

لمشاهد الكون والحياة ، ووقوف أمام عجائب الخلق ، وأسرار النفس ، وتأمل فى خوارق الأحداث ومعجزات التكوين .

يطوف به فى الامساء والاصباح .. فى السماوات والأرض .. فى العشى والاظهار ، فيربط قلب المسلم بالله فى كل بقعة وفى كل أوان .

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون .

وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون »

ثم يلفته لتدبر الحياة وما يجرى فى الكون - ازاء ذلك - من عمليات دائبة دائمة فى النشوء والدثور .

كما يلفته الى سر من أسرار الانسان ، يفسر ما ركب فيه من نوازع وميول ، وقوى وطاقات ... وهو فى نفس الوقت وثيق الصلة بمشهد الحياة والموت السابق .

« يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ويحيى الأرض بعد موتها .

وكذلك تخرجون »

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة .

ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »

ويتابع الرحلة ، فيوجهه الى الخلق الهائل الضخم ، العظيم الدقيق ... من السماوات والأرض .

هذا الخلق الذى تبدو أرضنا وسطه - كما قال الدكتور مشرفه - رحمه الله - ذرة فى صحراء واسعة .

ويقرن بتلك العجيبة عجيبة اختلاف الألسنة والألوان - وان جمد علماؤنا أمام ذلك الاقتران الى الآن - فاختلاف الأجواء والبيئات على سطح الأرض ، الناشىء من طبيعة وضع الأرض الفلكى .. هذا الاختلاف ذو علاقة وطيدة باختلاف الألوان والألسن مع اتحاد الأصل والمنشأ فى بنى الانسان .

« ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم .

« ان فى ذلك لآيات للعالمين » .

ومع الظواهر الكونية وقفات وملاحظات تبين علاقتها بأحوال البشر .. ولذلك ينبه الاسلام قلب المسلم اليها ، حتى لا يحول الالف والعادة بينه وبين ما فيها من عجائب تنظمها فى سلك الأدلة الكونية .

« ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله .

ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون »

« ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا ، وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها .

ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »

« ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره .

« ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون » .

وبعد تلك الجولات ...

فى ضمير الكون ومشاهده ، وفى خفايا الوجود وأسراره ، ثم فى أغوار النفس وفطرتها ...

حيث تتهيأ القلوب المستقيمة للايمان ، وتتخلص القلوب المريضة من عللها ، فتتفتح للايمان كذلك ... الا أن تعميها الأهواء فتتغافل وتتعامى ..

بعد تلك الجولات ، والوصول الى ذلك كله يتوجه الاسلام الى تلك القلوب المعدة للايمان بقوله تعالى :

« فأقم وجهك للدين حنيفا »

« فطرت الله التى فطر الناس عليها .

« لا تبديل لخلق الله .

« ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

« منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين »

« من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » .

٢ - وعند ذلك يأتى دور الفطرة .

توجه اليها القلوب الغلف - التى لم تتأثر بتلكم الجولات - حتى لا تترك على ضلالها .

وتلفت اليها القلوب المترددة - بما خالطها من فكر زائغة - فيزال عنها عبء ترددها •

فالدعوة الاسلامية - الى جانب ارتباطها بأوضاع الكون كله - مرتبطة كذلك بفطرة هذا الكون ونواميسه الكبرى ، وفطرة النفس البشرية وأطوارها ، وماضى هذه البشرية وحاضرها ومستقبلها ، فى الحياة الدنيا على الأرض ، وفى العالم الآخر حيث تكون •

والفطرة ••

هى قبس النور فى الانسان ، وهى السر الكريم الذى فطر عليه •

وهى حقيقة كرامته التى سجدت له من أجلها الملائكة •

« فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » •

انها صلة النسب بين الانسان وبين خالق الانسان - عز وجل •

« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »

وهذا النسب يختلف عن النسب الآخر الذى يشد الانسان الى الأرض •

« وبدأ خلق الانسان من طين »

وفارق كبير بين الروح والطين ، فللروح لغة ، وللطين لغة •• وكل من اللغتين تغاير الأخرى ولا تغنى اغناءها ، بل لاتسد مسدها لأن لغة الطين تأتى من عالم الطين ، وتتجه - فى الانسان - الى نسب الطين ، فتغذوه وتشبعه من جوع المعدة وحاجة الشهوات ••• ولن تغنى عنها - فى ذلك - لغة الروح •

ولغة الروح •• تأتى من عالم الروح الخفى القاهرة ، وتتجه فى الانسان الى نسب الروح •• تشبع فيه مطالب الروح ولن تغنى عنها - فى ذلك - لغة الطين •

يأتى الانسان نبى فيكلمه بروح شفافة موصولة بالله من طرف ، وهى من الطرف الآخر لاتلبث أن تتصل بفطرة ذلك الانسان •

يقول أحد الأنبياء كلمة فيجد لها الناس طعما آخر ، ويتلو آية فيحس الناس فيها خفق الملائكة ونور الحقيقة ينسكب من السماوات فيحيل ظلام الحياة هداية •

ويروح ويغدو فيرى قومه فيه سرا ، يلمس حبات قلوبهم ، وحقيقة قائمة ماثلة كالشمس والقمر لا تنالها أيديهم ••• وهى فى كل دار من دورهم ••

ولا ينالون منها مثقال ذرة ••• وهى على مرأى ومسمع منهم •

وتأخذ منهم ، وتبدل من أحوالهم ••• وهم حيارى يصخبون ويضجون •

ويجحد الجاحد منهم وفى أعماقه برهان الحق يمسك بتلابيبه •

« وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ••• »

فالحق لا يجحده الجاحدون لأنهم لا يعرفونه !

بل يجحدونه لأنهم يعرفونه !!

يجحدون الحق حالما تستيقن الحق نفوسهم لأنهم - عند ذلك - يحسون فيه الخطر على وجودهم المستبد ، وكيانهم المستغل ، وأوضاعهم الضالة الطاغية التى لا تقوم الا على العقائد الفاسدة ، والديانات الباطلة ، ولذا يقفون فى وجه الحق مكابرين ••• وهو واضح مبين ••

ان الفطرة هى النافذة التى يطل منها الانسان على الحقائق العليا •

« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » •

فاذا سدت هذه النافذة حجب عن الانسان شعاع الروح ، فلم تعد تجدى أساليب الدعاة جميعا ، ولن تستطيع - عندئذ - أن تحرك الانسان الى الله خطوة واحدة •

« انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذن ابدا »

***

وان قصة موسى - عليه السلام - مع سحرة فرعون ليتضح فيها فعل هاتين الوسيلتين فى نفوس السحرة كل الاتضاح ، مما دفعهم الى الايمان الحق - ايمان الاسلام - دفعا ، واسوا فى سبيله كل أعراض الحياة ، ومتع الدنيا ،

وركلوا بأقدامهم تلكم الزخارف والسلطات التى نالوها ، وحقروا من شأن ما لوح لهم به فرعون من مراكز جديدة فى الدولة .

بل ان قوة الاندفاع الى ذلك الايمان كانت بحيث استهان هؤلاء السحرة بكل تهديد ووعيد - وهم أعرف الناس بفرعون وتهديده ووعيده - مؤثرين على كل ذلك ارضاء القلب الخافق - عندما تأملوا - واتباع الفطرة الجلية الصادقة - عند ما رجعوا اليها -

فلما صدر الأمر الالهى لموسى - عليه السلام - حين خيل اليه من فعل السحرة أن حبالهم وعصيهم حيات تسعى .

« وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى » ..

عندئذ تيقظت فى نفوس السحرة فطرهم ، والتقت مع التأمل فى صنع موسى ، وما أحدثته عصاه - وهم أعلم الناس بأسرار السحر - فتبينوا أن هذا ليس صنع ساحر ، بل هو صنع من لا يدانيه صنع ... صنع الله !

« فالقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى »

آمن السحرة بالله ... نتيجة تلك اللمحة من التأمل فى صنع تأكد لديهم أنه ليس صنع انسان .

ولم يكن ايمان متابعة ، ولا ايمان منفعة .

بل هو ايمان الاسلام الذى يقوم على التأمل، ويعتمد على الفطرة ..

فيكون من الصعب - بل من المستحيل - زحزحة المؤمن عنه مهما كانت الوسيلة !

« قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل، ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى »

وما كانت تلك المقالة - من فرعون - بالتى تغير شيئا مما حدث ، لأن فرعون يفكر بعقلية منحرفة ضالة ، فيظن أن صنع السحرة كان جريا وراء مغنم دبر أمره معهم موسى ، فتهددهم بتعذيبه ، وبالغ فى ذلك التهديد ، وجاء الاسراع فى العودة .

ولكن جاء جواب السحرة - يكتنفه شعور المؤمن واحساسه - موضحين له سر ذلك التغير ليقنعوه بعدم جدوى وسائله معهم، ومع غيرهم ممن يقف على الحقيقة فى لحظة تأمل كتلك التى عاشوها ..

« قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا .

« فاقض ما أنت قاض .

« انما تقضى هذه الحياة الدنيا .

« انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر .

« والله خير وأبقى » .

صوت من ليبيا

وطن واحد

فضيلة الشيخ **محمد أمين هلال**

«٢»

... واتصلنا بفاضل ممتاز أسندت اليه الحكومة مركزا هاما جعله محط الآمال للكثير من بنى وطنه . ومن حظى ان اخبرنى بانه يعرفنى منذ ثلاثين عاما بماكان يقرأ لى فى البلاغ والاسلام والسياسة وسواها من الصحف المصرية وانه يغتبط بوجودى فى هذه المجلة ووعد أن يمدنى بكل ما أطلب عن « ليبيا » لينشر فى أكبر المجلات العربية « المنبر » . وكثيرا ما كنت اصحبه فى سيارته ويجوب بها الجبل الأخضر والأراضى التى تمتد من عقبة السلوم الى سهل بنغازى من أولها الى آخرها . وعرفنا ، كابوت ، ودفنه ، وطبرق ، وغور الطنفسة ، وسائر ما يسمى بالبطنان ، ثم الجبل الأخضر بما اشتمل عليه من أراضى قبيلة العبيدات « بدرنه » وعين « منصور » ونبع « مارة » و « ترت » و « بشارة » و « والقيب » و « شحات » وأراضى قبيلة « الحاسة » فيها . وبعد ذلك أراضى قبيلة البراعصة فى قلب الجبل بجوار الزاوية البيضاء تلك التى كنا ندرس فيها للطلبة علوم البلاغة .

وبعد ذلك أراضى قبيلة الدرسه وأراضى العرفه والعبيد حول قصبة المرج الى أراضى العواقير المغاربه بظاهر بنغازى .. وقد تعرفنا الى بعض الزعماء فى بعض هذه القبائل ولنا معهم أحاديث ربما عدنا لبعضها ولكل قبيلة زاوية هى مرجعها فى الدين والدنيا . واذا تعددت فروع القبيلة فلكل فخذ منها

زاوية . فلعائلة منصور زاوية ولعائلة مريم زاوية ولعائلة جازيه زاوية وللعواكله زاوية. وان الغريب أو الفقير المعتر لينزل بزاوية من هذه الزوايا فيقيم مايشاء ويتضيف مايشاء ولا يسأله أحد عن شيء. وأغلب هذه الزاوية مختار لها أجمل البقاع واخصب الاراضين وفيها الآبار التى لا تنزح من كثرة مائها ، وفى الجبل الأخضر نجدها بجانب عيون جارية وانهر صافية كزاوية « ماره » وزاوية « مرتوبه » وزاوية «أم الرزم» بقرب «درنه» وزاوية « شحات » . وقل أن مررت بزاوية ليس لها بستان أو بساتين فيها كل أنواع الفواكه والثمار وأصناف البقول والخضرة ، يزيد قيمتها مصادفة الانسان لها فى تلك البقاع القاصية عن العمران المحفوفة بالفلوات ـ ولكل زاوية مقدم هو القيم عليها وهو الذى يتولى أمور القبيلة ويفصل الخصومات بينها ويبلغ الأوامر الصادرة من الحكومة ويليه وكيل الدخل والخرج واليه النظر فى زراعة الأرض وجميع الامور الاقتصادية . ومن عاداتهم أن على كل فرد من أفراد القبيلة أن يتبرع بالحراثة يوما وحصاد يوم ودراسة يوم فى أرض الزاوية . فلذلك يسهل عمران الزاوية بدون نفقة كبيرة . ثم هناك الشيخ الذى يقيم الصلاة بمسجد الزاوية ويعلم أحداث القبيلة القراءة والكتابة ، ويعقد فى القبيلة عقد الزواج . ولا توجد هناك مساكن مبنية بالحجر وسط الصحراء غيرها ـ ويروى محدثى عن السنوسية حديث معجب بهذه الطريقة فى سموها واخلاصها لله والوطن وأثرها فى تقويم المسلمين والنهوض بهم والوقوف فى وجه الذين يتربصون بهم الدوائر . وفى اعتقاده أن تلك الطريقة الصوفية العاملة قد عرقلت المد الاوربى الى حد كبير فى « ليبيا » وفى شرق افريقيا وغربها . ولولاها لما اعتنقت الاسلام قبائل وثنية سوداء ، ولاستطاع المبشرون أن يضموها الى حوزتهم . وكما كان لهم مجال كبير فى ذلك كان لهم أيضا مجال كبير فى تعمير الصحراء القاحلة المترامية الاطراف . اذ كانوا كلما حلوا بأرض فيها عمروا وثمروا ووجدت الارض اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . رحم الله أبا الطيب :

ان الكريم اذا أقام ببلدة
سال النضار بها وفاض الماء

وليزداد القارى علما عن هذا الجزء الكريم من جسم الوطن العربى الكبير رأينا أن نهتبل هذه الفرصة ونتقصى معالم الحضارة فيه قديمها وحديثها ليزداد يقينا بالايمان بوطنه الاكبر ويحرص على افتدائه بماله وولده. وأن به من الحضارة العالمية ما يعتز به يوم الفخار.

فتحت ليبيا فى العام الثالث والعشرين الهجرى على يد القائد العظيم عمرو بن العاص فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أى بعد الفتح الاسلامى لمصر بثلاث سنوات . ويدهشى الانسان كيف استطاعت قلة من المؤمنين أن يجتازوا هذه المسافات الطويلة العريضة ، ولا تقف فى طريقهم تلك الجبال الشاهقة صعبة المسالك ، دانية المهالك . ولا يبالون تلك الصحراوات القاحلات التى لا يملك الطرف مداها ، ويضل الطير فى سماها . وكيف تحملوا قسوة الرمال ، وجفاف الماء ، وانعدام الظلال، على حدب من الأقوات وفقر من العتاد. وكيف جابوا هذه الأرض المترامية الأطراف مشاة أو ركبانا على ظهور الجمال ـ أقسم اننى حين زرت مقابر شهداء الغزاة من الصحابة وهم نحو الثمانين من الصحابة فى (درنه) وبعضهم فى الزاوية البيضاء مثل (رويفع بن ثابت الانصارى) بكيت لهؤلاء الخالدين بقدر ما عجبت وازددت ايمانا بمعجزة هذا الدين . انه صدق العزيمة وقوة الايمان ولطف الرحمن ، تجعل المحال على حبل الذراع ، وتجعل الجبال تزول أمام تصميم الرجال ، وهذا سدنا العالى فى عصرنا الحالى من أقوى البراهين ، مصداقا لقول الله ((وكان حقا علينا نصر)) .

وذهبنا يوم الجمعة الى مركز صغير بالجبل الأخضر يقع على بعد نحو ثلاثين كيلومترا غرب البيضاء جنوبا وعلى بعد أربعة وخمسين كيلومترا شرقى المرج وثلاثة وستين كيلومترا غربى شحات وعلى نحو كيلو متر واحد شمالى الطريق العام الموصل بينهما لم يكن به من المبانى سوى بقايا كنيسة بيزنطية حولها الاحتلال

الايطالى الى قلعة استعمارية وهى الان بهـا مدرسة ومستوصف طبى لخدمة سكان المنطقة لم يكن هذا المركز شيئا مذكورا لولا الصدفة التى ساقت أحد العمال الباحثين عن حجارة للبناء الى اكتشاف شيء من الفسيفساء الجميلة اثبت اتمام كشفها من قبل مصلحة الاثار انها أضخم وأدق ما عثر عليه فى ليبيا حتى الان من الفسيفساء التى تجمع بين الروعة والجمال والقيمة التاريخية . وتحتوى فسيفساء القاعة الكبرى على خمسين لوحة تمثل كل منها فكرة معينة أبدع صانعوها فى ابرازها وزخرفتها . وهى فرش أرضية احدى الكنائس البيزنطية التى اقيمت فى هذه القرية الصغيرة المعروفة « بأولبيا » كجزء من تجميل هذه المنطقة المفضلة من قبل « ثيودورا » زوجة « جوستنيان » سنة ٥٣٩ م ـ وتسميتها باسمها ثيوذوراياس ـ ولقد تم حتى الان الكشف عن أرضية القاعة الكبرى للكنيسة وقاعتين جانبيتين كلها مزخرفة بالفسيفساء تحكى صورها قصص صيد ومناظر نيلية مثيرة فى الوانحية بديعة التنسيق مثل غزال وشجرة وغزال رابض تحت شجر ، اله الانهار يرمز للنيل ، ظبى يفترس ثعبانا . نسر ينقض على عجل . بطة على ظهر تمساح غريب الشكل . كتابة تسجل هذه الفسيفساء تمت فى السنة الثالثة بأمر الاسقف ماكاريوس (٥٣٩ م) ، واحدى عجائب الدنيا القديمة السبعة ، منارة الاسكندرية الشهيرة ، وقد اختصر الرسام ارتفاعها ببروز تمثال هليوس (الشمس) وهو يشير بسيفه الى المرآة الحديدية الشهيرة ويظهر تمثال آخر يفصل بينهما البحر . وهكذا من اللوحات التى تبلغ الخمسين كما قلنا .

وفى الحق ان نسجل ونحن فى معرض التحدث عن هذا الفن الذى تركه الرومان فى جزء من وطننا العربى (ليبيا) أن لا محل لمقارنته بالفن المصرى القديم . ففى آثار سقارة والسرابيوم والمعابد فى العرابة المدفونة وسفح الاهرام وطيبة . ما يتقاصر دونها كل فنان ، ولو كان من الرومان ، دع الاهرام وعظمتها ، وطيبة وملوكها ، والاقصر وطريق كباشها ، واسوان وأبو سنبلها ، وقصر انس وجودها . فتلك لم يظفر بمثلها أوطان ، اذ لم يجد بمثلها زمان .

واذا وصلنا فى التحدث عن الآثار الى الكلام ، عن تاريخها فلا محالة أن تلم بشيء من التاريخ القديم لهذا الاقليم ، قبل أن نتحدث عن آثاره الاسلامية . ومجتمعه العربى .

ترك الليبيون بعض آثارهم الحضارية منذ العصر الحجرى القديم واستطاعوا أن يتأثروا بحضارات أخرى بسبب اختلاطهم بالشعوب التى جاءت الى ليبيا . وازدادوا فى القرن الثانى عشر بوصول الفنيقيين الى شاطىء البحر الابيض المتوسط . هذا وقد اشتهر بعض من السكان الليبيين قديما . فقبائل الاستوريين . والفرامنت الذين انشئوا عاصمتهم (جرنه فى فزان) وقد ذكرهم المؤرخ «هيرودت» كأمة محاربة فى تاريخه ، وكان هؤلاء الفرنمتيون انفسهم يلاحقون اعداءهم مستعملين عرباتهم السريعة التى تجر كل واحدة منها أربعة جياد . وقد نجد نموذجا خشبيا لعرباتهم القديمة التى استعملوها فى حروبهم ضد اعدائهم فى متحف ما قبل التاريخ بالسراى الحمراء بطرابلس . وعند مجيء الفنيقيين الى السواحل الليبية بدات العلاقات بالعالم الخارجى تزداد ، وخاصة بعد أن كونوا لهم مراكز تجارية فى « لبدة » و « صبراته » و « اويات » (مدينة طرابلس القديمة) وفى خلال القرن السادس قبل الميلاد استعمر القرطاجنيون الذين كانوا قد اسسوا لهم مدينة قرطجنة القريبة من تونس الحالية . وبدءوا يوسعون مملكتهم فى الشمال الافريقى حتى استطاعوا الاستيلاء على مدن طرابلس . وعند انهيار دولة قرطاجنة أصبحت البلاد تحت حكم المملكة النوميدية التى اسسها العاهل البربرى (ماسينا) حوالى القرن الثانى قبل الميلاد . واستطاع أن ينافس مملكة قرطاجنة وان يتحالف مع الرومان فى سبيل القضاء عليها وذلك لتوطيد مملكته التى امتدت حتى حدود برقة بعد ان ضم « لبدة » و « صبراته » ومدينة « اويات » ولكن استطاعوا ان يقضوا على مملكته الناشئة بعد ان استفحل خطرها فى الشمال واصبحت تهدد النفوذ الرومانى ـ

وهكذا بعد نحو مائة سنة من حكم المملكة النوميدية احتل الرومان مدن القسم الغربى من ليبيا وتميزت تلك الفترة بأهم مظاهر العمران وانتشرت الحضارة الرومانية فى المدن التى استقرت فيها الجيوش الرومانية . وفى وقت القرن الخامس الميلادى سقطت تلك المدن فى يد قبائل الوندال الذين جاءوا من شمال اوربا بعد ان قضوا على الامبراطورية الرومانية الغربية. وبعد مائة سنة من الضعف والانحلال اللذين خيما على الممتلكات الرومانية جاء البيزنطيون الذين أسسوا لهم مملكة (روما) الشرقية بعد سقوط روما الغربية واستطاعوا طرد الوندال من البلاد بسهولة وحكموا حتى سنة ٦٦٣ م عندما جاءت طلائع العرب وقضوا على الحكم البيزنطى . وتلك المراحل التى مرت بتاريخ البلاد قد تركت اثارها الدالة على ازدهار مدن ليبيا .

وبمرور الزمن استطاع المتخصصون فى علم الاثار اظهار معالم تلك الحضارات القديمة التى تعاقبت على البلاد . وقد ادركت الحكومة الليبية أهمية تلك التحف الأثرية فشجعت مصلحة الآثار فى تكوين المتاحف المختلفة التى نجدها داخل السراى الحمراء بطرابلس - والزائر الى القلعة التاريخية يشاهد الكثير من تلك المتاحف ، كالمتحف المرمرى ومتحف العاديات ومتحف الفن الرومانى . ويشاهد بعض نماذج مختلفة لاعطاء صورة عن الحياة الاجتماعية والتقاليد والعادات الليبية .. ثم متحف ما قبل التاريخ الذى يحتوى على أهم بقايا الحضارة الليبية القديمة . ولقد تم تنظيم المتحف المرمرى وتوسيعه ونصب التماثيل فيه بعد عمل متواصل استغرق حوالى ثمانى سنوات وصار يضم تحفا اثرية تشكل العناصر الزخرفية لأهم المبانى العامة والخاصة .

واول ما استرعى انتباهى هو الاجزاء المزخرفة التى نجدها داخل المتحف لقوس النصر الذى اقيم على شرف الامبراطور (سبتيموس) مركبة تركيبا منسقا فى احدى قاعات العرض الكبير ويدل دلالة واضحة على تقدم الفن المعمارى فى تلك الفترة ، فقد كان هذا القوس قائما فى شارع « لبدة » الرئيسى تخليدا لانتصار الامبراطور المذكور . ولقد عثر على هذه التحف التى يضمها هذا المتحف فى منطقة « لبدة » و « صبراته » و « طرابلس » . وبعض المواقع الأثرية الأخرى . ونجد مجموعة قيمة من النقود التى استعملت منذ العهد القرطاجنى والنوميدى والرومانى ثم البيزنطى . وهى تعطينا صورة كاملة لتاريخ البلاد منذ عهد بعيد - ولم تقتصر مجموعات التماثيل والنقود الحجرية والتحف المختلفة على متحف طرابلس . فهناك متحفان فرعيان فى كل من «لبدة» و «صبراته» ففى متحف صبراته مثلا نجد متحفا يشمل التحف الاثرية التى عثر عليها اثناء التنقيب عن هذه الاثار فى تلك المنطقة من أوانى فخارية وفسيفساء مزخرفة . وأجملها ما يوجد داخل كنيسة الامبراطور جوستيان البيزنطى وحمام المدينة وفى «لبدة» يوجد كذلك متحفا أخر يضم بعض التحف الجميلة. كالاوانى الفخارية والنقود القديمة وبه قسم للالواح المنقوشة أهمها ما وجد فى معبد سيرابيس المؤله المصرى قديما والذى انتقلت عبادته الى اليونانية مع الرومانية . وقد وصف مسز «بروجا» منطقة « فرزه » وصفا كاملا وقامت بعدة رحلات لهذه المنطقة « فرزه » وكتبت تقريرا شاملا عن اثارها . وقد أحضرت من هذه المنطقة ضريحا ضخما ركب على النمط الذى يوجد به فى المنطقة المذكورة . كما ان هناك خاصة بقطع اثارية يرجع تاريخها الى العهد البيزنطى جلبت من منطقة (الخضراء ترهونه) وهى عبارة عن كتب بيزنطية يلاحظ فيها الطابع المعمارى المسيحى . هذا الى جانب الأوانى الفخارية والأدوات الأخرى التى عثر عليها داخل بعض المقابر والمدافن القديمة المختلفة.

تلك المامة بتاريخ هذه البلاد الشقيقة ومعالمها قبل الاسلام - أما معالمها الاسلامية ومظاهرها الاجتماعية . فموعدنا معها فى الاعداد القادمة فى المنبر أن شاء الله .

الصبر وأثره في تكوين المجتمع القوي

للأستاذ محمود لطفي عبد الكريم

للصبر معان كثيرة ، والمعنى الذى نقصده فى هذه الكلمة ، هو أن لا يندفع الشخص وراء عاطفته ، وأن لا يضيق بما يقع له من حوادث الدنيـــا ، كالفقر ، والمرض والفشل ، وما اليها من أمور تسلم ضعاف النفوس الى اليأس والقنوط .

وهو من أهم أركان هذا الدين ، ان لم يكن أهمهـا جميعا ، وليس أدل على ذلك من أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفه بأنه نصف الايمان ، وأن الله ذكره فى القرآن أكثر من سبعين مرة .

ولهذا كان جزاؤه غير محدود كالطاعات الأخرى ، التى حدد جزاؤها بعشرة أضعاف ، أو بسبعمائة ضعف ، قال تعالى : « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

والمؤمن المثالى هو الذى يضبط نفسه فى جميع الأحوال فلا تزعجه الحوادث حتى تبلغ به درجة اليـأس ، ولا تطغيه النعم حتى تصل به الى درجة البطر ، وانما يكون أمره بين الصبر والشكر ، قال تعالى : « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور » .

وأخرج مسلم عن أبى يحيى صهيب بن سنان قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « عجبا لأمر المؤمن ، ان أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحـد الا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر فكان خيـرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » .

على أن الكوارث التى تصيب الانسان فى حيـاته ، والعقبات التى تقف فى طريقه ، مكفرات لخطاياه ، ما حية لذنوبه ، اذا قابلها بالصبر والرضا والتسليم .

أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة وأبى سـعيد الخدرى عن النبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ قال « ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه » .

وأخرج الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما يزال البـلاء بالمؤمن والمؤمنة ، فى نفسه ، وولده ، وماله ، حتى يلقى الله تعالى عليه خطيئة » .

بل انها دليل على محبة الله لعبده ، لا كمـا يقول الجاهلون : انها انتقام ممن ابتلى بها ، أو غضب من الله على صاحبها .

اخرج الترمذى عن أنس بن مالك أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا ، واذا أراد بعبده الشر أمسك عنـه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة ، وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » .

والصبر هو الدواء الوحيد الذى تعالج به جميـع مشاكل الحياة .

فالغيظ الذى يملأ الصدور ـ لأى سبب من الأسباب ـ اذا عولج بالصبر ، هدأت النفوس الجامحة ، وسكنت الأعصاب الثائرة ، وقلت الرغبة فى الانتقـام ، وماتت الجريمة قبل أن تولد .

هذا غير ما أعد الله فى دار الجزاء لمن كظم غيظه ، فقد اخرج أبو داود والترمذى عن معـاذ بن أنس أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه ، دعاه الله سبحانه على رءوس الخلائق يوم القيامة ، حتى يخيره من الحور العين ما شاء » .

وكل ما ينزل بالانسـان ، من مرض ، أو فقر ، أو فشل ، اذا عالجه بالصبر ، اطمأن قلبه ، وهدأت نفسه فلا يتسلل اليها اليأس والقنوط ، ولا يفسـد النفس مثلهما ، فهما اللذان يزهدان الانسان فى الحياة ، ويجعلانه يتمنى الموت ، فرارا مما يعـانيه ، وتمنى الموت ينتهى بصاحبه ـ فى الغالب ـ الى التفكير فى الانتحار ، ولهذا حذر منه النبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ حيث قال : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه ، فان كان لابد فليقل : اللهم أحينى ان كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى ان كانت الوفاة خيرا لى » .

وعرض علينا ـ صلوات الله عليـه ـ صورة كريهة ، حالكة السواد لمن قهرته نفسه فأقدم على الانتحار .

أخرج البخارى ومسلم عن جندب بن عبدالله البجلى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « كان فيمن قبلكم رجل به جرح ، فجزع ، فأخذ سكينا فحز بها يده ، فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله تعالى : » بادرنى عبدى بنفسه ، حرمت عليه الجنة » .

وأخرج الامام أحمد والبخارى ومسلم عن أبى هريرة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من قتـل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم ، خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم ، خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو متردٍ فى نار جهنم ، خالدا مخلدا فيها أبدا » .

وأخيرا ، فانه لولا صبر أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتحملهم الشدائد التى صادفتهم وهم يرفعون قواعد الاسلام ، ويقيمون بنيان هذا الدين ، لولا هذا لما ظهرت تلك الأمة القوية العزيزة المنيعة فى ذلك الزمن الوجيز .

وانه لو لم يكن فيهم الكثير من أمثال عمار ، وخباب ، وصهيب ، وبلال ـ الذين لم ينل من نفوسهم القوية مبالغة المشركين فى تعذيبهم ـ لما انهارت قوائم ملك كسرى وقيصر ، ولما قامت على أنقاضهما تلك الدولة الفتية ، التى دان لها أهل الأرض جميعا .

فالصبر هو الذى يملأ النفوس بالأمل ، ويغمر القلوب بالاطمئنان ، وهو الذى يكون الأمم القوية ، ويحقق لهـا أهدافها ، ويصل بها الى غاياتها المنشودة .

فى حرم بيت المقدس

الأستاذ حسن الشيخ

أتابع فى بعض كلماتى فى هذه المجلة كلما اقتضى الحال ـ الرجل المتفقه فى دينه على السبيل السوى ، سبيل تطبيق الفقه على واقع الحياة ، المهندس أحمد عبده الشرباصى ، فقد تابعته وهو يرأس حفل توزيع الجوائز على الطلبة هذا العام ، لما رأى أن يجد فى حفل العام المقبل بحثا عن السيد عبد الرحمن الكواكبى ، وقد كانت بحوث الطلبة خالية منه ، فكتبت عن الكواكبى من بعض نواحيه ، بما يعد تأسيسا لبحث يكتب عنه ، وتابعته كذلك لما ناب عن السيد الرئيس فى افتتاح مسجد هذا السيد الكواكبى فى مدة اقامته بمصر ، لأن مسجده أسس بها ، وأنا اليوم أسعد بمتابعته كذلك لما كان فى بيت المقدس نائبا عن السيد الرئيس فى الاحتفال باصلاح قبة الصخرة ، بعد ما اعتراها من التهدم .

متابعتى لسيادته فى هذه الرحلة الأخيرة ليست بوصف الاحتفال الذى أقيم بها لأننى لم أره ، ولا بالنص على من اشترك بالمال من ملوك المسلمين ورؤسائهم ومن لم يشترك ، وانما هى فيما هو من صميم التاريخ كما تابعته من قبل فى كل ما كتبته ، مما ساقتنى اليه هذه المتابعة.

فى عام ١٠١٣ ق.م أمر سليمان عليه السلام بانشاء قصر له حيث موضع المسجد الأقصى وهيكل فخم حيث قبة الصخرة ، وفى موضع القصر والهيكل كانت الأماكن الاسلامية المقدسة التى هى جميعا ببيت المقدس .

لم يكن للاسلام صلة بهذه الأماكن قبل قصة الاسراء ؛ فالذى جعل المسلمين يقدسونها هو الاسراء « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله .. » بعد ذلك دخلت فى التاريخ الاسلامى الى الآن ، ففى عام ٦١٤ م اكتسح الفرس البلاد ، وخربوا بيت المقدس بما فيه من معابد وكنائس، ولكن جيوش المسلمين فتحته عام ١٥هـ بحضور الخليفة عمر بن الخطاب ، فلما دخلها ذهب الى مكان المسجد الأقصى ، وأمر بازالة ما عليه من الأقذار ، وبنى مسجدا مؤقتا للعبادة ، أعقبه تأسيس المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وكان هذا الموضع كنيسة ، اذن فكلمة الحرم القدسى تحتوى من الأمكنة الرئيسية قبة الصخرة ، والمسجد الأقصى ، وقبة السلسلة ، التى لا شأن لى بالكلام عنها الآن ، وكل ما أقوله أنها اتخذت نموذجا لبناء قبة الصخرة .

من يوم أن أسس عمر رضى الله عنه مسجده فى بيت المقدس لم يلتفت المسلمون الى هذا المكان المقدس ، لأن الفتوحات شغلتهم عن ذلك ، الى أن جاءت فتنة عثمان، وأعقبتها فتنة على ومعاوية بما يعرف بقضية التحكيم ، وهكذا سارت الأمور بعيدة عن الالتفات الى بيت المقدس الذى هو موضع اسراء الرسول ـ صلوات الله عليه ـ ، وكان فيه قبلة المسلمين الأولى « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره .. » ، ولهذا التحول فى القبلة لم يرض عمر بن الخطاب أن يصلى فى موضع من مواضع بيت المقدس ، هو كنيسة القيامة ، وقد طلب البطريك منه أن يصلى بها ، لأنها من مساجد الله ، ولكن عمر اعتذر بأنه ان فعل أتبعه المسلمون فى الصلاة بالكنائس ، واعتبروا عمله سنة ، وصلى فى مكان قريب من موضع الصخرة على أطلال هيكل سليمان ، وفى هذا المكان شيد مسجده الذى أقامه من ساذج البناء ، كما أقام رسول الله صلوات الله عليه مسجد قباء فى بساطة .

ولما أفضت الخلافة أو الملك ـ الى عبدالملك بن مروان، كانت الثورة لا تزال مشبوبة على المروانيين فى الحجاز من الزبيريين وعلى رأسهم عبدالله بن الزبير ، وكان هؤلاء الثائرون هم سدنة البيت الحرام بمكة ، والقائمين على شئون مسجد رسول الله صلوات الله عليه ، فكانوا موضع احترام وعطف من المسلمين ، وكان حج المسلمين بمكة والمدينة يزيدهم احتراما وعطفا ، ويبدو أن عبد الملك بن مروان رأى أن يصرف المسلمين عن أداء فريضة الحج فى الحجاز ، لأنه مقام خصومه ، والثائرين عليه ، ويتحول بهم الى الحج فى بيت المقدس ،وقد ساعده على هذا التفكير أن لبيت المقدس سابقات اسلامية لم ينسها الناس بعد ، كقصة الاسراء الى موضع المسجد الأقصى، وانه كان قبلة المسلمين قبل أن تكون الكعبة هى القبلة، ولم يلبث أن قرن تفكيره بالعمل ، فأمر ببناء المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة .

وهنا بحث ، ذلك أن بناء المسجد الأقصى نسب الى عبد الملك ، ولكنى أرى أن اسم هذا المسجد نطق به قبل أن يغزو العرب فلسطين والشام « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى .. » ، واذن فيسوغ لى أن أقول ان لفظ المسجد كان مستعملا قبل الاسلام لكل محل فيه سجود وعبادة لأصنامهم ، واذن أيضا فيكون المسجد الحرام قبل الاسلام هو الذى بمكة ، ويكون المسجد الأقصى هو الهيكل ببيت المقدس وهو الذى بناه عبد الملك على هيئة المساجد الاسلامية ، مثل ما أقامه من المساجد بالشام .

يتمشى هذا البحث الى قبة الصخرة أيضا ، فان المتفق عليه أن القبة التى بنيت كانت على الصخرة المقدسة ، واذن فالصخرة هى غير القبة التى بنيت عليها ، وان الرسول فى معراجه قد اتخذ من هذه الصخرة المعروفة بصخرة يعقوب مرتكزا للمعراج الى السماء ، فالذى بناه عبد الملك بن مروان هو القبة ، أما الصخرة فقديمة .

هذا البحث يذكرنى بما فى التاريخ من غوامض ، مثل الحجر الأسود اللاصق بالحرم المكى ، فانه فى غموض تاريخه شىء عجيب ، فقد قيل ان جبريل جاء به من السماء ، وقيل انه جاء به من الهند حيث هبط به آدم من الجنة ، وانه كان أبيض ناصعا فاسود من خطايا الناس ، الى غير هذه الروايات التى رويت فى الأماكن المقدسة ، وليس ذلك بمطعن فى قداستها أصلا ، لأن التاريخ الواغل فى القدم وأطواء الزمان لم يعرف منه الا ما كشف لنا عنه القرآن الكريم فى قصصه عن مايقص لنا عنه شيئا ، مثل ذكره البيت الحرام ، والمسجد الأقصى ، وقصص الأنبياء ، وقصة بلقيس ملكة سبأ ؛ وهكذا .

والخلاصة فيما أنا بصدد الكلام عنه هى أن قبلة المسلمين كانت الى بيت المقدس أولا ، ولا تكون قبلة لأهل دين جديد يومئذ كالاسلام ـ الى مكان غير مقدس ، كما لا يكون اسراء صاحب رسالة هذا الدين الى مكان غير مقدس كذلك ، واذن فهذه الأماكن قداستها قديمة ، واذا كان من أصول ديننا الاسلامى أن نؤمن بالغيب ، أى بما لم نره ، وبما لم نقم عليه برهانا ، فاننا نجزم بصحة ما أرشدنا اليه القرآن الكريم .

بعد العمارة التى قام بها عبدالملك بن مروان عام ٧٢هـ فى المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ، توالت العمارات على هذين المسجدين من ملوك الاسلام ، كلما اعترى أحدهما أو كليهما ما هو بحاجة الى الاصلاح ، وصار ذلك سنة محببة الى يومنا .

أول ما قام بالاصلاح بعد انقضاء دولة بنى أمية ـ الدولة العباسية ، وبعدها دولة الفواطم ، الى دولة بنى أيوب التى وقع فى عهدها ما قطع تاريخ هذه الأماكن المقدسة باحتلال أهل الصليب بيت المقدس ، وتحويلهم قبة الصخرة الى كنيسة ، والمسجد الأقصى الى منزل لسكنى ملكهم ، وسموا ما تحت الأقصى من الأبنية باصطبل سليمان ، وربطوا فيه الخيل ، كما وقع من الفرنسيين فى حملتهم على مصر أن ربطوا خيولهم بالأزهر، والذى خلص الاسلام من هذه النازلة هو صلاح الدين الأيوبى كما هو معروف ، فانه خلص بيت المقدس ، وأعاد الحرم الى ما كان عليه ، عام ٥٨٣ هـ ، وهكذا كانت الدولة الأيوبية كلها من حيث خدمة هذه المقدسات .

جاءت بعد ذلك دولة المماليك ، ويندر أن ترى فيها ملكا لم يقم باصلاح المسجد أو القبة ، أو كليهما ، وأولهما الظاهر بيبرس الذى أصلح المسجد والقبة .

كما وقع أيضا من الاصلاح فى عهد سلاطين آل عثمان ، مثل سليمان القانونى ، ومحمود ، وعبد العزيز ، وعبد الحميد .

وبعد فهذه كلمة وجيزة عن الأماكن المقدسة فى بيت المقدس، وعن تتابع اصلاحها من ملوك المسلمين ورؤسائهم، وكان آخر هذه الاصلاحات ما ناب فيه السيد المهندس أحمد عبده الشرباصى عن السيد رئيس الجمهورية ، أدام الله مصر فى طليعة البلاد الاسلامية .

الاعتصام

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » قرآن كريم

الأستاذ عبد العال السيد شعيب

كانت المدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة والسلام ، تسمى قبل الاسلام بيثرب ، وكان يقيم بها قبيلتان من العرب ، قبيلة تعرف باسم الأوس ، وقبيلة تعرف بالخزرج ، وكان يعيش بين هاتين القبيلتين جماعة من اليهود ، وهم اول من حمل نظام الربا الى البلاد العربية ، فكانوا يسخرون الناس فى خدمة المال،ويحاولون ان يمسكوا بزمامهم عن طريقه ، وكلما وجدوا بوادر ثورة من هاتين القبيلتين على الربا ، قاموا باثارة الفتن بينهما . فاذا بالدماء تجرى ، واذا بالرءوس تطيح ، وقد روى التاريخ كثيرا من هذه الحروب ، حتى جاء الاسلام وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وتلقاه المؤمنون من افراد هاتين القبيلتين بالتكريم والاجلال ، وقد عرفت هاتان القبيلتان باسم الانصار ، والمسلمون الذين جاءوا الى المدينة هم المهاجرون ، وحين استقر المقام بالنبى فى المدينة تحاب الجميع وتصافوا وتآلفوا . وكانوا اخوانا بنعمة الله ، يحب بعضهم بعضا ويؤثر بعضهم اخاه على نفسه ، وهكذا محيت العصبية من بين صفوفهم ، وأقبلوا على عبادة الله ، ورفع شأن دينه الحنيف .. وفى ذات يوم وبينما كان الانصار يجلسون هذا المجلس الكريم تظللهم راية الحب ، وتحفهم نسمات الود ، اذ مر عليهم رجل شديد العداوة للمسلمين ، شديد الحقد عليهم ، يسمى شاس بن قيس ورأى القلوب فرحة ، والصدور مطمئنة ، فغاظه هذا المشهد الرائع أشد الغيظ ، ولجأ الى غلام غر من اليهود وأعطاه جانبا من المال ، ليجلس بينهم ويذكرهم بيوم بعاث وما كان فيه ـ وهو يوم حرب كانت بين الأوس والخزرج فى الجاهلية ـ ولقنه بيتا من الشعر كانت الأوس قد قالته تهجو به الخزرج من القديم . ومر الغلام على مجلس الانصار المؤتلف المتحاب ، وأنشد هذا البيت من الشعر فلما سمعه الخزرجى نظر الى الأوسى وقال له : اقلتم هذا البيت ؟ قال نعم ، قال : لقد كذبتم ، فقال الأوسى : بل انتم الكذابون ، وقام الأوسى ينادى : يا أهل الأوس ، والخزرجى ينادى : يا أهل الخزرج وكادت الحرب تشتعل ، وأسرع غيور الى الرسول يخبره الخبر ، فجاء وهو متغير الوجه ، وصاح فيهم ، يا عباد الله أتعيدونها جاهلية وأنا بين ظهرانيكم ، فلما رأوا وجه محمد رسول الله تساقطت السيوف من أيديهم ، واستبدلوا بالسيوف المشرعة طيب العناق ، ونزل حين ذاك قرآن يتلى ما بقيت السموات والارض ، ليكون فيه عبرة للامة الاسلامية منذ ذلك اليوم الى ان تقوم الساعة ، نزل قوله تعالى « يأيها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ، يأيها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »

وهكذا مضت الأمة الاسلامية ، تعيش فى تآخ وتحاب وتواد ، لان فى ذلك عزها وسعادتها ، بل ان القرآن يعلن الاخوة الانسانية العامة . حيث يقرر وحدة الجنس والنسب ، فالناس لآدم ، ولا فضل لعربى على عجمى ولا لأسود على أحمر الا بالتقوى ، وحكمة التقسيم الى شعوب وقبائل ، انما هو بالتعارف لا التخالف والتعاون لا التخاذل ، والتفاضل بالتقوى ، والأعمال الصالحة ، التى تعود بالخير على الفرد والجماعة ، والله

رب الجميع يرقب هذه الاخوة ويرعاها ، ويطالب عباده جميعا بتقريرها ورعايتها قال تعالى « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .

وقال « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة . وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » ويقول النبى صلى الله عليه وسلم فى اشهر خطبه فى حجة الوداع « ان الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية . وتعظمها بالاباء والاجداد ، الناس لادم ، وادم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمي ولا لاسود على احمر الا بالتقوى » ويقول « ليس منا من دعا الى عصبيته، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » ولهذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا عالميا لا رسولا اقليميا . وأعلن القرآن الكريم هذه العالمية فى ايات كثيرة فقال « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » وقال « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » وكان الاسلام عمليا فى تقرير هذه الوحدة ، فالقبلة التى يتجه اليها المسلمون من جميع أقطار الارض فى صلواتهم ، رمز الى معانى الاخوة والوحدة بين الناس جميعا ، كما ان طواف الطائفين بهذه الكعبة المشرفة ان هو الا توكيد عملى لهذا الشعور ، وحينما يقف المسلم فى الصلاة لا يناجي ربه بصيغة المفرد ولو صلى منفردا . فهو لا يقول : اهدنى الصراط المستقيم ، بل يقول : اهدنا ، ولا يقول فى التشهد اذا كان يصلى منفردا ، السلام على وعلى عباد الله الصالحين ولكن يقول : السلام علينا .. سبب ذلك ان يستشعر المسلم دائما انه ليس وحده ، وانه اذا صلى منفردا فانفراده انفراد حسى ، اما فى الواقع فهو ليس منفردا لانه عضو فى جماعة الامة الاسلامية ، وعليه أن يستشعر دائما انه حين يقف ليصلى ، يكون عن يمينه وعن يساره ومن خلفه اخوان له يشاركونه العقيدة ، ويشاركونه هذا الموقف الجليل بين يدى رب العالمين ، فهو اذا لم يكن فى جماعة مرئية بالعين ، فهو فى جماعة مدركة بالشعور والاحساس والوجدان . وبهذا يكون المسلم واحدا من جماعة قوية متحدة متآلفة . وان الله تعالى يحب الصف المجتمع فى الصلاة وفى الجهاد « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص » .. وكما وحد الاسلام القبلة وحد اللغة واعلن أن اللغة العربية هى لسان القرآن انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وان القرآن هو لسان المؤمنين . وان دعوة الايمان دعوة موجهة الى العالمين ـ ولهذا فرض الاسلام اللغة العربية فرضا على المؤمنين فى صلواتهم وعباداتهم، ومنح الجنسية العربية لكل من نطق بلغة العرب وجرى لسانه بها واعتبر ان العربية هى اللسان . روى الحافظ ابن عساكر قال : جاء قيس بن مطاطية الى حلقة فيها سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى فقال : هؤلاء الاوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، فما بال هذا وهذا ؟ « مشيرا الى غير العرب من الجالسين » فقام اليه معاذ بن جبل رضى الله عنه ، فأخذ بتلابيبه ، ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بماقاله . فقال النبى مغضبا يجر رداءه حتى اتى المسجد ، ثم نودى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخطبهم قائلا : « أيها الناس ان الرب واحد وان الدين واحد وليست العربية بأحدكم من اب ولا أم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى »

هذه الوحدة التى تحققت للامة الاسلامية اسعدتها فى حياتها . وجعلت كلمتها هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وانطلق المسلمون فى صدر الاسلام يبنون مجتمعهم على تعاليم الاسلام ، وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشرون دين الله فى شرق الارض وغربها ، حتى أن واحدا منهم يصل الى يزدجرد امبراطور الفرس ، ويقف أمامه ليقول له فى شجاعة المؤمن المعتز بدينه ، الواثق من نصر الله له : « ان الله قد ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام » .

لقد انطبعت نفوسهم على الشجاعة النادرة التى تواجه الموت فى بسالة وايمان من أجل المبادىء الرفيعة والقيم والاخلاق ، لقد بعث الايمان فى قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة ، وحنينا غريبا الى الجنة ، واستهانة نادرة بالحياة ، تمثلوا الآخرة وكأنهم يرونها رأى العين فطاروا اليها سراعا لا يلوون على شيء تقدم أنس بن النضر يوم احد ، وانكشف المسلمون فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ ، الجنة ورب الكعبة ، وانى أجد ريحها من دون أحد ، قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل ومثل المشركون به فما عرفه أحد الا اخته ببنانه » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض ، فقال عمير بن الحمام الانصارى : يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والارض ؟ قال نعم ـ قال : بخ بخ ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يحملك على قول بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، الا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : فانك من أهلها ، فاخرج تمرات من قرنة فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه انها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل » وقد شهد تاريخ المسلمين القريب وحدتهم وجهادهم فى عهد القائد صلاح الدين الذى هزم جموع الأعداء بعد أن حشدوا كل قواهم لهزيمته ، انتصر عليهم فى موقعة حطين وبقى بيت المقدس سالما للمسلمين ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا) .

اما بعد فيأيها المسلمون : ان التاريخ يعيد نفسه : وان أعداء الاسلام الآن يتربصون به الدوائر ،ويكيدون له المكائد ، ويدبرون له الفتن ، وعليكم واجب يفرضه عليكم دينكم ونبيكم ، وهو التجمع والتآلف والتضامن لرد كيد هؤلاء الأعداء ، واذا كان الشاعر الجاهلى امرؤ القيس يأبى أن يعيش من أجل غرض زائل وهدف دينوى قريب المنال فيقول :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفانى ولم اطلب قليلا من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

اذا كان هذا الشاعر الجاهلى يريد أن يحيا للمجد المؤثل والهدف الكبير فاجدر بنا نحن المسلمين أن نتخلى عن الأبيقورية التى يعيش فيها أكثرنا ، ونسعى الى الامجاد الغالية والاهداف الخالدة ونعز دين الله ارتضاء لنا ـ وهو خير دين ـ والله المرجو أن يحقق ما نرجوه ، وان يبلغنا ما يريده هو (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الارض) .

الصوفية وأحوال النفس الانسانية

للدكتور محمد مصطفى حلمى

تبينت مما حدثتك به عن الصوفية وأحوال النفس الانسانية مبلغ عناية الصوفية بهذه الاحوال عناية فائقة ، وذلك فيما قدمت بين يديك فى الأعداد السابقة من مجلة ((منبر الاسلام)) الغراء ، وتتبين هذه العناية الفائقة من جانب الصوفية بأحوال النفس الانسانية ، كما تتبين منزلة هذه الاحوال من علوم هؤلاء الصوفية ، على وجه أظهر وأوضح ، وبصورة أجلى وأفصح ، اذا لاحظنا مع أبى بكر محمد الكلاباذى صاحب كتاب (التعرف لمذهب اهل التصوف) والمتوفى سنة ٣٨٠ هـ أنه عرف علوم الصوفية بأنها علوم الاحوال ، وان الاحوال مواريث الاعمال ، وأنه لا يرث الاحوال الا من صحح الاعمال (التعرف لمذهب أهل التصوف : ص ٨٦) .

وهذا يعنى بعبارة أخرى أن للأحوال خطرها العظيم ، اذ لو لم تكن كذلك لما عرفت بها علوم أصحابها من أرباب الأذواق والمواجيد من ناحية ، ولما جعلوها ثمرات لما يقيمون فيه انفسهم من المقامات التى يحققون فيها الاعمال من ناحية أخرى . وليس أدل على أن أحوال

النفس الانسانية هي محور رئيسي تدور عليه الدراسات النفسية الصوفية الاسلامية ، بقدر ما هي مرآة صادقة لما يجري في بواطن القلوب من أسرار روحية ، وما يسري في هذه البواطن من أنوار الهية ، مما قدمه الصوفية أنفسهم فيما وصفوا من أنفسهم ، وفيما عرفوا من ربهم ، ومما أودعه المؤلفون الصوفيون بطون كتبهم ورسائلهم من تصنيفات وتعريفات وتحليلات تكشف كلها عن حقائق الأذواق والاشواق التي تختلف على النفس الانسانية فيما يختلف عليها من الأحوال الروحية ، وفيما تختلف اليه النفس الانسانية من مقامات هي عندهم بمثابة البذور الاولى التي تنبت كل بذرة منها حالا أو طائفة من تلك الاحوال ، وذلك على الوجه الذي أرجو أن أوفق الى الابانة عنه في موضعه بعد .

على اني أحب أن أقف معك في هذا المقال عند طائفة من هذه التصنيفات التي أوردها المؤلفون الصوفيون ، وحاولوا فيها ان يحصوا وأن يستقصوا ، وكانت الأحوال النفسية عندهم هي محور الاحصاء والاستقصاء .

فهذا هو أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسي المتوفى سنة ٣٧٨ هـ . قد أفرد في كتابه (اللمع في التصوف) بابا جعل عنوانه « باب مراقبة الاحوال وحقائقها وصفة أهلها » كما قدم بعد ذلك ابوابا أخرى متعاقبة على هذا الوجه : باب حال القرب ، وباب حال المحبة ، وباب حال الخوف ، وباب حال الرجاء ، وباب حال الشوق ، وباب حال الانس ، وباب حال الطمأنينة ، وباب حال المشاهدة ، وباب حال اليقين (كتاب اللمع في التصوف : ص ٥٤ — ٧٢) .

وكذلك فعل الكلاباذي اذ خصص من كتابه (التعرف لمذهب أهل التصوف) طائفة من الأبواب تبدأ عنده بالباب السادس والأربعين وتنتهي بالباب التاسع والخمسين ، وتتعاقب تحت عناوينها على الوجه التالي : قولهم في اليقين ، وقولهم في الذكر ، وقولهم في الانس ، وقولهم في القرب ، وقولهم في الاتصال ، وقولهم في المحبة ، وقولهم في التجريد والتفريد ، وقولهم في الوجد ، وقولهم في الغلبة ، وقولهم في السكر ، وقولهم في الغيبة والشهود ،

فاذا ما وقفنا مع مؤلف صوفي آخر جليل القدر عظيم الشأن وهو محمد بن على المشهور بأبي طالب المكي المتوفى ببغداد سنة ٣٨٦ هـ . ألفيناه في كتابه الذي لايقل عن شخصه شأنا وقدرا وهو كتاب (قوت القلوب) قد صنف الاحوال ، وعرف بها ، وحلل كثيرا منها ولكن في فصول متفرقة من كتابه الضخم ، ومن هذه الفصول ما قد يوهم عنوانه أنه لا يمت الى الاحوال بسبب ، والواقع أن المتأمل في الفصول التي من هذا القبيل واجد فيها ما يريد ، بل ما يزيد على ما يريد من معرفة بالنفس الانسانية وخواطرها ومقاماتها ، وبأحوالها بنوع خاص : فهو قد أورد مثلا في الفصل الخامس والعشرين من كتابه حديثا مستفيضا عن ذكر تعريف النفس وتصريف مواجيد العارفين (ذكر مشاهدة أهل المراقبة) (جـ ١ ، ص ١٣٢ — ١٤١) ، وفي الفصل الثامن والعشرين كتابا عنوانه (مراقبة المقربين ومقامات الموقنين) (جـ ١ ، ص : ١٤٩ — ١٦٣) .

وفي الجزأين الثاني والثالث من (قوت القلوب) نجد أبا طالب المكي يجمع في الفصل الثاني والثلاثين بين (مقامات وأحوال الموقنين) فاذا هو يشرحها شرحا مستفيضا يبين من خلاله أن بعضها يعد مقاما تارة ، ويعد حالا تارة أخرى ، على نحو ما أظهرنا عليه في حديثه عن الرجاء والخوف والمحبة ، فهذه الثلاثة قد نظر اليها أبو طالب من هذين الوجهين ، على حين نظر اليها غيره من المؤلفين الصوفيين من وجه واحد ، بحيث كانت عند بعض هؤلاء المؤلفين مقاما فحسب ، بقدر ما كانت عند بعضهم الآخر حالا فحسب (قوت القلوب : جـ ٢ ، ص ٥٦ — ٢٠٠ و جـ ٣ : ص ٣ — ١٢٢) .

وثمة مؤلفان او مصنفان صوفيان آخران ، لكل منهما كتاب يعد مرجعا من أهم المراجع الصوفية الاسلامية سواء من الناحية التاريخية أو الناحية الموضوعية ، لا سيما فيما يتعلق بالمصطلحات والمذاهب : واحد هذين المؤلفين أو المصنفين هو علي بن عثمان الجلبي الهجويري المتوفى سنة ٤٥٦ هـ او سنة ٤٦٥ هـ ، وصاحب كتاب (كشف المحجوب) وثانيهما هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ ، وصاحب (الرسالة القشيرية) التى أصبحت نسبتها اليه علما لها وآية عليها . ويكاد هذان المؤلفان يتفقان فيما صنفا ووصفا من الاحوال فكلاهما يحصى ويستقصي من هذه الاحوال . القبض والبسط ، والهيبة والانس ، والتواجد والوجد والوجود ، والجمع والفرق ، والفناء والبقاء ، والغيبة والحضور ، والصحو والسكر ، والمحو والاثبات ، والمحاضرة والمكاشفة ، والمشاهدة والمعاينة ، والتلوين والتمكين ، والقرب والبعد (كشف المحجوب ص ٣٧٣ - ٣٨١ ، والرسالة القشيرية : ص ٣٢ - ٤٢) . على ان هناك أحوالا أخرى قد يذكرها كل من الهجويري والقشيري في مواضع أخرى من كتابيهما ، وقد يتفقان على انها أحوال في نظر البعض ، ومقامات في نظر البعض الآخر ، على نحو ما هو الشأن في الرضا فانه من جملة الأحوال عند السواد الأعظم من الصوفية كما أنه نهاية المقامات وبداية الاحوال بصفة عامة .

وهكذا تبين من كل ما قدمت بين يديك من اشارات الى بعض التصنيفات التى اوردها المصنفون من الصوفية لاحوال النفس الانسانية في حياتها الروحية ، ان هذه التصنيفات كانت عندهم ، وعند غيرهم من المؤلفين ، سبيلا الى الاحصاء والاستقراء لتلك الأحوال ، بحيث تمكن دراستها دراسة تحليلية قائمة على الموازنة والمقابلة من ناحية ، ومعينة على فهم الاذواق والمواجيد التى هى المرآة الصادقة لما يتعاقب على حياة الصوفي النفسية من ناحية أخرى . وقد ظلت الأحوال متفاوتة في عدتها بتفاوت المؤلفين ، تزيد عند أحدهم على ما هى عليه عند الآخر ، أو يندمج بعضها في بعض عند هذا المؤلف ، أو يفترق بعضها عن بعض عند ذلك المصنف ، حتى كان أبو حفص عمر السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢هـ وصاحب كتاب (عوارف المعارف) ، فاذا هو يقدم الينا فيما يقدم من أبواب كتابه القيم من حديث عن الاحوال ، تصنيفا لعله اشمل وأجمع التصنيفات التى يمكن أن يحصى وتستقصى فيها أكبر عدد منها .

فالسهروردي يقف من الأحوال عند المحبة والاستغراق ، والفناء ، والشوق ، والانس ، والحياء ، والاتصال ، والقبض والبسط ، والخوف والرجاء ، والجمع والتفرقة ، والتحلي والاستتار ، والتجريد والتفريد ، والوجد والتواجد والوجود ، والغلبة ، والمسامرة ، والسكر والصحو ، والمحو والاثبات ، وعلم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين ، والوقت ، والغيبة ، والشهود ، والذوق والشرب والري ، والمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة ، والطوارق والبواده والواقع والقادح والطوالع واللوامع واللوائح ، والتلوين والتمكين (عوارف المعارف : الباب ٦١ ، ص ٣٦٤ - ص ٣٧٠)

فكل أولئك أحوال للنفس الانسانية قد احصاها السهروردي واستقصاها ، وذلك على الوجه الذى اشترك فيه مع غيره من ناحية ، أو على الوجه الذى اختلف فيه مع غيره بالزيادة والافاضة من ناحية أخرى ، ولعل هذه الزيادة آتية من أن السهروردي قد عد من بين الاحوال ما ليس بأحوال على وجه الدقة ، وانما هو ادنى ما يكون الى مبادىء الاحوال أو مقدماتها ، كما سنرى هذا مفصلا على وجه أوضح عند ما أعرض لتعريفات الأحوال وتحليلاتها عند صوفية المسلمين وهى التى ارجو ان أوفق في الابانة عنها في المقالات المقبلة .

الإسلام والمحافظة على الصحة

دكتور محمد محمد أبو شهبة

الاسلام عنى بصحة الأبدان عنايته بصحة العقائد والاديان ، اذ باعتدال الصحة وقوة الابدان تكون قوة العقول وسلامة الافكار ، وبقوة الابدان وسلامة العقول يكون المسلم صالحا للاستخلاف فى الارض وعمارتها ، والقيام بفرائض الله وشرائعه ولا سيما الجهاد الذى عليه تقوم حماية الاديان والاعراض ، والدماء والاموال ، والحقوق والاوطان .

وقد قص الله علينا فى القرآن الكريم قصة الملأ من بنى اسرائيل لما طلبوا من نبى لهم : ملكا ينضوون تحت لوائه ، ويقاتلون فى سبيل الله تحت امرته ، فقال لهم : « ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا . قالوا : أنى يكون له الملك علينا ، ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال » ؟ فبين لهم أن الله سبحانه منحه سعة فى العلم ورحابة وقوة فى الجسم قال : **« ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم »** فقوة الابدان وسلامة الصحة أمر مطلوب للدفاع عن الاديان والاوطان ، وفى الحديث الشريف الذى رواه الاما ماحمد ومسلم وابن ماجه **أن النبى صلى الله عيه وسلم قال : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ،** احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا ولكن قل : قدر الله ، وما شاء فعل » والقوة تشمل القوة فى الدين وفى شئون الدنيا ولما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حصار خيبر لاصحابه : « سأعطى الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله » أعطاها لرجل قوى فى دينه وفى بدنه وهو سيدنا على ــ رضى اله تعالى عنه ــ الذى كان مثلا فى الشجاعة والقوة الجسمانية ، ولما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يرسل بعض أصحابه لهدم « العزى » رمز الشرك والوثنية اختار سيفا من سيوف الله وهو السيد البطل الهمام خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه .

ولأمر ما اقتضت ارادة الله سبحانه ان يبعث خاتم رسله من العرب ، لما امتازوا به من الشجاعة النادرة ، والبطولة الفائقة ، والقوة البدنية التى صنعت الاعاجيب فى هذا

الزمان ، فكانوا بذلك أهلا لنصرة الرسول في حياته ، وحمل لواء الاسلام ونشره بين الناس بعد وفاته ، ولما أراد الله ارسال خاتم رسله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اختاره من الاقوياء الاشداء فى أبدانهم فضلا عن قوة الروح ، وعظمة النفس ، وسمو الاخلاق ، وقد بلغ من قوة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الجسمانية أن صارع « ركانة » وكان قويا لايصرعه أحد ، فصرعه رسول الله فكان ذلك سبب اسلامه ، وقديما قالت ابنة شعيب عليه السلام لما رأت من قوة نبى الله موسى وامانته : « يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين » وقد عرفت قوته من حمله الصخرة التى كانت على البئر ولا يطيق حملها الا البضعة من الرجال ، وعرفت أمانته وعفته من أنها كانت تسير أمامه لتدله على الطريق ، فكانت الريح تدفع ثوبهافتصف ردفها فكره ذلك وقال لها : سيرى خلفى ودلينى على الطريق .

وقد أرشد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أحد صحابته وهو عبد الله بن عمرو ابن العاص لما بلغه أنه يصوم النهار ويقوم الليل ــ الى القصد فى العبادة حتى يحتفظ بصحته وقوة بدنه فقال له : « الم أخبر انك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قلت : بلى يارسول الله قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، وقم ونم ، فان لجسدك عليك حقا ، وان لعينيك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لزورك عليك حقا » .

فهانحن نرى رسول الله دعا الى القصد فى العبادة حتى لا يضر الايغال فيها البدن أو يحيف على أصحاب الحقوق فما بالك بمن يسرف فى الملذات ، ويفارق فى المحرمات التى تهد كيان الجسم ، وتذهب بقوته ونضارته ، وتسرع بمقترفها الى الفناء ؟.

فالمحافظة على الصحة ، وتوقى الامراض أمر مطلوب شرعا ، ومن فرط فى ذلك فقد سعى الى هلاك نفسه والله سبحانه وتعالى يقول : « ولا تقلوا بايديكم الى التهلكة » .

وقد أشار القرآن الكريم الى الطب الوقائى فقال عز شانه : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

وهذه الآية على وجازتها اشتملت على أساس علم الطب اذ الاسراف فى المآكل والمشرب يجر الى كثير من الامراض والعلل التى تسببها التخمة . وأشار النبى صلوات الله وسلامه عليه الى هذا أيضا فقال فيما رواه الترمذى عنه : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » حديث حسن .

وقد كان من هدى النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام التقلل من الطعام والشراب وكانوا لا يأكلون حتى يجوعوا واذا أكلوا لا يشبعون ولا يمتلئون .

وقد جاء الطب الحديث مؤيدا لما جاء فى القرآن والسنة بهذا الشان ومؤيدا لمنهج النبى وصحابته ، وهذا هو السر فى انهم كانوا أصح أجساما ، وأقوى بنية ، وأرشق قواما ، واشد تحملا ، وأقل امراضا منا ، واكثير من الامراض اليوم منشؤها البطنة واتخام المعدة بالمآكل والمشارب والملذات ، وعند السادة الاطباء فى ذلك الخبر اليقين .

وكما ان توقى الامراض بالبعد عن اسبابها أمر واجب شرعا فكذلك الاستشفاء من الامراض عند نزولها والمسارعة الخالدة أمر حث عليه الاسلام ، والله سبحانه وتعالى خلق الاسباب وخلق المسببات ، وجعل للامراض والعلل أسبابا ، وللصحة والبرء من الاسقام اسبابا ، وقد بين ذلك مرشد الناس الى الخير والفلاح فى أمور دينهم ودنياهم فقال صلى الله عليه وسلم : « ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء » رواه البخارى ، وروى أبو داود فى سننه عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « ان الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء

دواء فتداووا – بفتح الواو الاولى – ولا تتداووا بحرام » .

فمن نابه مرض ، أو اصابه ضر فليطلب الدواء عند أهله وهم الاطباء المعروفون بالحذق والخبرة والامانة ، ولا يطلبه عند أدعيائه الذين لا يعلمون من أمره شيئا ، ولا عند المشعوذين والدجالين وأضرابهم من أصحاب وصاحبات حلقات « الزار » فان هذه أمور لا يقرها الاسلام ويحرمها والله يقول **« فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون »** وأهل الذكر فى كل فن وعلم هم اربابه العارفون به ، الدارسون لاصوله ومسائله، المتمرسون فيه بخبراتهم وتجاربهم ، لا هؤلاء المشعوذون الدجالون الذين يزعمون انهم يسخرون الجن ويعلمون المغيبات ، وكثيرا ما وقع فى حبائلهم بعض السذج من النساء والرجال فلم يجنوا من وراء ذلك الا استفحال الداء ، واستشراء المرض حتى يصبح عزيز الشفاء .

وقد نص الحديث السابق على أن التداوى لا يكون بحرام وقد نص النبى صلوات الله وسلامه عليه على أن الحرام لا يكون شفاء فقال : « لم يجعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليها » رواه أبو داود . والى عدم التداوى بالحرام وانه لا شفاء فيه ذهب جماهير العلماء سلفا وخلفا ، وقد ايد الطب الحديث ذلك وفى الحلال ما يغنى عن الحرام دواء ، ولم يعد الناس فى حاجة الى التداوى بالحرام ولا يفهمن فاهم فى الحديث أن التداوى يذهب المرض قطعا فان ذلك متوقف على اذن الله وارادته وعلى الانسان ان يسعى ويأخذ فى الاسباب وعلى الله النتيجة ، وقد لا يصادف الدواء الداء لخطأ فى التشخيص أو خلل فى التركيب فلا يحصل الشفاء وقد اشار النبى صلى الله عليه وسلم الى هذه الحقيقة فقال **« لكل داء دواء فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله تعالى »** رواه النسائى وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم .

وقد لا يحصل خطأ فى التشخيص ولا خلل كما أو كيفا فى تركيب الدواء ولكن لا يبرأ المريض لان الله سبحانه لم يأذن بذلك لانه قد انقضى أجله وحان حينه ، فعلى المستشفى أن يأخذ فى الاسباب ولا يغفل جانب الله سبحانه وتعالى والاعتماد عليه ؛ وكثيرا ما يفيد الدواء بفضل الاعتقاد فى الله وان بيده كل شيء .

واحب أن أنبه الى حقيقة وهى أن الاستشفاء والتداوى لا ينافى التوكل على الله ولا يرد من قدر الله شيئا .

وما الاستشفاء الا كالداء كلاهما سبب من اسباب ازاحة العلل والبلاء ، والله هو الفعال لما يشاء .

ولما قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : **« أرأيت رقى نسترقيها ، ودواء نتداوى به هل يرد من قدر الله شيئا فقال : « هى من قدر الله » رواه ابن ماجه .**

وانه لجواب حكيم فالله قدر التداوى وقدر الشفاء بسبب ذلك ، والله قدر الدعاء وقدر الاستجابة ، والله قدر الرقية وقدر العافية بسببها . ولما قال الصحابى الجليل ابو عبيدة بن الجراح للفاروق عمر – رضى الله عنه – لما رجع بالناس حين سمع أن الوباء بالشام : « أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت لو كان لك ابل هبطت واديا له عدوتان : احداهما خصبة والاخرى جدبة أرأيت ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله » وانه لجواب حكيم من الملهم المحدث عمر رضى الله عنه .

هذا والنبى صلى الله عليه وسلم توجيهات نبوية حكيمة فى رعاية القواعد الصحية السليمة ، والقضاء على وسائل نشر الأمراض والأوبئة سبق اليها الاسلام قبل أن يعرف الطب الحديث ذلك .

وقد طال الحديث اليوم فالى مقال آت ان شاء الله .

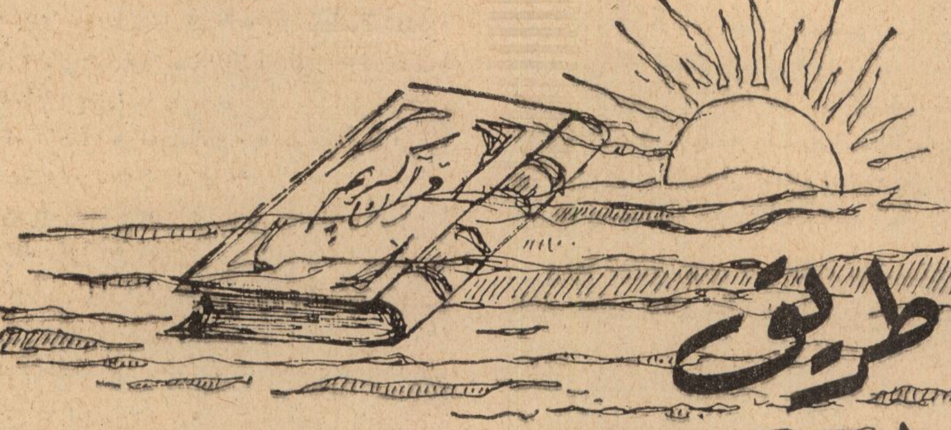

طريق الأمة الناهضة كما رسمه الإسلام

الأستاذ منصور حامد نسيم

الاسلام فى خطته الهادفة وبرنامجه المبنى على دعائم الاحتفاظ بالكرامة الانسانية أولى ناحية القوة والاستعداد الدائم جل عنايته واهتمامه ونحن اذا قرانا ما جاء به الاسلام فى اعداد العدة واستكمال القوة وتعليم الرمى ورباط الخيل وفضل الشهادة وأجر الجهاد وثواب النفقة فيه ورعاية أهله واستيعاب صفوفه لرأينا من ذلك ما لا يحصيه الحصر ، سواء فى الآيات الكريمة أو الاحاديث الشريفة أو السيرة المطهرة أو الفقه الحنيف ((وسع ربنا كل شىء علما » .. ولقد عنيت الأمم الحديثة باعداد القوة فبنت أنفسها على هذه القواعد .. ورأينا أساس فاشستية موسولينى ونازية هتلر وشيوعية ستالين أساسا عسكريا بحتا، ولكن الفرق بين ذلك كله وبين عسكرية الاسلام فرق عظيم ، فان الاسلام الذى قدس القوة هذا التقديس هو الذى آثر عليها السلم، فقال تبارك وتعالى بعد آية القوة مباشرة : ((وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » وهو الذى حدد ثمن النصر ومظاهره فقال ((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

والاسلام هو الذى وضع أساس القانون الدولى الحربى فقال تعالى ((واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب

الخائنين » ولامر ما كانت وصية الرسول صلى الله عليه وسلم - وخلفائه من بعده لقواد جنودهم أروع مظاهر الرحمة والرفق: « لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امراة ولا طفلا ولا شيخا كبيرا ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تعقروا بعيرا الا للاكل ، ولا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ، وستمرون على اقوام ترهبوا فى الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا انفسهم له . »

كذلك كانت العسكرية فى الاسلام «بوليس العدالة وشرطة القانون والنظام » أما عسكرية أوربا الآن فقد علم الناس جميعا عنها انهـا جيش الظلم وجند المطامع .

ولما كانت الامم الناهضة فى حاجة الى هذه الجندية الفاضلة ، وكان قوام هذه الجندية صحة الابدان وقوة الاجسام ، فقد أشار القرآن الى هذا المعنى فى بيان قصة أمة مجاهدة تحفزت للنهوض بعبء النضال فى سبيل حريتها واستقلالها وتكوين نفسها ، فاختار الله لها زعيما قوى الفكر قوى الخلق، وجعل من أركان نهوضه بعبئه قوة بدنه ،فذلك ما حكاه القرآن الكريم عن نبى اسرائيل فى تزكية الزعيم طالوت قال « **ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطه فى العلم والجسم** » .

وقد شرح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هذا المعنى فى كثير من أحاديثه ، وحث المؤمنين على المحافظة على قوة ابدانهم كما حثهم على قوة أرواحهم .. « **المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف** » .. ويقول : « ان لبدنك عليك حقا » ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للامة كثيرا من قواعد الصحة العامة وبخاصة فى علم الوقاية ، وهو أفضل شطرى الطب ، فقوله صلى الله عليه وسلم : « **نحن قوم لا نأكل الا اذا جعنا واذا أكلنا لا نشبع** » وتحريه صلى الله عليه وسلم فيما يشرب من ماء فى الحديث .. كان صلى الله عليه وسلم يستعذب الماء .. ونهيه عن البول والتبرز فى المياه الراكدة ، واعلان الحجر الصحى على البلد المطعون أهله فلا يتركونه ولا ينزله غيرهم ، وتحذيره من العدوى وطلب الفرار من المجذوم ، وأخيرا عنايته صلى الله عليه وسلم بكثير من فروع رياضة البدن كالرمى والسباحة والفروسية والعدو ، وحث الأمة عليها وعلى العناية بها حتى جاء فى الحديث « **من علم الرمى ثم نسيه فليس منى** » ونهيه صلى الله عليه وسلم نهيا مشددا عن التبتل والترهب وتعذيب الجسوم واضوائها تقربا الى الله تبارك وتعالى ، وارشاده الامة الى جانب الاعتدال فى ذلك كله .. كل هذا ينطق بعناية الاسلام البالغة بصحة الامة العامة وتشدده فى المحافظة وافساح صدره لكل ما فيه خيرها وسعادتها من هذا الجانب الهام .

وكما تحتاج الامم الى القوة تحتاج الى العلم الذى يؤازر هذه القوة ويوجهها أفضل توجيه ، ويمدها بما تحتاج اليه من مخترعات ومكتشفات ، والاسلام لا يأبى العلم بل يجعله فريضة من فرائضه كالقوة ويناصره ، وحسبك أن أول آية نزلت من كتاب الله : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم** » وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل من فداء المشركين فى بدر ان يعلم أحدهم من الاسرى عشرة من ابناء المسلمين القراءة والكتابة عملا على محو الامية عن الامة، ولم يسو الله تعالى بين العلماء وبين الجاهلين فقال « **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب** » وقد وزن الاسلام مداد العلماء بدم الشهداء ، ولازم القرآن بين العلم والقوة فى أكثر من موضع ، ولم يفرق القرآن بين علم الدنيا وعلم الدين ، بل أوصى بهما جميعا ، وجمع علوم الكون ، فى آية واحدة وحث عليها ، وجعل منها سبيلا لخشيته وطريقا لمعرفته فذلك قوله تعالى : « **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء** » وفى ذلك اشارة الى الهيئة والفلك وارتباط السماء بالارض ، ثم قال تعالى « **فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها** » وفى ذلك الاشارة الى علم النبات وغرائبه وعجائبه وكيميائه « **ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود** » وفى ذلك الاشارة الى علم الجيولوجيا وطبقات الارض وأدوارها وأطوارها « **ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك** » وفيه الاشارة الى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من انسان

وحشرات وبهائم ، فهل ترى هذه الآية غادرت شيئا من علوم الكون ٠٠ ؟ ثم يروى ذلك كله بقوله تعالى : « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » أفلست ترى من هذا التركيب العجيب ان الله يأمر الناس بدراسة الكون ويحضهم على ذلك ، ويجعل العارفين منهم بدقائقه واسراره هم أهل معرفته وخشيته ؟

والامة الناهضة أحوج ما تكون الى الخلق. الخلق الفاضل القوى المتين ، والنفس الكبيرة العالية الطموح ، اذ انها ستواجه من مطالب العصر الجديد مالا تستطيع الوصول اليه الا بالاخلاق القوية الصادقة من الايمان العميق والثبات الراسخ ، والتضحيات الكثيرة والاحتمال البالغ ، وانما يخلق هذه النفس الكاملة الاسلام وحده ، فهو الذى جعل صلاح النفس وتزكيتها أساس الفلاح قال تعالى : « **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** » وجعل تغيير شئون الامم وقفا على تغير أخلاقها وصلاح نفوسهم فقال تعالى .. « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم** » وانك لتسمع الآيات البالغة فى مفردات الاخلاق الكريمة فتراها القوة التى لا تغالب فى اصلاح النفوس واعدادها وتزكيتها وتصفيتها ، مثل قوله تعالى فى الوفاء : « **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم** » وفى البذل والتضحية والصبر والاحتمال ومغالبة الشدائد « **ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار و لاينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون** » .

وليس كالاسلام عاملا على ايقاظ الضمير واحياء الشعور ، واقامة رقيب النفس وذلك خير الرقباء ، وبغيره لا ينتظم قانون ما الى اعماق السرائر وخفيات الامور .

والامة الناهضة أحوج ما تكون الى تنظيم شئونها الاقتصادية ، وهى اهم الشئون فى هذه العصور ، ولم يغفل الاسلام هذه الناحية بل وضع كلياتها ، ولم يقف أمام استكمال أمرهاوها نحن نسمع قول الله تعالى فى المحافظة على المال ، وبيان قيمته ووجوب الاهتمام به : « **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما** » ويقول فى موازنة الانفاق والدخل : « **و لاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط** » ويقول رسولنا الكريم : « ماعال من اقتصد » وهو كما يصدق فى الفرد يصدق فى الامة مع قوله صلى الله عليه وسلم : « **نعم المال الصالح للرجل الصالح** » واى نظام اقتصادى فاضل يرحب به الاسلام ويدعو الامة الى تشجيعه ، ولا يقف ابدا فى سبيله ، والفقه الاسلامى مملوء بأحكام المعاملات المالية وقد فصلها تفصيلا لايدع زيادة المستزيد .

وعليه فالامة التى توافرت لها هذه الدعائم من الامل والوطنية والعلم والقوة والصحة والاقتصاد فهى بلا شك أقوى الامم والمستقبل لها ولا سيما اذا أضيف الى ذلك انها قد طهرت من الاثرة والعدوان والانانية والطغيان وأصبحت تتمنى الخير للعالم كله ، وان الاسلام قد كفل ذلك فلا حجة لأمة تريد النهوض فى النكول عنه والعدول عن طريقه .

التآمر على التاريخ الإسلامى

البحث الثانى

أسباب التآمر وأهدافه

الأستاذ أبو الوفا عبد الآخر

تحدثت فى العدد السابق عن فئات المتآمرين ، وأتحدث فى هذا العدد عن أسباب التآمر وأهداف المتآمرين .

ولا تخرج الأسباب فى جوهرها عن الكراهية التعصبية ضد المسلمين ، والضلال الفكرى الذى يقود العقل الى مهاوى الهالكين .

ولا تخرج الأهداف فى جوهرها عن كونها احدى المحاولات الدنيئة لاقامة حواجز التشكيك والتحقير بين خلف المسلمين وسلفهم ، لعل الأمر ينتهى الى تنكر الخلف للسلف بل الى تنكر الخلف لكل ما أتى به السلف مما قد يقود الى تمرد فكرى ينتقل من جيل الى جيل عسى ان يؤدى الى تجريد الدعوة الاسلامية من الاصالة ، والثبات التاريخى ، فتصبح وكأنها مذهب من المذاهب ، أو عقيدة وضعية متطورة ليس لآخرها صلة بأولها .

وأذكر من أسباب التآمر وأهدافه ما يلى :

١ - رغبة اليهود فى احداث اضطرابات فكرية بين المسلمين باسرائيلياتهم وأباطيلهم التى بثوها فى التاريخ الاسلامى . كما أرادوا هم وأصحاب العقائد الأخرى - خاصة المجوس - بعد أن كشف الاسلام بنوره فساد عقائدهم ، أن يسيئوا الى السلف الصالح حتى يحقروهم ويقللوا من شأنهم عند الأجيال الاسلامية المتتابعة اعتقادا منهم أن هذا العمل الخسيس ينزع ثقة المسلمين واحترامهم لصحابة نبيهم الأعظم (صلوات الله وسلامه عليه) وقادتهم الأول وسلفهم الصالح ، فيضعف الايمان فى قلوبهم ثم تنتهى العقيدة الاسلامية الى زوال .

ويقول السيد محب الدين الخطيب * واذا بدأ المشتغلون بتاريخ الاسلام من افاضل المسلمين فى تمييز الأصيل عن الدخيل من سيرة هؤلاء الأفاضل العظماء فانهم ستأخذهم الدهشة لما اخترعه اخوان أبى لؤلؤة وتلاميذ عبد الله بن سبأ والمجوس الذين عجزوا عن

مقاومة الاسلام وجها لوجه فى قتال شريف فادعوا الاسلام كذبا ودخلوا قلعته مع جنوده خلسة وقاتلوهم بسلاح (النقية) بعد أن حولوا مدلولها الى النفاق فأدخلوا فى الاسلام ما ليس منه ، وألصقوا بسيرة رجاله ما لم يكن فيها ولا من سجية اهلها »

ولقد أراد المتآمرون المتقدمون منهم والمتأخرون أن يقول المسلمون وغيرهم :

« * فاذا تركنا الحوادث جنبا ونظرنا الى التاريخ فى صدر الاسلام على أنه تاريخ قيم ومبادىء فلنا أن نقول أننا أمام فواجع مؤلمة يود الناظر اليها لو يزوى بصره عنها » . كما يريدون أن يقودوا المتصفح للتاريخ الاسلامى المشوه الى هذا التساؤل « * لم يمض جيل الاسلام ويقتل خليفة المسلمين هذه القتلة . فماذا صنعت هذه العقيدة اذن فى نفوس الحاكمين والمحكومين ؟.. وماذا تغير من فتكات الجاهلية بعد جهاد المؤمنين وايمان الكافرين .. »

ولقد فات هؤلاء واولئك أن الدين الاسلامى لا يستمد كيانه من شخص أو أشخاص ، وأنه لا يقر العصمة لأحد سوى رسول الله ، فالاسلام دين عقائد ومبادىء واضحة المعالم ، سامية الأهداف ، يعرف الرجال به ولا يعرف هو بالرجال .

٢ ـ بعد أن شوه المتآمرون من المستشرقين والفرنجة بخاصة ، وأعداء الدين بعامة ، التاريخ الاسلامى ، أوعزوا الى من يريد معرفة الدين الاسلامى واحوال كبار المسلمين أن يقرأ التاريخ الاسلامى ـ وهو التاريخ الذى شوهوه عمدا وباطلا ـ كمرجع هام لمعرفة هذا الدين . ويقول الدكتور « أحمد أمين » فى كتابه « يوم الاسلام » :

وربما عرفت أوربا الاسلام عن طريقه * ، وتصورته من صورته . بل ربما تصورت العالم الشرقى كله ممثلا فيه وفى ألف ليلة وليلة .. » وبهذا يتم لأعداء الدين تنفيذ خططهم التى تهدف الى مقاومة الدين الاسلامى وصرف أقوامهم عنه

وذلك على مرحلتين :

المرحلة الأولى : تشويه التاريخ الاسلامى .

المرحلة الثانية : التمسك بهذا التاريخ المشوه كمصدر رئيسى من مصادر التعرف على الدين الاسلامى .

٣ ـ قصد المتآمرون من خدام المستعمرين اختلاق تاريخ اسلامى منفر عسى ان ينزعوا من المسلمين ثقتهم فى ماضيهم الاسلامى وثقتهم فى أنفسهم كمسلمين ، ويسلخونهم عن تراثهم الفكرى وتاريخهم الاسلامى فيصبحون بلا ماضى وتضعف معنوياتهم ، وبهذا كله تسهل السيطرة عليهم فكريا وثقافيا ان لم يكن عسكريا واقتصاديا ، بل انهم ـ بما وضعوه لأوربا من تاريخ اغريقى وتاريخ رومانى ـ يدعمون نظرتهم التاريخية العامة التى تقسم العالم الى « رومانيين وبرابرة » وبهذا يمكن ايجاد نوع من التبرير الأدبى الى سيطرة الشعوب الأوربية وسيادتها .

٤ ـ اما الأدباء وكتاب القصص والرواة والاخباريون فمقصدهم الأول اتقان الحرفة التى منها يتكسبون ، واول مستلزمات هذا الاتقان خيال خصب لا يتقيد بالراجح من التاريخ .. هذا ان لم يكونوا هادفين فى كتاباتهم ، أما ان كانوا هادفين فغرضهم الأسمى هو التطاول على الصحابة والتابعين ، والتشهير بعظماء المسلمين فى كل عصر لعلهم يبعدوا عن الاسلام الغافلين من اهله المتلهين بالقصة والرواية والأدب المسموم . ومن أصدق الأقوال فى شأن غير الهادفين ممن سبق ذكرهم قول الدكتور طه حسين وهو يقدم لاحدى القصص التاريخية * : «وابحت للخيال

مع ذلك أن يذهب مذاهبه المختلفة فى ابتكار الصور التى تقرب للناس حقائق هذا التاريخ وعسى أن تكون قد انخدعت ببهرج الرواة وتزيينهم للقول ، وتكثرهم على الناس بما كانوا يطرفون به قراءهم وسامعيهم . وليس كل شىء يكتبه القدماء تاريخا ، ولا كل ما يرويه الرواة صحيحا . وانت ترى المحدثين من كتاب القصص يضعون من هذه القصص الوانا فيها قليل من حقائق التاريخ وكثير من مبتكرات الخيال . وانت نفسك قد عمدت الى هذا النحو فى قصتك هذه فخيلت الى قرائك أنك كنت تعيش مع اشخاص قصتك فتظهر من امرهم ما ظهر وما بطن . فلم لا تقدر أن القدماء من الرواة قد صنعوا نفس هذا الصنيع فيما تحدثوا به من احاديث الحب والغزل وفيما عرضوا على الناس من دخائل الحياة الخاصة لبعض أعلام الرجال والنساء ... »

ويتآمر المسلمون من اهل الغفلة والهوى على التاريخ الاسلامى من حيث لا يقصدون .. فاهل الغفلة يعتمدون فى تاريخهم للاسلام والمسلمين بل لسيرة الرسول الاعظم (صلوات الله وسلامه عليه) على كتب الفرنجة ، ظنا منهم لركب نقص متوارث - أن أولئك الفرنجة - وكم منهم من أمثال « لورانس » صديق العرب اللدود - قد بلغوا من عمق التفكير ، ودقة البحث ، وأمانة العلم ما يجعل مؤلفاتهم - لكل منتهل منها - جواز مرور الى الشهرة الادبية وصدارة التاليف .

أما أهل الهوى من المسلمين فهمهم تصيد الروايات من هنا ومن هناك - ولو صدرت من خصوم الداء - بغية تدعيم آرائهم ودراساتهم تاريخية كانت أم دينية ...

وبعد .. فان التاريخ الاسلامى لهو أكثر اجزاء التاريخ تشويها ، والمنشور فى أمهات الكتب ، والذى يدرس فى معاهد العلم ، والذى تتناقله الأقلام والأفكار والألسن يخالف الحقيقة فى أكثره ، وهو بهذه المخالفة أصبح مجرد مجموعة من الادعاءات والاتهامات وسلسلة من الأكاذيب والافتراءات ، وأكداسا من القصص والتخيلات .

ولقد حان الوقت لاستلام المشتغلين بالتاريخ الاسلامى من افاضل المسلمين هذه التركة من اخبار الماضى لتمييز الأصيل من الدخيل واستخراج التاريخ الاسلامى الصحيح « * وهذا ممكن وميسور اذا تولاه من يلاحظ مواطن القوة والضعف فى المراجع التاريخية وله من الالمعية ما يستخلص به حقيقة ما وقع ويجردها من الذى لم يقع مكتفيا بأصول الأخبار الصحيحة عن الزيادات الطارئة عليها وان الرجوع الى كتب السنة وملاحظات ائمة الأمة مما يسهل هذه المهمة » .

ولن تتجدد للمسلمين نهضة الا اذا عرفوا سلفهم على حقيقته واتخذوا منه قدوة لهم ، ولن يعرفوا سلفهم على حقيقته الا بتطهير التاريخ الاسلامى مما لصق به .

الزار خرافة

الأستاذ علي الجندي

تحت هذا العنوان كتب الدكتور « عبد الكريم دهينة » الخبير النفسى ، مقالا ممتعا قرأته بلذة وشغف !! وقد وجدته متفقا معى فى اصول ماكتبته عن « خرافة الزار » مختلفا فى اشياء تعد من الفروع والهوامش

ولما كان الموضوع مما يشغل الأذهان ـ كما تبينت ممن خاطبونى فى هذا الشأن وكلهم من صفوة المثقفين ـ احببت ان أجلو الأمر جلاء لالبس فيه ، متوخيا التوسع والبسط ، لتكون الفائدة أعم والنفع أجزل ، وسيجد الدكتور دهينة فى ثنايا ذلك الاجابة الشافية الكافية عما أثاره من اعتراضات ـ ان شاء الله ـ وبديهى اننى أخاطب « عبد الكريم دهينة » المسلم المؤمن الذى يؤمن بقوله ـ تعالى ـ : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » تلميذ على الجندى المسلم المؤمن ، لاتلميذ «فرويد» الذى لايؤمن بما وراء النفس ، ويفسر كل شئ تفسيرا جنسيا ، ويصم الناس جميعا بالعقد ومركبات النقص ، لايستثنى حتى الانبياء والمرسلين !

وبديهى ايضا ان الدكتور عبد الكريم يعرف من عشرته الطويلة لى ، اننى ابعد الناس عن اعتناق الخرافات والخزعبلات ، واننى متحقق بالعلوم الحديثة فاتابع الكشوف « الذرية » والفتوح الفلكية بقدر مافهم ، بل أصرح بأكثر من ذلك فأقول : ان «الزار» دخل اكثر البيوت فى قريتنا ، ولكنه لم يستطع ان يحوم حول منزلنا ، لان والدى ـ رحمه الله تعالى ـ اقسم بكل محرجة من الايمان : انه سيضرب بالرصاص كل انثى له عليها ولاية تدعى انها مريضة بالزار !! وانا مازلت على هذا العهد الصعيدى ـ والعهد مسئول ياعبد الكريم

وليس معنى ذلك اننى ارفض النظريات المسلمة المعقولة من علم النفس ، فأنا انتفع بها فى تربية الاطفال ، والايحاء المفيد ، ودراسة الادب والبلاغة والنقد ، ولكنها حينما تشط وتجاوز أفاقها وتتناول مافوق علمها ـ وفوق كل ذى علم عليم ـ فتصدم الآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة ، والاثار الحقة ، والتجارب المشاهدة ، وتتخذ لها دينا جديدا يطمس الاديان السماوية المقدسة ، بناء على دعاوى وافتراضات وأدلة لا ترقى الى مبلغ الظن بل اليقين !! بل هى فى دوامة من التغير والتبدل والتحول ! فمن حقنا أن نرفضها ونضرب بها

عرض الحائط « ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم مالك من الله ومن ولى ولا نصير » والآن اشرع فى المقصود ، وما توفيقى الا بالله

الجن والشياطين والعفاريت

الجن :

قال ابن دريد : يقال : جنة الليل ، وأجنة وجن عليه : اذا ستره • وكل شىء استتر فقد جن عنك ، وبه سميت : الجن •

وفى الصحاح والقاموس : الجنون - بضم الجيم - والجان : اسم للجن • والجان ايضا : أبو الجن • والجنة - بالكسر - : طائفة من الجن والجن : الملائكة كالجنة - بكسر الجيم

والجن : اسم جمع ، وهم خلاف الانس ، الواحد : جنى ، نسبة الى الجن او الى الجنة وقال ابن عقيل : انما سمى الجن جنا ، لاستخفائهم واستتارهم عن العيون ، ومنه سمى الجنين جنينا •

وقد ذكر الجن والجان والجنة فى القرآن الكريم ثنتين وثلاثين مرة

٢ - الشياطين :

والشياطين : جمع شيطان ، وهو كل عات متمرد من الأنس أو الجن أو الدواب •

وشيطن وتشيطن : فعل فعل الشيطان !!

والعرب تسمى الحية شيطانا ، وفى قوله - تعالى « طلعها كأنه رءوس الشياطين » ثلاثة أوجه للقراء :

أحدها : أنه شبه طلع شجرة الزقوم فى قبحه برءوس الشياطين ، لأنها موصوفة بالقبح !!

الثانى : أن بعض العرب تسمى بعض الحيات شيطانا ، وهى ذات أعراف قبيحة !!

الثالث : قيل : أنه نبت قبيح يسمى رءوس الشياطين !! ويسمى الأستن والصوم أيضا ، ويخرج بناحية اليمن •

ومن عادة العرب أن يشبهوا صاحب الصورة الحسنة بالملك - بفتح اللام - لاعتقادهم فيه الخير والنبل والطهر والبراءة من الشر وعليه قوله • تعالى : « ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم » !

ويشبهون قبيح الصورة بالشيطان فيقولون كأنه وجه شيطان ورأس شيطان !! لما وقر فى طباعه من أنه متناه فى الشر ، بعيد من الخير !

واشتقاق الشيطان : أما من « شطن » بمعنى بعد ، لبعده عن الخير والرحمة !! فتكون النون أصلية ، ويكون وزنه على « فيعال » وعلى ذلك فيقع مصروفا « منونا »

وهذا الرأى هو الأظهر •

والرأى الثانى : أن يكون مشتقا من « شاط » اذا هلك واحترق ! فتكون النون زائدة ، ويكون وزنه على « فعلان » ويمنع من الصرف

وقد ذكر الشيطان والشياطين فى القرآن الكريم نحوا من ثمان وثمانين مرة

٣ - العفاريت :

والعفاريت : جمع عفريت ، قال الزجاج : العفريت : النافذ فى الأمر ، المبالغ فيه مع خبث ودهاء !!

وقال ابن الحاجب : وزن العفريت : فعليت وهى عفريتة •

ومثل عفريت : عفر ، وعفرية ، وعفرين - بكسر العين ، وسكون الفاء ، وكسر الراء - وعفرين - بكسر العين والفاء ، وتشديد الراء المكسورة ، أى بين العفارة خبيث منكر !!

وتقول : عفريت نفريت ، وعفرية نفرية والكلمة الثانية اتباع للأولى للتوكيد •

وقد تكون بمعنى الأولى ، كقولك كثير بثير ، فالبثير هو الكثير ، وقسيم وسيم ، فكلاهما الحسن الجميل •

وقد تكون مخالفة لمعناها ، كقولك عطشان نطشان : أى عطشان قلق !!

وعن ابن فارس : أن الكلمة الثانية ، تارة ذات معنى معروف كما مر وتارة تكون غير واضحة المعنى ولابينة الاشتقاق ، كقولهم : ذو حصاة وأصاة ، فالحصاة : العقل والرزانة: والأصاة لم يسمع لها اشتقاق .

وقد روى : أن بعضهم سئل عن هذا الاتباع فقال : هو شيء نتد به كلامنا .

أى نثبته ، تقول : وتدت الشيء اتده ، وأوتدته أوتده .

وقد ذكر العفريت فى التنزيل الحكيم مرة واحدة ، قال ـ تعالى ـ : « **قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** »

والمقول له : سليمان ـ عليه السلام ـ والضمير فى « به » لعرش بلقيس ملكة سبأ والقصة معروفة .

وقرأ بعض القراء : « **قال عفرية من الجن ..** »

ويقول الجوهرى : اذا سكنت الياء صيرت الهاء تاء ، فتقول : عفريت . واذا حركت الياء صارت التاء هاء فى الوقف ، فتقول : عفريه .

مراتب الجن :

والعرب تنزل الجن فى مراتب ـ كما يقول الجاحظ :

فاذا ذكروا الجن سالما ، قالوا : جنى .

فاذا أرادوا به أنه ممن سكن مع الناس ، قالوا : عامر ، والجميع عمار وعوامر .

وان كان ممن يعرض للصبيان فهم أرواح

فان خبث أحدهم وتعرم ، فهو شيطان .

فان زاد على ذلك فى القوة ، فهو عفريت والجمع عفاريت .

وهم فى الجملة جن وخواف .

فاذا ظهر الجنى ونطق واتقى ، وصار خيرا كله ، فهو ملك ـ بفتح اللام ـ فى قول من تأول قوله ـ تعالى : « **الا ابليس كان من الجن** » على أن المراد بالجن فى هذا الموضع طائفة من الملائكة . وسيأتى بسط ذلك .

فالجنى والشيطان والعفريت متحدة الأصل مختلفة الصفة ، وهى عند العلماء أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة دميمة وجميلة ، وقبيحة وحسنة ، وتستطيع أن تتصور فى صور شتى كالأناس والبهائم والحيات ، والعفاريت ، والابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير والطير !! ولها عقول وافهام وقدرة على الأعمال الشاقة

وهى مخلوقة من النار ـ بنص القرآن ـ قال ـ تعالى : ((**والجان خلقناه من قبل من نار السموم** »

وقال ـ سبحانه ـ فى موضع آخر : « **وخلق الجان من مارج من نار** »

والسموم بفتح السين : الريح الحارة التى تهب نهارا ، وتستطيع لشدة حرارتها أن تنفذ الى مسام الجسم ، ومن ذلك سميت سموما !!

وقيل : هى النار الخالصة من الدخان تنفذ فى المسام !

والمارج : اللهب الخالص ، لا دخان فيه ، كما هو رواية ابن عباس .

وقيل : هو اللهب المختلط بسواد النار ، أو بخضرة وصفرة وحمرة كما روى عن مجاهد ، من مرج الشيء : اذا اضطرب واختلط : أى نار مخصوصة متميزة من بين النيران ، لا هذه النار المعروفة !

والنار بالنسبة للجان كالتراب بالنسبة للانسان ، وفى الآية رد على من يزعم أن الجن نفوس مجردة ـ كما يقول الألوسى .

وقد حدث أبو الدرداء ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال : ((**خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض ، وصنف كالريح فى الهواء ، وصنف عليه الحساب والعقاب** » .

وجعل الانس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم ، قال الله تعالى ـ ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وقال ـ تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون

بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون»

« وصنف : أجسادهم أجساد بنى آدم ، وأرواحهم أرواح الشياطين . وصنف كالملائكة فى ظل الله يوم لا ظل الا ظله »

الجن فى الأحلام :

الجن فى المنام : دهاة الناس وأصحاب مكر وحيل ، لما كانوا يصنعون لسليمان ـ عليه السلام ـ من المحاريب والتماثيل!

فمن رأى أنه ينازع أحدا من الجن فى المنام ، فانه ينازع قوما أصحاب مكر وحيل

ومن رأى أنه يعلم الجن القرآن ، فانه ينال رياسة وولاية ، لقوله ـ تعالى ـ « قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن » .

وهم فى الرؤيا أيضا بمنزلة اللصوص ! فمن رأى الجن دخلت داره ، فليحذر اللصوص !!

ووجود الجن ثابت بنص القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبالأحاديث الصحيحة المروية عن الحجج الاثبات من الصحابة عن الصادق المصدوق ـ صلوات الله عليه ـ فالايمان بهم كالايمان بالملائكة فرض حتم ، وانكارهم تكذيب للكتاب والسنة فهو كفر صراح بواح !

وقد حكى عن بعض المعتزلة انكار وجود الجن ! قال الدميرى : وهذا عجيب ممن يصدق بالقرآن .

قلت لعله أنكر ظهورهم للناس لا وجودهم

ابليس ـ عليه اللعنة .

اسمه : ابليس ، والسفيف كامين ، والحارث ، وكنيته : أبومرة ، واسمه بالعبرانية : عزازيل .

وكثرة الأسماء تدل عادة على شرف المسمى الا فى ابليس !

اما الاسم « ابليس » فقد اختلفوا فيه ، فقال الزجاج : انه أعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ، ووزنه : « فعليل » .

وقال أبو عبيدة وغيره : انه عربى مشتق من الابلاس ، وهو : الابعاد من الخير أو اليأس من رحمة الله ـ تعالى ـ ووزنه على هذا « يفعيل » وانما منع من الصرف مع ذلك لكونه لا نظير له فى الأسماء ، واعترض على ذلك بأن انفراده بهذا لا يعد من موانع الصرف هذا الى أن له نظائر مصروفة مثل اكليل مثلا

وقيل : منع من الصرف مع عربيته ، لأنه شبيه بالأسماء الأعجمية ، وضعف هذا الرأى واضح !

والذى تستريح اليه النفس ، انه اسم أعجمى .

أملك هو أم جنى ؟!

اختلف العلماء فى أنه من الملائكة ، من طائفة يقال لهم الجن ، أو انه ليس من الملائكة بل من الجن السفليين .

ذهب ابن مسعود ، وابن المسيب ، وقتادة وابن جرير ، والزجاج ، وابن الانبارى : انه كان من الملائكة ، من طائفة يقال لهم الجن قال تعالى : « الا ابليس كان من الجن .. »

أى من هذه الطائفة من الملائكة التى تدعى الجن .

وقال سعيد بن جبير والحسن البصرى : لم يكن ابليس من الملائكة قط ، وانه أصل الجن ، كما أن آدم أصل الانس ، والاستثناء منقطع .

والصحيح : أنه كان من الملائكة ، وان الاستثناء متصل ، لانه لم ينقل أن غير الملائكة أمر بالسجود ، والأصل فى الاستثناء أن يكون من جنس المستثنى منه .

والمشهور ان جميع الجن من ذريته . وقيل الجن جنس ، وابليس واحد منهم .

والقول الأول يرجح قول من يقول : انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة : لأن الملائكة لا يتناسلون ، وليس فيهم اناث ، قال ـ تعالى ـ ناعيا على الكفار اعتقادهم أنوثية الملائكة « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ؟ »

ومن اللطائف ما حكاه ابن خلكان : من أن حمالا أقبل على الشعبى - ومعه دن - فقال له : أخبرنى : هل لأبليس زوجة ؟

فقال الشعبى - وكان فكها - : هذا عرس ما شهدناه !

قال : ثم ذكرت قوله - تعالى - : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى ؟ » .

فقال الحمال : انه لا تكون ذرية الا من زوجة !

قال الشعبى : فقلت له : نعم .

فاخذ دنه وانطلق

أول قياس !!

قيل : ان أول قياس استعمل ، قياس ابليس فى احتجاجه لعدم سجوده لآدم ، وذلك حيث يقول : « **خلقتنى من نار وخلقته من طين** »

وتركيبه كما ياتى : أنا مخلوق من نار وهو مخلوق من طين ، والنار أفضل من الطين ، فأنا أفضل منه ! وهو قياس فاسد، لأنه ليس من الأشياء المسلمة أن النار أفضل من الطين ، لذلك قال الحكماء : أول من قاس ابليس ، فزل بفاسد من المقاييس !

وقد تلقف هذا المقياس الفاسد من ابليس ابليس مثله ، وهو بشار بن برد ، فقال يهجو آدم وذريته ، ويفضل ابليس عليه !

ابليس أفضل من أبيكم آدم
فتبينوا يا معشر الفجار
النار عنصره وآدم طينه
والطين لا يسمو سمو النار

وجاء ابن الرومى ، فاورد علة طريفة لامتناع ابليس من السجود لآدم ، وهى من أوابد ابن الرومى وشوارده ، واختراعاته البديعة ، والمعياته التى انفرد بها !

يقول فى انسان عرض له بالهجاء !

رقادك لا تسهر لى الليل ضلة
ولا تتجشم فى حوك القصائد
ابى وأبوك الشيخ آدم تلتقى
مناسبنا فى ملتقى منه واحد
فلا تهجنى حسبى من الهجو أننى
واياك ضمتنى ولادة والد
فلو لم تكن فى صلب آدم نطفة
لخر له ابليس أول ساجد

والشاهد فى البيت الأخير :

أول ذنب :

قيل : ان الحسد أول ذنب عصى به الله فى السماء والأرض !

أما فى السماء ، فقد حسد ابليس آدم على ما آتاه الله من فضله ، فأبى أن يسجد له وأما فى الأرض ، فقد حسد قابيل هابيل على أن تقبل الله منه قربانه دونه فقتله !! لذا كان شر الأخلاق !

ابليس يشهد ببراءة يوسف !

لقد شهد ابليس ببراءة يوسف الصديق - عليه السلام - فى قضيته مع امرأة العزيز زليخا ! وان لم يحضر القضية !

وذلك أن الله - سبحانه - يقول فى وصف نبيه الذى أوتى شطر الحسن : « **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين** » .

والمخلصون - بفتح اللام - هم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم مما يقدح فيهم . وقرىء - بكسر اللام - وهم الذين أخلصوا دينهم لله وحده !

وقال ابليس مخاطبا رب العزة « **فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، الا عبادك منهم المخلصين** »

فابليس يعترف - مع عتوه وعرامته وتمرده - أنه لا يقوى على اغواء المخلصين ، الذين منهم الصديق - عليه السلام - بنص الكتاب العزيز !

واكرم بانسان يصفه ولى الخير بانه مخلص ويشهد له ولى الشر بأنه مخلص !! اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين !

يتبع ..

سرائر

المؤمنين في العهد الأمين

الأستاذ عبد المنعم الأدفوى

يقتضينا البحث لايضاح الحياة الجديدة التى ارسى الدين الاسلامى قواعدها فى المجتمع العربى يوم طلع فجره المشرق ان نتحدث عن العوامل الاصيلة التى صنعت هذا المجتمع فى صورة لم تعهدها الإنسانية من قبل ولا من بعد

وقد كان المؤمنون فى صدر الاسلام مثلا صادقا للحياة السليمة من الشوائب الخالية من المعايب .. القائمة على العدالة والمساواة ، والتكافل والحب والنصيحة لله ورسوله والمؤمنين ـ القائمة على العقيدة المحاربة للقبلية والعنصرية .. غير المؤمنة بسلطان المال الا ان يكون اتفاقا فى سبيل الله وصالح المجتمع . . المفكرة لكل ما قامت عليه الحياة الجاهلية من اوضاع فاسدة

وقد بنيت هذه الحياة على اساسين : القـرآن ، وسلوك الرسول صلى الله عليه وسلم واقواله وتقريراته فالقرآن خلص العرب من النفاق والحسد وسـائر الخلقيات الذميمة ، ومنحهم طاقات هائلة من الحب والتساند والتكاتف ، وبرأهم على الخير والتعـاطف ونشاهم على الرحمة والايثار والتضحية ونكران الذات وخلق منهم ابطالا يحرصون على الموت لتوهب لهم الحياة وكان لهم ما اراده الاسـلام ، فانتصروا على أكبر امبراطوريتين فى عصرهم : الفرس والرومان

واذا كان الاسلام قد قام على الموعظة الحسنة « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهـم بالتى هى أحسن » فان القرآن دعا المؤمنين الى مقاتلة المشركين اذا ظلموا « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » والى برهم اذا لم يقاتلوهم ولم يخرجوهم من ديارهم « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم » وعدم برهم اذا قاتلوهم فى الدين وأخرجوهـم من ديارهم « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ان تبروهم »

ولأجل التمكين للعقيدة الاسـلامية فى الأرض طلب القرآن الى المؤمنين ان يثبتوا يوم الزحف « يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره ، الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير .. « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها »

ورتب دخول الجنة على الصبر والابتلاء « ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين »

وحذرهم من تواد الكافرين « لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه »

ورفع قدر الصادقين فى البيعة لرسول الله « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه »

وسلك القرآن سبيل الواقع الذى لا تجوز المكابرة فيه حين يدافع الانسان عن العقيدة الصحيحة ، وهو ان هذا الدفاع يتطلب أغلى ما فى الوجود : الدم .. فقال للقضاء على كل تردد فى مواجهة الاعداء « أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة »

ويصف القرآن المؤمنين بانهم « اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »

ويمتدح الانصار لايثارهم فيقول « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »

وكان رسول الله يقول لكل اثنين واحد من الانصار والاخر من المهاجرين « تآخيا فى الله .. أخوين أخوين » وكانت نتيجة هذه المؤاخاة التى لم تر عين الدنيا مثلا لها .. ان الانصارى كان يعرض فى سماحة ورضى ماله وأحسن زوجتيه على أخيه المهاجر .

وألف الرسول صلوات الله وسلامه عليه بفضل الله بين الأوس والخزرج الذين ينتسبون الى اب واحد والذين دارت رحى الحرب بينهم ردحا طويلا من الزمن وكان أشأم يوم فرق بينهم هو يوم بغاث وكل هذه العداوات أورى اليهود نارها بين الاخوين ، لتكون لهم السيطرة التامة فى المدينة على طريقة « فرق تسد » .. كل هذه العداوات قضى عليها الاسلام ، وأتاح للانصار ان يكون لهم دور طليعى فى الدفاع عن الاسلام وانتشاره والتمكين له « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ، اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم ، فاصبحتم بنعمته اخوانا » ونجاهم من النار بعد ان كفروا بعبادة الاوثان وآمنوا بالاسلام « وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها »

ويصف القرآن المؤمنين بالشدة على الكفار والرحمة بينهم « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »

هذا قليل من كثير وغيض من فيض غرسه القرآن فى نفس صاحب الدعوة الاسلامية ، وانعكس اثره على أصحابه رضوان الله عليهم ، وهو يعطينا صورة كاملة « صادقة جميلة عن حياة المسلمين فى الصدر الاول

أما سلوك الرسول فى معاملته للناس فيتضح من هذه الامثلة التى تعرضت لها كتب السير المعتمدة : ونحن نكتفى منها بالقدر الذى يتسع له المقام

كان رسول الله صبيا فى الثانية عشرة يوم سافر عمه ابو طالب ، فتعلق به حتى اشفق العم ان يتركه وحده فاصطحبه فى سفره ، وكان شيخا فى الستين يوم بكى على قبر امه بالأبواء بكاء من لا ينسى .

وكان يعطف على كل ضعيف وعلى العجماوات وحتى الجماد ، فكانت له « قصعة تسمى الغراء ، وسيف يسمى ذا الفقار ودرع تسمى ذات ، وسرج يدعى الدارج وبساط يسمى الكز وركوة تسمى الصادرة ومرآة تسمى المدلة ومقراض يسمى الجامع ، وقضيب يسمى المشوق »

وقد لقى المستضعفون فى كنف الرسول عزة وكرامة. سلمان منا آل البيت «صهيب سابق الروم» وكان يقدمهم على اكابر قريش لسبق اسلامهم

ولم ينس لاحد معروفا ولا فضلا ، وكان يبذل الرحمة للمؤمنين « وكان بالمؤمنين رحيما » «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »

قال انس بن مالك : « خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى اف قط ، ولا قال لشىء صنعته لم صنعته ؟ ولا لشىء تركته : لم تركته ؟»..

وحضنته فى طفولته جارية أعجمية ، فلم ينس لها مودتها بقية حياته وشغله ان تنعم بالحياة الزوجية ما يشغل الاب من أمر بناته ورحمه فقال لاصحابه : « من سره أن يتزوج امراة من اهل الجنة فليتزوج ام ايمن »

وفى مجال عطفه صلى الله عليه وسلم على البهائم قال ان الله غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركى يلهث قدكاد يقتله العطش «فنزعت خفها فاوثقته بخمارها فنزحت له من الماء فغفر لها بذلك » .

وقال : « دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تاكل من حشائش الارض » ، وكان اشد حياء من العذراء فى خدرها ، وأصبر الناس على أقذار الناس »

عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنهما قال : كنا مع رسول الله فرأينا حمرة « نوع من الطير » معها فرخان لها ، فاخذناهما فجاءت الحمرة تعرش يعنى ترفرف على فرخيها فلما جاء رسول الله قال : « من فجع هذه بولدها ردوا ولديها اليها »

ورأى قرية نمل أحرقناها فقال : « من احرق هذه .. ؟ قلنا نحن قال : انه لا ينبغى ان يعذب بالنار الا رب النار »

كان زيد بن حارثة اختطف من اهله وهو صغير ، ثم اهتدى اليه ابوه واهتدى هو الى أبيه وحين خير بين الرجوع الى أبيه أو البقاء مع الرسول اختار البقاء مع الرسول ، فعلام يدل ذلك ؟ انه يدل على ان رحمة الرسول أغلى من حنان الاباء وعطف الامهات .

وضعف « ثوبان » مولى الرسول ونحل جسمه وهده الحزن فى ليله ونهاره فلما سأله الرسول يستفسره علة حزنه وتحوله قال « انى اذا لم آرك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة ، فذكرت الاخرة حيث لا اراك هناك ، لانى ان دخلت الجنة ، فانت تكون فى درجات النبيين فلا اراك »

وأدرك الموت « بلالا » فاحاط به أهله يصيحون : واكرباه ، وهو يجيبهم واطرباه «غدا ألقى الاحبة محمدا وصحبه » .

وموقف بلال فى هذا مرده الى تربيته الدينية والقدوة بالرسول ، حين خرج الى البقيع ليسلم على اهله من الموتى وليترحم عليهم الم يقل « ابو مويهبة » ان رسول الله قال له : « انى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا ، والخلد فيها ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة ثم قال « لقد اخترت لقاء ربى والجنة »

لقد خرج الرسول الى المسجد ، وهو موجوع معصوب الرأس لا تكاد قدماه تحملانه : وقال ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا والاخرة ، وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله »

بقى بعد ذلك أن نتحدث فى عدد مقبل عن سلوك أصحاب رسول الله نتيجة لهذه التربية العلوية ، وكيف اخلصوا لدينهم وجاهدوا فى الله حق جهاده فكتب الله لهم الفوز فى الدنيا والاخرة »

حول السيرة النبوية

الأستاذ مبشر الطرازي الحسيني كبير علماء تركستان

مما يسر الامة المحمدية عامة ، والمشتغلين بالتبليغ الاسلامي خاصة ، أن نرى الجيل العربى المعاصر ، يهتمون بالسيرة النبـوية – أعنى سيرة رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم – ويأخـذونها نصب أعينهم فى أبحاثهم ورسالاتهم ومقالاتهم ، يستنبطون منها مبادىء أصلها ثابت وفرعهـا فى السماء ، ويلتمسون منها خطة قدسيـة لحياتهم « وحياة الانسانية » الدينية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية ، مما يثلج صدور المسلمين ، ويدخل أملا وطيـدا فى قلوب المؤمنين ، بمستقبل هذه الامة ، التى شرفهـا الله عز وجل وكرمها حيث قال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » الآية .

فقد أطلعت أخيراً على صحيفة « الميثاق » التى يصدرها الخريجـون من الجامعات ، كنشرة غير دورية تحت اشراف المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، وفيها موضوعات تتعلق بالسيرة النبـوية ، كموضوع « الهجـرة النبوية » و « محمد المثل الكامل » و « صلح الحديبية أرسى القواعد الاولى للقـانون

الدولي العام » وقد أجادوا وأحسنوا ، أحسن الله اليهم وزادهم قوة فى ايمانهم ، ووفقهم لخدمة العروبة والاسلام .

ان السيرة النبوية قد كتب عنها علماء الاسلام من أقدم العصور ، والفوا فيها كتبا قيمة ، مع استنباط الأحكام من نصوصها الصريحة ، ورموزها الدقيقة ، تلك الاحكام التى تتعلق بشئون المسلمين فى حياتهم الدينية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية وبالاجمال ترتبط بدنياهم وآخرتهم .

نعم كتبوا عنها (جزاهم الله خيرا) فى كل قرن وقرن ، وقد أدوا واجبهم نحو دينهم ونحو قومهم وأمتهم ، ونحو وطنهم ، كل فى حدود علمه وطاقته ، ومعرفته وثقافته .

وها هو القرن الرابع عشر الهجرى ، كتبوا فيه عن السيرة ما كتبوا ، وألفوا عنها ما ألفوا ، ويكتبون ويؤلفون ، ولكن لا تنتهى بهم الاقلام الى النهاية والختام ، مهما بلغوا من التفصيل والاطناب ، وبالغوا فى ترتيب الفصول والابواب .

يقول الشاعر الفارسى :

صد سال ميتوان سخن اززلف ياركفت
در فكر آن مباشكه مضمون نمانده است

يعنى - يمكن أن يتحدث مائة سنة عن ضفيرة الحبيب ، ومع ذلك لا تفكر أنه لم يبق مضمون فى وصفها .

وهذا هو الجيل المعاصر يبذل جهوده فى الكتابة عن هذه السيرة المباركة والبحث عن حكمتها وفلسفتها ، ورموزها وأسرارها ، التى تنكشف لدى الباحثين ، كلما تقدم البشر فى العلم والنهضة والثقافة ، وكلما نقب عنها تنقيبا .

نعم : يكتب ولا يمسه ملل . والحمد لله على ذلك .

يقول الشاعر :

كرر أحاديثه لا تخش من ملل
فما حديث رسول الله مملول

ويقول الآخر :

كأنه سكر يحلو مكرره
وكم حديث اذا كررت مملول

من المعلوم المبرهن أن سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - أرسله الله تعالى للناس كافة ، بحيث لا تختص رسالته بقوم دون قوم ، ولا بعشيرته الاقربين ، وغيرهم من قبائل العرب ، بل تعم أجناس البشرية (عربا وعجما) فى قرنه وما بعده من قرنين « وهو خير القرون الذى ثبت بالحديث الصحيح » وفى سائر القرون الى يوم القيامة ، لان دينه دين البشرية عامة ، كما أنه دين الابدية ، ودين الخلود « وما ارسلناك الا كافة للناس » الآية .

وأرسله الله تعالى للعالمين رحمة حيث اخرجهم برسالته من الظلمات الى النور ، ومن الجهالة الى العلم والمعرفة ، ومن الشرك والكفر الى التوحيد والايمان ، ومن الرهبانية والطقوس الخاطئة ، الى اليسر والحكمة والعقيدة الصائبة ، ومن ذميم العادة ، الى صحيح العبادة ، ومن تقيد العقول الى الحرية فى البحث وحسن التفكير ، ومن التأخر الى التقدم الصحيح ، ومن الجمود الى بذل الجهود ، وذلك كله لخير الدنيا والآخرة . ومن هنا خاطبه الله عز وجل قائلا : **« وما ارسلناك الارحمة للعالمين » الآية .**

ويشهد التاريخ الصحيح فى سطوره البارزة أن دين محمد بن عبد الله (نبى البشرية ورسول الانسانية صلى الله عليه وسلم) انتشر من الجزيرة العربية الى ربوع الدنيا فى أسرع وقت ، الا وهو مدة قرن ، بحيث لم ير له مثيل من سائر الاديان فى سرعة الانتشار ، وقد اعترف بهذه السرعة علماء الاجانب فيما اعترفوا به للدين الاسلامى الحنيف دين محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا نطيل البحث بذكر اعتراف الاجانب هنا وربما نفرده فى مقال آخر .

واذا نظرنا نظرة دقيقة فى أسباب هذه السرعة ، فاننا نجدها (مع ما فى تعاليم الدين الاسلامى ، من القدسية ، والعدالة ، والحكمة ، والموافقة للفطرة الانسانية ، والملائمة لكل عصر وزمان ، ولكن طبع من طباع البشرية) فى عظمة خلق هذا النبى الكريم ، والرسول الرؤوف الرحيم ، وما ترك فى أهل بيته

الطاهرين الطيبين ، وأصحابه الكرام أجمعين ، من الاخلاق الحسنة التى اكتسبوها من وحيه المقدس أولا ، ومن قوله وعمله القدسيين ثانيا ، تلك الاخلاق الكريمة ، والخصائل الحكيمة ، التى اتصف بها رجاله وجنوده فى عصره وما بعده ، حتى فتح الله على أيديهم البلاد ، فى شرق الدنيا وغربها وجنوبها وشمالها ، وحفظ دينه الحق بهم وببركاتهم وجهودهم وجهادهم من القرن الاول الهجرى الى هذا القرن (الرابع عشر) وسيحفظه رافعا أعلامه ، ومنفذا احكامه الى يوم القيامة ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، فقد وعد الله سبحانه بهذا الحفظ فى سياق التأكيد بعد التأكيد حيث قال : **((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) الآية .**

وهنا أيضا اعترف الاجانب المنصفون ، بخصال الفاتحين وأخلاقهم فى كل قرن وقرن **والشاعر العربى يقول :**

ومليحة شهدت لها ضراتها
والفضل ما شهدت به الاعداء

واذا نظرنا فى هذا وذلك نظرة الاعتبار ، وتذكرنا بالسيرة النبوية تذكر أولى الابصار ، فاننا نعرف أن الخلق الكريم أساس السداد والنجاح ، والفوز والصلاح ، وقد احسن الشاعر الفارسى حيث يقول :

حسن خلق ، خلق راشكاركند
صفتى بيش ازين جه كاركند ؟

يعنى ـ ان حسن الخلق يصيد الخلق ، وما هو العمل الذى تفعله صفة من الصفات الانسانية ، أكثر وأحسن من هذا .

ويقول الآخر :

بروى نكهت كل غنجه هركز درنمى بندد
ذحسن خلق ممكن نيست دوردلهانكنجيدن

يعنى ـ ان البرعوم لا يغلق بابه على وجه الرائحة الطيبة ، التى تفوح من الزهر مع ما ترى من ضيق جوفه بالنسبة الى حجم الزهر . ثم يقول الشاعر فى المصراع الثانى . ((وهكذا لا يمكن عدم التمكن فى القلوب (ولو كانت ضيقة) عن طريق حسن الخلق)) والى هذا يشير (ولو عن بعد) أبو الفتح البستى فيما يقول :

أحسن الى الناس تستبعد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان

فعلينا أن نربى أولادنا (أبناء العروبة والاسلام رجال المستقبل لشئون ديننا ووطننا) على الخلق الكريم الذى كان عليه النبى العظيم ، رسول الاسلام ، عليه الصلاة والسلام ، وأن نشجع الجيل المعاصر فى سبيل الكتابة عن السيرة النبوية ، كما علينا أن ندعو المسلمين (عربا وعجما) الى التمسك بالاخلاق النبوية ، واتباع صاحبها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما بنى على تعاليم الاسلام من المبادىء والقوانين ، فقد قال الله عز وجل ((لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) وقال : ((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)) الآية . وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة رسوله)) وقال ((عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، وعضوا عليها بالنواجز)) .

فان فى التمسك بالاخلاق النبوية ، واتباع صاحبها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سنته وشريعته ، وطريقته وسياسته ، نجاة هذه الامة من الخطر المحدق بها من قبل أنواع الاستعمار والمبادىء الهدامة والتحفظ على كيانها وحريتها واستقلالها ، واستعادة مجدها السالف ، ومقامها التليد ، ورحم الله الامام مالك حيث يقول : ((لا يصلح آخر هذه الامة ، الا بما صلح بها أولها)) . وقد احسن شاعر ايران الحكيم سعدى الشيرازى حيث قال :

ميندار سعدى كه راه صفا
توان رفت جز دربى مصطفى

يعنى ـ لا تظن أيها السعدى أن طريق الصفا يمكن أن يتطرق اليه بدون اتباع محمد المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

هذا ـ وسنكتب لقراء ((منبر الاسلام)) نبذة من الاخلاق النبوية ، ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب .

عناصر الحيوية

في الدين الإسلامي

الأستاذ عبد الله المشد

قال الله تعالى ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)) . تثبت هذه الآية تكريم الله للانسان وتبين بعض نعمه عليه ، ومن أعظم مظاهر تكريمه استخلافه في الأرض كما قال سبحانه ((واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الأرض خليفة)) وهذا الاستخلاف قائم على أساس من الاستعدادات والميزات التى تؤهل الانسان لهذه المهمة الخطيرة واهم هذه الاستعدادات العلم وهو أول ما برهن به رب العزة للملائكة على بالغ حكمته في اختيار آدم وذريته للخلافة . قال تعالى ((وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لاعلم لنا الاما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال الم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)) .

ويبين الله سبحانه المجال الواسع الذى يزاول فيه الانسان نشاطه ويثبت جدارته لهذه المهمة فيقول « وهو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعا » ويقول « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » . وامد الله الانسان بارشادات تعينه على أداء رسالته وكان استعداده مؤهلا له لقبول هذه الارشادات واستخدامها ، ولعلها هى الأمانة التى لم يكن شيء من المخلوقات على عظم جرمه

يستطيع قبولها ، على ما ارتضاه بعض المفسرين فى قوله تعالى « **انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا** » .

والانسان الى جانب تميزه بالعقل والتدبير واستحقاقه للخلافة هو أيضا مميز فى حسن تقديمه وابداع خلقته كما قال سبحانه «لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » فهذا الحسن قويم فى النواحى المادية والأدبية على السواء

جعل الله الكون كله مسرحا لنشاط الانسان وأمده بهذه الطاقات الهائلة ، وجدير بمن هو فى هذا المركز أن تكون له حريته واختياره ، وألا يكون هناك حاجز يحد من نشاطه ، او يحول بينه وبين الكمال الذى يراه لازما له . وهذه الأمور كلها أبرزها الاسلام وبينها اتم بيان ، وتكاثرت نصوص القرآن مشيرة الى تكريم الله للانسان ، كما شرحت السنة مظاهر التكريم ، واثبتت حوادث التاريخ أيضا أن الاسلام كان هو المجلى فى هذا الميدان .

ان الانسان لا يمكنه أن يثبت وجوده الأدبى فى هذه الحياة الا اذا شعر أنه لا سلطان عليه الا سلطان الله فهو القاهر فوق عباده ، وكل ما سواه فهو ضعيف لا ينبغى أن يتحكم فيمن يتساوى معه فى الضعف نتيجة للتساوى فى الخصائص البشرية ، ومادامت عنده الصلاحية للانطلاق فلينطلق الى حيث يريد ، اللهم الا اذا كان فى ذلك ضرر بالجماعة أو تناقض مع مهمته الأساسية فى عمارة الكون بالخير .

وقد تحدث الناس كثيرا عن الحرية ، وأشادوا بالحركات التى قامت لحمايتها ورد عادية المعتدين عليها ، والدين الاسلامى وهو دين الحياة الفاضلة الكاملة لم يغفل الحديث عنها أبدا كأساس من أسس النظام البشرى، وكثيرا ما تصادفك نصوص وأحداث تبين عناية الاسلام بالحرية بكل أنواعها التى أفاض فى تحديدها ، ولعل من الخير ان نشير الى شىء من ذلك فنقول :

ان حرية الانسان الشخصية التى تكفل له حق الحياة وحق التصرف حاطها الاسلام بعناية بالغة ، تحرم التحدى على الأرواح ، وجعل قتل النفس الواحدة كقتل الناس جميعا ، ووضع من أجل ذلك عقوبة صادقة هى القصاص ، عبر عنها القرآن بقوله « ولكم فى القصاص حياة » وأفاض علماء اللغة والتشريع والاجتماع فى بيان دقة هذا التعبير وكيف كان القصاص وهو ازهاق روح معتدية حياة للجماعة البشرية . بل ان الاسلام لم يعتبر الحياة ملكا لصاحبها فقط بل جعل المجتمع شريكا فيها ، ومن هنا لا يجوز له أن يزهق روح نفسه بالانتحار ، ومن أشد ما ورد فى التنفير منه قول النبى صلى الله عليه وسلم « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى - شرب سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » .

وحرية التصرف الطبيعى مكفولة للانسان وليست هناك سلطة تحجر عليه مادام أهلا للتصرف . ولم ينتج من اطلاقها ضرر بحق الغير - وأشنع أنواع التسلط على حرية التصرف هو الاسترقاق - وحتى يتبين لك مدى احترام الاسلام لهذا الحق ، وموقفه الحكيم من هذه الظاهرة التى كانت موجودة قبل أن يشرق نوره على العالم ، والطرق الواسعة التى حطها ليسير بهذا النظام الى الالغاء ، وحرصه البالغ على تمتع كل انسان بحريته - أحيلك على رسالة « الرق فى نظر الاسلام » التى نشرها لى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، وسيملؤك العجب حين تقارن تشدق عالم اليوم بحماية الحريات وتضليلهم لعقول الناس ، بما تراه من روائع التشريع التى وصفها الاسلام بهذا الخصوص ويكفى أن أورد لك نصا واحدا يفيض رقة واحسانا ، وعطفا وتكريما وحنانا . ويفيض اصالة وسموا فيما يتخذه من اجراءات حيال

هذا الموضوع الانسانى الخطير ، شأنه فى معالجة كل القضايا البشرية . يقول النبى صلى الله عليه وسلم « اخوانكم حولكم ـ أى خدامكم هم أخوانكم ـ جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم »

أباح الاسلام للانسان ان يعتقد ما يراه من مذاهب وآراء ، لا يترتب عليها ضرر بالنفس أو الغير أو يترتب عليها افساد بالنظام الانسانى الكامل الذى جاء الاسلام لتحقيقه ، وهو لا يحمله على اعتناق مبدأ معين طالما لم يقتنع به ، ذلك أن الحياة لا تستقيم ابدا اذا وجهت بعقائد لا تطمئن لها النفس ولا ينشرح لها الصدر . والاسلام لا يدعى لأحد بعد الله ورسوله سلطانا على عقيدة أحد ولا سيطرة على ايمانه ، وهذا المعنى الذى يبرز تكريم الأسلام للشخصية الانسانية جعل كثيرا من المفكرين يعتنقون الاسلام اعجابا بمثل هذا المبدأ العظيم .

ان النبى صلى الله عليه وسلم ، كان مبلغا فقط غير متسلط على عقائد الناس ، كما قال سبحانه « فذكر انما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » « ان هو الا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكم أن يستقيم » « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » « وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ، ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون . قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ، وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » . فهذه الآية تبين أن عقول البشر تتفاوت ، ونظرهم الى آيات الله فى الكون يختلف ، وما كان يتمناه النبى من ايمان الناس جميعا مخالف لسنة الله فى خلقه ، فقد جعل الانسان بهذا التكوين الخاص ، الذى امتاز به على الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، كما قال سبحانه « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » .

وعندما أراد أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذوا من كان عند بنى النضير من أولادهم عند اجلائهم ـ وكان قد تهود بعضهم ـ أمرهم النبى أن يخيروهم ، فمن اختار اليهودية أجلى ولا يكره على الاسلام ، وذلك مصداق قوله تعالى « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » . وقد نقل ابن جرير عن ابن عباس فى سبب نزولها أن رجلا من الانصار ، وهو أبوالحصين من بنى سالم بن عوف ، كان له ولدان فتنصرا قبل مبعث النبى ، ثم قدما المدينة فى نفر من الانصار يحملون الزيت ، فلزمهما أبوهما وقال : والله لا أدعكما حتى تسلما ، فأبيا ، فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى : يارسول الله أيدخل بعضى فى النار وأنا أنظر ؟ فنزلت هذه الآية

« ان دعوة الانبياء كلهم كانت قائمة على احترام حرية الانسان فى الاعتقاد ، وضعت أمامه الدلائل والآيات ثم تركته يفكر ليقتنع بنفسه ان كان موفقا حرا لا يقع تحت ضغط التقاليد أو تسلط الكبار ، أو أسر الغرائز والشهوات ، وأصدق ما يعبر عن هذه الحقيقة قول سيدنا نوح لقومه كما جاء فى القرآن الكريم « أنلزمكموها وأنتم لها كارهون » وعلى هذه السنة كان ابراهيم يدعو قومه فى لطف ، فاذا لم يستجيبوا تبرأ منهم ، كما جاء فى قوله سبحانه حاكيا موقفه من أبيه « سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا » كما أمر الله موسى وهرون أن يدعوا فرعون بالحسنى « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » وقص الله ذلك على محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بالاقتداء بهم فى الدعوة فقال « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » . وفى المقال التالى سأشرح هذه النقطة بالتفصيل لأرد على افتراء المفترين الذين قالوا ان الاسلام حمل الناس على الدين قهرا وأنه استعمل سلاح التهديد والارهاب فى ذلك ، وسترى معى ان شاءالله النصوص الواضحة والأحداث الثابتة التى تدل على سلامة التخطيط الذى وضعه الاسلام للدعوة .

الشهرستاني الفيلسوف

الأستاذ محمد سيد جاد الحق

ان كان أفضل الناس عند الله منزلة من عزبه الحق وانتشر عنه الصدق ورتق برأيه الفتق فليكن الشهرستانى فقد كان نورا ساطعا وكوكبا لامعـا سلط أشعته على النفوس فحولها من الحيوانية الى البشرية ومن دركات الجهل الى مدارج العلم فاتسمت بسمات العظمة والجلال واستنارت بنور الحكمة التى بثتها فى أقطـار الأرض ونشرت لواء الحضارة على الربوع والبقاع التى كانت ترزح تحت نير العبودية الانسانية فهو بحق الفيلسوف المتكلم على مذهب الأشعرى أحد فلاسفة الاسلام وأساطين الرأى الذين ذهبت أرواحهم الى خالق الأرواح والأشباح فمضى رسمهم ولكن بقى ذكرهم خالدا على مر الزمان وتوالى الايام ولقد كان رضى الله عنه اماما يشار اليه بالبنان فى علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة وافر العقل راجح الرأى تضيق الدنيا عن فضله ولاتتسع جوانبها لينابيع علمه .

مولده : ولد فى مدينة شهرستان التى بناها عبدالله بن طاهر أمير خراسان فى خلافة المأمون وهى بين نيسابور

وخوارزم وشهرستان اسم لثلاث مدن الأولى فى خراسان بين نيسابور وخورازم واليهـــا ينسب الشهرستانى صاحب الملل والنحل والثانية بناحية نيسابور والثالثة مدينة بينها وبين أصبهان ميل واحد وشهرستان كلمة أعجمية مركبة فمعنى شهر مدينة ومعنى الأستان الناحية وكأنهم قالوا مدينة الناحية وهى بلد يعمل بها العمائم الطوال الرفاع وقد نسب اليها كثير من أهل العلم منهم الشهرستانى المتكلم الفيلسوف صاحب الرحلات الذى انتقل الى خوارزم واتخذ بها دارا وسكنها مدة ثم تحول عنها الى خراسان وكان عالما حسنا جيد الخط واللفظ لطيف المحاورة خفيف المحاضرة طيب المعاشرة .

شيوخه فى العلم : تفقه بنيسابور على احمد الخوافى وأبى نصر القشيرى وأخذ علم النظر والأصول على أبى القاسم الأنصارى وسمع الحديث على ابن المدينى ولكنه كان يبالغ فى نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم وقد انتقل من خوارزم سنة ٥١٠ه وحج فى تلك السنة ثم أقام ببغداد ثلاث سنين وكان له مجلس وعظ فى النظامية وظهر له قبول عند الخاص والعام سئل يوما فى بغداد عن سيدنا موسى عليه السلام فقال التفت موسى يمينا ويسارا فما رأى من يستأنس به صاحبا ولا جارا فآنس من جانب الطور نارا خرجنا نبتغى مكة حجاجا وعمارا فلما بلغنا الحيرة حاذى جملى جارا فصادفنا بها ديرا ورهبانا وخمارا .

تأليفه . سارت بذكرها الركبان وشدا بها الحادى فى أعقاب الابل فى الليل والنهار وكفاه فخرا أنه صـــاحب الملل والنحل وهو خير كتاب صنف فى هذا الباب يبحث فى المذاهب الدينية والفلسفية وتاريخها وخلاصة كل منها ويدخل فى ذلك الشـــيع الاسلامية وغير الاسلامية وهو جزيل الفائدة عظيم المنفعة طبع فى لندن ونقله الى الألمانية هاربروكر ونقله الى التركية نوح بن مصطفى ومن هذه الترجمة نسخة فى غوطا وبرلين وترجمه الى الفارســـية أفضل الدين الأصفهانى فى المكتب الهندى ومصنف ابن حزم وان كان أبسط منه الا أنه مبدد ليس له نظام ثم فيه من الحط على أئمة السنة ونسبة الأشاعرة الى ماهم بريئون منه ما يكثر تعداده ثم ان ابن حزم نفســـه لا يدرى علم الكلام حق الدراية على طريقة أهله . ومن جواهر علومه التى بثها فى الملل والنحل قوله فى تقسيم الأمم أن تقول من الناس من لا يقول بمحسوس ولامعقول وهم السفسطائية ومنهم من يقول بالمحسوس دون المعقول وهم الطبيعة ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول ولا يقول بحدود وأحكام وهم الفلاسفة الدهريين ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ولا يقول بالشريعة والاسلام وهم الصابئة ومنهم من يقول بهـذه كلهـا وبالشريعة والاسلام ولا يقول بشريعة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم اليهود والنصارى والمجوس ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون وقد جعل فى أول هذا الكتاب العجيب خمس مقدمات أولها فى تقسيم أهل العالم جملة مرسلة وثانيها فى تعيين قانون ينبنى عليه تعـديد الفرق الاسلامية .

وثالثها فى بيان اول شبهة هى الخليقة باسرها ومن مصدرها ومن مظهرها ورابعها فى بيان أول شبهة وقعت فى الملة الاسلامية وكيف انشابعها وخامسها فى بيان السبب الداعى الى ترتيب الكتاب على طريق الحساب ثم تـكلم عن أول شبهة وقعت فى البرية وهى شبهة ابليس عليه اللعنة ومصدرها استبداده بالرأى فى مقـابلة النص واختياره الهوى فى مقابلة الأمر واستكباره بالمادة التى خلق منها وهى النـــار على مادة آدم وهى الطين وقد تشعبت هذه الشبهة الى سبع شبهات وسارت فى الخليقة وسرت فى أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال وتلك الشبهات مسطورة فى الكتب القديمة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالســـجود والامتناع منه ويقول ابليس كما نقل عنه انى سلمت أن البارى تعالى الهى واله الخلق عالم قادر فلا تسأل عن قدرته ومشيئته فانه مهما أراد شيئا قال له كن فيكون وهو حكيم الا أنه توجه الى مساقى حكمته أسئلة قالت الملائكة وما هى وكم هى فقال اللعين هى سبعة ، الأول : منها أنه علم قبل خلقى أى شىء يصدر عنى فلم خلقنى وما الحكمة فى خلقه اياى ، والثــانى : اذ خلقنى على مقتضى مشيئته وارادته فلم كلفنى بمعرفته وطاعته وما الحكمة فى التكليف بعد أن لا ينتفع بطــاعة ولا يتضرر بمعصية ، والثالث : اذ خلقنى وكلفنى فالزمت تكليفــه بالمعرفة والطاعة فعرفت وأطعت فلم كلفنى بطــاعة آدم والسجود له وما الحكمة فى هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك فى معرفتى وطاعتى ، والرابع : اذ خلقنى وكلفنى فاذا لم أسجد فلم لعننى وأخرجنى من الجنة وما الحكمة فى ذلك بعد أن لم أرتكب قبيحا الا قولى لا أسجد الا لك ، والخامس : اذ خلقنى وكلفنى فلما لم أطع لعننى وطردنى ثم يسر لى الســـبيل الى آدم حتى دخلت الجنة وغررته فأكل من الشجرة المنهى عنهـــا وأخرجه من الجنة معى وما الحكمة فى ذلك بعـــد أن لو منعنى من دخول الجنة لاستراح منى آدم وبقى خالدا فيها ، والسادس : اذ خلقنى وكلفنى ولعننى ثم سيرنى الى الجنة وكانت الخصومة بينى وبين آدم فلم سلطنى على أولاده حتى آذيتهم من حيث لا يروننى وأثرت فيهم وسوستى ولم تؤثر فى حـــولهم وقوتهم وقدرتهـــم واستطاعتهم وما الحكمة فى ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة لعاشوا سامعين طاهرين مطيعين وكان أحرى بهم وأليق بالحكمة ، والسابع : سلمت هذا كله خلقنى وكلفنى واذ لم أطع لعننى وطردنى فاذا أردت دخول الجنة مكننى وسيرنى واذا عملت عملى اخرجنى ثم سلطنى على بنى آدم فلم اذ استمهلته أمهلنى فقلت أنظرنى الى يوم يبعثون فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وما الحكمة فى ذلك بعد أن لو أهلكنى فى الحال لاستراح الخلق منى وما بقى فى العالم شر أو ليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر وفى الكتب المتقدمة يقول الله للملائكة قولوا لابليس انك فى تسليمك الأول بأنى الهــك واله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صــدقت بأنى اله العالمين لما احتكمت على بلم فانا الله الذى لا اله الا أنا لا أسأل عما أفعل والخلق كلهم مسئولون وكل شــبهة وقعت فى بنى آدم فانما وقعت من اضلال الشـــيطان ووساوسه .

حكم الشهرستانى الذهبية . يقول لو كان للفـــراق صورة لارتاعت لها القلوب ولهد الجبال وجمر الغضا أقل توهجا من حمله ولو عذب الله أهل النـــار بالفراق لاستراحوا الى ما قبله من العذاب ويقول لا تعب انسانا بما لا يمكن أن يعلم والصبر عما تحبه ويفرك أشد من الصبر على ما تكرهه املك نفسك فى مواطن النـــوائب بالصبر والشيخ فى العالم العلوى أبهى من الشاب والوالد أشب من الولد وبعد تلك المعارف التى سارت مســير الشمس انتهت حياة ذلك الفيلسوف بعدما أضاء للناس طريق حياتهم فعادت روحه الى نبعها الصافى وخرج من الدنيا مأسوفا عليه من أهل المعـــرفة وطلاب الحقيقة وكانت ولادته سنة ٤٦٧ ووفاته سنة ٥٤٨ فحلق فى سماء العلم كما تحلق فى سمائها النسور وقطفه الموت وشيكا كما تقطف الزهور .

قصة يوسف الصديق

بين القرآن الكريم وبين كتب العهد القديم

الأستاذ بهاء الدين القباني

لقد استبدت بنا الحيرة استبدادا عنيفا .. ونحن بسبيل بحثنا للمرحلة السادسة من قصة يوسف .. هذه الحيرة وان كانت تصاحبنا منذ المرحلة الأولى .. فتجعلنا كأننا أمام قصتين تختلف حوادث احداها عن الأخرى اختلافا بينا من بعض الوجوه .. الا أن المرحلة السادسة التى تبدأ من حفاوة يوسف باخيه بنيامين وماتلى ذلك من حوادث حتى اصابة ابيه يعقوب بالعمى .. تكاد تؤكد لنا أننا لسنا أمام قصة واحدة موحى بها من الله تعالى فى كتابين اثنين منزلين على رسولين اثنين .. بل أمام قصتين متباينتين وأمام يوسفين ويعقوبين .. كل يوسف باخوة .. وكل يعقوب بابناء !!

فى هذه المرحلة السادسة نستطيع أن نستبين ثلاث نقاط على جانب عظيم من الأهمية :

الأولى : لقاء يوسف وبنيامين ..

الثانية : الخدعة ..

الثالثة : العودة الى كنعان ..

أما عن النقطة الأولى .. فاننا نقرأ – فى سفر التكوين – ترحيبا ضخما من يوسف لاخوته .. سيما لأخيه بنيامين عندما جاءوا به كطلب يوسف .. فيقول يوسف للذى على بيته : « أدخل الرجال الى البيت واذبح ذبيحة وهيىء .. لأن الرجال يأكلون معى عند الظهر (ص ٤٣ : ١٦) ..

ويمضى الاصحاح ٤٣ فى التحدث عن الاخوة .. وكيف انهم اعتقدوا بأن يوسف انما وضع الفضة ثمن القمح فى رحالهم فى المرة السابقة لاستدراجهم .. وجلبا لاطمئنانهم .. حتى اذا دخلوا عنده البيت فانه يأخذهم عبيدا هم وحميرهم .. ولكن يوسف طمأنهم : « وأعطاهم ماء ليغسلوا أرجلهم وأعطى عليقا لحميرهم » (ص ٤٣ : ٢٤) .. وبعد هذا جلسوا يأكلون ..

ونستطيع أن نستخلص مما جاء فى الاصحاح ٤٣ أن يوسف يرحب بالاخوة ويقيم لهم مأدبة .. ولا يكشف سر نفسه امامهم .. وبالتالى لا يكشف سر نفسه امام اخيه بنيامين ..

أما القرآن .. فانه انحى ناحية الايجاز فى اولى هذه النقاط .. فليس ثمة داع الى ذكر ترحيب أو وليمة او الاطالة فى وصفهما .. فان الترحيب والوليمة ليسا من الأحداث الأساسية التى تؤثر فى بناء قصة يوسف .. فان حذفهما وبقاءهما واحد .. ولقد اختار القرآن ذلك الحذف ليفسح المجال أمام القارىء كى يعمل فكره فى كيفية ذلك اللقاء .. وما يمكن أن يتمخض اللقاء عنه من ترحيب ومن تقديم وليمة للاخوة .. وان كان لا بد من ان يكرم يوسف اخوته احتفاء بمجىء بنيامين .. خصوصا وأن فراقهما قد استمر لعدة سنين .. فلا اقل من مأدبة يقدمها اليهم يوسف بالطبع .

وفى الواقع .. ان أمر الترحيب والمأدبة يسير !. لا يحق لنا بأية حال ان نستطرد نحن فى ذكره .. أو أن نجعل السطور تلتهم منا سؤالا هاما لا بد من طرحه على مائدة البحث !. سيما ونحن بصدد النقطة الأولى عينها وهو : هل أماط يوسف اللثام عن نفسه أمام الاخوة أثناء مجيئهم ببنيامين أول الأمر .

عرفنا الاجابة فى الاصحاح ٤٣ من سفر التكوين بالنفى ..

أما فى القرآن .. فان يوسف يكشف سر نفسه امام أخيه بنيامين فقط .. يقول القرآن : « ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون » (يوسف ٦٩) ..

وهذا الكشف يرمى الى معان عدة .. منها :

١ - بعث الاطمئنان فى قلب بنيامين .

٢ - حث بنيامين على المكوث عند يوسف للاتئناس به .

٣ - استقاء معلومات صادقة عن حال ابيه يعقوب نتيجة فقد يوسف ..

٤ - معرفة حال الاخوة انفسهم .. وهل اصبحوا تقاة .. ام ما زالوا عصاة ..

هذه المعانى الاربع التى اوردناها الآن نكاد نجزم بأنها قد دارت فى ذهن يوسف ورمى اليها .. عندما أقبل على أخيه الشقيق بنيامين ينبىء اليه أن أخاه يوسف الذى فقده منذ سنين هو هو نفسه الذى يحدثه الآن .. وهو أيضا رب خزائن الأرض .. والمتصرف فيها فى أحلك السنين واشدها جدبا .. فكأن القرآن يشوق القارىء فيرسم على وجهه علامات استفهام متعددة .. ثم يضعه فى عنق زجاجة يمتد خلاله بصر القارىء الى عالم عريض لم تكن رؤيته تتسنى له لو لم يوجد هذا العنق .. ولنا فيما ذهبنا اليه أدلة منطقية واضحة أوردها القرآن فى آيات قادمة من سورة يوسف .. ولن نفرغ - باذن الله من المرحلة السادسة هذه الا بعد أن نلم بها جميعا ..

هذا عن النقطة الأولى ..

اما النقطة الثانية وهى الخدعة .. فانه يتحتم علينا الوقوف عندها مليا .. متناولين اياها معززين لها نصيبا أسمى .. من أمانة البحث .. هذه الأمانة التى لازمتنا منذ المرحلة الأولى .. ولم تزل - فان الخدعة الواردة فى الاصحاح ٤٤ من سفر التكوين لا تتناقض مع تلك التى وردت فى القرآن فحسب .. بل انها لتتناقض فى الاصحاح ٤٤ نفسه من فقرة الى فقرة أخرى .. بطريقة سافرة .. لا يمكن لأى عقل مهما أوتى من السفسطة أن يثبت عكس ذلك .. والذى نستطيع أن نقرره بشأن المترجم لهذه الخدعة فى سفر التكوين .. هو أنه قد تصرف من نفسه تصرفا مريضا .. ما كان يصح أن يدسه على أحكم الحاكمين الذى أوحى به .. فقد جاء المترجم بثغرة هائلة يحثنا على قبولها .. مع أنها غير منطقية ومستحيلة التحقيق .. ومن الغريب أن الملايين من متبعى ما بين دفتى الكتاب المقدس على اختلاف ثقافاتهم قد قبلوها على علاتها دون تمحيص .. وذلك أن هناك شرطا من الشروط الأساسية لقراءة الكتاب المقدس يقول : « ارادة مسلمة تسليما كاملا » !!..

هذه الخدعة .. نرى نحن أنه من الأوفق تقسيمها الى خمس حلقات .. حتى نستطيع أن نلم بأطرافها جميعا بين دفتى كل من الكتابين المعنيين :

الأولى : ماهية الخدعة ..
الثانية : الجعالة ..
الثالثة : التفتيش ..
الرابعة . الحكم فى قضية السرقة ..
الخامسة : الغرض الذى رمى اليه يوسف من الخدعة ..

أما عن ماهية الخدعة .. فقد جاء عنها فى الاصحاح ٤٤ من سفر التكوين أن يوسف بعد ترحيبه بالاخوة .. أمر بأن تملأ أوعية الرجال بالحب .. تأهبا لرحلة العودة الى كنعان .. وأمر يوسف كذلك أن توضع أثمان القمح فى رحل كل منهم .. وأن يوضع طاس الفضة (السقاية) وهو كوب يشرب به يوسف فى رحل أخيه بنيامين بالذات مع ثمن قمحه ..

فيقول الاصحاح ٤٤ : « ثم أمر (يوسف) الذى على بيته قائلا : املأ عدال الرجال طعاما حسب ما يطيقون حمله .. وضع فضة كل واحد فى فم عدله .. وطاسى طاس الفضة تضع فى فم عدل الصغير وثمن قمحه .. ففعل بحسب كلام يوسف الذى تكلم به » (ص ٤٤ : ١ - ٢) .

اذن .. ففى رحل كل منهم الفضة ثمن القمح .. وفى رحل بنيامين نجد الفضة الى جانب الطاس ..

هذا ما جاء فى سفر التكوين ..

أما فى القرآن .. فنرى أن يوسف أثناء تأهب الاخوة للسفر الى كنعان .. أمر بوضع السقاية فقط .. وهى كوب من الذهب أو الفضة يشرب بها الملك .. فى رحل أخيه بنيامين .. فيقول القرآن : « فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه » (يوسف ٧٠) ..

اذن .. فالفضة ثمن القمح لم يأمر يوسف بوضعها فى رحل الاخوة هذه المرة - بعكس ما جاء فى سفر التكوين - ولكنه أمر بوضع السقاية فقط فى رحل بنيامين ..

ومما لا شك فيه أن الحبكة القصصية فى هذا الجزء على أتمها فى القرآن العظيم .. فيوسف لم يشأ أن يضع ثمن القمح فى رحل كل منهم هذه المرة .. لأن يوسف يعلم بأنه سيكون هناك تفتيش للرحال .. فلو رأى الاخوة أثناء التفتيش أن ثمن القمح موضوع فى رحالهم للمرة الثانية .. لاتهموا الرجل الذى أشرف على ملء أوعيتهم بالقمح بأنه هو الذى وضع لهم ثمن القمح .. وأنه هو أيضا الذى خبأ السقاية فى رحل أخيهم بنيامين .. وعلى هذا فسوف تلقى التبعة على رجل يوسف فقط .. ولا تثبت ادانة أحد من الاخوة .. بالاضافة الى أن رؤية الاخوة لأثمان القمح أثناء التفتيش تجعلهم يتهمون يوسف أيضا .. ويتهمون القائم على مساعدته بأنهما هما اللذان دبرا هذه المؤامرة لايقاعهم فى شرك السرقة .. خصوصا وأن الاخوة قد وجدوا أثمان القمح فى رحالهم فى المرة السابقة .. فكأن يوسف - فى القرآن - قد رسم الخطة ببراعة .. واحكمها احكاما لا يدع مجالا للشك فيه .. بينما فى سفر التكوين .. فاننا نرى يوسف - بفعل المترجم - لا يحكم الخطة فحسب .. وانما نراه يضع أسباب فشلها .. وهى براءة أخيه .. وبالتالى براءة الاخوة مما ينسب اليهم .. وهو ما لم يقصد اليه يوسف .. بل قصد الى عكسه بادانة أخيه بنيامين لاستبقائه معه .

أما الحلقة الثانية من حلقات الخدعة .. فهى الجعالة التى أعلنها يوسف فى مقابل رد صواع الملك (السقاية) وهى مقدار من القمح يساوى حمل بعير .. فان يوسف بعد أن أحكم الخطة فى بدايتها .. ترك الاخوة يسيرون ومعهم بنيامين فى طريق العودة الى كنعان .. حتى اذا

خرجوا من المدينة بعث يوسف الى قافلة الاخوة من يعلن اليهم بأنهم سارقون .. ويعلن لهم عن قيمة الجعل فى مقابل رد الشىء الذى ضاع منه ..

هذا الجعل .. لا نجـــد له أثرا على الاطلاق فى الاصحاح ٤٤ من سفر التكوين .. مع أنه لازم لنجـاح الخدعة التى دبرها يوسف .. ولازم لتتمة حلقاتها ..

ففى الاصحاح ٤٤ بعد أن خرج الاخوة من المدينـة نقرأ : « قال يوسف الذى على بيته : قم .. اسع وراء الرجال .. ومتى أدركتهم فقل لهم لماذا جازيتم شرا عوضا عن خير ؟ أليس هذا هو الذى يشرب سيدى فيه .. وهو يتفاءل به .. اسأتم فيما صنعتم .. فأدركهم وقال لهم هذا الكلام .. فقالوا له : لماذا يتكلم سيدى مثل هذا الكلام .. حاشا لعبيدك أن يفعلوا مثل هذا الأمر .. الذى يوجد معه من عبيدك يموت ونحن أيضا نكون عبيدا لسيدى » (ص ٤٤ : ٤-٩) وارتضى الاخوة ان تفتش رحالهم ..

وهكذا لا نجد ذكر الجعالة فى سفر التكوين .. مع ان اعلانها لازم للدلالة على حسن نية يوسف أمام الاخوة .. وكيف أنه لا يقصد توجيه تهمة السرقة الى أحد من القافلة .. بالاضافة الى أن اعلان الجعالة هام لنجـاح خطة الخدعة ..

أما القرآن العظيم .. فقد جاء بحلقة الجعالة هـذه بطريقة مشوقة للغاية .. فقد بناها القرآن على عناصر هامة من عناصر القصة المتكاملة .. وهى المفاجاة المشوبة بالترهيب والاتهام بان الاخوة سارقون : « فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه ثم اذن مؤذن أيتها العير انكم لســـارقون » (يوسف ٧٠) .. ثم تلاه بالترغيب وهو اعلان مغر مقـداره حمل بعير لمن يرد الشىء الضائع ثانية .. خصوصا وأن حمل بعير من القمح مهم جدا فى سنين القحط وحثا على البحث .. بالاضافة الى ماله من دلالة على أهمية الصواع المفقود : « قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون . قالوا : نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم . قالوا : تالله لقد علمتم ماجئنا لنفســد فى الارض وماكنـــا سارقين » (يوسف ٧١-٧٣) .. وعودة الى الترهيب والتهديد مرة أخرى : « قالوا فمـــا جزاؤه ان كنتم كاذبين . قالوا : جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين . » (يوسف ٧٤ - ٧٥) ..

ولن ندع حلقة الجعالة هذه تمضى دون أن نتبين منها - فى القرآن - تحليلا رائعا لشخصية يوسف بطـل القصة .. فى أثناء لحظات الوداع العبقرية .. المليئة بالانفعالات .. نرى أن يوسف تنازعته عدة نوازع أثناء توديعه للاخوة .. ومسيرهم بأخيهم بنيامين.. وابتعادهم عن عينى يوسف رويدا رويدا .. فى هذه اللحظـــات العبقريات .. لا شـــك أن يكون يوسف وهو واقف يتابعهم بنظراته .. قد رجع بذاكرته الى الوراء عندما اخذه هؤلاء الاخوة أنفسهم وأهانوه منذ سنين وأرادوا قتلــه هو .. فوضع يوسف بينهم نفسه مكان اخيه بنيامين .. فتصور أن الاخوة الآن ســـارقون لأخيه بنيامين .. وأنهم يسيرون به الى حيث المصير الذى لاقاه يوسف من قبل من اهانة وبعد عن أبيه .. وربما قتلوا بنيامين فعلا هذه المرة .. وقد يكون يوسف قد سأل نفسه عدة أسئلة فى هذه الأثناء .. لماذا لا ينتهز الاخوة فرصة انفرادهم ببنيامين فيردوه فى المصير الذى لقيه هو ؟ فان يعقوب يحب بنيامين ويجد فيه سلوته عن يوسف .. ويخاف عليه من اخوته أيضا .. والا فلماذا لم يسمح يعقوب لبنيامين بالسفر مع الاخوة عند قدومهم الى مصر فى المرة الأولى ؟؟ اذ أن بنيامين لم يأت معهم أثناء مجيئهم لأول مرة .. وقد يكونون مغتاظين من بنيامين ويريدون ابعاده عن سبيلهم بأبيهم كما أبعدوا يوسف عن سبيله بأبيهم من قبل !

وهكذا تداخلت الأسئلة والأجوبة والصور .. وتشابكت أمام عينى يوسف فى هذه اللحظات الهائلة فكان أن أمر يوسف أحد أتباعه أن يلحق بالاخوة قبل أن يبتعدوا ويخاطبهم باتهام رهيب مفاجىء : « أيتها العير انكم لسارقون » (يوسف ٧٠) وكأن يوسف يقول لهم انكم لسارقون أخى بنيامين .. ولن أتركه يذهب معكم بأية حال .. ولكن هذا الغضب الثائر الذى عاش فيه يوسف لحظات قصـارا .. نراه تخف حدته ويتنازل شيئا فشيئا عنـد عودة الاخوة وبنيامين يسألونه عن الشىء المفقود .. فلما أن رأى يوسف بنيامين أخاه مرة أخرى هدأت نفسه الثائرة .. فاظهر لهم جانب اللين وأراد مكافأتهم وهذا نازع خير .. فقال : « ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم » (يوسف ٧٢) آملا أن يمد بنيامين يده فى رحله فيخرج الصاع منه .. وعندها يكشف يوسف لهم عن نفسه وتكون مفاجأة بالنسبة لهم .. وتنتهى الخدعة عند هذا الحد .. ولكن بنيامين لم تصدر عنه أية حركة طبقا لخطة موضوعة مع أخيه يوسف أن لا يتكلم .. ولكن يوسف يسمع الاخوة يقولون بطريقة غليظة : « تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين » (يوسف ٧٣) وكان بوسع الاخوة أن يستعملوا ألفاظا أرق من الافساد فى الأرض وأجمل من السرقة .. الأمر الذى أوغر صدر يوسف عليهم فاراد معاقبتهم فى أسلوب من جنس كلامهم يتهمهم فيه بالكذب فقـــال : فما جـزاؤه ان كنتم كاذبيـــن . قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجــزى الظـــالمين . » (يوسف ٧٤ - ٧٥) وهكذا ارتضوا بالتفتيش ..

ونأتى الى حلقة التفتيش .. اذ أنه الفيصل الذى يحسم النزاع بين الاخوة وبين يوسف .. أنزل الجميع رحالهم الى الأرض توطئة لتفتيش الأوعية .. وبوعى من يوسف .. وبقصد التمويه .. لم يشأ أن يفتش وعاء بنيامين أولا .. لأن يوسف يعلم أن السقاية فى وعاء بنيامين ولو فتشه أولا واستخرجها منه فقد تثور شكوك الاخوة حول وجود السقاية فى وعاء بنيامين .. ولكن يوسف أخذ يفتش الأخ الأكبر أولا .. فالذى يليه .. وهكذا حتى انتهى أخيرا الى بنيامين .. واذا بالسقاية يعثرون عليها فى وعاء بنيامين ..

ولنقرأ فى الاصحاح ٤٤ من سفر التكوين : « وأنزلوا كل واحد عدله الى الأرض وفتحوا كل واحد عدله .. ففتش مبتدئا من الكبير حتى انتهى الى الصغير .. فوجد الطاس فى عدل بنيامين » (ص ٤٤ : ١١-١٢) أى وجد الطاس (السقاية) فقط فى وعاء بنيامين !! ولكن .. ترى أين الفضة ثمن القمح التى وضعت فى وعاء كل واحد منهم ؟؟ كما ذكرت الفقرتان الأولى والثانية من الاصحاح ٤٤ من سفر التكوين ؟؟ لماذا لم يعثر عليها أثناء التفتيش ؟؟ فان الفقرتين المذكورتين تقولان « ثم أمر الذى على بيته قائلا : املأ عدال الرجال طعـــاما حسب ما يطيقون حمله .. وضع فضة كل واحد فى فم عدله .. وطاسى طاس الفضـة تضع فى فم عدل الصغير وثمن قمحه » (ص ٤٤ : ١-٢) أى أن كل وعاء من أوعيتهم يوجد به الفضة ثمن القمح .. فترى أين

هربت الفضة أثناء عملية التفتيش ؟؟ فان المفتشين لم يجدوا أى أثر للنقود الفضة فى أى وعاء !!

وهنا .. نجد أنفسنا وجها لوجه أمام أحد أمرين لا ثالث لهما :

فاما أن تكون الفضة قد وضعت فعلا فى الأوعية فيكون العثور عليها واجبا .. وهذه قضية ..

واما أن تكون الفضة لم توضع أصلا فى الأوعية فيكون العثور عليها مستحيلا .. وهذه قضية ثانية .. ولا يمكن للقضيتين أن تتفقا فى آن .. كاستحالة وجود الابيض والاسود فى مكان واحد !!

وعلى هذا فاننا نستطيع نحن أن نستنتج قضيتين اخرتين :

فاما أن تكون الفقرتان الاوليان من الاصحاح ٤٤ من سفر التكوين غير صحيحتين ..

واما أن تكون الفقرة الثانية عشرة من نفس الاصحاح غير صحيحة .. ولا يمكن لكلتيهما أن تكونا صحيحتين فى وقت واحد !

أما القرآن العظيم .. الموحى به الى محمد منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .. فاننا نجد به فى هذا الجزء حبكة قصصية فنية .. ولا نجد على الاطلاق اى ثغرة يمكن الضغط عليها عند بحثنا لعملية التفتيش .. فاننا - فى القرآن - نعثر أثناء تفتيش الأوعية على السقاية فقط وهى مخبوءة فى وعاء بنيامين .. يقول القرآن : « فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه » (يوسف ٧٦) .. وهذه النتيجة تتفق تمام الاتفاق مع مقدمة الخطة .. اذ تقول الآية ٧٠ من سورة يوسف : « فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه » أى لم يرد ذكر للفضة أنها وضعت فى الأوعية .. أليست هذه نتيجة منطقية معجزة جاءت عن مقدمة منطقية معجزة ايضا ؟؟

ونأتى الى الحلقة الرابعة من الخدعة .. وهى الخاصة بالحكم فى قضية السرقة .. فالسقاية (الطاس) وجدت اذن مخبوءة فى رحل بنيامين .. فحقت عليه كلمة يوسف فى الاصحاح ٤٤ « الذى يوجد معه (الطاس) يكون لى عبدا » (ص ٤٤ : ١٠) ..

هذا الحكم الذى أصدره يوسف على السارق الأجنبى عن مصر بالعبودية .. هل هو حكم عادى فى شريعة ملك مصر ؟؟ أم أنه قانون استثنائى - كالأحكام العرفية مثلا - صدر بالنسبة للازمة التى تمر بها مصر فى السبع السنين الشداد التى تعتبر « حالة طوارىء » ؟؟ وهل هو حكم فى شريعة يعقوب النبى يطبق فى أرض كنعان ؟ فاصدر يوسف حكمه على السارق طبقا للقوانين التى تسرى فى بلاد السارق نفسها .. فان سفر التكوين لم يبين أيا من الشريعتين قد اتبع يوسف فى اصدار حكمه بالعبودية على السارق .. وكذلك لم يجب سفر التكوين عن سؤال مهم لابد وان يعن للباحث .. هو : هل يجوز ليوسف أن يطبق أحكام شريعة ملك مصر على الأجانب الذين يرتكبون جناية على أرض مصر ؟ أم يجوز له أن يطبق الأحكام التى تسرى فى بلاد الأجانب على الأجنبى الذى يرتكب جناية على أرض مصر ؟ وهل يجوز له أن يختار بين تطبيق المبدأين ؟؟

كل هذه الأسئلة التى تساءلناها الآن .. لم يجب عن احدها سفر التكوين !!!

ولقد أجاب عنها القرآن المجيد فى أسلوب موجز معجز فى الآية ٧٦ من سورة يوسف .. بل أن هذه الآية لم تجب عن تلك الأسئلة مجرد اجابة وحسب .. وانما أوضحت المبدأ الذى يجب أن تتم به سيادة الدولة .. واستقلالها القضائى .. يقول القرآن :

« كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله .. نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم » (يوسف ٧٦) .

اى .. اوحينا ليوسف بتدبير دس السقاية فى رحل بنيامين .. ويترتب على الدس - بالطبع - ظهور بنيامين بمظهر السارق .. فيتمكن يوسف من تطبيق شريعة ملك مصر على السارق .. هذه الشريعة التى تقضى بان يؤخذ السارق كعبد .. حيث أن هذه هى الطريقة السرية الوحيدة التى يتمكن بها يوسف من استبقاء أخيه بنيامين دون حاجة الى أن يعرف يوسف نفسه لاخوته ..

وعلى هذا .. فاننا نستنتج ست مبادىء هامة .

الأول : هذا الحكم بالعبودية الذى أصدره يوسف على السارق الأجنبى هو القانون المطبق فى شريعة ملك مصر لقوله : « فى دين الملك » (يوسف ٧٧) أى فى حكمه وقضائه كما ورد عن قتادة ..

الثانى : هذا الحكم استثنائى - كالأحكام العرفية - لأن يوسف بنفسه قد قضى به على الفور .. وبدأ فى تنفيذه على الفور أيضا .. ولم يكل يوسف الأمر الى القضاء واكتفى بان نصب نفسه حاكما عسكريا يقضى بنفسه وينفذ بنفسه أيضا ..

الثالث : هذا القانون المعمول به فى شريعة ملك مصر يطبق على الدولة المصرية نفسها .. ويطبق ايضا على الأجانب الذين يرتكبون جناية على أرض مصر ..

الرابع : لم يشأ يوسف أن يطبق شريعة يعقوب النبى على السارق بنيامين .. وهذه الشريعة لاتقر باستبعاد الشخص الذى يرتكب جناية السرقة .. بل تقر بما هو دون ذلك كالضرب مثلا .. أو دفع مبلغ من المال يعادل ضعف ثمن الشىء المسروق .. كما ورد فى روح المعانى ..

الخامس : أن المسروق منه له الحق فى استعباد السارق فترة من الزمن .. هذا المبدأ جاء به - بعد ذلك - القانون الرومانى ..

السادس : لا يجوز ليوسف أن يختار بين تطبيق المبدأين شريعة الملك أو شريعة يعقوب .. لأن يوسف عندما خير بان ياخذ أحد الاخوة فى مكان بنيامين رفض هذا .. فمن باب أولى ان لا يختار بين الشريعتين .. يقول القرآن : « قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا .. فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين. قال معاذ الله أن ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون » (يوسف ٧٨ - ٧٩) .

اذن..فنحن امام تطبيق عادل للاحكام .. ان الأجنبي لا بد وأن تطبق عليه قوانين الدولة التي يرتكب على أرضها جناية أو مخالفة .. والا اعتبر انتقاصا من سيادة تلك الدولة .. هذا التطبيق هو ما تجرى عليه الدول المتحضرة المستقلة حاليا .. وأقرب مثل على ذلك هو مصر أيام المحاكم المختلطة .. وكيف أن القضاء في مصر قد استقل واسترد سيادته بالغائها عام ١٩٤٩ .

ونجد الاخوة في الاصحاح ٤٤ من سفر التكوين يتذللون الى يوسف أن ياخذ أحدهم مكان بنيامين خوفا من الصدمة التي ستنزل على يعقوب اذا ما سمع بقصة سرقة ابنه بنيامين .. ولكن يوسف عند حكمه .. قالوا : « ها نحن عبيد لسيدي .. نحن والذي وجد الطاس في يده فقال حاشا لي أن أفعل هذا .. الرجل الذي وجد الطاس في يده هو يكون لي عبدا » (ص ٤٤ : ١٧) ..

ويستمر نفس الاصحاح في قوله ان يهوذا ارتضى أن يسترقه يوسف عوضا عن بنيامين وكيف أن أباه يعقوب اذا : « رأى أن الغلام مفقود أنه يموت » (ص ٤٤ : ٣١) ..

أما في القرآن .. فاننا نرى الاخوة بعد استخراج السقاية من وعاء بنيامين يتذللون الى يوسف أيضا .. ولكن بعد كلمة قالها الاخوة كان لها وقع الصاعقة على يوسف وان كان يوسف قد تجلد .. وجعلها تمر كسحابة صيف فقد قالوا : « ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون . » (يوسف ٧٧)

ويقصد الاخوة - في الآية السابقة - أن حادثة سرقة بنيامين ليست هي الأولى من نوعها .. فان « عرق » السرقة مشترك بينه وبين أخيه يوسف المفقود .. فقد سبق ليوسف - على حد قول الاخوة - أن اقترف جناية السرقة أيضا .. ولقد ورد عن تلك السرقة التي اتهم بها يوسف أقوال متعددة .. ولكننا نميل الى قبول رواية ابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد بأن عمة يوسف قد ورثت منطقة أبيها اسحق (حزاما) وأراد يعقوب أن تهدى العمة حزامها الى ابنه يوسف .. ولكنها رفضت.. فعمدت العمة الى يوسف وكان صغيرا وحزمت وسطه بالحزام حتى يتهم يوسف بالسرقة فيسقط حق يوسف في أخذ الحزام .. وقالت : انى فقدته .. ولما فتش أهل البيت .. وجدوه محزوما حول وسط يوسف .. وبدأ يعيره اخوته منذ وقوع حادثة الحزام تلك ..

ولقد صدم يوسف عند سماعه بهذا الاتهام من اخوته ولكنه تجلد .. ولم يظهر لهم شيئا .. واكتفى بأن قال في نفسه : « أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون . » (يوسف ٧٧) ..

وبدأ الاخوة بعد ذلك - في القرآن - يتذللون أمام يوسف بأن أباه رجل مسن قد رزىء بفقد ابن له من قبل .. والاخوة على استعداد أن يتقدم أحدهم ليأخذ مكان بنيامين في تنفيذ الحكم .. ولكن يوسف يرفض هذا العرض .. يقول القرآن : « قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين . قال معاذ الله أن ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون . » (يوسف ٧٨-٧٩) ..

ونأتي الى الحلقة الخامسة من الخدعة .. وهي الخاصة بالفرض الذي رمى اليه يوسف من اجراء الخدعة ..

فلا شك أن هناك أسئلة تراود الكثيرين عن الفرض الذي من أجله أجرى يوسف هذه الخدعة .. وعاش مع وقائعها حتى نهاية الشوط .. مع أنها - على ما يبدو - ضارة بآخرين ممن لم يقترفوا ذنبا ..

ونورد فيما يلي بعض امثال تلك الأسئلة .. وسنحاول الاجابة عليها - باذن الله - فلعل القارىء يتسنى له الوقوف على شيء من أسرار الخدعة .. التي تعتبر ركنا هاما من أركان قصة يوسف :

الأول : كيف تخول ليوسف نفسه أن يرمى الأبرياء بالسرقة ؟؟

الثاني : كيف رضى يوسف أن يزيد في هم أبيه يعقوب فيحرمه من بنيامين الذي يجد فيه سلوته - الى حد ما - عن فقد ابنه يوسف ؟؟

الثالث : هل كان يوسف محقا في اجراء هذه الخدعة ؟ وما مصلحته في ذلك ؟؟..

هذه أسئلة وغيرها كثير .. ولكنها تكاد تدور جميعا في فلك ما أوردناه منها .. لا بد وأنها تعن للباحث - أي باحث - في قصة يوسف .. ولقد حاولنا استنفاذ أي اجابة عنها في كل ركن من أركان في التكوين .. ولكننا لم نخرج باجابة واحدة .. بل خرجنا نحن بعلامات استفهام ضخمة تريد هي اجابة عن نفسها ؟!!

ولقد تساءل أيضا امثال هذه الأسئلة بعض المفسرين من علماء المسلمين وهم بصدد تفسير قصة يوسف .. كالطبري والنسفي والقرطبي والألوسي .. وأجابوا عنها من قريب أو من بعيد .. ونذكر منها الآن صاحب روح المعاني الشيخ الألوسي رحمه الله .. فقد أرجع جميع الأسئلة التي أوردناها آنفا الى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أوحى الى يوسف باجراء ما فعل ..

يقول « روح المعاني » في تفسيره للآية ٧٠ من سورة يوسف التي تقول : « فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون . » « وفي البحر الذي يظهر ان هذا التحيل ورمى البرآء بالسرقة وادخال الهم على يعقوب عليه السلام بوحي من الله تعالى لما علم سبحانه في ذلك من الصلاح ولما أراد من محنتهم بذلك .. ويؤيده قوله سبحانه : « وكذلك كدنا ليوسف » .. »

ولنتناول اذن السؤال الاول ..

فقد ذهب البعض الى أن يوسف قد اتهم اخوته الأبرياء ومعهم بنيامين بالسرقة وهم بسبيل رحلة العودة الى كنعان لقوله : « ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون » (يوسف ٧٠) .. وفي الواقع من الأمر .. ان هذا ليس في حد ذاته اتهاما رمى به يوسف اخوته بل هو شك فقط .. أو هو ظن لم يرتفع الى مرتبة اليقين : « ان الظن لا يغني من الحق شيئا » .. فان المتهم يظل بريئا ما لم تثبت ادانته .. وحتى يقطع الشك باليقين فقد بدأ يوسف في تفتيش أوعية الاخوة والذي لا يوجد معه الصواع يعتبر بريئا على الفور وذلك لقول يوسف : « معاذ الله أن ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون . » (يوسف ٧٩) .. هذا من ناحية شكه في سرقة الاخوة دون بنيامين .

اما من ناحية بنيامين فان خطة الخدعة قد دبرت بين يوسف وبنيـامين .. فاذا اتهم يوسف أخاه بنيامين بالسرقة .. فهذه خطة موضوعة بينهما ، كل منهما قد ارتضاها ابتداء .. فينتفى الاتهام بالسرقة كلية .. فعند لقاء يوسف وبنيامين لأول مرة فى مصر أقبل يوسف على أخيه الصغير على الفور وعرفه بنفسه قائلا : « انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون » (يوسف ٦٩) أى فتح يوسف قلبه لبنيامين عند أول لقاء . ولا جدال فى انهما قد اتفقا على ان يمكث بنيامين عند يوسف . ولم يجدا حيلة يحتالان بها الا عن طريق وضع السقاية فى رحل بنيامين فيطبق عليه قانون العبودية ويستبقيه الى جانبه ..

ونستطيع أن نضيف الى هنا بعض ما سبق أن قلناه أثناء بحثنا للجمالة فى هذه المرحلة السادسة التى نحن بصددها .. وكيف أن يوسف مرت عليه لحظات حاسمة أثناء مسير الاخوة ببنيامين فى طريق العودة الى كنعان .. وكيف تصور وضع نفسـه بينهم لحظة أخذه الى المرعى .. وكان ما كان منهم .. فاعتقد أنهم يسيرون بأخيه بنيامين الى نفس المصير فكان أن بعث فيهم من يقول : « أيتها العير انكم لسارقون » .. هذه الصور والأفكار التى تداخلت فى رأس يوسف قد تكون هى التى أوحت اليه باتهام اخوته بالسرقة !

أما السؤال الثانى فاجابته ذات شقين

الأول : أن يوسف يعلم تماما أن أباه يعقوب نبى .. والنبى صاحب قلب ثابت مؤمن بالله لا يجزع ولا يهلع .. بل يصمد لكل التيارات المضادة .. ويصبر .. ويعينه فى ذلك ذكره لله عز وجل .. فانه سيكون على بينة من ربه .. بالاضافة الى أن يعقوب صاحب علم قال الله فيه : « وانه لذو علم لما علمناه » (يوسف ٦٨) ونحن نعلم أن يعقوب عندما جاء الاخوة على قميص يوسف بدم كذب بعد القائه فى البئر قال : « بل سولت لـكم انفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » (يوسف ١٨) .

أما الشق الثانى وهو لا يقل أهمية عن الشق الأول .. فهى الرؤيا التى رآها يوسف فى بداية القصة وأخبر بها اباه فقط .. فرؤيا يوسف لا شك يعـلم تفسيرها يعقوب .. ففيها أحد عشر كوكبا هم الاخوة العشرة ومعهم بنيامين .. والشمس والقمر هما أبوه يعقوب وأمه أو خالته ـ كما وردت فى بعض التفاسير ـ وهؤلاء جميعا يسجدون ليوسف .. أى لا بد من أن يلتقى الأحد عشر أخا وعلى رأسهم الابوان مع يوسف .. وما دام هؤلاء جميعا يسجدون له .. اذن فلا بد من أن يكون يوسف فى منصب خطير جليل يستدعى أن يخر له هؤلاء سجدا ويقدموا له فروض الطاعة والولاء .. اذن .. فيعقوب يعلم يقينا بانه سيلتقى مع يوسف ويكون يوسف حاكما .. فان يعقوب « لذو علم لما علمناه » ويقول يعقوب عن نفسه : « واعلم من الله ما لا تعلمون » (يوسف ٨٦) .. بل ويؤكد يعقوب أيضا فيقول : « ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون » (يوسف ٩٦) .

ونأتى الى السؤال الثالث فنجيب بان يوسف كان محقا فى اجراء هذه الخدعة فقد كان يرمى الى الأغراض الآتية :

١ ـ ان وجود بنيامين لدى يوسف يعتبر سكنا مؤقتا ليوسف .. لحين لقاء أبيه اللقاء الكبير .. فكان لابد من الخدعة لاستبقائه .

٢ ـ أراد يوسف أن يكشف له بنيامين عن حال أبيه يعقوب نتيجة فقد يوسف وهـذا لا يتسنى الا باستمرار بنيـامين لدى يوسف مدة ليست بالقصيرة ..

٣ ـ الوقوف على حال الاخوة أنفسهم وهل أصبحوا تقاة أم ما زالوا عصاة ..

٤ ـ أراد يوسف أن يوقع الاخوة فى تجـربة نفسية قاسية .. فلقد عرف يوسف بالطبع من بنيامين ذلك القسم بالله العظيم الذى قطعه الاخوة على أنفسهم أمام أبيهم أنهم يرجعون ببنيـامين الا أن يحاط بهم .. أى أن الاخوة مرتبطون مع يعقوب بارتباط وثيق هـذه المرة .. وبنيامين الآن مهم لديهم كثيرا .. فاراد يوسف أن يسلم الاخوة الى حيرة شديدة .. ليقاسوا بانفسهم مثل تلك الحيرة التى يعيش فيها يعقوب .. بفقد ولده يوسف .. فكأنه أراد معاقبتهم من جنس ما اقترفوه حيـال أبيهم من قبل ..

ونأتى الى النقطة الثالثة من هذه المرحلة الرائعة من قصة يوسـف ..

هذه النقطة الخاصة بعودة الاخوة الى كنعان ..

فلقد عرفنا حتى الآن فى سفر التكوين أن الاخوة أخذوا يتذللون الى يوسف لكى يترك لهم أخاهم بنيامين أو يؤخذ أحد الاخوة مكانه فى تنفيذ العقاب .. ويوسف واقف يستمع الى تذللهم وهم يقولون ان أباهم : « متى رأى أن الغلام مفقود أنه يموت » (ص ٤٤ : ٣١) .. وبعد ذلك .. نجد سفر التكوين يقفز قفزة مصطنعة فيخبرنا أن يوسف أخذ يجهش بالبكاء ثم يكشف نفسه أمام الاخوة !!؟

فقد جاء فى الاصحاح ٤٥ من سفر التكوين : « فاطلق (يوسف) صوته بالبكاء فسمع المصريون وسمع بيت فرعون وقال يوسف لاخوته أنا يوسف .. أحى أبى بعد .. فلم يستطع اخوته أن يجيبوه لأنهم ارتاعوا منه » (ص ٤٥ : ٢ـ٣) .. وأضـاف يوسف : « أسرعوا واصعدوا الى ابى وقولوا له هكذا يقول ابنك يوسف .. قد جعلنى الله سيدا لكل مصر .. انزل الى لا تقف .. ثم وقع على عنق بنيامين أخيه وبكى .. وبكى بنيامين على عنقه وقبل جميع اخوته وبكى عليهم .. وبعد ذلك تكلم اخوته معه » (ص ٤٥ : ٩ـ١٥) .. وما أن سمع فرعون بالخبر حتى أمر بعجلات وحنطة وطلب اليهم أن يرجعوا الى أبيهم فى كنعان وأن يحضروه معهم وأولادهم جميعا لأن الملك يستضيفهم فى مصر : « فصعدوا من مصر وجاءوا الى أرض كنعان الى يعقوب أبيهم وأخبروه قائلين يوسف حى بعد .. وهو متسلط على كل أرض مصر فجمد قلبه لانه لم يصدقهم ثم كلموه بكل كلام يوسف الذى كلمهم به .. وأبصروا العجلات التى ارسلها يوسف لتحمله فقال : يوسف ابنى حى بعد . أذهب وأراه قبل أن أموت » (ص ٤٥ : ٢٥ـ٢٨) ..

اذن فاننا واجدون فى الاصحاح ٤٥ نقطتين هامتين :
الأولى : لحظة تعريف يوسف نفسه لاخوته ..
الثانية : لحظة سماع يعقوب بأن ابنه يوسف حى ..
هاتان اللحظتان الهادرتان .. لا شك أن أى قصاص مهما تردى فى ضحالة التفكير .. سيجد فيهما مادة غزيرة للمفاجأة والتشوق .. والانفعالات .. والخشية والاشفاق .. والأمل والألم .. ولا شك أيضا .. أن أى

قصاص لا بد وأن يبلغ القمة فى الاسباغ على هاتين اللحظتين الخالدتين .. فيستطيع القصاص أن يجعل القارىء يشعر بجميع الانفعالات .. فيبكى القارىء حيث يبكى البطل فى القصة .. أو يشفق حيث يشفق .. أو يامل حيث يامل .. ولكن سفر التكوين – كما راينا – فى هاتين اللحظتين العظيمتين قد ضرب عرض الحائط بكل هذه الانفعالات الحارة فجاءت باردة كالثلج ليس فيها أى انفعال .. ولو اننا نقرأ ان يوسف يبكى .. ولكن بكاءه لا يهزنا على الاطلاق .. ولا دموعه تنتزع منا اعجابا أو اشفاقا .. أو ألما .. فلقد مر سفر التكوين على هاتين اللحظتين مرورا أقل ما يمكن أن يقال فيه أن المترجم قد أضاعهما بطريقة أهدرت القصة جميعا : « ويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ! ليشتروا به ثمنا قليلا ! فويل لهم مما كتبت أيديهم ! وويل لهم مما يكسبون ! » والمترجم : « فانما حسابه عند ربه » ..

ويحق لنا أن نتساءل هنا : لماذا كلف يوسف نفسه باجراء خدعة وضع الصواع فى رحل بنيامين ؟ ما دام سيكشف لهم عن نفسه فى الوقت عينه ؟ لماذا لم يخبرهم على الفور بشخصيته ؟؟ ولماذا لم يوقعهم فى تجربة الحيرة على فقدهم لبنيامين ؟ حتى يشعروا بان ما أتوه فى الماضى كان لا يحق أن يصدر عن اخوة لأخيهم ؟؟ فان النصيحة قد لا تفيد مع قوم بعينهم .. بينما تفيد معاناة التجربة نفسها .. حتى يستيقظوا ويفيقوا لأنفسهم ! هذه أسئلة خرجنا بها وغيرها كثير من الاصحاح ٤٥ من سفر التكوين !..

أما القرآن .. فانه يخبرنا بان يوسف لم يكشف سر نفسه أمام اخوته هذه المرة ! ولكن يوسف أجل هذا الكشف الى وقت مناسب حاسم سنذكره فى المرحلة السابعة ان شاء الله فليس مكانه هنا .. فبعد أن تذلل الاخوة الى يوسف ليترك لهم بنيامين ويأخذ أحدا بدله .. تلمس من يوسف ثباتا على مبدئه .. ولما استنفد الاخوة كل أنواع التذلل .. خلوا الى أنفسهم يتناقشون فى هذا الأمر الخطير .. أمر فقد بنيامين .. وكيف أن اباهم قد أخذ منهم قسما بالله العظيم أن يأتوه ببنيامين الا أن يحاط بهم .. وبعد نقاش وجدل طويلين حادين بين الاخوة بعضهم وبعض .. قرر كبيرهم راوبين ان لا يعود مع الاخوة الى كنعان بل يهيم على وجهه فى مصر حتى يصفح عنه أبوه يعقوب أو ياتى حكم الله بالنسبة له .. فبأى وجه يقابل رأوبين أباه ؟ وما على الاخوة الا أن يرجعوا الى أبيهم فيقصوا عليه ما حدث تماما .. وكيف أن بنيامين قد سرق .. وأنهم رأوا هذه الجناية رؤى العين .. يقول القرآن : « فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف فلن ابرح الأرض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين . ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين . » (يوسف ٨٠–٨١) بل وعليهم أن يقولوا ليعقوب كذلك أن يستشهد الحاضرين أثناء عملية التفتيش ويستشهد القافلة أيضا التى أقلتهم الى مصر .. وسيتبين يعقوب أن ما قلناه صدقا : « واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها وانا لصادقون » (يوسف ٨٢) ..

وهكذا انسلخ راوبين من قافلة الاخوة وبقى وحده فى مصر .. بينما عاد الاخوة الباقون الى كنعان تاركين اخاهم الاكبر هناك هائما على وجهه .. وتاركين بنيامين أيضا فى حوزة يوسف .. وهنا قد يتساءل متسائل : لماذا لم يكشف يوسف – فى القرآن – سر نفسه امام الاخوة هذه المرة ؟؟ ولكننا نستطيع ان نجيب على ذلك باجاباتنا السابقة عند تساؤلنا عن الغرض الذى رمى اليه يوسف من الخدعة .. ونضيف هنا سببين آخرين :

الأول : أن يوسف كان فى بداية مرحلة السنين السبع الشداد – مضت سنتان على قول – وهو بسبيل عمل يستنفد وقته وتفكيره فى تنظيمات دقيقة .. وقد وجد يوسف أن اخبار الاخوة بنفسه قد يأخذ منه وقتا وجهدا هو فى اشد الاحتياج اليه فى منصبه الخطير .. واهم من تعريف نفسه لاخوته .. فقد يعوقه هذا عن اتمام رسالته ..

الثانى : خشية يوسف من أن تثور حوله الشكوك .. لماذا لم يظهر ليوسف اخوة الا بعد ان نصب وزيرا على خزائن الأرض ؟ اذن فلا بد من أن يوسف سيكرم اخوته على حساب الشعب وتكون الخزائن وقفا عليه وعلى اخوته وعلى أهله .. فاى عمل قد يعمله بالنسبة لهم يؤوله الآخرون تأويلا فيه تحيز و « محسوبية » الأمر الذى يريد أن يبتعد عنه يوسف ولا يقف مواقف التهم ..

ولقد أجل هذا التعريف لحين رسوخ قدمه وظهوره تماما بمظهر الأمين الذى لن يقع تحت سيطرة احد حتى ولو كان هذا الأحد هو أهله وعشيرته .. فيكون قد ضرب يوسف بهذا مثلا رائعا فى التضحية ونكران الذات ..

ووصل الاخوة الى يعقوب أبيهم فى كنعان .. وأخبروا أباهم بالقصة .. وسمع الأب ما قالوه .. فرد عليهم يعقوب النبى ردا حكيما : « قال بل سولت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعا انه هو العليم الحكيم . » (يوسف ٨٣)

ولكن الأب يعقوب الرحيم يتألم .. ويحزن لفقد ثلاثة اخوة .. يوسف وبنيامين .. ورأوبين .. أى تواترت عليه الصدمات فى غير هوادة أو رحمة .. وحنان الأبوة لا يستطيع انسان مهما كان نبيا أو عاديا أن يكبته طويلا .. فنجد يعقوب يتولى عن أبنائه جميعا ويقول : « يا أسفا على يوسف » (يوسف ٨٤) .. ويزيد الهم عليه .. ويبكى .. بكاء مرا .. وتبيض عيناه من الحزن لفقدهم .. فلم يعد يرى شيئا .. لا يوسف .. ولا بنيامين .. ولا رأوبين .. ولا أى ابن من أبنائه .. أو بيته أو أهله – ولا يرى الصباح والشمس .. أمسى يعيش فى ليل طويل لا يدرى متى يبزغ فجره .. ولكن الاخوة لا يتركون أباهم فى حزنه الذى يضرب من حوله أسوارا قاتمة ؟ بل اننا نجد أن الاخوة يعيرون أباهم .. ويقولون ليعقوب : « تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . » (يوسف ٨٥) ..

ويرد عليهم يعقوب من خلال ظلام دامس أحدثه فقد الشمعتين اللتين كان يمتعهما برؤية يوسف ابنه الحبيب فيقول يعقوب عليه السلام : « انما اشكو بثى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون » (يوسف ٨٦) .

والى المرحلة السابعة فى العدد القادم ان شاء الله .

من أعلام الإسلام

موسى بن نصير

الرجل الذى نشر الإسلام فى أفريقيا وأسبانيا وفتح الأندلس ولم يهزم له جيش

هذا رجل من رجال القدر ، الذين صنعوا التاريخ ، وأثروا فى تاريخ المغرب والأندلس ، وأسهموا فى نشر الاسلام ، والدفاع عن كيانه، والاستبسال فى حمايته ، والذود عن عقائده بالنفس والنفيس .

وقد تولته العناية الالهية ، فما خاب فى معركة ، ولا هزم له جيش ، وظل اسمه طوال القرن الخامس للهجرة (ولد سنة ٤١٠ ، وتوفى سنة ٥٠٠) القائد المظفر ،والبطل الذى بذ مساعير الحروب والميادين . ولا غرابة فى هذا ، فقد كان أبوه « نصير اللخمى » قائدا لجيش معاوية بن أبى سفيان . وولد ونشأ بوادى القرى بالحجاز ، ولما ولى عبد الملك بن مروان ، جعل موسى واليا على العراق ، وكان هذا قد خدم بنى مروان فى دمشق سنين عدة، ونبه شأنه ، فولاه الوليد بن عبد الملك أعمالا كثيرة ، آخرها ولاية أفريقية الشمالية (تونس وما بعدها) .

وكان البربر قد رفعوا راية العصيان فى وجه المسلمين ، فنهض موسى لقتالهم ، وقمع الفتن التى حاكها الروم ، وقضى على الاضطرابات ، وعاقب الثوار من قبائل البربر، وطرد الروم من أفريقية ، وجعل يعامل زعماء البربر بالحسنى ، واحتاط فأخذ من كل قبيلة رهينة ، ووزع رجاله بين تلك القبائل ليعلموا أهلها الاسلام .

فلما اطمأن الى صنيعه واستقر له الأمر ، تقدم حتى بلغ طنجة وحاصرها وفتحها واعتنق أهلها الاسلام ، ووضع بها حامية كبيرة ، تحت أمرة أحد قواده الأمناء من البربر ، هو طارق بن زياد .

وعاد موسى الى مدينة القيروان ، قاعدة المسلمين بالمغرب ، ومن هذه القاعدة جعل موسى يدير أمر البلاد ، وينشر الاسلام بين البربر ، حتى دانوا كلهم بعقيدة التوحيد ، وكان نجاح موسى فى ذلك فوق كل تقدير ، ومن ثم كان الفتح العربى للمغرب ، فتحين : الفتح الدينى ، والفتح العسكرى . وحسب موسى نجاحا أن يضمن — من اعتناق الاسلام، وتلاوة كتاب الله المبين — استعراب البربر

واتجه موسى الى غزو أوروبا ، والقضاء على حصون الروم وقلاعهم ومعاقلهم فى البحر الابيض المتوسط . وقد كانت مراكز للدسائس واثارة الفتن وتدبير الحروب ضد المسلمين ، والاغارة عليهم وعلى أملاكهم .

وأعد لذلك اسطولا ، عقد لواءه لأحد أولاده واسمه عبد الله ، وكان من الصناديد المغاوير، والمحاربين الميامين ، وذهب الأسطول العربى يستولى على العجزر المتاخمة للشاطىء جزيرة بعد جزيزة ، ويضمها واحدة اثر واحدة ، الى الامبراطورية الاسلامية ، وامتد سلطان موسى ابن نصير ، من حدود مصر الغربية ، حتى سواحل المحيط الاطلسى .

ولا خـلاف بين المؤرخين ، ولا سيما المستشرقين كدوزى ولين بول وأمثالهما ، فى أن افريقية « تمتعت بنعمة العدل والحرية ، تحت حكم المسلمين ، واختفت من بين طبقاتها الفوارق الاجتماعية ، وأصبح البربر - بفضل الاسلام اخوانا مع الغزاة من العرب ، يقفون منهم على قدم المساواة لا فرق بين حاكم ومحكوم » .

ويضيف أصحاب تاريخ العرب فى افريقية والاندلس) ، الى ذلك أنه : « تكونت من الفريقين (العرب والبربر) جبهة عسكرية واحدة ، تترقب الفرصة لاعلاء كلمة الدين ونشر مبادئه القوية بين الأمم المجاورة ، وكانت اقرب أمة تجاورهم فى ذلك الوقت هى الأمة الاسبانية ، وكانت تئن من حكم القوط الجائر، فانتهز العرب تلك الفرصة الذهبية ، وقفزوا على اسبانيا وفتحوها » .

أمر موسى بن نصير مولاه طارق بن زياد الليثى ، بغزو شواطىء أوروبا ، فسار طارق على راس قوة عددها ألفـان من البربر وثلاثمائة من العرب ، فاحتل جبـل كلبى ، وقد سمى بعد ذلك : جبل طارق ، وكان هذا فى سنة ٩٢ للهجرة ، ولما علم الملك روذريق بذلك ، حشد جيشـا من القوط والاسبان والرومان ، زاد على أربعين ألف محـارب ، والتقى الجيشان قرب شريش ، حيث التحم روذريق وطارق ، ودامت المعركة ثمانية أيام انتهت بمصرع روذريق بيد طارق .

وواصل طارق احتلال البـلاد بسرعة ، فاستولى قواده على : أستجة ومالقة وقرطبة، واحتل هو طليطلة (وهى فى قلب شبهالجزيرة) وأصاب غنائم كثيرة . واقبل موسى نحو الاندلس فى ثمانية عشر الفا من وجوه العرب والموالى وعرفاء البربر ، فدخـل اسبانيا فى رمضان سنة ٨٣ هـ ، فاحتـل قرمونة واشبيلية وتابع السـير حتى بلغ طليطلة ، سالكا طريقا غير الذى سلكه طارق . ثم التقى به ووجهه لاخضاع شرقى شبه الجزيرة ، وزحف هو مغربا ، واجتمعا أمام سرقسطة ، فاستوليا عليها بعد حصارها شهرا .

وتقدم طارق فافتتح برشلونة وبلنسية ودانية وغيرها ، فى حين كانت جيوش موسى تتوغل فى قلب شبه الجزيرة وغربها . وهكذا تم للمسلمين فتح ما بين جبل طارق وسفوح جبال البرانس فى أقل من سنة .

وقد أغرى هذا النصر المبين موسى ، على التفكير فى مشروع جليل الخطر ، وهو فتح طريق للاسطول العربى من القسطنطينية الى المشرق ، بحيث يكتسح أوروبا كلها ، ويعود الى سوريا عن طريق شواطىء البحر الاسود، لولا أن الخليفة الوليد بن عبد الملك خشى مغبة المغامرة ، وخاف عاقبة التوغل ، فكتب اليه يأمره بالعودة الى دمشق .. ولم يكن ثم مفر من الطاعة .

وفى راى الجمهرة الكاثرة من المؤرخين ، أن موسى - وقد استولى على جنوب فرنسا - لو ترك وشأنه لاستطاع تنفيذ مشروعه ، فقد كانت كل سبل النجاح ميسورة له ، ويكفى أن ممالك أوربا واماراتهـا ، كانت فى ذلك الوقت ، مفككة العرى الى أقصى حد ، ضعيفة أشد الضعف ، فما ثم رابطة دينية تجمعها ، ولا وحدة سياسية تلم شعثها ، ولا جامعة قوية تربط بينها .

* * *

ويذهب بعض المؤرخين الى أن التدليل على صحة ما يذهبون اليه ، بتناصر ملوك أوروبا

وتنافر أمرائها ، ويذكر بعضهم قصة تناهت في الغرابة ، ملخصها أن المدينة الوحيدة التي استعصت على موسى ، هي مدينة سبتة ، وذلك لمناعتها ووصول المدد اليها من اسبانيا عن طريق البحر ، وكان يحكمها من الرومان أمير اسمه جوليان . فلما امتنعت هذه المدينة على جيوش المسلمين ، دون سائر مدن المغرب الاقصى حتى طنجة عاصمة بلاد المغرب وأعظم مدنه ، اضطر موسى الى حصارها برا ، ووكل ذلك الى قائده طارق بن زياد ، وعاد ـ كما أسلفنا القول ـ الى مدينة القيروان ، قاعدة المسلمين بالمغرب .

ثم حدث أمر لم يكن في الحسبان ، اذ قام بين الكونت جوليان ، ولذريق ملك اسبانيا القوطية ، عداء دفع جوليان الى تحريض العرب على غزو أسبانيا . وقيل ان سبب نقمة جوليان على رودريجو (أي لذريق) ملك القوط ، فعلة شنيعة فعلها بابنتل فلورندا .. فقد كانت العادة وقتئذ أن يرسل الامراء بناتهم الى بلاط الملك بطليطلة للتأدب والتهذيب وتعلم آداب الملوك . وكان جوليان قد بعث ابنته فلورندا الى بلاط رودريجو وفقا للعادة المتبعة . وكانت فلورندا بارعة الجمال ، فوقعت موقعا حسنا في عين رودريجو ، فاستدرجها اليه واستكرهها .

وعلم جوليان بما حدث لابنته ، فغضب لذلك أشد الغضب ، واقسم على الانتقام من رودريجو انتقاما رهيبا ، فأجاز الى اسبانيا وآثر أن يكتم ما بنفسه حتى يسترد ابنته . وذكروا أن رودريجو أنكر عليه مجيئه في ذلك الوقت ، فتعلل جوليان بقصة ابتكرها من وحي خياله . فقد ادعى أن زوجته في أشد حالات المرض ، وانها تتلهف لرؤية ابنتها ، وتلح في ذلك الحاحا متواصلا قبل أن يدركها الموت . فتأثر رودريجو لما حدث ، ووافق على طلب جوليان استعادة ابنته .

وقيل : انه لما ودعه ، قال له رودريجو : اذا قدمت علينا ، فاستفره لنا من الشذانقات اجمع شيذق أو شواذق ، وهي : الصقور التي لم تزل تطرفنا بها فانها آثر جوارحنا لدينا فأجابه جوليان : أيها الملك ، وحق المسيح لئن بقيت لأدخلن عليك شذانقات ما دخل عليك مثلها قط . وعرض له بما كان يضمره في نفسه من السعي في ادخال العرب أسبانيا .

ويفسر بعض المؤرخين ذلك ، بأن جوليان ذهب الى موسى بن نصير ، حيث أخذ يصف له ما في الاندلس من مزايا ومنافع ومرافق وأنهار ومزارع ، ثم أتبع ذلك بشرح مواطن الضعف فيها ، والعودة منها ، ويضع يده على مكانها ، ويذلل له كل صعب ، ويهون عليه أمر فتحها ، ويبرهن على صدقه بأن عاهده على جمع عدد كبير من الأمراء الذين اغتصب الملك رودريجو حقوقهم ، وهم في شغل شاغل للاخذ منه بثأرهم .

وما من شك في أن موسى قد افاد من هذا اللقاء فائدة عظيمة الشأن ، وحسبها أن كان وولاية ابنه سليمان . فما كان من سليمان

وقد أسرف سليمان بن عبد الملك ، في ايذاء الخليفة الوليد بن عبد الملك الى دمشق لمناقشته في مشروعه الذي كان يلم بخاطره ، وهو مشروع الطريق الى دمشق عن طريق البحر الاسود ، ويأبى القدر الا أن يدخل دمشق في سنة ٩٦ هـ ، بعد وفاة الوليد وولاية ابنه سليمان . فما كان من سليمان الا أن عزله عن امارة المغرب ، انتقاما منه ، لان موسى لم يحسن الشهادة في حقه ، ولانه كان من أنصار الوليد بن عبد الملك .

وقد أسرف سليمان بن عبد الملك ، في ايذاء ذلكم القائد العظيم ، الذي يعد من مفاخر التاريخ الاسلامي ، وحسبه أنه فاتح الاندلس الذي أنشأ حكومة ، وصفها المستشرق الانجليزي ليدبول ، بقوله :

« لقد أنشأ حكومة قرطبة التي كانت أعجوبة القرون الوسطى ، في الوقت الذي كانت فيه أوربا ، تتخبط في ظلمات الجهل ، فلم يكن ثمة سوى المسلمين من أقام بها منار العلم والمدنية » .

في مؤتمر القمة

لقى هذا الحدث التاريخى من الاحتفال به ، والدرس له ، والأمل فيه ، والتعليق عليه ، ما لقى من مصر والوطن العربى والعالم كافة ، وتنوع الحديث عنه من شتى نواحيه ، واضطلع بذلك خبراء السياسة والاقتصاد ، والبصراء بأحوال الشعوب ، الذين يصاحبون الأحداث ، ويستملونها النتائج والعبر .

وكل من أصغى لهذا الحدث وتتبع خطاه ، انما يبارك سعيه ، ويرنو فى لهفة الى ثمراته الطيبة .. واعداء العرب انفسهم يثقون بالخير الناشىء عنه وثوقا يورثهم الفزع والخوف ، وينذرهم بالويل والثبور .. ويهدد كيانهم الذى بنوه بالزور والبهتان والعسف والضلال .

وتلتفت عينى وقلبى الى معان كريمة تزيدنا أملا فى يمن المؤتمر . وتطلعا الى الخير الذى نترقبه . والمجد الذى تتطلع الأعناق اليه .

الدكتور محمد كامل الفقى

تلك هى المعانى الاسلامية التى تنبض فيه بالحس والحياة ، والظواهر الدينيـــة التى تواكب ركبه ، وتحنو عليه بظل ظليـــل .. فكل أمر جل أو هان متى نبع من الدوافـــع الاسلامية ، واســـتند الى روح من شرع الله ودعائمه الشداد ، فهو مكفول النصر ، مأمول الثمرة ، دانى القطوف باذن الله ، وكل أمر يجافى هـــذه الخواص فهـــو متعثر كالذى يتخبطه الشيطان من المس رغم ما يسانده من قوى مادية ، أو سلاح عات ، أو بأس شديد .

ان ذلك الحدث المبارك ينزع فى مبتـــدئه ومنتهاه الى تحرير الأوطان الاسلامية والأقطار العربية من الدخيل الذى استمرأ خيرهـــا . وعاث فسادا فى أرضها . واذل اعناق اهلها وبذر فى آفاقها المختلفة بذور الخلف والتخلف .. وسخر أرضها وسماءها ، وبرها وبحرها ، لغناه وعتوه واستعلائه . وشد أيدى أهلهـــا باغلال من حديد قرونا متوالية ، فلم تستطع أن تغرس ـ لنفسها ـ أرضها الطيبـــة . أو تستخرج كنوزها ، او تمتد الى أيدى اخوتها ، لتبايع على استقلال أو نهضة أو كفاح ، حتى اذا اذن الله لهذه النهضة ، وصحت العزائم التأم الشمل ، ولبى كل ملك ورئيس وزعيم عربى دعوة الله للمسلمين ان يفزعوا للتحرر من الدخيل . وأن يطهروا وطنهم ما بين المحيط والخليج من رجس كل عدو لله ولدينه ولأتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ..

ولعل أهم ما يحرص عليه الدين أن يعيش المسلمون دائما أحرارا فى أرضـــهم ، لا يستعبدهم أحد وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

وكم عانت البلاد العربية من اذلال الدخيل لها ، وكيده الرخيص للاحرار من أبنائهـــا ، واطفائه جذوة الجهاد فيها . وكم قدمت فى سبيل هذه الحرية من شهداء أعزة عليهـــا ، فالدعوة التى يدعو اليها هـــذا المؤتمر الكبير انما تهدف لتحرير الوطن العربى ، وأن ترفع عن ظهوره أسواط الدخلاء ، وأن يجـــد أهله سبيلهم الى الكرامة والعزة والعمل الجاد المثمر الذى يبنى للاجيال المقبلة كل ما ترجـــوه من شرف ومجد .

ومن قبل هذا اللقاء العظيم والدعـــوة الى الوحدة الشاملة تتصايح من هنا ومن هنـــاك ولا تلبث أن تذهب صدى خافتا ، ولكـــن لقاء هذه التيجان ، واجتماع تلكم القادة ، مد فى صوت الوحدة ، وأرسى قواعدهـــا ، ونحى العقبات من سبيلها . وعبـــد طريقها ، وأدنى ثمـــارها . فاستظلت بظلها الرسمى دول ، وأوشكت أن تعقد الخناصر عليهـــا دول . والمسلمون كاليد الواحدة تتكافأ دماؤهـــم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهـــم يد على من سواهم .

ولقد جنينا من المؤتمر الأول بشائر الوحدة المؤمنة . فتبدد خلاف ما كان يحله التراسل والسفارات . ورغم الخلافات العقائدية بين العواصم العربية امتدت الأيدى فى حب ورغبة ومودة . وتمزقت سحائب الجفوة بين العرب ، فزالت الخصومة بين الجزائر والمغـــرب ، وولى الخلاف بين الاردن واليمـــن ، حتى اعترفت الاولى بحكومة الثانية ، وما نخـــال السعودية الا سائرة على هدى تلك الطريق ، والامل فى الله أن تقرأ هذه السطور . وقد التأم الجرح ، واتحدت الكلمة .

ان تلاقى القيادة العربية معنى من أجـــل **المعانى الاسلامية ، فالدين يحب أشـــد الحب أن يباهى بوحدة المسلمين أعداء المسلمين .. وان يكون المسلمون فى مظهر الجماعة والوحدة الكاملـــة . ليكون ذلك شـــجى فى حلوق خصومهم .**

ولأمر ما دعا الدين الحنيف الى مؤتمـــر الحج الأكبر يلتقى فيه مئـــات الألوف من الحجيج فى صورة واحدة وغاية واحدة .

ولأمر ما لم تجز صلاة الجمعة الا فى المسجد الجامع يفصح عن رونق الوحدة والاخاء .

ولأمر ما كانت صلاة العيدين مؤتمرا هادفا هاديا بروح الجماعة فيه الى القوة والمنعة .

ثم لأمر ما فضلت صلاة الجماعة صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

لقد كان من اثر هذه الوحدة التى يباركها الله أن قدمت المساعدات للجزائر الشقيقة ، ما تتطلع اليه الشريعة من أن يقوم جيش - ان شاء الله - معونات أخرى تبذل لبعث اليمن من تخلفها الذى رزحت تحت أعبائه زمنا طويلا ..

وهل أبلغ فى هذه الوحدة التى هى غاية ما تتطلع اليه الشريعة من أن يقوم جيش عربى موحد القيادة والهدف لا يوقف المد الصهيونى فحسب ، بل يستأصل جذوره من أرض عبث فيها بعون جبابرة عتاة ؟

وهل أبلغ فى هذه الوحدة من تقديم الأموال التى تهيىء الافادة من مياه نهر الاردن ؟..

ثم هل أبلغ فى هذه الوحدة من اجتماع الرأى على اقامة الكيان الفلسطينى والعودة لهذه الديار الحبيبة بعد أن مزقتها يد الآثم الدخيل ، وذهب فى الذود عنها من قبل جند وأبطال عرب ؟

ان مما لاريب فيه أن العرب الذين استظلوا بظل هذه الدعوة سيجودون بكل مرتخص وغال لحماية الجنوب العربى المحتل حتى يحمل الغاصب عصاه ويرحل عن ارض يغصبها ويسيم الخسف والهوان المجاهدين من أهلها ..

ان من اليمن أن نشهد سبعين مليونا عربيا فى صورة الأمة الواحدة ، وأن نرى وسائل الاعلام فيها على تباينها وتباعدها تذيع نغم الوحدة الحبيب .

ومتى اتفقت كلمة القادة ، وائتلفت وجهتهم - وهى كذلك بعون الله - كانت الشعوب من خلفهم صفوفا متراصة . تحمد الود والمحبة .، وتجد فيهما غذاء وريا . ونغما حلوا شهيا .

ان الاسلام يدعو الى القوة والمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف . والوحدة غرة القوة وتاج البأس . والغاء القواعد العسكرية الرابضة فى الوطن العربى قوة وبأس. وانتفاع العرب ببترولهم وبغلاتهم دون المستعمر قوة وبأس .

وما يرضى الله عن أمة تغرس بالعرق والجهد بذورا ثم ترضى أن يجنى الدخيل عليها غرسها وثمارها .

وقد قرأنا انوفود ثمان دول عربيةمشتركة فى المؤتمر الدولى لاستخدام الذرة لأغراض سلمية بحثت اقامة منظمة اقليمية للطاقة الذرية ، وهذا اتجاه قوى ينبع من عقول حطمت الأغلال .. وقلوب صممت على حياة المجد والعزة ، واستجابت لنداء الله الذى يقول :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. »

ويوم أن يسفر الصبح على هدف واحد فى الثقافة الاسلامية المتبصرة . وتبسط كل دولة عربية فى مناهج التعليم الدينى على تشابه أو تماثل . وتجعل من كتاب الله دستورها وحكمها الذى لا يضل ولا ينسى .. يوم أن نكون كذلك فسنجد الزمان استدار كهيئته يوم أن كان العرب تيجان الدنيا وسادتها .

« كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز » .

دراسة حقوق المرأة فى الاسلام

الأستاذ سليمان حسن عبد الوهاب

تبارت أقلام الكاتبين فى هذه الايام فوق الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية ، حول حق المرأة فى القضاء وتنافست حججهم • ومما ساعد على بقاء المعركة طويلا مظاهرة بعض المتحمسين للمرأة ، من علية القوم وكبار الكتاب . بله بعض الكاتبات من النساء البارزات اللائى تخرجن فى الجامعات • وثقفن ثقافة عالية • وغايتهن أن يرثن مجد الرجل الذى تملكه دونهن منذ ظهور حواء مع زوجها آدم على ظهر البسيطة •

وهذا بحق موضوع خطير يمس المجتمع • ويتصل بصميم الحياة • فيجب أن تمحص فيه الآراء • وأن يسمع لكلمة الاسلام فى هذا الموضوع • فان الاسلام فى حقوق المرأة آراء دلت الوقائع وبينت التجارب على أنها كفيلة بسعادة المرأة ومحققة لآمالها فى المجتمع •

لم يشأ الاسلام ان يتغابى عن المرأة • وأن يتناساها • بل اعترف بشأنها فى الحياة • ووجودها فى المجتمع • واعتد برسالتها في تكوين الاسرة • وقدر أنه لاغناء للرجل عن المرأة لأن النساء شقائق الرجال . وأنها النصف المكمل للرجل قال تعالى : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة . وجعل منها زوجه ليسكن اليها » وقال تعالى : « يايها الناس اتقوا الله الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام » .

فلهذه الصلة الوثيقة التى لا تنفصل بين الرجل والمرأة حدد الاسلام علاقة الرجل بالمرأة وفصل حق النساء تفصيلا . ولم يفرط فى حقوقهم . وستدركون بحق أن الاسلام دين المرأة • ودستورها المكتوب • أفاض عليها من ضروب التكريم والتقدير وأنصفها كل النصفة ومتعها متاعا حسنا •ومنحها من الحقوق مالم تحلم به من قبل فى قانون سماوى أو وضعى وأعطاها كثيرا من المزايا الاجتماعية والادبية والسياسية من قبل أن يخلق المجتمع الحضارى فى دول أمريكا وأوربا • ومن قبل أن كانت المرأة فى تلك الدول نسيا منسيا • ولم تكن شيئا مذكورا •

ففى الاسلام نساء بارزات أقمن حضارة فى الاسلام راقية • وفى باكورة الاسلام فى الصدر الاول منه نشأت مسلمات شاركن المجتمع فى خطواته • واشتركن اشتراكا فعليا فى تجمعاته وأخذ برأيهن فى كثير من المشاكل ، مثل أسماء بنت أبى بكر . وعائشة زوجة الرسول . وفاطمة بنت الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأم عطية والخنساء وأم حبيبة . وأم سلمة وغيرهن من النساء الفضليات اللاتى ساهمن فى ظهور الاسلام مساهمة رفيعة وقد رأيت أن الحقوق التى منحها الاسلام للمرأة لا تعدو هذه الثلاثة .

١ – حقها الاجتماعى •
٢ – حقها السياسى •
٣ – حقها الشخصى •

حقها الاجتماعى :

المرأة شقيقة الرجل فى المجتمع •وشريكته فى الحياة وراعية ماله • ومربية ولده • والحافظة لسره وغيبه • وسفيرته بين جيرانه وأقربائه • فلذلك منحها الاسلام مزايا اجتماعية عديدة . وهيأ لها السبل لاداء رسالتها الاجتماعية على وجه صريح لاتشكو منه ظلما ولا هضما – فاذا كانت زوجة فيجب عليها أن تطيع زوجها • وأن ترعى بيته وماله • وأن لاتأذن لاحد بدخول بيت زوجها الا اذا علمت رضاه فان ذلك ابقى للمودة • واطهر للقلوب • قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها » وقال – صلى الله عليه وسلم – « لاتجد امرأة حلاوة الايمان حتى تؤدى حق زوجها » رواه الحاكم. وقال – صلى الله عليه وسلم – « المرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها » ، وقال – صلى الله عليه وسلم – « لايحل لامرأة أن تدخل بيت زوجها أحدا الا بأذنه » البخارى . واذا كانت أما وجب عليها أن – ترضع أولادها من لبانها حتى لايهزلوا • وأن تقوم على تربيتهم حتى لايضيعوا . قال تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن اراد أن يتم الرضاعة » ووعظ الرسول يوما النساء فقال من رزق ثلاث بنات فصبر على تربيتهن كن حجابا له من النار يوم القيامة . فقالت امرأة أو اثنتين فقال أو اثنتين » وفى رواية أخرى عن جابر • فقال بعض القوم لو أنها قالت واحدة لقال واحدة – رواه أحمد • وقال – صلى الله عليه وسلم – ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع » – ولا تنس أن الاسلام بجانب هذا وعد المرأة ، التى تساعد زوجها فى عمله او عيشه • بأن تقوم على تجهيز طعامه وترتيب شئونه ، حسن ثواب الدنيا •. وجزاء الاخرى • شكت أسماء بنت ابى بكر الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كثرة عملها فى بيت زوجها الزبير وانها تحمل النوى لفرسه من طريق بعيد فقال لها رسول الله ، اصبرى فانك ستكونين زوجته فى الجنة » وهذه فاطمة بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مجلت « احمرت » يدها من ادارة الرحى وسألت والدها خادما يساعدها فقال لها رسول الله « آلا ادلك على خير من ذلك ؟ قولى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله » ولا يمنع الاسلام امرأة تعمل بيدها وتكسب قوتها بعرق جبينها حتى لاتكون عالة على غيرها او تاكل من كسب وبئ يخدش شرفها • قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « المغزل بيد المرأة خير من الرمح بيد المجاهد » وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « دخلت الجنة فوجدت امرأة سعفاء سبقتنى اليها فقلت لها بم سبقتنى ؟ قالت مات زوجى وترك لى أولادا صغارا فلم اشأ ان أتزوج وحبست نفسى على تربيتهم ولم اضيعهم •

فقال الرسول : « تستحقين ان تسبقينى الى الجنة » ·· وللمراة الاسلامية فضل السبق الى فعل الخيرات ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ياعائشة اتق النار ولو بشق تمرة » كما ان لها فضل السبق فى اسعاف الجرحى ومعالجة المرضى خلف الجيوش الاسلامية بل انهن خرجن كفازيات وجنديات ليقفن وراء الصفوف . ويحرسن المتاع · ويعددن الطعام ويسقين الماء ويحملنه على ظهورهن للجند المقاتلة · روى مسلم عن أم عطية قالت : « غزوت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبع غزوات اخلفهم فى رحالهم فاصنع لهم الطعام · وادواى الجرحى واقوم على المرضى ·

وروى مسلم عن انس قال لقد رايت عائشة وام سليم يوم أحد يحملان الماء على متونهما ثم يفرغانه فى افواه الجرحى - وعنه ايضا أن أم سليم اتخذت خنجرا يوم حنين لتطعن به كل من يقربها من المشركين وقال كان رسول الله يغزو بأم سليم ونسوة من الانصار معه اذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى · ولم يقتصر نشاط المراة الاسلامية على ماذكر ، بل شاركت الرجل فى العلم والتثقيف · وكانت الصحابة تقف بباب نساء النبى يسالونهن عن امور الدين وعما خفى عليهم من امر الوحى · وقد روى البخارى ومسلم وسائر كتب السنة لعائشة : فيضا كثيرا من الاحاديث وصح عن الرسول انه قال : خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء « يعنى عائشة » · وهذه وافدة النساء جاءت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم تقول غلبنا عليه الرجال فاجعل لنا يوما ولهم يوما · فجعل الرسول ياتى الى صف النساء ويعظهن ويعلمهن كما يعظ الرجال - كانت بنت الامام مالك تجلس وراء الباب حيث يقرا ابوها الموطا على التلاميذ فكان القارىء اذا اخطا ولم يتنبه اليه دقت الباب فيقوم الامام للقارىء صحح فا نوراءنا الحافظة الضابطة وقد اعترف الاسلام بحق المراة فى ملك المال والعقار ومتاع الدنيا واباح أن تكاثر بمالها فى تجارة أو زراعة ·وحماها من الاعتداء عليها من زوج أو ولى قال تعالى : « ولا يحل لكم أن تاخذوا مما اتيتموهن شيئا · وقال : « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن » ··

حقها السياسى :

السياسة تحتاج غالبا للمنافسة وتمتاز بالمكافحة ولا تستغنى عن الظهور والمشاركة لذلك حدد الاسلام حقوق المرأة السياسية ولم يطلقها اطلاقا · ولم يقيدها تضيقا · وانما ذهب الاسلام مذهبا وسطا وخير الامور اوسطها · حفظا لكرامة المراة أن تمتهن · وضنا بشرفها ان يبتذل وصونا لعفتها ان تبور · اباح لها القدر الذى يناسب أنوثتها · ويتفق ووظيفتها · ويسمو بعقليتها · خرجت أم عطية فى نسوة من الانصار الى بيت النبى - صلى الله عليه وسلم - يبايعنه فلما مد النبى اليهن يده وعاهدهن على أن لايشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن - قالت أم عطية فقبضت يدى · وقلت يارسول الله « اشترط » ان بنى فلان اسعدننى فى الجاهلية ولا بد من أسعدهن · فقال الرسول لك خاصة » رواه البخارى ·

وقد نزل قوله تعالى : « يأيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم » وهذه خوله ذهبت الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - تشكو زوجها وتبسط حالته الخاصة للرسول ليقضى لها بما امر الله فنزل قوله تعالى « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير » ·

وخطب عمر فى يوم جمعة ينهى الناس عن المغالاة فى المهور فقامت اليه امرأة من صفوف النساء على مشهد المصلين وقالت مه ياعمر أنت تقول درهما · والله يقول «وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا» . فقال عمر اصابت المراة وأخطأ عمر · ففى هذه الوقائع الثلاث بيان لحق المراة فى المبايعة الدينية وحق التقاضى وحق اعلان رايها والدفاع عن عقيدتها امام الحكام وأولى الامر وقد خرجت عائشة فى واقعة الجمل مؤيدة للزبير فى خلافه مع على بن ابى طالب - وهى من هى ؟ فى المحل الارفع من الدين ·· بل نتجاوز هذا الى غيره · حينما دخل الرسول عليه السلام مكة فاتحا جاءت أم هانىء بنت أبى طالب وأخت على الى رسول الله عليه السلام وقالت يا رسول الله انى أجرت رجلين فقال رسول الله « أجرنا ماأجرت يا أم هانىء » وللمراة المسلمة أن تجير وتحمى ويقر الاسلام اجارتها وحمايتها كما ثبت ذلك فى صحيح الاحاديث · وهذا حق سياسى بارع اكتسبته المراة المسلمة تحت ظل الاسلام الظليل .. ولا تنس أن الاسلام أقر افتاء المراة · وامرها بطلب العلم ·

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة الا فتعلموا او علموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالا » ·

والشهادة من الحقوق السياسية التى اثبتها الاسلام للمراة . ولكن جعلها على النصف من شهادة الرجل . لأن العليم الخبير خلق المراة من ضعف . وهذا الضعف الذاتى قد يخون المراة فيفلت من يدها زمام الشجاعة الادبية قال تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى» . ولم يهمل الاسلام رأى المراة عند اختيارها لشريك حياتها ومؤسس الاسرة معها . بل اعتد برأيها وبنى عليه صحة العقد الشرعى روى البخارى أن خنساء بنت خدام الانصارية زوجها أبوها فكرهت ذلك فاتت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « فرد نكاحها · وروى مسلم عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « الثيب احق بنفسها من وليها . والبكر تستأذن فى نفسها واذنها صمتها » - ومن ظاهرة الاعتداد بالمراة فى نظر الاسلام انها مسئولة كالرجال امام القانون فاية مخالفة ترتكبها المراة توجب الحكم عليها لايشفع فيها ضعفها أو اى وسيلة أخرى · فهذه السيدة الشريفة التى سرقت وحكم الرسول بقطع يدها وجاء الشفعاء الى رسول الله فقال لاشفاعة فى حد من حدود الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ·

وتلك المراة التى زنت وهى محصنة فرجمها رسول الله فامتنع الناس عن الصلاة عليها · فأمر الرسول بالصلاة عليها وقال لقد تابت توبة لو ان جميع اهل المدينة أذنبوا لوسعتهم توبتها · انها جادت بنفسها فى سبيل الله - ولا يغيب عن اللب ان المراة يكلفها الاسلام بدفع الضرائب أسوة بدفع الزكاة متى كانت مالكة للنصاب · لان من حق المراة ان تملك · وان تتاجر وان تتصرف فى اموالها كما تشاء فى حدود القانون · ومن حق الدولة عليها ان تدفع جميع الالتزامات المطلوبة للدولة · ومن الحقوق السياسية التى ثبتت للمراة حق التوظف والعمل فى المصالح والشركات وقد برهنت المراة بعد ان - اسند اليها العمل الحكومى بجدارة واستحقاق ·· ولذلك نالت فى هذه الايام حق الانتخاب العام فلها

ان تنتخب وان تنتخب وان تكون نائبة عن بنات جنسها فى مجلس الامة كما لها ان تتولى الامامة الصغرى فى الصلاة ، بأن تكون امامة للسيدات ، اما الامامة الكبرى وهى تولى رئاسة الجمهورية ، فهذا مما اجمع عليه المسلمون بالمنع لان المراة ليست اهلا لتولى تلك الرئاسة وذلك لان الرسول قال يوم ان تولت بنت كسرى ملك فارس كما روى البخارى « ما أفلح قوم ولوا أمورهم امراة » ولذلك انهارت الدولة بعد أن تولت شئونها .

حقها الشخصى :

١) حرية الرأى . للمراة المسلمة أن تجهر برايها . وان تشارك المجتمعات فى آداء المقترحات . وقد ادلى النساء المسلمات فى عصر الصحابة بآرائهن . كما فعلت عائشة فى واقعة الجمل وكما قامت امراة فى مسجد الرسول تعلن رايها بين يدى رسول الله فى تربية البنات وكما فعلت أم عطية حين أخذت العهد بالايمان واشترطت شروطا قبلها رسول الله عليه السلام .

ب) ومن هذه الحرية التى قررها الاسلام لها اختيار الزوج الذى سيكون شريك حياتها كما روى البخارى فى حديثه عن خنساء بنت خدام التى كرهت الزواج من شخص معين ورد الرسول زواج ابيها واقرها لادارة شئونها المالية والتجارية بدون أن يحجر عليها أحد . ولو كان غير زوجها .

ج) وللمراة حق اختيار المهنة التى تعمل لها من تعليم أو تجارة أو وظيفة عامة لان الاسلام اتاح للمراة ان تعمل فى خارج منزلها لتساعد زوجها وأولادها كما ثبت فى حديث اسماء بنت ابى بكر وفى حديث فاطمة . وقد كانت السيدات فى زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعملن كممرضات وفى خدمة الاسعاف فى الغزوات . كما روى عن عائشة وأم سليم فى الحديث الذى رواه مسلم . كما كن يقمن بعمل المرشدات فى أيام الغزو . روى مسلم ان عائشة وام سليم كانتا تحملان الماء على ظهريهما لسقى الجرحى ، وروى مسلم أن أم سليم اتخذت خنجرا يوم حنين لتطعن به من يقرب من الجيش ومن ذلك تولى الوظائف العامة فى الدولة .

د - المساواة :

ساوى الاسلام بين الرجل والمراة فى اقامة شعائر الدين . فلا فضل لرجل على امراة ولا امراة على رجل ، فى الحج أو فى الصوم . وانما التشريع موحد بين الجميع قال تعالى : « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون » وقال تعالى « فاستجاب لهم ربهم انى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » وتامل قوله تعالى وتدبر اذ يقول « لاأضيع عمل » فالعمل الصالح كل شيء له فائدة للناس كالزراعة والتجارة والصناعة وما الى ذلك من أعمال الدولة . وتامل ايضا قوله بعضكم من بعض . لان النساء كما قال رسول الله شقائق الرجال . غاية الامر أن الاسلام فرق بين الرجل والمراة فى أمرين الاول : - فى مسألة الميراث لانه جعل نصيب المراة النصف من الرجل يقول تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » لان المراة قد تكون عادة فى حماية زوجها . وقد تكون منفردة . فاذا كانت فى حماية زوجها عوضها الزوج بدلا من النصف الآخر الذى فاتها . واذا كانت منفردة كانت فى كفاية عيش بل انها قد تكون فى رفاهية عن أخيها لان الرجل مطالب بتكاليف فى أكثر أحيانه لانه رب أسرة تحتاج الى رعايته وحمايته .

الثانى : انه جعل شهادتها على النصف من الرجل فى الامور المالية لان العليم الخبير خلق المراة من ضعف وهذا الضعف الذاتى قد يخون المراة فيفلت من يدها زمام الشجاعة الادبية فتضل قال تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون - من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر أحداهما الاخرى » ، ورد أنه لما نزلت آية المواريث احتج النساء وذهبن الى رسول الله وقلن يارسول الله . ان الله سوى بيننا وبين الرجال فى الصلاة والصوم والزكاة والحج . فلم لم يسو بيننا وبينهم فى الميراث . فنزل قوله تعالى « ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسالوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما » .

بقى أن نقول كلمة عن حق توليتها القضاء فقد سبق أن السلف الصالح وعلماء الامة لم يوافقوا على ان تلى المراة القضاء لا امتهانا ولا اتهاما ولا بخسا لرايها . ولكن لما عرف عن المراة شدة العاطفة وانها ذات احساس رقيق . وأن اعصابها تتهيج من ابسط الكلمات . وكثيرا مابكت المحاميات فى ساحة القضاء لمجرد كلمة توجه اليها من زميلها . أو من هيئة المحكمة . وكثيرا ماتؤثر فيها الدمعة الكاذبة . والابتسامة المعسولة . فالقاضى يجب ان يكون حازما . معتدلا فى عواطفه متينا فى أعصابه حتى لاتعصف به الاهواء . وفوق ذلك فان المعروف عن جسم المراة الضعف . وعدم الاحتمال . والقضاء فيه مشقة ويحتاج الى صبر . ولا تطيق المراة الساعات الطوال لتفكر وتدبر فيما وكل اليها من شئون الحكم والقضاء .

اما الآن فقد تبدل الرأى . وتغير الحكم لتغير الاسباب والملابسات . فالمراة حقا كانت فى سالف الازمان حبيسة بالمنزل . ومحجور عليها أن تخرج الى المجتمع اما اليوم فقد خرجت الى المجتمع وذهبت الى الجامعات . ودخلت المصانع .واشتركت فى مجلس الامة ونالت من الحقوق مانا له الرجل وأصبحت متساوية له فى جميع الواجبات . وبما أن المراة اليوم قد ظهرت وبزت الرجل فى بعض الاعمال فقد تولت التدريس . وأصبحت عميدة فى المدارس والمعاهد وتولت المحاماة . وادارة المصانع والشركات ونجحت فى ذلك نجاحا باهرا . وفى المؤتمر الوطنى ظهرت مواهبهن . واستطاع رئيس الدولة أن يقف على مواهبهن وقدرتهن . فاختار سيدة لتكون وزيرةللشئون الاجتماعية .. وقد استطاعت تلك السيدة بموهبتها وحكمتها ان تدير تلك الوزارة ادارة رشيدة . ولا يمكن لاى عاقل ان ينكر موهبة المراة بعد ظهور الكاتبات والمحاضرات والمؤلفات وقدرتهن على ادارة شئون المصالح فهناك نوع من القضاء أيسر من ادارة الشركة أو ادارة الوزارة . فينبغى أن نفسح لها الطريق بعد ان عرف نجاحها فى الدفاع امام القضاء أن تتولى شئون القضاء فى بعض أمور الاحوال الشخصية والعقوبات البسيطة وأظن ان المراة ستنجح فى هذا الدور اما ان تلى قضاء الجنايات والقضاء المالى فهذا لم يات دوره بعد . ولا يمكن ان نغمط حق المراة بعد أن برهنت على جدارتها وعلى ثقافتها وعلى نضوجها والله يهدى الى سواء السبيل . وهو ولى التوفيق

تبوك

آخر غزوات النبى صلى الله عليه وسلم

الأستاذ محمد فاوى عسر

(مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم · والله يختص برحمته من يشاء · والله ذو الفضل العظيم ·) صدق الله العظيم ·

غزوة تبوك كانت آخر غزوات النبى صلى الله عليه وسلم · وكان لهذه الغزوة مقدماتها ونتائجها البعيدة المدى · وهى فى مجموعها لاتقل خطرا ولا روعة عما يمكن استخلاصه من غزوة بدر ·

فقد كانت غزوة تبوك بين المسلمين وبين جيرانهم فى الشمال من أهل الكتاب وهم نصارى الروم · وكانت غزوة لابد منها بعد ان جاوز التنافس بين المسلمين والنصارى حد الجدل الى حد القتال المسلح قبل ذلك بقليل فى غزوة مؤتة · وبعد ان جاهر الروم بعدائهم - على أوسع نطاق - لهذا الدين ولسكان شبه الجزيرة بعد أن كانت هذه المنطقة مكانا لايستدعى انتباه الروم وتفكيرهم بالقياس الى جارنهم وعدوهم الاكبر دولة فارس ·

وكان الروم يهددون بغزو شبه الجزيرة العربية · كما كانوا يؤلبون القبائل فى الحدود الشمالية ، ويجمعون شتات من طردهم النبي

من بلاد العرب جزاء نفاقهم وخياناتهم من اليهود وغيرهم .

فأما غزوة مؤتة التى كانت مقدمة لغزوة تبوك ـ فقد قامت عندما بعث النبى صلى الله عليه وسلم بسفراء من عنده يدعون هرقل ملك الروم الى دعوة الاسلام . فكان ان قام احدعماله بقتل سفراء المسلمين والتنكيل بهم . فكانت غزوة مؤتة التى خرج فيها ثلاثة آلاف من المسلمين ليفاجئوا بأن جيش الروم قد استعد لملاقاتهم وعلم بمسيرتهم فجهز لهم مائتى ألف مقاتل من رجال هرقل والعرب الذين معه .

وقد نجح قائد جيش المسلمين خالد بن الوليد فى أن يجنب المسلمين شر الهزيمة وحرم على الروم لذة النصر . وانسحب برجاله انسحابا قال عنه أحد مؤرخى البطولات العسكرية الاسلامية . انها أعظم عملية انسحاب فى التاريخ تفوق عملية الانسحاب الكبيرة التى قام بها روميل فى الصحراء الغربية . وذلك لأن خالدا انسحب بدون أى خسارة رغم أن الروم كانوا يملكون كل مقومات الحرب الكاملة من توفر الرجال والعتاد وخطوط التموين فضلا عن أنهم يحاربون على حدود بلادهم .
ومع ذلك فلم يغفر المسلمون فى المدينة لهم انسحابهم . فأخذوا يحثون على الجيش التراب ويقولون : يافرار ، فررتم فى سبيل الله . فيدافع عنهم رسول الله بقوله : ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار ان شاء الله .

عز على رسول الله ان تهتز هيبة المسلمين فى شمال شبه الجزيرة . ففكر بعد أسابيع من عودة خالد بن الوليد ، أن يستردها ـ فبعث عمرو بن العاص يستقر العرب فى الحدود الشمالية . وكانت ام عمرو من قبائل تلك المناطق ، فكان من اليسير عليه ان يتالفهم .
وقدر الرسول لكل خطوة خطرها . وكانت الشام وما جاورها من المدن والبلدان التى تقع على الحدود الشمالية لشبه الجزيرة العربية متجه نظر النبى بعد أن آمن الجنوب حيث تم له عهد الحديبية مع قريش ، ولم يكن هناك ما يوجب نقضه ، وكذلك لاذعان عامل اليمن لدعوته .

وكانت الشام وتلك المناطق الشمالية متجه نظر النبى باعتبار أن تامينها واجب يقتضيه حق الدفاع الشرعى عن النفس وعن الدعوة الاسلامية . وباعتبارها الطريق الطبيعى لخروج الدعوة المحمدية من حيز شبه الجزيرة الى العالم الخارجى فهى دعوة للناس كافة .

وتجمد الموقف مؤقتا عندما نقضت قريش عهد الحديبية . وشغل محمد بفتح مكة ثم اسلم أهلها . وهكذا لم تكن هناك منطقة فى شبه الجزيرة ، الا وبدأت تحس سلطان محمد . ولم تحاول طائفة أو قبيلة أن تقاوم هذا السلطان الا وبعث لها النبى قوة تحملها على الاذعان بدفع الخراج والبقاء على دينها أو الاسلام ودفع الزكاة .

ثم علم محمد عليه الصلاة والسلام أن الروم تهيىء جيوشا لغزو حدود بلاد العرب الشمالية ، ينسى الناس انسحاب العرب الماهر فى مؤتة . ورغم أن هذه الانباء قد وصلت النبى مجسمة غاية التجسيم ، فانه لم يتردد فى تقرير مواجهة هذه القوى بنفسه والقضاء عليها وعلى كل أمل لها فى غزو العرب مرة أخرى .

ورغم شدة القيظ وطول المسافة ومشقة الطريق فان النبى لم يجد مفرا من أن يطالع الناس بعزمه على السير لمقاتلة الروم حتى يأخذوا عدتهم . وكانت هى المرة الأولى التى يعرف فيها عامة المسلمين وجهتهم فى الغزو على وجه التحديد . فقد عودهم النبى فى المرات السابقة انه كان يتوجه بجيشه الى غير الناحية التى يقصدها تضليلا للعدو حتى لايكشف خبر مسيرته . وطلب الى القبائل الاستعداد بأكبر عدد من الرجال ـ وتبرع الأغنياء بما أتاهم الله من فضله ـ وتدافع الناس للدخول فى هذا الجيش الكبير . وأثناء ذلك لم يرغب المنافقون فى أن يداروا أمرهم بل أخذوا يجمعون شملهم ويجهرون بالقول ويحرضون الناس على التخلف عن القتال . وفيهم نزلت آيات كثيرة فى سورة التوبة . وقد أخذهم النبى بالشدة التى كان لها أثرها وخلاصة القول أن جيش المسلمين لشدة

مالاقى منذ يوم تكوينه قد سمى جيش العسرة وقد اجتمع لمحمد فى هذا الجيش ثلاثون ألف مقاتل • وكان منظر هذا الجيش بالغا حد الروعة عند خروجه من المدينة حتى أن منظره قد حرك نفوسا لم تحركها دعوة الرسول • فتركوا الراحة وأسرعوا باللحاق بالنبى وبجيشه •

ولما علم الروم بمقدم النبى وجيشه آثروا الانسحاب داخل حدودهم • ورغب النبى عن تعقبهم • وتحصن فى تبوك حيث وجد فى ذلك فرصة لتأمين الحدود الشمالية ، ومنازلة من يرغب فى منازلته ، وقد صالحه أصحاب أيلة والجرباء وأذرح وأعطوه الجزية وأعطاهم عهد الأمان •

كما احضر له ـ بالمدينة ـ خالد بن الوليد أمير دومة وكان يسمى أكيدر بن عبد الملك الكندى النصرانى الذى أسلم وأصبح حليفا لرسول الله •

كانت تبوك خاتمة غزوات النبى • وبعدها دانت شبه الجزيرة للنبى تماما • وجاء العرب يدخلون فى الاسلام ويتركون عبادة الأوثان وتطهرت بلاد العرب جميعها من الأصنام وعبادتها •

ورغم ماكسبته الدعوة المحمدية من نتائج بعد غزوة تبوك وخصوصا بسيطرتها الكاملة على شبه الجزيرة ،وتأمين حدودها الشمالية الا أن هذا لم يكن ليمنع النبى من مداومة التفكير فى شأن أعداء الاسلام من الروم • ودخل التفكير حيز التنفيذ بعد حجة الوداع حيث أمر النبى بتجهيز جيش عقد لواءه الى أسامة بن زيد • ولم يكتب لهذا الجيش التحرك الا فى عهد أبى بكر رضى الله عنه حيث كتب الله له النصر •

وقبل غزوة مؤته وتبوك لم يتعرض الاسلام للمسيحية فى شىء • فقد حال الاسلام بين المسلمين وبين الحط من مقام عيسى عليه السلام • وفى أول الاسلام كان المسلمون يفرحون لانتصار الرومان المسيحيين على الفرس الوثنيين فى الوقت الذى كان المشركون فى قريش يظاهرون عبدة الأصنام من الفرس ويتمنون نصرهم • وتنادر مسلمو مكة وكفارها وخاصة عندما غلبت الروم مما جعل أبا بكر يخرج عن وداعته وهدوئه ويقبل رهان أحد المشركين على أن الرومان سينتصرون • وفى هذا نزل قوله تعالى فى سورة الروم : « آلم • غلبت الروم فى أدنى الأرض • وهم من بعد غلبهم سيغلبون » •

ولكن الروم الذين فرح المسلمون لنصرهم واعتبروه نصرا للأديان الكتابية ، لم يكلف سادتهم أنفسهم مؤونة البحث فى الدين الجديد ولم يلبثوا أن ينظروا الى الأمر الا من ناحيته السياسية • وفيما يصيب ملكهم اذا تم للدين الغلب • وكان أن تم اللقاء المسلح فى مؤتة • ثم انسحاب الروم فى تبوك • ومنذ ذلك الوقت وقف المسلمون ونصارى الغرب موقف خصومة سياسية حالف النصر فيها المسلمين قرونا متتالية امتدت امبراطوريتهم فى أثنائها الى الأندلس غربا والى الهند والصين شرقا • وآمنت أكثر أجزاء هذه الامبراطورية بالدين الجديد واستقرت فيها لغته العربية •

وقد أوجز المستشرق الفرنسى «اميل درمنجم» فى كتابه (حياة محمد) الموقف ونتائج الحرب بين الجانبين بقوله : « لما نشبت الحرب بين الاسلام والمسيحية اتسعت هوة الخلف وسوء الفهم بطبيعة الحال وازدادت حدة • ويجب أن يعترف الانسان أن الغربيين كانوا السابقين الى أشد الخلاف • فمن البيزنطيين من أمعنوا فى الاسلام احتقارا من غير أن يكلفوا أنفسهم مؤونة دراسته »

وختاما فانه من الانصاف أن نذكر أن هذه الروح العدائية لم تكن لدى المسيحيين الشرقيين • وعلى سبيل المثال فقد كانت الحبشة المسيحية بعيدة عن التعصب حتى احتمى المسلمون بها أول مادعى النبى الى دين الله • ويكفى أن نذكر قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه عندما نصحهم بالذهاب الى الحبشة أن قال لهم : (فان فيها ملكا لايظلم عنده أحد • وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه)

الرعاية في الدعوة الإسلامية

الدكتور فؤاد فخر الدين

كان الرسول منذ ولادته يلاقى حياة اختبارية متنوعة الأنواع ، منها وفاة والده قبل ولادته ، وتلته وفاة أمه وهو لم يتجاوز السادسة من عمره ، ثم لحق جده بالرفيق الأعلى وكان العون الأكبر له ، واخيرا مات عمه أبو طالب الذى دافع عنه فى غيابه وحضوره أمام قومه الذين أرادوا به الشر وعقدوا النية على قتله .

ومارس ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حياة عملية فى تدريب نفسه ، وسلك طريقة المعيشة الشريفة . فعمل راعيا يخرج الى الفيافى والبيداء فى لفحة الحر أو شدة البرودة باحثا عن المرعى لغنمه ، ثم بعد ذلك خرج فى تجارة للسيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ الى الغربة فى أرض الشام .

كل هذا النوع من أنواع الدروس العملية فى الحياة شق لطريق المعيشة ، واعتماد على النفس ، وتكوين الشخصية الفردية ، ومعرفة الحياة عن كثب ، وادراك كنه الوجود بالانطلاق فى طبيعة الحياة الحرة الأبية . لم يكن هذا النوع من التربية الا تهذيب للنفس البشرية ، وتعويدها على تحمل المشاق ، واخراجها عن الخضوع للذل القائم فى الأسر والمجتمعات اللادينية ، وممارستها على الخبرة العميلة فى الكسب الحلال ، وسياسة الأمور، والخروج عن الدائرة المحدودة فى الحياة القبلية الشعوبية الى حياة عامة أوسع مجالا ، وأكثر انطلاقا ، وأعم نفعا ، وأوفر فائدة .

لم تطل حياته مع زوجه خديجة ، الحبيبة الى قلبه ، وهى التى كانت تخفف عنه الآلام ، وتواسيه وقت الشدة، وهى أول سيدة دخلت فى دينه مؤيدة مناصرة ، باذلة جهودها فى تقوية أوده ، وتسهيل مهمته . وبموتها ـ رضى الله عنها ـ فقد العون القوى لروحه ونفسيته اذ كانت سكنا له ولآلامه ، ولكنه ذلك الرجل الذى جاء برسالة ، وكلف بمهمة ، فلم تؤثر هذه الأمور القاسية على أداء واجبه الربانى فى هداية الناس ونشر الدعوة .

كل هذه التجارب فى حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم كانت دروسا عملية تثقف نفسيته وعقله ، وتملؤه ايمانا وقوة فى مواجهة مشاكل الحياة ، وفى المثابرة على العمل الجدى ولاسيما أن عمله جد خطير يحتاج الى الصبر والأناة وقوة الاحتمال والى الكياسة حتى يستطيع أن يزن الأمور بتجاربه الطويلة الشاقة . ويزيد هذه التجارب طهارة قلبية اذ قام جبريل بشق صدره وغسل فؤاده حتى يصير انسانا سماويا عاليا فى عقله وقلبه ، وفى روحه وأخلاقه ، وفى تصرفاته وأعماله .

ان تاريخ الرسول قبل الرسالة يدل على مقدار قوة هذه التجارب التى مر عليها وهى تعجم من عوده ، وهو يثابر على تحملها بل يمارسها حتى يكون قريبا الى طبيعة الحياة .

وبجانب هذه التجارب الكثيرة كان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يثقف روحه بالاعتكاف فى غار حراء ، وبالبعد عن العالم الخارجى الصاخب ليعيش فى جو روحى علوى يتصل بالله بقلبه وايمانه وبعقله واحساساته حتى يملأ قلبه بنور الله الهادى ويصبح انسانا ربانيا يعلو عن البشر بطهارة الروح وبصفاء النفس وبنقاء العقل وبحسن السريرة .

تلك كانت حياة الرسول الذى تلقى أقوم رسالة وأنبلها وأسماها وأقواها ، فهو انسان خرج بجسده الى الحياة ليدخل فيها بروحه وعقيدته ، وبأخلاقه وفضائله وبتاريخه الحافل انسانية ورحمة .

نعلم انه - صلوات الله وسلامه عليه - أمى لا يعرف الكتابة ولا القراءة ، اذ لا تلهيه القراءة ولا الكتابة عن الاتصال بالله ، فانما الذى يتعلم القراءة والكتابة من يريد أن يعرف الله وأسراره وأسرار الكون ، ولكن الذى هو من الله رسول ، منه علمه واليه ، لا يحتاج الى القراءة والكتابة كمعجزة من الله فى تكوين هذه الشخصية الفريدة فى حياته ، فكفله الله بالعلم عنه وعن أسراره وعن مخلوقاته . فالذى يحتاجه الرسول هو التهذيب الروحى والصفاء النفسى حتى يصل بهما الى ملكوت الله ويصير أقرب البشر واتقاهم اليه ، وأخلصهم لتعاليمه .

بعد هذه العملية الشاقة فى حياة الرسول التى مر فيها بنجاح منقطع النظير نزل اليه جبريل بوحى سماوى ، هو الرسالة المحمدية التى تعطى للعالم حياة جديدة تلائم قوة محمد النفسية ، وهى تلك الأمانة التى لم يعطها الله الا لمن يستطيع القيام باداءها وقال تعالى : ((انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الأنسان ، انه كان ظلوما جهولا)) .

فالرسول القوى الأمين حمل هذه الأمانة، وحافظ عليها وصانها ، وقام بنشرها مدة حياته دون تقصير بل كان يؤديها بكل اخلاص ، ونتيجة هذا الاخلاص انتشار هذا الدين فى بقاع الأرض .

١ - كانت بداية ظهور الاسلام فى صورة دعوة تلقاها من الله فى قوله سبحانه ((يأيها المدثر ، قم فانذر .. وربك فكبر)) .

هذه السورة نزلت بعد ((المزمل)) . تلك التى ترتبط موضوعيا بقصة ورقة بن نوفل الذى أخبر عن الناموس الذى جاء الى الرسول مخبرا عن نبوته وعن المهمة التى سيقوم بها فى نشر الدعوة السماوية وفى اخراج الناس من الظلمات الى النور ، ومن الجهالة الى العلم .

((قم فانذر)) ، الانذار هو نوع من الاخبار مع اظهار العواقب المترتبة على عدم قبول طلب المنذر وهو قبول الدعوة ، وهو من الدعوة فى صورة خفيفة لاصلاح الأمة نظرا الى حالة الاسلام فى بداية عهده وحين نشأته من قلة فى الاتباع ، ومن غربة فى أمة جاهلة ، ومن قوة العدو ، ولأنه دين جديد فى صورة الانسانية المليئة بالأخلاق الفاضلة والمبادىء السامية ، والنهى عن المنكر ، والأمر بالمعروف . كل أولئك أمور غريبة وسط قوم حياتهم بدائية فى الأخلاق والحياة الاجتماعية ، ونفسيتهم لم تصقلها المبادىء الانسانية الراقية .

٢ - حين تقوى الاسلام شيئا فشيئا ، واخذ طريقه فى الظهور الطبيعى ، أمر الله رسوله بأن يعلن عن دينه أمام الملا ، وأن يقف بروحه القوية مناهضا الفكرة الخاطئة السائدة فى المجتمع الجاهلى فقال تعالى : ((فاصدع بما تؤمر ، واعرض عن المشركين . انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون)) .

باعلان هذا الدين لا يبالى المرء باعراض المشركين عنه وانما سبيله السير قدما الى هدفه الأسمى ، والى مثله العليا حتى يصل الى مرماه المنشود مكللا بالنجاح والنصر المبين .

٣ - وقد قام الخلفاء الراشدون بفتح البلاد تحقيقا لمبدأ الرسالة العام فى نشر دعوة السلام الى الأمم والأقوام حتى يدخلوا فى دين الله أفواجا ، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله .

وقد استمرت الدعوة الاسلامية ، ووصل الاسلام الى بلاد نائية ، ودخل الأقطار البعيدة التى لم يكن يعرفها العرب فى جاهليتهم ، ولكن الاسلام دين العلم والمعرفة، ودين القوة والاكتشاف ، ودين الانطلاق والاقدام ، ودين العمل ، قد استطاع برجاله المخلصين الذهاب الى أقصى الشرق والى أوربا حتى أصبحت تلك البلاد رهينة اشارته وطوع أمره .

ومما لا شك فيه أن الصحابة والتجار قد ذهبوا راحلين الى بلاد الشرق وحملوا معهم هذه الرسالة السمحة ، وهم أجدر الناس بهذه الدعوة لأنهم لا ينظرون الى المادة ولا يهتمون بأمور الدنيا ، ولكن همهم الأكبر هو نشر الدعوة . فكانوا متصفين بأسمى الصفات وأجل الأخلاق ، ويبدون فى صورة اسلامية مما جذب قلوب الناس فدخلوا الاسلام زرافات مما أثر فى نظام تلك البلاد بل استطاعوا الاستيلاء على تلك الممالك حكما وادارة ودينا . فهؤلاء التجار كانوا أخلص المسلمين فى دعوتهم اذ لا ينتظرون من أحد عونا بل ينفقون على أنفسهم وعلى دعوتهم من مالهم الخاص ومن مكاسبهم التجارية التى يسعون اليها بجد فى العمل وبشق الأنفس ، وباخلاص ووفاء فى خلق اسلامى حميد .

ولا ريب أن الدعوة الاسلامية منذ البداية قد نجحت كثيرا ، وقام بها أفراد اعتمدوا على أنفسهم اعتمادا كليا، ولم يخضعوا تحت نظام جماعى خاص ولا سياسة معينة، ولم يكونوا أناسا متقفين ثقافة جامعية عالية ، ولكنهم من عامة الناس دفعتهم النصيحة فى سبيل المبدأ وحب الله الى العمل فى الميدان الاسلامى والمجال الدينى،ولم يريدوا من وراء ذلك جزاء ولا شكورا غير جزاء الله الذى يقيم لهم نعيم الدنيا والآخرة .

فقد انتظمت الدعوة الاسلامية . واتخذت لها طريقا عصريا ، وفتحت لها مدارس ومعاهد عالية لتهيئة اناس يقومون بهذا العمل الدينى الجليل ، وعهد اليهم القيام بهذه المهمة فى مشارع الأرض ومغاربها ، وهم رسل الانسانية وحاملوا لواء الاسلام ودعاة الأخلاق والفضائل، وحماة الدين والشريعة .

وهذه الفكرة هى فكرة صالحة اذ هؤلاء الدعاة يحتاجون الى ثقافة معينة لمواجهة أناس على أشكال مختلفة من العلم والثقافة ، ومن العادات القومية والتقاليد الشعبية ، وقد سبقهم اليها قادة الفكر المسيحى الذين غزوا بلاد الشرق بمدارسهم ومعاهدهم وبمبادئهم الفكرية والسياسية والاجتماعية وبلغاتهم وكتبهم بل قد أدخلوا هؤلاء الأقوام الى دينهم طوعا أو كرها اما عن طريق التبشير والدعاية الكاذبة واما عن طريق ملتوية وما أكثرها .

* * *

وفى الحق أن الاسلام قوى فى ذاته وبذاته ، ولا يحتاج الى أدنى دعاية لأنه دين الفطرة ودين الاحساس ودين العقل ، وهو دين خالد ، فيه تبصر وبصيرة عميقة فى نظرته للكون وفى تصميمه للروح الانسانية ، وفى تهيئته جو الحياة . وهذا الدين ليس جامدا ولكنه مع الحياة فى مطالبها الأساسية وفى مراميها السامية فلم يقف عند حد فى تفكيره ولا فى تصرفاته ولا فى عمله وعلمه .

والاسلام يظهر معالم وجوده عن طريق الاقناع الفكرى، وهو يحثه على التطلع فى مظاهر الكون ومعالم الحياة فيقول : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت ؟! »

فالاسلام من هذه الناحية انطلاق فكرى لا يقيده الا الخروج عن حدود الطاعة الدينية ، ولم يكن الخروج عن هذه الحدود فى حد ذاتها الا كفرا بالمبادىء الأساسية ، والاسلام - أساسا - قد نظم حياة الدعوة الاسلامية بدستور عملى هو حفظ كيان هذا الدين فى اظهار مبادئه وتعاليمه ، وفى رفع مستوى الانسانية ، وفى التضحية .

١ - مادة الدعاية : والاسلام مادة غزيرة للدعاية ، وهى مادة صالحة مغرية من حيث المبدأ والفكر ، ومن حيث طريقة علاجه للمشاكل الخاصة والعامة . والاسلام فى حد ذاته فكرة الهية لتنظيم حياة الانسان ، والانسان بفطرته يحتاج الى هذا التنظيم العملى فى حياته لحفظ كيانه وشرفه سواء فى ذاته أو فى أسرته أو فى المجتمع .

ولا شك أن مادة الاسلام غزيرة وصالحة كل الصلاحيه لجلب أنظار الناس وللتحدث عنه فى كل المجالات وفى كل المناسبات .

٢ - طريقة عرضه : عرض الشىء يحتاج الى كثير من تجارب علمية وعملية ، ولا ريب أنه يحتاج الى كثير من الخبرة سواء من ناحية الصورة التى تعرض عليها الدعوة أو من ناحية أسلوب الدعوة أو من ناحية كيفية عرضها حتى تتلاءم وظروف المستمع ونفسيته ، وحتى لا تتعارض ونظرته فى الحياة وبيئته التى يعيش فيها وعاداته وتقاليده الاجتماعية .

وقد مهر الغرب فى هذه الناحية سواء بطريق استعمارهم للشعوب الأخرى وسواء بنشرهم لدعوتهم الدينية وفكرتهم السياسية ولغتهم القومية حتى دانت لهم بلاد كثيرة نتيجة لمعرفتهم طريقة عرض الدعوة التى يقومون بها ، وهذا يعتمد اعتمادا كليا على المهارة العلمية التى درسوها عن خبرة فى بيئات مختلفة .

وقد لخص الاسلام هذه النقطة فى قوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين » . « وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

فالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن خلاصة طرق عرض الدعوة التى تحمل معانى اللباقة والكياسة والمجاملة والدبلوماسية التى تعطى صورة جلية عن السياسة الحكيمة التى تتبع عمليا فى مثل هذه المهمة.

٣ - العارض أو الداعى : يجب أن تتوفر فى الداعى معرفته لحقيقة الاسلام التى صورناها فى حياة الرسول، وكيف تربت نفسه وروحه فى تلك الظروف القاسية التى عاش فيها حتى تحمل كل المآسى والآلام ، ورضى بحياة الغربة والبعد عن الأهل والخلان ، وكل هذا ليربى فى نفسه خلقا يتناسب مع الرسالة ومع حمله لها ومع نشرها للملأ .

فالداعى الاسلامى يجب أن تتوفر فيه هذه الأمور ، ويجب أن يمر على هذا النوع من الحياة وهذا اللون من التهذيب النفسانى والروحى .

ان المبشرين قد أخذوا منا هذا النوع من التدريب النفسانى والتهذيب الروحى فعاشوا فى عزلة تامة عن المجتمع ردحا من الزمن ، وهم فيه مجندون للتثقيف والتربية عقلا وجسما وروحا حتى يمكن أن يعهد اليهم هذا العمل الشاق فى التبشير فى نواح عدة من عالمنا الواسع ، فيذهبون الى مجاهل أفريقيا دون خوف ولا تردد ودون تفكر فى العواقب ولكن تسليم بالواقع واداء للواجب لأنهم مجندون للقضية الدينية فى سبيل الله لاداء عمل وضعوا حياتهم له .

وقد وضع الاسلام قانونا لهذا الداعى ، وصور له طريقة يتبعها فى نفسه لنفسه ليظهر أمام الملا فى صورة الانسان الكامل خلقا وخلقا . فقال تعالى لرسوله الداعى : « يأيها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر. ولربك فاصبر . فاذا نقر فى الناقور . فذلك يومئذ يوم عسير »

فالثياب الطاهر وهجران الرجز مظهر من المظاهر الجاذبة فى الداعى ، ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر ، صفتان يجب أن يكونا فى الداعى حتى يخلص فى عمله وحتى يصل الى هدفه .

وقوله تعالى . « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين » .

هذه صورة تصويرية يجب أن يتصف بها الداعى ، وهى صورة تجذب الأنظار اليه وتجعله فى المكانة اللائقة للمهمة التى يقوم بها ، وهى فى الحقيقة صورة عن الدعاية الاسلامية ولاسيما أن اتصافهم بهذه الأمور لازم لأنهم علماء الدين ، بل علماء عاملون ، والعلماء ورثة الأنبياء .

يحكى عن لباقة وحسن تصرف الدعاة الأولين أن فى جزيرة جاوة آلة موسيقية تعرف فى مناسبات دينية بوذية وهندوكية وتقدم على أنغامها الرقصات التقليدية التى ترمز الى المراسيم الدينية . واذا عزفت هذه الآلة اجتمع الناس للاستماع ولرؤية ما تقدم من أساطير الأولين والقصص الدينية . وتقدم الدعاة الاسلاميون فوجدوا ان هذه الآلة مقدسة عند الشعب ، فجاء أحد منهم الى مدينة صنولو ، وطلب عزف هذه الآلة فاجتمع الناس ووعظ فيهم وأدخلهم الاسلام . ومن ذلك الوقت تسمى هذه الآلة بسكلاتين تحريف لكلمة الشهادتين . وأصبحت هذه الآلة مقدسة عند المسلمين اذ تعرف فى مناسبات دينية فحسب مثل المولد النبوى وتحفظ فى قصر السلطان .

وقد ينصرف الرأى الى التفكير عن طريقة تنظيم الدعوة والدعاة ، والى ادخال أصلاحات تتناسب وظروف الحياة . فهل يوضع هؤلاء الدعاة فى نظام دراسى خاص يتناسب وعظم مهمتهم الدينية الشاقة ؟!! ويعيشون فى جو دينى بحت ويقفون عند طريقة خاصة فى التعليم والثقافة تتصل مباشرة بنوع العمل الذى يقومون به . وبجانب هذا كله يجب ألا يتأثر هؤلاء الدعاة بنظام كادر معين بل يفصلون كليا عن هذه العادة المتبعة فيوضعون فى اطار جديد من حياة جديدة تضمن لهم الاستقرار النفسى بعيدين كل البعد عن الجو الوظيفى وعن مشاكل الحياة الأخرى التى تؤثر فى حياتهم الخاصة وفى مهمتهم الدينية المقدسة .

القصد في السؤال

من عوامل اليسر في الإسلام

الأستاذ محمد محمد الشرقاوى

ينظر الاسلام الى الأشياء من خلال حقائقها .. التى تحدد وجودها ، وتميز ملامحها . فيعطيها حقها من النظر والاعتبار على مختلف المستويات .. فما كان منها .. واضح المعالم ، محدد السمات .. وكان فى حد ذاته بسيطا فى ادراكه وفهمه وآثاره .. عولج بالنظرة الهادئة، واللمحة العابرة .. وبروح اليسر والتجوز والاسماح التى عرف بها الاسلام .

وما كان منها على مستوى الخطورة والاهمية من حيث آثاره المترتبة عليه ، أو معانيه الكامنة فيه .. سلك معه أسلوب التركيز والعمق ، وسلط أضواءه على زواياه المختلفة وأبعاده المتفاوتة ..

فالاسلام يسمى المسميات بأسمائها الحقيقية ، ويخلع عليها أثوابها الملائمة لأطوالها وأحجامها ... فاذا كانت المسألة هينة بينة .. أخذها من أيسر الجوانب ، وتناولها من أسهل المدركات .. دون أن يتعمق فى جذورها .. أو يستشف أسرارها وغوامضها ..

وهو بهذا يتوخى القصد واليسر ، ومنطق العقل ، ومنزع الطبع ، ومسار الفطرة التى هى طابعه فى كل ما يشترع من أمور ، وما يقنن من مسائل .

ومن هذا اللون .. ذلك الأسلوب البسيط الذى لجأ اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. حينما وجد رجلا ينادى على صاحب تمرة عثر عليها عرضا فى الطريق .. فالتقطها ليعرفها .. وحاول أن يتعرف على صاحبها ، ويتقصى أحوالها .. فقال له عمر : « كلها يا صاحب الورع الكاذب » وذلك لأن الغلو فى تقصى أمرها ، والسرف فى تعرف صاحبها ينافى البديهة الفطرية التى لا ترى فى امساكها .. أو فقدانها ما يستوجب كل هذا .

ولعل صاحب هذه الحادثة قد تأثر تأثيرا عميقا بما هو ثابت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يتعلق باللقطة : وهى كل شىء يوجد ملقى فى الطريق .. فقد ذكر فى المبسوط : « ان أبى كعب - رضى الله عنه - قال : وجدت مائة دينار .. فأخبرت النبى - صلى الله عليه وسلم - قال عرفها سنة .. فعرفتها ، فلم يعرفها أحد ، فأخبرته .. فقال : عرفها سنة أخرى ، فعرفتها .. ثم أخبرته ، فقال عرفها سنة أخرى ، ثم قال بعد ثلاث سنين : « اعرف عددها ، ووكاءها (الاناء الذى وجدت فيه) واخلطها بمالك ، فان جاء صاحبها فادفعها اليه ، والا .. فانتفع بها ، فانها رزق ساقها الله اليك » .

وقد روى حديث آخر بالتعريف سنة واحدة وقد روى فى الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنى .. وقد حسب ذلك الرجل الذى التقط التمرة .. أن الأمر بالبحث والتقصى عن أصحاب اللقطة يتناول كل صغير وكبير ، وكل عظيم وحقير ، وفاته أن هناك مقاييس تقديرية للاشياء يتدخل فيها العقل والذوق والعرف فى تحديدها حسب الزمان والمكان .. وأن هناك أشياء تصل من البساطة والتفاهة الى الحد الذى لا ينبغى أن يثير اهتماما .. كما أن هناك أشياء لها من النفاسة والقيمة ما يستدعى مثل هذا الاهتمام على مستويات مختلفة .

وهذا هو الفقه الذى اعتمل فى قرائح علماء الشريعة وفقهائها ، فجعلهم يقسمون الأشياء الملتقطة .. الى درجات حسب أهميتها الذاتية ، وجعلهم يتركون مدة التعريف بها ، والبحث جار عن أصحابهما ، الى تقدير الشخص الواجد .. حسب ما يرى ، وفق ما يهديه اليه تفكيره وفى ذلك يقول شمس الائمة : « ان شيئا من هذه التقديرات ليس بلازم .. بل يعرف القليل من اللقطة بقدر ما يغلب على ظنه أن صاحبها لا يطلبها وبعد ذلك ، فيجوز الانتفاع بها من غير تعريف .. وقد روى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - رأى تمرة فى الطريق فقال : لولا أخشى أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها » ولا نعلم فيه خلاف بين العلماء .

وأما التقدير بسنة أو بثلاث أو بأكثر أو أقل فهذا من باب التمثيل والتقريب .. والا .. فان شيئا من هذه المقدرات التحديدية ليس بلازم (كما ذكر فى الهداية) ويفوض الى رأى الملتقط يعرفها الى أن يترجح فى رأيه أن صاحبها لا يطلبها بعد ذلك .

والتعريف باللقطة .. ليس له صيغة محددة .. وانما يعلن عنها فى أى مكان ، وبأى أسلوب يساير روح العصر، ويتمشى مع التقاليد المتبعة ..

وهكذا .. يوضع السؤال فى وضعه بطبيعى . ويتوجه فى الوقت المناسب .. ومع الشىء الملائم .

وفى ضوء هذا .. نفهم حديث الحج .. الذى حاول فيه بعض الصحابة .. أن يتعرف على عدد مرات الحج الواجبة فى عمر الفرد .. وهل يتعدد الوجوب بتعدد السنين ؟.. فقابله الرسول - صلى الله عليه وسلم بالسكوت مرة .. وثنتين .. محاولا أن يثنيه عن التشدد فى دينه .. حين تكفى النظرة الهادئة ، واللمحة العابرة .. فلما لم يجد معه السكوت .. لجأ الى المنطق المقنع . والتفسير المعجم .. روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال : « خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذلك بعد نزول قوله تعالى : ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) فقال : « يأيها الناس .. قد فرض عليكم الحج.. فحجوا .. فقال الأقرع بن حابس : أكل عام يا رسول الله ؟.. فسكت ، حتى قالها ثلاثا .. فقال رسول الله : لو قلت نعم .. لوجبت .. ولما استطعتم .. ثم قال : ذرونى ما تركتكم .. فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فدعوه » .

ذلك .. أن منطق الآية الكريمة الدالة على وجوب الحج .. لا يقتضى التكرار فى مرات الأداء .. ويكفى فى امتثالها المرة الواحدة .. وهذا عرف جرى به الذوق العربى العام .. اذ أن الأمر يتحقق بمرة واحدة .. فلو قلت لخادمك : هات كوبا من الماء .. يتحقق امتثال الأمر .. اذا قدم كوبا واحدا .. مرة واحدة .. وما زاد عليها

يستلزم دليلا آخر يقيد التكرار .. وكان على السائل - وهو عربى السليقة - أن يكتفى بما ظهر من الدليل .. دون أن يتكلف أكثر مما ظهر .. ولكنه لج فى الطلب .. وألحف فى السؤال .. فأبان له الرسول خطورة أمره

ويشهد لهذا .. ما حكاه القرآن الكريم .. من قصة بقرة بنى اسرائيل .. التى سميت بها أطول سورة فى القرآن .. نظرا لما ثار حولها من مناقشات عجيبة ، ومساءلات مريبة ..

فقد بدت من السائلين لهجة التعنت فى السؤال .. بقدر ما بدا من المشرع الحكيم جانب التيسير والرفق.. نقل الزمخشرى فى كشافه : أنه كان فى بنى اسرائيل شيخ موسر .. فقتل بنو أخيه ابنه الوحيد .. ليرثوه .. وطرحوا القتيل على باب مدينته .. ثم ذهبوا يطالبون بديته .. فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ، ويضربوا القتيل ببعضها .. ليحيا باذن الله ، فيخبرهم بقاتله .. فلو أنهم اعترضوا أدنى بقرة .. فذبحوها .. لكفتهم .. ولكنهم شددوا ، فشدد الله عليهم ، وتعجبوا : كيف يضرب ميت ببعض ميت فيحيا ، فأرادوا أن يستقصوا أحوال تلك البقرة العجيبة فى رأيهم .. فسألوا عنها ثلاثا : مرة عن حالها فأخبروا بأنها متوسطة العمر .. ومرة عن صفتها .. فقيل لهم .. صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ثم عادوا يسألون عن حالها مرة ثالثة بحجة أنهم وقعوا فى الاشتباه والتردد .. فأجيبوا بأنها بقرة لم تستعمل فى حرث ولا سقى .. ثم حصلوا عليها بعد جهد جهيد .. فذبحوها .. وما كادوا يفعلون .. نظرا لاستقصائهم البالغ وتطويلهم المفرط ، وكثرة استكشافهم .. فما كادت تنتهى أسئلتهم ، ولا ينقطع خيط اسهابهم فيها ، وتعمقهم وراء أوصافها وأحوالها .. فلما ضربوه قام باذن الله وقال : قتلنى فلان وفلان لابنى عمه .. ثم سقط ميتا.. فأخذا وقتلا .. ثم ختم الله تلك القصة بقوله : كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » .

ففى عرض هذه الآيات الكريمات من سورة البقرة .. درس بليغ للثرثارين والمتشدقين .. الذين لا يأخذون أمور الدين أخذا رفيقا هادئا ، ويأبون الا التشدد والمبالغة .. ويحسبون الدين كله مبنيا على العمق الذى لا تسبر أغواره بسهولة ، والغموض الذى لا يتأتى كشفه بيسر .. وأن كل صغيرة فى الدين كبيرة .. وكل كبيرة فيه هى أضخم مما هى عليه أضعافا مضاعفة .. ومن هنا جاء الاحجام عن العمل ، وتولد العقم فى الانتاج ، ونشا بين المسلمين من يؤثرون السلبية الجامدة على الايجابية التقدمية ، وتأثر بهذا الروح طائفة رأوا أن للاسلام ظاهرا وباطنا .. وذهبوا فى تكييف باطن الدين وحقيقته .. يجولون ويصولون فى ميدان اللانهائية الخيالية ، ويستفتون تصوراتهم الخاصة فى تقييم المثل ، وتحديد الأهداف ، وتبيين السبل ، وزعموا أن هناك طريقا للعلم غير ما عرفه العامة .. من الأدلة والقواعد ، وأن للمعرفة سبيلا آخر من غير المعقول والمنقول .. سموه سبيل المكاشفة والموجدة ، والسلوك فى دروب أهل الطريق من ذوى الالهام ، والترقى فى سلم الوصول .. الى حين يشرق عليهم الفيض بالأمل المنشود .. الى غير ذلك من العبارات الغير المفهومة ، ولا المهضومة .

كل هذا نتيجة حتمية للغلو والاسفاف فى تحميل معانى الشريعة فوق ما تحتمل ، والالتواء بالمعانى الظاهرة الى مسخ من التصورات الغامضة ، والمدركات المبهجة .

وقد نعى القرآن الكريم على هذا الأسلوب الملتوى فى فهم الاسلام ، وتوجيه نصوصه ، وشرح معانيه ، ودعا الى القناعة العلمية .. حين يظهر المراد ، ويتجلى المعنى ، ويتحدد الهدف ، وتتضح الرؤية على الطريق .

وفى ذلك يقول تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ، وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم .. عفا الله عنها والله غفور حليم ، قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين »

قال صاحب الكشاف فى تفسير ذلك : « المعنى لا تكثروا مسألة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .. حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم .. ان أفتاكم بها ، وكلفكم اياها .. تغمكم وتشق عليكم ، وتندموا على السؤال عنها .. ثم استدل بحديث الحج السالف الذكر .. ثم قال : « وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة فى زمان الوحى - وهو ما دام الرسول بين أظهركم يوحى اليه - تبد لكم تلك التكاليف الصعبة التى تسؤكم ، وتؤمروا بتحملها ... فتعرضوا أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها .

ثم ذكر : أن بنى اسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء .. فاذا أمروا بها تركوها .. فهلكوا »

وليس معنى هذا .. الكف عن الاستفسار والسؤال.. حين تتعقد الأمور ، وتستعصى المفاهيم ويدلهم الأمر ، ويكتنفه ضباب الشك والالتباس فان السؤال فى أمثال هذه المواقف من الدين .. بل هو من الفقه الذى نوه عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » وزكاه القرآن الكريم فى قوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » ... وانما معناه : الاكتفاء الذاتى .. بما يتكشف للعقل .. فى المفاهيم المهضومة ، والمعانى الجلية ، والأهداف الظاهرة .. وذلك حين تبدو معالم الطريق ، وتتحدد ملامح الصورة التشريعية فى الأفهام .

أما محاولة توضيح الواضح ، وتعقيد السهل ، وألغاز البسائط .. بافتراض الفروض ، واختلاق الاحتمالات ، ووضع العراقيل التعسفية فى السبيل الذلول والرغبة فى تحميل النفس فوق ما حملت ، وتكليفها وراء ما كلفت فهذا ما لا يتفق مع شرعة اليسر .. شرعة الله .. ومن رام هذا .. لم يجد يسرا .. ولم يصادف سهلا .. ومن ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه عن عبدالله بن عمرو - رضى الله عنه - قال : « دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « ألم أخبر أنك تقوم الليل ، وتصوم النهار .. قلت بلى ، قال : لا تفعل .. قم ونم ، وصم وأفطر ، فان لجسدك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا وان لزورك عليك حقا «الزور هم الضيوف» ، وانك عسى أن يطول بك عمر ، وان من حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام .. فان بكل حسنة عشر أمثالها ، فذلك الدهر كله ،قال عبدالله بن عمرو : فشددت .. فشدد على ، فقلت انى أطيق غير ذلك : فقال - صلى الله عليه وسلم - : فصم من كل جمعة ثلاثة أيام .. قال : فشددت .. فشدد على ، قلت : أطيق غير ذلك .. قال : فصم صوم نبى الله داود .. قلت وما صوم نبى الله داود ؟.. قال : نصف الدهر »

وبعد ...

فقد ظهر من تتبع رواد السؤال الكثير ، والتعمق المستفيض ، والتشدد البالغ .. فى فهم نصوص الشريعة الواضحة ، وتحميلها فوق طاقتها واخراجها عن طورها . بالجرى وراء المجاهيل ، والبحث عن الغوامض .. أنهم لم يزدادوا بعملهم هذا الا تعقيدا وألغازا ، ولم يصادفوا الا تصعيبا وتشديدا .. فأولى بكل من تصدى للشريعة بالعلم أو العمل.. أن يلوذ بالقصد فى السؤال ، والاعتدال فى البحث ، والقناعة حين الوضوح وصدق الرسول حين قال : ان هذا الدين متين . فأوغل فيه برفق .. فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » .

باب الفن

فن الخزف عند بابل وآشور

الأستاذ
محمد سعيد الدمرداش

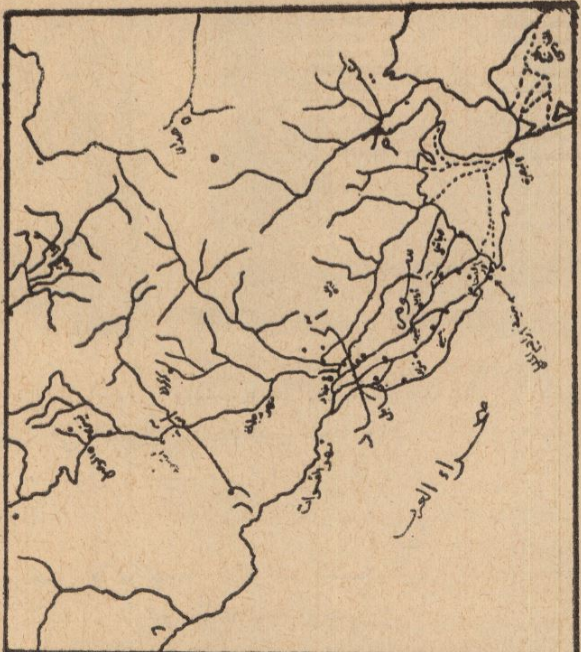

تمهيد

عاشت حول الأنهار فى الزمان الغابر مدنيات وحضارات شتى، ثم ثوت تحت أقدام الغزاة ، أو ابتلعتها مدنيات أخرى أشد بأساء وأعز نفراء ولقد تركت هذه الحضارات من الآثار الخزفية ما ينم عن ملامحها ، ومدى ما بلغته من حضارة وثقافة ، وبعضها ترك شوامخ من الآثار الجرانيتية عريضة ، تقف فى وجه الزمان دون أن تبلى .

فحول النيل نشأت الحضارة المصرية ، وحول الرافدين دجلة والفرات نشأت حضارة سومر وأكاد ثم بابل وآشور ، وسنحاول فى هذا المقال ابراز بعض التراث الخزفى لحضارة ما بين النهرين ، بلاد العراق الشقيق .

ولقد أثبتت الاكتشافات الأثرية ، أن أقدم ـارات الهامة فى وادى الرافدين، تطورت على يد قوم غير ساميى الأصل ، لم يعرف جنسهم الأصلى على وجه التحديد حتى الآن ، وهم يختلفون اختلافا كبيرا عن الساميين الذين عاشوا فى الأراضى الشمالية من الوادى .. وهذا واضح من اختلاف اللغتين وكذلك عن الآريين ، ومن المحتمل أن أصلهم يرجع الى هضبة عيلام الى الشرق من دجلة، وهم يسمون السومريون ، ذلك لأن المنطقة التى كانوا يسودونها تسمى « سومر » شكل (١) .

ومن المحتمل أن هؤلاء السومريين كانوا قد بدأوا فى تجفيف المستنقعات التى كانت عند رأس الخليج الفارسى قبل عام ٣٥٠٠ ق.م ، وأخيرا امتدت قرى أكواخهم المبنية من الطوب اللبن من المنطقة الواقعة فوق بغداد الحالية حتى مصب النهرين ، وبخاصة على شاطىء الفرات ، لأن مياه دجلة منخفضة كثيرا عن

الأراضي المنزرعة ، وأغلب الحوادث التاريخيه وقعت فى السهل الممتد بين دجلة والفرات وهو سـهل « شـنعار » المذكور مرارا فى التوراة .

ويحمل فرعا دجلة والفرات طميـا غزيرا أيام الفيضان ، هو الذى سبب خصوبة هذه الأراضى ، وهذا الطمى استخدمه الأهـالى فى بناء منازلهم من الطوب النىء أو المحروق ، غير أن هذا الوادى لا يحتوى جبالا معدنهـا من الأحجار الكلسية أو الجرانيتية مثل التى حول نهر النيل ، لذلك سجل أهل سومر معاملاتهم وعلومهم ودياناتهم على ألواح من الطين المجفف أو المحروق بعد ذلك ، كما سـجل المصريون القدماء دياناتهم ونقوشهم وتماثيلهم عـلى الأحجار الجرانيتية .

والأعجب من ذلك ، أن هؤلاء القـوم قد استخدموا ألواح الطمى بدلا من ورق البردى الموجود بمصر الفرعونية ، وبذلك كانت لديهم كتبا من الطمى المحروق بدلا من الورق ، ومن هنا نشأت صناعة الخزف ، وتكونت لديهم خبرات كبيرة لتكنولوجيا الخزف ، سواء من جهة اختيار الطينات ، أو اختيار المواد المزججة أو الأفران الدائرية .

وعرف السومريون أنهم أهل حضارة قديمة عريقة فى القدم ، وعمدوا الى تنظيم معتقداتهم وتعليلها مثل الشعوب الاخرى (المصريون والصينيون واليونانيـــون) بتأليف تاريخ اسطورى « ميثولوجى » طويل ، تم ذلك على أيديهم حوالى ٢٠٠٠ ق.م ، أو قبل ذلك ، اذ تخبر احدى أساطيرهم عن طوفان لعله كان طوفانا حقيقيا نتج من ذوبان الجليـد فوق أوروبا بقايا العصر الجليـدى أو لعله موجا مديا من الخليج الفارسى ، وقد يكون هـذا طوفان نوح الذى ذكره التوراة والقرآن ، ثم انهم افترضوا وجود عدد من الملوك قبـل الطوفان ، وأن كلا من أولئك الملوك حكم ألوفا كثيرة من السنين .

وقادت التجـارة واداة الحكومة هؤلاء السومريين فى عصر مبكر ، الى اثبات بعض البيانات والمعاملات بواسطة حفرها حفـرا سطحيا بالجزء المدبب من نبات الغـاب فوق سطح مستو من الطين اللبن ، كما أثبتـوا اختراع الحروف الهجائية التى كانوا يكتبون بها ، والتى تطورت على مر العصور كمـا تطورت اللغة الهيروغلوفية المصرية « شكل ٢ »

وتدل التنقيبات الحديثة فى « أور » وهى بلدة الكلدانيين الواردة فى التوراة ، ومسقط رأس ابراهيم الخليل ، أن هذه المدينة كانت حقيقة ملموسة ، وأن هنـاك مدنا كثيرة كان لها وجود مثل « نفر » و « لارسة » وغير ذلك .
أما الوثائق المعروفة باسم ألواح « تل العمارنة » التى اكتشفت فى وادى النيـل ، وهى ألواح مكتوبة بالخط السمارى وباللغة البابلية ، فقد

انارت لنا الطريق عن العلاقات التى تكونت حول منتصف الألف الثانى ق٠م بين مصر وبين شعوب آسيا الغربية ، وأظهرت لنا مدى نشاط مصر الفرعونية فى تدعيم الصلات بينها وبين بلاد ما بين النهرين ٠

وكانت الرسائل التى يبعثها ملوك بابل وآشور تكتب فوق ألواح من الطين ثم تحرق، ثم تغلف بعد ذلك بطين أيضا ، ثم تحرق وتختم بخاتم صاحب الرسالة ، والخاتم يكون عادة على شكل اسطوانى « شكل ٣ » ٠

وأكبر الرسائل هى التى كتبها « تشراتا » ملك « ميتانى » الى الفرعون امنحوتب الثالث ١٤١١ ـ ١٣٧٥ ق٠م فوق ألواح من الطين بلغت مساحة بعضها ٦×١٦ بوصة بالخط المسمارى ٠

وهناك معاهدة عقدت بين أحد الملوك وبين « رمسيس الثانى » ١٢٩٢ ـ ١٢٢٥ ق٠م ، وفى المتاحف الخارجية لوحان يحمل أحدهما

النص البابلى الأصلى لتلك المعاهدة ، ويحمل الثانى ترجمتها مكتوبة بالهيروغلوفية ٠

وها هو التاريخ يعيد نفسه ، فتقوم الجمهورية العربية المتحدة ، تحت زعامة الرئيس العظيم جمال عبد الناصر بتوحيد الجهود مع بلاد الرافدين ، وتدعيم العلاقات بين شعبى العراق ومصر، والاتصالات الأخوية بين الرئيسين عبد السلام عارف وجمال عبد الناصر ، خير دليل على صلة الدم والتاريخ بين الشعبين العظيمين ٠

أهم المصنوعات الخزفية فى بلاد الرافدين

اهم المشغولات الخزفية هى الطوب الملون المزجج ـ والأختام الاسطوانية ، والأوانى ـ والطوب الملون المنقوش والمعبر عن موضوع عند لصقه فوق الجدار « شكل ٣ » ، كمنظر الأسد المكون من أنواع مختلفة من الطوب المزجج بألوان زرقاء وبيضاء وصفراء من عهد الملك بنوخذ نصر الثانى ٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق٠م٠

وقد ذكر هيرودوتس المؤرخ اليونانى أن كل بلد كانت تحيطها جدران تصل ارتفاعها الى مائة قدم ، وعريضة من أعلى ، حتى يستطيع الانسان السير فوقها راكبا حصانا ، بل كانت العربات تسير فوقها أيضا ٠

وقد استنبط السومريون بناء الأبراج المدرجة « الزقورة » من الطوب المحروق المزجج ، وأقدم برج مدرج هو البرج الذى شيد فى مدينة نفر لعبادة الاله العظيم عندهم « أنليل » ، وقد بنيت الأبراج هذه على هيئة طوابق متتابعة متناقصة فى السعة ، تشيد الواحدة فوق الاخرى « مما يشبه نوعاما بعض ناطحات السحاب الحديثة » ، وهذه الأبراج ذوات سلالم خارجية عريضة، أو ذوات سطوح خارجية مائلة تلف صاعدة حول البرج كاللولب لصعود الكهنة والتابعين لهم للوصول الى القمة ، وهذا هو برج بابل الشهير والمذكور فى التوراة « سفر التكوين » ٠

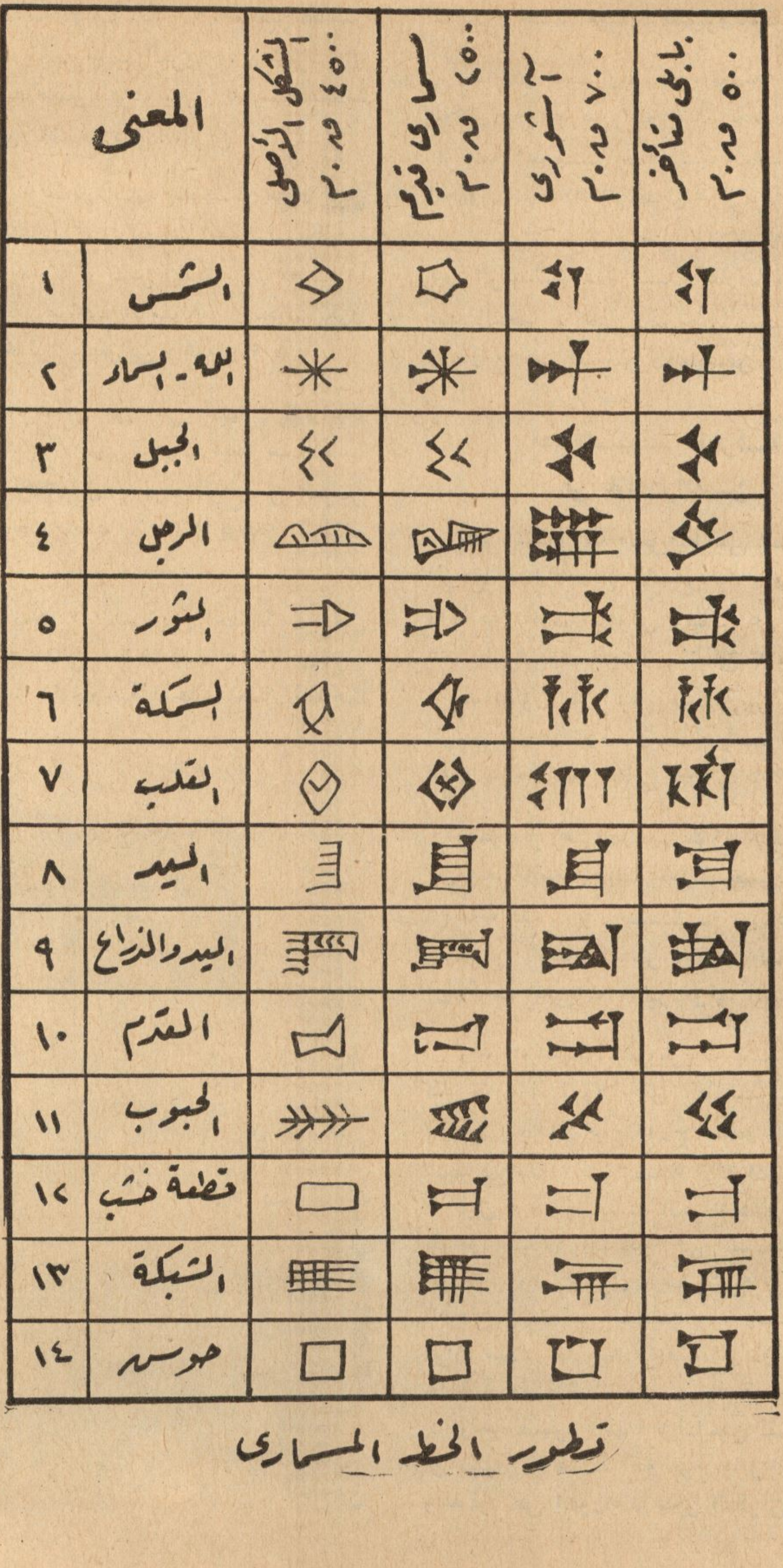

تطور الخط المسماري

وقد شيد هذا البرج تمجيدا للنجوم التى كانت معروفة لديهم ، ولما اكتشف هذا البرج لم يكن الطابق الأخير موجودا ، اذ تآكل بمرور الزمن ، والطابق التالى الذى يليه وجد مبنيا بالطوب المزجج باللون الاخضر الرمادى والمفضض تمجيدا للقمر ، والطابق الثالث وجد مبنيا بالطوب المزجج باللون الأزرق تمجيدا للكوكب عطارد ، والطابق الرابع وجد مبنيا بالطوب المزجج باللون الأصفر الذهبى تمجيدا للشمس .

والطابق الخامس وجد مبنيا بالطوب المزجج باللون الأحمر تمجيدا لكوكب المريخ ، والطابق السادس وجد مبنيا بالطوب المزجج باللون البرتقالى تمجيدا لكوكب المشترى .. والطابق السابع الأرضى وجد مبنيا بالطوب المزجج باللون الأسود تمجيدا لكوكب زحل .

ولما كان هذا البرج يشرف على سهول أرض ما بين النهرين ، فانه كان باستطاعة الكاهن الذى يقوم بتقديم الأضاحى فوق قمته أن يشهد السماء جميعا ، ويرصد النجوم فينبىء الشعب بمواعيد الزرع والحصاد ، وينذرهم بقدوم الفيضان وحلول المواسم وكسوف الشمس أو خسوف القمر ، كما ينبىء الملوك ذوى البأس بغضب الآلهة أو رضاها ويكشف لهم عن طوالعهم وعن أنسب الأوقات لشن الحروب ، ومن هنا نشأ علم التنجيم والفلك عند أهل بابل .

وقد ورد فى القرآن الكريم نبأ تطلع ابراهيم - عليه السلام - الى السماء : **« فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا ، قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون »** .

أما فكرة استخدام الكواكب فى التنجيم ، وكذلك كسوف الشمس فقد هدمها القرآن من أساسها حيث قال :

« وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر » ، وقال أيضا : « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » .

وقد جاء عن المغيرة بن شعبة - رضى الله عنه أنه قال : « انكسفت الشمس على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم مات ابنه ابراهيم ، فقال الناس: انكسفت الشمس لموت ابراهيم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته » .

الأصنام الخزفية
التى كانت تمثل الآلهة

« قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم؟ قال بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم ان كانوا ينطقون » .

حطم ابراهيم الخليل التماثيل الخزفية التى تعبر عن آلهة سومر وآكاد وبابل وآشور فى مدينة أور ، والصورة رقم ٤ تمثل بعض التماثيل الخزفية لهذه الآلهة ، ومنهم الثالوث الأعظم :أنو وأنليل وأيا .

ثم رفع الاله أنليل من الصف الثانى الى الصف الأول ، وأصبح هو الاله الأكبر ويسمى أحيانا « مردوك » وهو الذى عناه ابراهيم الخليل الذى هاجر بعد ذلك الى بلد غير ذى زرع لينشر الدين الحنيف .

تكنولوجيا الخزف

هاك نص كيماوى عجيب ، يرجع تاريخه الى عصر « جوليشار » ١٩٦٠ - ١٩٣٦ ق.م. وهو سادس ملوك الدولة الأولى من دول الاقليم البحرى ، وهذه الوثيقة التى يرجع أصلها الأول الى بلاد ما بين النهرين السفلى فى القرن السابع عشر ق.م. وردت فى لوح مسمارى صغير محفوظ فى المتحف البريطانى .

وهى فى أهميتها لا تقتصر على كونها أقدم سجل معروف عن وصفات عملية التزجيج ، بل ان الوثائق الاخرى المماثلة لم تظهر الا بعد

ذلك بألف عام ، وتشرح هذه الوثيقة نوعا من التزجيج بخليط من النحاس والرصاص للأواني الفخارية ، وكيفية صنع خزف أخضر من الطين المخلوط بالزنجار ، والظاهر أن المؤلف تنازعه فى كتابتها عامل الرغبة فى نشر اختراعه ، وعامل الرغبة فى حماية مصلحته الخاصة ، أى بين عامل التفاخر وعامل الغيرة على سر المهنة ، مخالفا فى ذلك حلفاءه الأشوريين بعد ألف عام من عصره .

وبالنظر الى اهميه هذه الوثيقة البابلية ، نورد هنا ترجمتها كاملة نقلا عن جاد وطومسون كالآتى :

« أضف الى «منا» واحد من زجاج ال «زكو» عشرة ثيقلات من الرصاص وخمسة عشرة شيقلا من النحاس ، ونصف شيقل من ملح البارود ونصف شيقل من الجير ، عليك أن تضعها فى الأتون فتستخرج « نحاس الرصاص » .

أضف الى ذلك منا واحدا من زجاج ال « زكو » سدس منا من الرصاص (المنات عشر شيقلات) وأربعة عشر شيقلا من النحاس وشيقيلين من الجير ، وشيقل واحد من ملح البارود ، وعليك أن تضعها فى الأتون فتستخرج « النحاس » الأكادى .

عليك أن تصبغ الطين باللون الأخضر وتحفظه فى الخل والنحاس ، وفى اليوم الثالث من حفظك له سيترسب فيه « زجاج سائل » فأخرجه ، ثم عليك أن تصبه بصورة مستمرة وسيجف فاصفه ، فاذا صار « مثل الرخام فلا يزعجك ، عليك أن تأخذ من النحاس الأكادى ومن الرصاص مقادير متساوية فاسحقها معا ، وبعد أن تسحقها معا أضف الى « منا » واحدا من المسحوق ثيقلا ونصف شيقل من زجاج ال « زكو » و ٧ ونصف حبات من نحاس و ٧ ونصف من ملح البارود و٧ ونصف حبات من الرصاص .

عليك أن تسحقها معا ، وأذبها واحتفظ بها طول يوم واحد ثم اخرجها وبردها ، (عبارة غامضة فى نص الوثيقة لم تترجم) .

عليك أن تصبه وتضعه فى ناووس من الحجر (بقية النص لم تترجم) وعليك أن تغمسها وترفعها وتضعها فى الأتون ، ثم تبردها ثم انظر اليها .

فاذا كان التزجيج مثل الرخام فلا يزعجك ذلك ، عليك أن تقيده وتضعه فى الأتون ثم تخرجه .

(عبارة غامضة فى النص بعد ذلك لم تترجم) .

واذا أخذته عليك أن تعيده مرة أخرى الى الأتون ، لأن طين النحاس سيصير « صمغ النحاس » .

وفى منا واحد وثيقلين من زجاج ال «زكو» ضع ١٥ حبة من النحاس و١٥ حبة من الرصاص و١٥ حبة من ملح البارود ، عليك ألا تضع الجير قربها ، افحصه أولا ثم ضعه فى ابريق حجر للصب من جلد عتيق واضغط به .

« ملك لوبلط - مردوخ ج شق - أوشر - آن - مردوخ » كاهن الاله مردوخ .

رجل من أهل بابل فى شهر « طيبت » .

اليوم الرابع والعشرون من السنة الأولى بعد أن صار جولیشار ملكا .

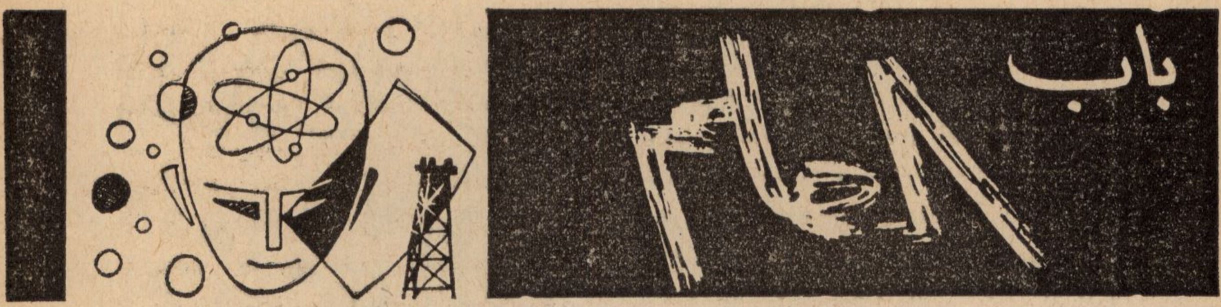
باب

الدكتور
أنور
عبد العليم

الثروة من البحر

٣

المعادن والأملاح

« وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »

تكلمنا فى المقالين السابقين عن الثروة العضوية من البحر : كالأسماك والقشريات والحيتان وزيوت السمك ودقيق السمك والأصداف والطحالب وغيرها ، وفى هذا المقال سنتكلم عن الثروة المعدنية والأملاح من البحار والمحيطات وكيف أن هذه الثروة تفتح آفاقا جديدة للانسان الحديث لاستغلالها على نطاق اقتصادى ، كما تقوم عليها صناعات كبرى .

لقد أثبت التحليل الكيميائى لماء البحر احتواءه على جميع العناصر المعروفة على الارض حتى العناصر النفيسة كالذهب والبلاتين والفضة ، وكذلك العناصر المشعة كالراديوم ولكن بنسبة ضئيلة جدا ، لا تعدو بضعة أجزاء من المليون .

ويعتبر ملح الطعام المعروف فى لغة الكيمياء باسم كلوريد الصوديوم لاحتوائه على عنصرى الكلور والصوديوم متحدين – يعتبر هذا الملح أكثر الأملاح تركيزا فى ماء البحر . ويحتوى اللتر الواحد من ماء البحر على نحو ٢٧ جراما من هذا الملح .

وعلى فرض أن البحار والمحيطات تحتوى على حجم من الماء يبلغ قدره نحو ٤ر١ × ١٨١٠ مترا مكعبا كما حسبه العلماء – فان هذه الكمية المهولة من الماء لتحتوى بدورها على مازنته نحو ٥ × ١٠ ١٦ طنا من الأملاح .

وفى كل عام يستقبل البحر كمية اضافية من الأملاح يقدرونها بنحو ٥ر٢ × ٩١٠ طنا (أى ٢٥٠٠ مليون طن) تأتى مع مياه الأنهار والفيضانات من اليابسة . بيد أن قدرا من هذه الأملاح يترسب على قاع البحر وقدرا آخر يتصاعد مع بخار الماء على شكل رذاذ فى الجو .

ومثل هذه الكمية المهولة من الأملاح المذابة **فى مياه البحار والمحيطات ، لو أمكن تجفيفها**

وافتراشها على الأرض لكونت جبلا من الملح يغطى سطح الأرض كلها الى ارتفاع نحو ٤٥ مترا !

وتحتوى هذه الأملاح على أملاح الصوديوم والبروم والبوتاسيوم والكالسيوم والمنجنيز والحديد والنحاس والفوسفور والنتروجين وما اليها ٠

وفضلا عن ذلك فان قاع البحر عليه مناجم من المنجنيز والفوسفور والكوبلت على شكل عقدة صلبة يتراوح حجمها بين حجم البيضة وحجم البرتقالة أو أكبر من ذلك ٠

وبعض هذه العناصر قد يوجد فى البحر بتركيز يفوق تركيزه على الارض اليابسة ومن ذلك عناصر الكوبالت والنيكل والزركنيوم التى حسبت مقاديرها فى المحيط الهادى وحده فوجدت أنها تزيد ألف مرة عما هو موجود منها على اليابسة كلها ٠

ومن عجب أن أمر هذه المناجم فى زيادة مستمرة ولا تنفض وذلك لأنها تترسب باستمرار من ماء البحر ، وهى فى ذلك تختلف عن مناجم الأرض التى تنقص بالتعدين ٠

ورغم أن الانسان فى الوقت الحاضر لم يقدم على استخراج مناجم البحر من القاع الا أن هذا الأمر ليس ببعيد الاحتمال فى المستقبل القريب ٠

وبالاضافة الى ماء البحر وأملاحه الذائبة فيه ، وقيعان المحيطات وماعليها من مناجم معدنية ـ فهناك على كثير من الشواطىء ثروة معدنية أخرى تتمثل فيما تجلبه الأنهار أمام حصياتها كل عام من معادن مختلفة ٠ فمن حصبات بعض الأنها فى أمريكا يستخرج التبر أو الماس ومن مصب النيل بين فرعى دمياط ورشيد تستخرج كميات كبيرة من الرمال السوداء ، وهى رمال يجلبها النهر معه من الصخور المتفتتة من هضبة الحبشة وتحتوى على معادن المنجنيز والزركون والمونازيت المشعة ومنها يستخرج الثوريوم الذى يستعمل وقودا فى الأفران الذرية ٠ وقد تأسست فى مصر شركة خاصة تقوم على استغلال هذه الثروة من السواحل الممتدة أمام الدلتا ٠٠

وفضلا عما تقدم يوجد البترول على الأفاريز القارية للبحار والمحيطات فى أماكن متفرقة ، ولقد أمكن الكشف عن حقوله على قاع خليج السويس مؤخرا ، وتعمل الحفارات على استخراجه من قاع البحر بوسائل حديثة ٠

ولكى نقرب للقارىء مقدار تلك الثروات المعدنية الهائلة التى تحتوى عليها البحار والمحيطات سنفترض أن عدد سكان العالم قد تضاعف عددهم عشر مرات عما هو عليه الآن ، فلو قسمنا الثروة المعدنية من البحر على هذا العدد أى على ٣٠ ألف مليون نسمة لخص كل فرد منهم من تلك الثروة المقادير الآتية :

٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠	طن من الماء
٢٫٠٠٠٫٠٠٠	طن من ملح الطعام
٧٠٫٠٠٠	طن من المغنسيوم
٢٠٫٠٠٠	طن البوتاس
٣٫٠٠٠	طن من البروم
٣٠٠	كيلو جرام من الحديد
١٥	كيلو جرام من الفضة
٥٫٠	كيلوجرام من البلاتين

على أنه لا جدوى مطلقا تعود على العالم من جراء تجفيف البحار وتقسيم أملاحها وكنوزها على البشر ، وأغلب الظن أنهم سيضيقون ذرعا لعدم وجود مكان يختزنون فيه تلك الثروة ٠

وسيتناول فيما يلى بعض الأملاح والمعادن الهامة من البحر لنبين صلتها بحياة الانسان أو صناعته ٠

ملح الطعام :

وهو من أهم الضروريات لحياة الانسان وصحته، لأنه لابد للجسم من أن يحتفظ على الدوام بتركيز معين من هذا الملح ٠ ولوفرض أن نقصت كميه الملح فى الجسم نتيجة المرض أو الاجهاد ولم يعوض فى الحال لأصيب الانسان بضعف وهزال شديدين ٠ ويتضح هذا الأمر بالنسبة لكثير من حجاج بيت الله الحرام فى أشهر الصيف حين تخرج أملاح الجسم مع العرق فى الجو الحار فيصابون بالضعف وفقد الشهية والهزال ٠ وسرعان مايسترد المرء صحته بمجرد أن يبتلع قدرا مناسبا من الملح ٠

والملح من العناصر الضرورية للصناعة ويستخدم بكثرة فى أعمال النسيج ودبغ الجلود وفى صناعة الصودا الكاوية والكيماويات وفى حفظ الأسماك واللحوم وفى عمل المثلجات والتبريد وفى تغذية الحيوان وما الى ذلك .

ويقدر استهلاك العالم سنويا من الملح بما يزيد على ٣٥ مليون طن ويعتبر البحر المصدر الأساسى لاستخراجه . ويتم هذا العمل فى ملاحات تنشأ قريبا من ساحل البحر فى المناطق التى تشتد فيها حرارة الشمس وتقل الأمطار .

ويعتبر الملح المصرى من أجود أصناف الملح فى العالم وذلك لتوفر الشروط الأساسية فى استخراج الملح من البحر على شواطئنا .

المغنسيوم والبروم والبوتاس :

يوجد المغنسيوم بتركيز صغير فى ماء البحر ورغم هذا فيعتبر البحر المصدر الأساسى لهذا المعدن ، ويتم استخراجه من البحر بالتحليل الكهربائى . ويقدر المتخرج من المغنسيوم سنويا من البحر بما يوازى عدة مئات من ملايين الجنيهات .

والمغنسيوم من المعادن الهامة التى تدخل فى صناعة الطائرات لخفتها وصلابتها كما يدخل فى صناعات أخرى كثيرة ، ويستعمل أيضا كمصدر قوى للاضاءة .

أما البروم فيستخرج هو الآخر من البحر بالتحليل الكهربائى أو بحرق الطحالب البحرية واستخلاصه من الرماد المتخلف . ويستخرج أكثر من ٨٠٪ من البروم اللازم للصناعة فى أمريكا وحدها من البحر .

ويدخل البروم فى صناعة الادوية وأعمال التصوير وغيرها .

أما البوتاس فضرورى لصناعة الصابون والزجاج والاسمنت . وكان يحضر قديما بحرق طحالب البحر أيضا ، أما اليوم فيستخلص بطرق كيمائية من ماء البحر .

وتصل أعلى نسبة من البوتاس فى المياه الطبيعية فى ماء البحر الميت حيث يوجد نحو ١٢ جراما من البوتاس فى اللتر الواحد من ماء البحر ، وكانت شركة البوتاس الفلسطينية الانجليزية الى ماقبل الحرب العالمية الثانية تصدر الى انجلترا أكثر من نصف كمية البوتاس اللازمة لصناعة الاسمنت والزجاج هناك . وبهذه المناسبة فالبحر الميت يعتبر أعلى البحار المعروفة ملوحة ، اذ يحتوى ماؤه على نحو ٢٧٥ جراما من الأملاح فى اللتر الواحد .

ولهذا السبب أيضا فان كثافته تعتبر عالية جدا بالنسبة لكثافة ماء البحار الأخرى ، ومعظم الأجسام تطفو فوقه ولا تغوص . على أن اطلاق اسم البحر على البحر الميت يعتبر من قبيل المجاز ، ولا يعدو هذا البحر عن كونه بحيرة داخلية مالحة يتركب قاعها من طبقات سميكة من الأملاح ترسبت فى العصور الجيولوجية القديمة أيام أن كانت متصلة بالبحر الأبيض ، ثم جفت بعد ذلك .

وجدير بالذكر أيضا أن مناجم الفوسفات التى تستغل اليوم فى القصير وسفاجة وغيرهما من الأماكن هى فى الأصل بقايا حيوانات عاشت فى البحار القديمة ، كما أن زيت البترول نفسه يرجع أصله الى بقايا عضوية أيضا تحللت بفعل الضغط والحرارة فى أحواض البحار القديمة .

أما عن مناجم المنجنيز المتقدم ذكرها والتى توجد على شكل عقد متفاوتة الحجم على قاع البحر فيرجع أصلها الى الأملاح التى تحملها الأنهار كل عام الى البحار والمحيطات وكذلك الى فعل البراكين على قاع البحر . بل ومن الينابيع الطبيعية التى تتفجر على قاع البحر . وقد قدر العلماء كمية المنجنيز الموجودة فى المحيط الهادى وحده بما معدله نحو ٢٠٫٠٠٠ طن على الكيلو متر المربع الواحد من قاع البحر .

وبعد فهذه لمحات عن الثروة المعدنية والأملاح من البحر ، وهى ان دلت على شىء فعلى أن هذا المورد الطبيعى الذى سخره الله للانسان لا ينضب معينه ، وسيظل البحر طوعا للانسان طالما استخدم عقله وحكمته فى استغلاله .

ندوة الشعر

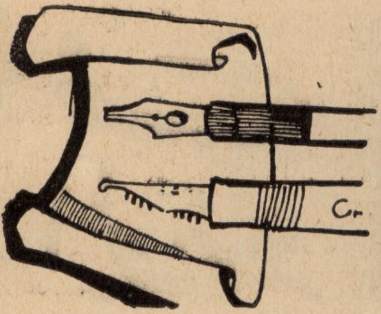

ندوة الشهر

دور المرأة فى المجتمع

الأستاذ عبد الرحمن الشربينى

المرأة هى نصف المجتمع .. بل هى اساس المجتمع كله لأنها المسئولة عن تربية النشء وصنعه ليكون عماد هذا المجتمع ..

واذا كان رب البيت أدرى بما فيه .. فمن سوى المرأة أولى بالحديث عن دور المرأة فى تكوين المجتمع العربى الجديد !

وندوة الشهر هى ندوة من طراز جديد .. المرأة .. والمرأة وحدها هى التى تحدثت فيها .. وعلى سمع الكثير من النساء كان هذا الحديث .

وما أكثر ما تقول المرأة حين تنفرد بالحديث عن علم وخبرة وتجربة ..

وكانت « منبر الاسلام » تسمع وتسجل .. تحدث فى الندوة :

١ ـ الدكتورة حكمت أبو زيد

٢ ـ الدكتورة عائشة عبد الرحمن

٣ ـ الدكتورة فتحية سليمان

٤ ـ الدكتورة رمزية الغريب ، أستاذة علم النفس .

٥ ـ الدكتورة آمال أبو السعود ، أستاذة علم التربية .

قدمت للندوة الدكتورة فتحية سليمان فقالت :

ـ ان مجتمعنا الجديد فى حاجة الى دور أكثر أهمية من ذلك الذى قامت به المرأة فى الماضى .. ذلك لأن المرأة هى أقوى مؤثر فى تربية النشء الذى يكون الوطن العربى فى المستقبل .. ولا يمكن أن يوفى هذا الموضوع حقه أكثر من السيدات ..

وأخذت تقدم المتحدثات ..

فبدأت الدكتورة رمزية الغريب :

ـ ان دور المرأة دور عظيم حقا .. ويكفى أن يكون هذا الدور هو وضعها كأم فى المجتمع .. واذا كانت المرأة هى نصف المجتمع .. فالأمومة هى النصف الآخر لهذا المجتمع بما ستبينه له من النشء الذى سيكون عماده .

على المرأة كأم أن تقدم المواطن الصالح للجمهورية .. عليها أن تقدم هذا المواطن

سليم الصحة ، سليم النفس •• فليست وظيفة الأم هى مجرد مد الطفل بحاجته من الغذاء والصحة الجسمية •• فهناك الصحة النفسية وهى لا تقل عن صحة الجسم •• وقد قام أحد العلماء بمنظمة الصحة العالمية ببحث مجموعات من الأطفال يتمتعون برعاية الأمومة ، وآخرين مقيمين فى المؤسسات الاجتماعية محرومين من عطف الأمومة ، فثبت أن حاجة الصغير للمحبة والصحة النفسية لا تقل مطلقا عن الصحة الجسمية • بل ثبت أيضا أن ذلك يؤثر فى النمو الجسمانى والعقلى للوليد الصغير ••

فالأمومة عاطفة •• وطريقة •• ومبدأ ••

فهى عاطفة انسانية موروثة منذ القدم •• تعتمد على توفير المحبة فى غير تفريط •• اذا أفرطت الأم فى الحنان والحب كانت نتيجة ذلك وخيمه •• لأنها تقدم لنا مواطنا مدللا •• واذا اصطدم المواطن المدلل بالواقع شعر باضطهاد الناس له شعورا يكون له أثره فى انتاجه وخدمة وطنه ••

وطريقة ليست العبرة فيها بكثرة الساعات التى تقضيها الأم مع الطفل •• بل العبرة بما يفيد الطفل منها فى هذه الساعات •• لابد أن نشعره بأن الاخفاق خطوة للنجاح •• كيف تعامله اذا انفعل•• كيف تكون له قدوة حسنة فى البيت •• كيف نشعره بأنه عربى يحس بالأعياد العربية •• كيف توجهه للبطولات العربية •• ثم كيف تجعله مواطنا صالحا ••

ومبدأ لأن الأم تقدر المسئوليات المترتبة على أمومتها ••

فالأم قد تسىء الى طفلها عن غير قصد حين تتوقع منه أكثر مما يجب فيشعر بالنقص •• قد تكون الأم أخفقت فى تحقيق شىء فى حياتها فيدفعها خوفها من هذا الاخفاق الى دفع طفلها لتحقيقه •• وهذا ليس بالمبدأ السليم ••

ثم يأتى بعد ذلك دور المرأة كزوجة •• عليها أن تخلق من هذه العلاقة التى تربطها بزوجها ما يشيع روح الود والمحبة والعطف فى حياة الأسرة •• عليها أن تشعر كل فرد فيها بالتعاون العملى الجماعى فيعرف كل حقوقه وواجباته ••

وبذلك تكون الأم قد قامت بدور خطير فى تربية المواطن الصالح ••

وتحدثت الدكتورة آمال أبو السعود عن الدين وعمل المرأة :

ـ الدين الاسلامى دين عدل وتسامح •• يتجلى ذلك فيما سنته الشريعة من حق كامل للمرأة واعتراف بوجودها الى جوار الرجل : **« واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » •**

وقد دعا ديننا الى العمل وفرضه على كل مسلم ومسلمة **((من عمل منكم صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » ••**

وفى هذا ما فيه من حث للمرأة على العمل داخل البيت وخارجه الى حد انه يأبى عليها أن تضيع وقتها سدى •• والى حد تحذيرها من ترك الأطفال للخدم والمربيات ••

لذلك لم ينه الدين عن خروج المرأة ومشاركتها للرجل فى العمل ما دامت محافظة على الشعائر من حيث أمرها الله ••

لقد كانت المرأة فى زمن الرسول تخرج للعمل •• خرجت تلازم المحاربين لتضمد جروحهم وتحمل لهم الماء •• كذلك كانت ترتاد الأسواق •• ولم يعرف عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه نهى نساء عصره عن العمل ••

واذا ما سلمنا بخروج المرأة للعمل فاننا نتساءل بعد ذلك عن الزى الذى تلبسه ••! لم يكن الحجاب فقط فى العصر الاسلامى ••! وانما هو قديم من أيام الرومان •• وحين جاء الاسلام أظهر شيئا مما كانت تحجبه المرأة كالوجه واليدين •

ومفهوم الحجاب فى القرآن ليس البقاء بين جدران المنزل •• وانما فيما أمر به المؤمنات من أن يغضضن أبصارهن• ويحفظن

فروجهن •• ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ولا يضربن بأرجلهن ليعلم الناس ما يخفين من زينتهن ••

وكما أمر القرآن بعدم التبرج ، كذلك نهت المسيحية واليهودية عن ذلك أيضا ، وفى هذا معنى آخر من معانى الحجاب التى قصد اليها الدين •

وللمرأة العاملة ان تكشف عن بعض أعضائها للعمل بشرط عدم التبرج واظهار أماكن معينة من جسمها •• أما ما تذهب اليه نساء اليوم من اظهار مفاتن الجسم وابرازها ، فليس من الدين فى شئ •

وأخيرا فان للمرأة بصفة عامة أن تساير العصر وفق الروح التى تتمشى مع ما يقتضيه بشرط عدم الاخلال بما ينهى عنه الدين وما يتعارض مع قانون الأخلاق •

وتحدثت الدكتورة حكمت أبو زيد، فقالت عن المرأة بين الأمس واليوم والغد :

ـ لقد كان دور المرأة بالأمس دورا سلبيا من الأحداث التى حولها •• كان موقفها موقف المتردد المنتظر .. والقلق الحائر .. موقف المغلوب على أمره المقيد بتقاليد بالية •• وكنا نشعر بهذا الموقف وننظر اليه على أنه من عمل الاستعمار •• ونرجع اليه عيوبنا الاجتماعية ونتعلل به فى تأخر المرأة الاجتماعى •• غير أنه كان للتقاليد دور هام فى هذا التأخر •

وليس معنى هذا أن المرأة كانت محرومة من الخروج للمجتمعات •• كان هناك حفنة من بنات الطبقة الراقية سمح لهن بالاختلاط وارتياد المجالس بالقدر الترفيهى لهذه المجتمعات •• وكانت الصحف والمجلات وآلات التصوير تتابعهن فى مختلف السهرات •• وكان هذا الدور هو الذى قنعت به بنت الذوات ، بينما لم تقنع به بنت الطبقة المتوسطة التى وقع عليها عبء القيادة ـ فيما بعد ••

ثم جاءت الثورة سنة ١٩٥٢ فغيرت من الأوضاع ، فمنحت المرأة وهى نصف الطاقة الكامنة فى الامة حقوقها السياسية والاجتماعية •• ويتضح من آخر احصاء رسمى أن عدد المرأة العاملة قد بلغ ٨٥٠ الفا ، وأن عدد ربات البيوت يبلغ ٨ ملايين ونصف المليون •

والمرأة كربة بيت يقع عليها عبء كبير •• ولولا ما تحمله المرأة من هذا العبء لما أصبح للمجتمع كيان أو وجود •• ولولا ذلك ماكان قول الشاعر :

الأم مدرسة اذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

ثم تساءلت ما عسى أن يكون دور المرأة فى المستقبل ؟

ان هدفنا هو تكوين المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى ..وفى ضوء هذا الهدف يجب أن نعمل بكل طاقاتنا لتحقيقه •• ودور المرأة لتحقيق ذلك نوعان : مادى ومعنوى •

فدورها المادى هو فى بناء الكيان الاقتصادى للمجتمع •• كل قرش نحن فى أمس الحاجة اليه . .والقروش الصغيرة .. كبيرة فى مجموعها •• لو حاولت كل ربة بيت أن تدخر فى الشهر قرشين اثنين فقط وضربناها فى عدد ربات البيوت لتوفر لنا ١٦٠ ألف جنيه •• وهو مبلغ ضخم نستطيع أن نسهم به فى كيان المجتمع الاقتصادى ••

أما دورها المعنوى فهو أن تكون لها شخصيتها فى الحقل الاجتماعى.. شخصيتها العربية المعتزة بكريم الصفات المحتفظة بكيانها فى كل مكان ••

عليها أن تتفادى النشر والاعلان عن كل ما تقدمه فى الحقل الاجتماعى من خدمات •

ان مهمتها فى هذا الحقل مهمة تقيلة •• والعيون تتطلع اليها لترى مدى جدارتها وقدرتها على تحمل هذه المهمة ، ونحن من ورائها نرمق ما عسى أن يتطور اليه مستقبلها القريب •

ثم وقفت الدكتورة بنت الشاطىء لتتحدث عن المرأة فى مجتمع الأمس البعيد :

ـ اذا كانت من تحدثت قبلى قد القت التبعة على الاستعمار وعهده البغيض فى تأخير الدور الاجتماعى للمرأة •• فانى اعلن

ان المرأة لم تكن فى الجاهلية ، ولا فى الاسلام بمعزل عن الحياه .. كانت المرأة وراء كل حدث وكل بطل .. وكل شاعر .. ولم تقف بعيدا عن الأحداث كما يظن .. فمن تاريخنا فيما قبل التاريخ كانت المرأة هناك دائما .

هذا مثلا عيد الأم .. انه ليس من صنع اليوم كما يظن .. اننا نحتفل به من قبل ان يكتب التاريخ .. نحتفل به كل عام .. لا بأخذ الوضع الاعلامى الحالى .. انما بوضع دينى مقدس .

فالعرب المسلمون يحجون الى مكة كل عام ، وهناك يسعون بين الصفا والمروة كما سعت هاجر تبحث لوليدها اسماعيل عن قطرة ماء . نعم يذهب المسلمون من كل أنحاء العالم ليسعوا حيث سعت ، فكان فعلها هذا مقدسا قبل الاسلام .. وفى الاسلام وفى الغد الى ما شاء الله ..

لقد كانت المرأة العربية تصنع الحرب ، وتصنع السلام ..

هذه حرب البسوس التى استمرت أربعين عاما .. كان سببها امرأة .. امرأة قتلت ناقتها ..

وهذا الملك بن هند .. قتل لان أمه جرات أن تهين أم البطل عمرو بن كلثوم يوم سمع ابنها صيحتها المدوية المشهورة .. « وا ذلاه يا آل تغلب » .. فنهض ابنها وضرب الملك بسيفه فأرداه قتيلا .. وكذلك كانت المرأة العربية تصنع السلام .

هذه عروس الحارث بن عوف .. كرهت لزوجها أن يدخل بها والحرب قائمة .. فابت عليه أن يقربها حتى يصلح بين المتحاربين ففعل .. وبذلك فعلت السلام .

وهذه هى المرأة فى حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - كما كانت فى حياة سائر الأنبياء..كانت خديجة وزيرة صدق للرسول .. شجعته وواسته من قريش .. وهذه هى عائشة .. أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - الصحابة ان يأخذوا عنها نصف الدين .

وكما كانت عائشة القائدة فى معركة الجمل - كذلك كانت هند بنت عتبة قائدة للمعركة بين محمد وقريش .

وظلت المرأة تقوم بدور الامامة فتجيز للعلماء رواية الحديث حتى كان القرن التاسع الهجرى .

ثم حدث ان جاءت عصور الظلمة وعصور الاستعمار فحرم عليها فيها أن تتعلم الدين ، وأن تشارك فى الحياة .. كأنما كان محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يعرف الدين حين قال لأصحابه « خذوا نصف الدين عن عائشة » .

وجاء الاستعمار .. فكان تاريخ تعليم المرأة يساير وضعها القومى .. لم يكن من مدرسة للبنات فى عهد الاستعمار الا المدرسة السنية .. وحين قامت النهضة القومية خرج أول فوج من نسائنا المتحررات فى ثورة سنة ١٩١٩ . وفى سنة ١٩٢٣ حين صار للحكومة الاشراف على وزارة التربية والتعليم صار التعليم الزاميا للبنات ، ومع فترة الكفاح الطويل كانت الحركة النسائية تسير مع الكفاح القومى .

وختمت حديثها قائلة :

اننا حين نقول أن المرأة كانت منبوذة بالأمس فانما نقصد أمس المستعمرين ..

أما أمس ما قبل الاستعمار ففيه كانت المرأة هى التى تصنع الأبطال .. تصنع الحياة .. تصنع الوجود .

* * *

وبعد ..

فهذه هى المرأة فى حديث ..

واذا كانت المرأة سرا مغلقا امام مفاتيح الرجال حين يتحدثون عنها ..

فانها هنا ليست كذلك بعد أن تحدثت هى عن نفسها .

تاريخ .. وعمل .. ثم امل ..

مؤتمر القمة العربي ... وقضية فلسطين

إعداد : رياض خليفة
مصطفى أبو ريا

اخى القارى ء

لم تكن دعوة الرئيس جمال عبد الناصر للملوك والرؤساء العرب من أجل فلسطين ، سوى استجابة حية لمشاعر الملايين فى العالم العربى ، فقد وضعت حدا نهائيا لعلامات الاستفهام التى كانت تنتشر فى الأفق العربى متسائلة : الى متى ستظل فلسطين على هذا النحو من التشريد ؟ الى متى ستظل فلسطين مادة للكلام وأداة من أدوات التأثير الخطابى لدى كثير من الناس فى المحيط العربى ؟

ولكن ما هكذا يكون انقاذ فلسطين ؟ بل خلاصها : بالعمل البناء الذى يضع كل الخطط محل التنفيذ ويجعل من القول عملا فعالا وهو ما حدا بالسيد الرئيس جمال عبد الناصر أن يدعو العرب - كلهم - فى خطابه التاريخى فى بورسعيد فى عيد النصر الماضى أن ينسوا خلافاتهم مع بعضهم وأن يقفوا جميعا ضد العدو المشترك من أجل وحدة صفهم واكتمال عروبتهم التى تفرض عليهم انتزاع فلسطين من يد غاصبيها .

وقد تبدو اسرائيل بمساحتها الضئيلة « اسرائيل الصغرى » مجرد بثور على ضلوع الجسم العربى الكبير ولكنها بكيانها العدوانى الآثم : سرطان مدمر خطير . وبنواياها لاجرامية المعلنة تشكل أخطبوطا حقيقيا .

كيف أصبح عرب فلسطين لاجئين ؟

لقد واجهت العالم العربى مشكلات رئيسية يرجع بعضها الى ما عاناه الشرق العربى من سوء الادارة فى الماضى وآخر هذه المشكلات وأهمها « مشكلة فلسطين » وهى على جانب كبير من الاهمية والخطورة ، وأما عن تاريخها :

فقد كان أحد الصحفيين النمساويين أول من نادى بانشاء وطن قومى لليهود فى أوغندة البريطانية ثم تطورت الفكرة الى فلسطين . وفى خلال الحرب العالمية الأولى حاولت انجلترا استمالة يهود العالم اليها حتى تكسب عطف البيوتات المالية فى أوربا وأمريكا من جهة وحتى يمكن أن تستخدم يهود ألمانيا والنمسا والمجر وغيرها بمثابة ما اصطلح على تسميته بالطابور الخامس وفى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ صدر وعد « بلفور » المشئوم الذى جاء فيه :

« ان بريطانيا تنظر بعين الرضا والارتياح الى المشروع الذى يراد به أن ينشأ فى فلسطين وطن قومى لشعب اليهود وتفرغ مساعيها لادراك هذا الغرض » .

اما كيف اصبح عرب فلسطين لاجئين ؟

ففى نوفمبر سنة ١٩٤٧ وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على تقسيم فلسطين الى دولة عربية وأخرى صهيونية مع وضع خاص لمدينة القدس ولم يقبل العرب هذا التقسيم . ودعت الهيئة العربية التنفيذية العليا للاضراب مدة ثلاثة أيام ووقعت اعتداءات عدة بين الفريقين وبلغت الخسائر فى الأرواح بضعة آلاف ورجحت كفة الجمعيات اليهودية أمثال الهجانا والأرجون والارهاب على قوات فوزى القاوقجى وقتل عبد القادر الحسينى زعيم المتطوعين العرب فى ابريل سنة ١٩٤٨ واحتل اليهود حيفا ويافا وجزءا كبيرا من القدس ووقعت مجزرة دير ياسين على يد الارهابيين اليهود وغادر كثير من العرب ديارهم كما غادرها الزعماء لينظموا خطط المقاومة وينضموا الى الجيوش المنظمة أثناء غزو فلسطين .

وفى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ أنهى الانجليز الانتداب البريطانى على فلسطين وأعلنت السلطات اليهودية قيام اسرائيل وبدأت الجيوش العربية عملياتها الحربية بواسطة أربعة جيوش . وعبأت اسرائيل ك لمواردها للحرب التى استمرت ٤ شهور وعقدت هدنة من ١٠ يونيه الى ٩ يولية ولما تجدد القتال كان اليهود قد كمل استعدادهم وسقطت اللد والرملة والناصرة وحوصر عدد كبير من الجيش المصرى فى الفالوجا وتجمع اللاجئون غرب الجليل وفى ديسمبر عقدت هدنة بين الفريقين .

لقد أسفرت الحرب عن سيطرة اسرائيل على صحراء النقب وخروج عدد كبير من اللاجئين يبلغ عددهم قرابة الميون ولا تزيد نسبة القادرين منهم على العمل عن ٢٠٪ ويبلغ عدد العمال والتجار ١٧٪ من مجموعهم أما الفلاحون فيبلغون نحو ٨٣٪ وهؤلاء فقراء لا يستطيعون أن يعملوا الا فى الأراضى الزراعية أو ما يماثلها من الأعمال .

هكذا قامت اسرائيل ولا شك أن مولد هذه الجرثومة فى قلب الدول العربية يعد افتئاتا على حقوق العرب . كما يعتبر لطمة قوية لعزة المسلمين وكرامتهم .

ولقد أوجدت هذه الحالة الشاذة كثيرا من عدم الاستقرار مما جعل العرب يلبون دعوة السيد الرئيس جمال عبد الناصر بحسبانها هى الحد الفاصل بين مجرد الكلام بين العمل الجدى المنظم القائم على التعاون فى شتى الميادين لمحاربة هذا العدو المشترك اذ أنه لا حل لهذه القضية سوى طرد اسرائيل من المنطقة وتطهيرها نهائيا وعودة اللاجئين الى ديارهم وأراضيهم وتعويضهم عن ممتلكاتهم .

وقد بدأ العمل العربى الموحد لتحرير فلسطين من الاستعمار الصهيونى ولاستخدام جميع امكانيات العرب وحشد طاقاتهم وقدراتهم لمواجهة تحدى الاستعمار والصهيونية .

وقد أعلن المؤتمر ١٤ قرارا تتناول بعض تفاصيل هذا العمل العربى ولقد رأيت أيها القارىء الكريم أن أعرض لبعض النقاط التى أعلنها المؤتمر لنرى رأى أعلام الفكر والرأى فى الجمهورية العربية فى هذه الزوايا الحساسة حتى تكون على بصيرة بما يدور فى المحيط العربى .

قضية الأمة العربية

وكان السؤال الأول للاستاذ عبد المنعم خلاف مدير ادارة الشئون الاجتماعية والعمل بالجامعة العربية .. والسؤال عن :

ما هى أهم قضايا الدول العربية التى شغلت المؤتمر ؟

ثم ما هى الأسس التى على ضوئها ستحل مشكلة فلسطين ؟

وأجاب سيادته :

بان أهم القضايا التى شغلت مجلس الملوك والرؤساء فى دورته الثانية قضيتان : احداهما قضية العرب الاولى فى هذه الفترة من تاريخهم ، وهى قضية تحرير فلسطين من براثن الصهيونية ، وبالتالى تحرير الوطن العربى كله من أكبر خطر يهدده بالتمزيق والفصل بين مشرقه ومغربه تمهيدا لتحقيق حلم الصهيونية فى امتلاك مابين النيل والفرات ، والانطلاق بعد ذلك الى ما وراء النيل والفرات من أجزاء الوطن العربى والوطن الاسلامى .

وقد واجه المؤتمر تحرير فلسطين باعتباره غاية اتخذ لتحقيقها وسائل عدة وانجازات عملية لابد منها ، تتجلى فى اتخاذ القرارات الكفيلة بتنفيذ المخططات العربية فى الميدانين العسكرى والفنى لبداية العمل الفورى فى المشروعات العربية لاستغلال مياه نهر الاردن وروافده ، واعتماد قرار منظمة التحرير الفلسطينية بانشاء جيش التحرير الفلسطينى ، وتعيين التزامات الدول الأعضاء لمعاونتها فى ممارسة مهامها .

واذا كان المؤتمر قد أعلن ارادة العرب جميعا فى مواجهة الصهيونية وخطرها بكل صراحة ووضوح اعلانا مدعما بحشد قوى الأمة العربية وامكانياتها ووحدة كلمتها وتضامنها ، فانه فى الوقت ذاته قد اعلن تلك الارادة فى مواجهة الاستعمار الذى ساند الصهيونية حتى أقامت دولتها اسرائيل ، وما يزال يمدها بعونه المادى والمعنوى ، وخاصة الاستعمار الانجليزى الذى مكن للخطر الصهيونى فى قلب البلاد العربية ، وما برح احتلاله واعتداؤه على بعضها ، كعمان والجنوب المحتل ، واقعا عنيفا متبجحا متحديا لميثاق الأمم المتحدة ومنطق العصر فى وجوب ترك الشعوب تقرر مصائرها بنفسها .

ولا شك أن قرارات المجلس فى قضية تحرير فلسطين هى أعظم وأنسب ما يمكن أن يتخذ لابراز رأى العرب ووحدتهم وارادتهم فى هذه الفترة الحاسمة من التاريخ المعاصر . وقد خلعت تلك القرارات على الأمة العربية وجامعتها مهابة وأصالة وجدية وتصميما ، وسلحتها باعظم اسلحتها وهى وحدة الصف وراء وحدة الهدف .

ولا شك كذلك أن قادة الصهيونية والاستعمار ـ الذى يساندها ـ قد رأوا فى هذا الموقف العربى العظيم مافاجأهم وقلب خططهم التى بنوها على تفرق العرب .

ولله الحمد والمنة على ما وحد من قلوب العرب وجمع من جهودهم !

أما القضية العربية الثانية التى تلى قضية فلسطين

الاستاذ عبد المنعم خلاف
... تنفيذ المخططات العربية

فى الأهمية وقد شغلت المؤتمر فهى ابراز ارادة الأمة العربية للحياة والحركة الحرة المسلحة بالعلم والعمل العصريين ويتضح ذلك فى اصدار المجلس قرارا بتاليف مجلس عربى مشترك للبحوث الذرية للاغراض السلمية وفى دعم التعاون الاقتصادى والدفاعى والاجتماعى العربى فهى ذلك أبلغ الدلالات على خروج الأمة العربية من منطقة الظل والتخلف والذهول عن مسيرة ركب الحضارة والعلوم وعودتها الى اداء دورها التاريخى بالمشاركة الجادة فى بناء المدنية والرفاهية الانسانية وتكريس الجهود المشتركة لبناء التقدم العربى .

كما يتضح ذلك فى عناية المجلس بالبحوث الاقتصادية والسياسية الخاصة بعلاقة الدول العربية بالدول الأجنبية واستخدام الضغط الاقتصادى والسياسى فى ضوء تلك العلاقة لمواجهة القوى المناوئة للعرب ومكافحة الاستعمار البريطانى فى شبه جزيرة العرب وتقديم المساعدات لحركة التحرير فى الجنوب المحتل وعمان .

واذا كانت فترة التخلف العربى الماضية هى التى أطمعت الصهيونية والاستعمار وضللتهما فى فهم أوضاع الأمة العربية وطبيعتها حتى ورطتهما فى ارتكاب اكبر مأساة عرفها التاريخ بتشريد مليون عربى عن وطنهم واحلال شراذم متفرقة محلهم فى « عصر الأمم المتحدة » فان صحو العرب الحالى وتسلحهم بمنطق العصر هو الذى سيبدد تلك الاطماع والضلالات وسيدمر ما صنعت الأوهام والأحلام على رؤوس بناتها المتورطين، بتوفيق الله.

أما الأسس التى فى ضوئها ستحل مشكلة فلسطين فهى تتلخص فى التزام العرب وحدة رأيهم وعملهم وتصميمهم وتعبئة جميع جهودهم وحشدها لاعلان ارادتهم المتمشية مع مبادىء العدل والحق فى مواجهة الصهيونية والاستعمار الذى يساندها ، مهما كلفهم من تضحيات .

وان صدق العزم ووحدة الرأى وحشد الجهود الفعالة جديرة بان يصل معها كل ذى حق الى حقه ، او يعذر بالاستشهاد فى سبيله وأداء ماعليه من ضرائب الدم والمال فى سبيل الحياة الكريمة أو الموت الكريم .

« وان فناء فى الحق هو عين البقاء » .

محكمة العدل العربية

وبعد هذا الاستعراض للقضايا العربية والحلول التى وضعت كأساس لحل مشكلة فلسطين رأيت أن أعطى صورة واضحة المعالم لأهم قرار صدر ضمن القرارات وهو :

الموافقة على انشاء محكمة عدل عربية وتوجهت بالسؤال الثانى للسيد المستشار كامل البهنساوى

المستشار كامل البهنساوى
... محكمة العدل العربية

ليحدثنا عن هذه المحكمة العربية وعن اختصاصها بالنسبة لمحكمة العدل الدولية ومدى الالزام فى قراراتها وتفضل سيادته بالاجابة قائلا :

انك عدت بى الى سنة ٤٤ ـ ١٩٤٥ عندما كنت المدير الفنى لمكتب وزير العدل « حافظ رمضان » وندب هو رئيسا لوفد مصر لدى لجنة المشترعين فى واشنطن للبحث فى نظام محكمة العدل الدولية .

وقد رأى فى هذا الحين أن يبعث بكتاب بعد عودته الى الجامعة العربية سجل فيه التعاون الوثيق بين وفود البلاد العربية المختلفة فى هذا المؤتمر . اذ كانت سوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية ممثلة تمثيلا قويا مشرفا فى لجنة المشترعين . وكانت تجمع أعضاء وفود هذه البلاد ، وبينهم وبين مصر أقوى روابط الود والتآزر . فكانوا يعملون جنبا الى جنب لتحقيق هدف واحد : هو اعلان شأن البلاد العربية . وقد أقروا جميعا ماسبق أن طلبه وفد مصر من تمثيل الشريعة الاسلامية فى محكمة العدل الدولية كنظام قانونى مستقل ضمن النظم العالمية التى يجب تمثيلها فى المحكمة . واستند الوفد فى ذلك الى قرار مؤتمر القانون المقارن المعقود فى لاهاى سنة ١٩٣٨ والذى قرر : أن الشريعة الاسلامية هى نظام قانونى مستقل غير مأخوذ من التشريع الرومانى .

وكان الغرض من ذلك هو الوصول الى طريق تعيين قضاة فى محكمة العدل الدولية ينتمون الى البلاد الآخذة بهذه النظم .

فان الوصول بعد ذلك الى انشاء محكمة عدل عربية وهى تتمة للجامعة العربية التى هى جامعة للحكومات والتى تستحق كل التأييد .

ولكنى أرى أيضا ونحن نعيش ـ كما يقول الميثاق ـ « على الباب الشمالى الشرقى لأفريقيا المناضلة فاننا أيضا لا نستطيع أن نعيش فى عزلة عن تطورها السياسى والاجتماعى والاقتصادى »

وان العمل العربى يحتاج الى خبرة الأمة العربية وحكمتها .

وندخل بعد ذلك فى انشاء محكمة العدل وكيفية انشائها وانشاء قانونها الأساسى ثم أعضاؤها وعددهم والاجراءات امامها وعلاقتها بمحكمة العدل الدولية وبالامم المتحدة واقرارها والاعتراف باحكامها وتنفيذها .

حقيقة ان القانون الأساسى لجامعة الدول العربية او الجامعة الاسلامية سيكون الشريعة الاسلامية تلك الشريعة التى تجعل أساسها حرية الفرد . لأن الابن اذا ما بلغ سن الرشد أصبح مستقلا بماله وشخصه عن سلطة أبيه. وماله وهو قاصر وديعة فى ذمة أبيه أو وليه . والمرأة لا تفقد حقها فى مالها اذا ما تزوجت ... الى آخر ذلك من الحقوق ، مختلفة فى ذلك مع التشريع الرومانى الذى هو أساس الشرائع الأوربية والذى يقوم على سلطة رب الأسرة .

مع ملاحظة أن الاسلام يأبى التحكم فى عقائد الناس ويأمر بتركهم وما يدينون . يحتكمون فى أقضيتهم لقاضى دينهم الا اذا ارتضوا قضاء آخر

ونحن اليوم فى سبيل تقرير الوحدة بين الشعوب العربية بعد مؤتمر القمة الثانى الذى أجمعت فيه كلمة الرؤساء على تحقيق التعاون الوثيق بين الدول العربية. والوصول به الى نتائج عملية لا الاكتفاء بالآراء النظرية .

فضلا عما هو قائم فى العالم كله اليوم من تفاعل مختلف العوامل الاقتصادية والسياسية والفكرية فى تحديد العلاقات التى تنشأ بين الجماعات والأمم وبين الأفراد والحكومات ، والنظر الى وجهة واحدة وهو العمل لاستتباب السلام فى العالم وهو الهدف الذى يجب أن تتجه اليه القافلة البشرية نحو عالم يسود أفراده الأمن والهدوء ، وينتفعون بامكانياتهم وبقوى الطبيعة ومواردها للخير العام .

كما لا أنسى أن أحدثك أيها القارىء العزيز عن ضرورة فض ما يقوم من نزاع بين الدول أو بين الدول والأفراد وتسوية الصعوبات القائمة بينها على أساس تعيين قضاة من اختيار كل منها . وعلى أساس احترام القانون بالالتجاء الى التحكيم . وعقد الاتفاقات الخاصة بذلك أو فتح باب الوساطة ولجان التحقيق المختلفة لتسوية المنازعات .

أما كيفية اختيار الأعضاء وعدد أفراد المحكمة وتقرير من ترشحهم الدول الأعضاء . وانتخاب القضاة بغض النظر عن دولهم ليحدث الاطمئنان الكافى ومدة مزاولتهم لعملهم . وطريقة التصويت ومرتباتهم وطريقة عزلهم واعادة انتخابهم والمؤهلات اللازمة لكل منهم ودورات الانعقاد .. فكل ذلك كله مما يجب بحثه وتقريره بواسطة لجان مختارة .

وعلى كل حال فالمهمة ليست يسيرة ، ولكنها تحتاج الى عناية ودراية لتخطى الصعاب والعقبات .

ثم هناك مسائل أخرى يجب اعادة بحثها بين الدول العربية : وهى اتفاقية تسليم المجرمين واتفاقية الاعلانات والانابات القضائية . ومسائل الجنسية وتعريفة الجمارك والجوازات والنقد والأحوال الشخصية لأفراد كل دولة والاتفاقات الاقليمية المختلفة . ومما تجب ملاحظته فى هذا الشأن أيضا ما ارتبطت به الجمهورية العربية المتحدة بمجموعة كبيرة من المعاهدات والمواثيق الدولية القانونية والسياسية . وما هو خاص بالنشاط الاقتصادى أو الاجتماعى . ومدى احترام هذه المعاهدات والمواثيق لاحتواء بعضها مثلا على قواعد قانونية تتعارض مع أحكام التشريع العربى او يخلو منها التشريع المصرى وكيفية تطبيق الاحكام الواردة فيها وعلاقتها بمحكمة العدل العربية ... اذ هناك قواعد عامة يجب النص عليها ومراعاتها كالالتزام بالتعويض عن الضرر الذى ينتج عن الفعل الخاطىء أو قاعدة حرية المواصلات بين الشعوب.

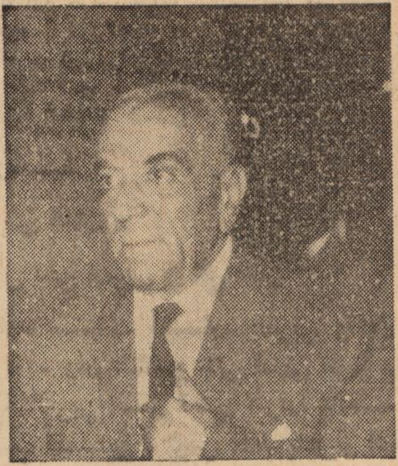

الاستاذ محمد زكى عبد القادر
.. ضرورة التكامل الاقتصادى

وهناك التزامات دولية لصالح الفرد فى مواجهة دولته. وحماية حقوق الانسان والحريات الأساسية وعدم التمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين أو بين الرجال والنساء ... فكل هذه المسائل يجب أن تعنى بها اللجان التى ستشكل لبحث كيفية تشكيل محكمة العدل العربية وعلاقتها بالدول العربية والجامعة العربية .

والى هنا اكتفى بما قررته دون التفصيل الذى يحتاج الى أشخاص متخصصين أكثر علما وكفاية منى .

وبعد هذا البيان المفصل من السيد المستشار كامل البهنساوى عن محكمة العدل العربية رأيت أن اتجه الى ميدان الاقتصاد بين الدول العربية .

وتوجهت بالسؤال الثالث للاستاذ الكبير محمد زكى عبد القادر

ويقول السؤال :

« نص البيان المشترك على دعم الاقتصاد بين الدول العربية . وتنفيذ الاتفاقات لمواجهة التحديات الأجنبية .

فهل يؤثر ذلك على العلاقات الاقتصادية بين الدول العربية والدول الأخرى ؟

وكان الجواب :

بأن التكامل الاقتصادى بين البلاد العربية ضرورة اقتضتها ظروف العصر الحديث من جهة ، واقتضتها من جهة أخرى ضرورة الوقوف فى وجه التحديات الصهيونية والاستعمارية . وفى مواجهة السوق الأوربية المشتركة التى تنظم العلاقات بين البلاد الأوربية . بقصد تقوية اقتصادهاوتوسيعنفوذه ، لابد أنتعد الدول العربيةعدتها لتقوية اقتصادها هى الاخرى عن طريق السوق العربية المشتركة ، وعن طريق الاتفاقات الاقتصادية التى تكفل بقاء الاقتصاد العربى مستقلا وقادرا على الحركة وحده. دون اعتماد على الدول الاستعمارية أو غيرها مما يجعله غير قادر على التصرف طبقا لمصالحه . والامكانيات الاقتصادية فى البلاد العربية واسعة . ومستقبلها بفضل خطط التنمية والتنظيم والتنسيق والتطور قادر على أن يزيد من هذه الامكانيات أوسع وأكبر .

والوحدة العربية ينبغى أن تكون وحدة اقتصادية أيضا كما تكون وحدة سياسية وإذا كان من الواضح أن البلاد

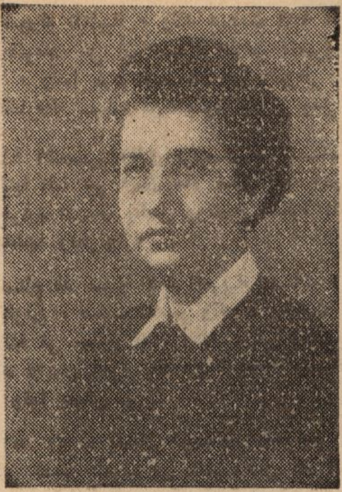

الدكتورة سهير القلماوى
.. المرأة العربية .. قادرة على الكثير

العربية تؤلف وحدة سياسية متكاملة : فانها عند النظر فى اقتصادياتها وامكانياتها جديرة أن تؤلف أيضا وحدة اقتصادية متكاملة .

أماق الميدان النسائى ومدى اسهامه فى قضية فلسطين فمن أجله خصصت السؤال الرابع وعرضته على الدكتورة سهير القلماوى وكان عن دور المرأة العربية نحو تحرير شقيقتها الفلسطينية .

وتقول الدكتور سهير :

عندما نذكر المرأة العربية لانعنى المراة فى كل بلد من بلاد الامة العربية فحسب وانما نعنى أيضا المراة فى كل بلد منها مهما يكن المستوى الحضارى أو الثقافى والاجتماعى الذى وصلت اليه • والمراة العربية تختلف ظروفها من بلد الى بلد ، فى البلد الواحد نفسه ولكن عوامل كثيرة تضافرت لتجعل من كل هؤلاء النساء وحدة متشابهة فى أكثر مما نظن من خصائص وطاقات

ولما كانت الامة العربية كلها قد خضعت لمؤثرات حضارية واحدة طوال قرون طويلة وعاشتتاريخا واحدا متصلا فقد أكسبها كل ذلك خصائص متميزة جعلتها اليق بأن تقوم بدور معين فى الحياة الانسانية •

لذلك عندما نادى المصلحون بتحرير المراة العربية نادوا بتعليمها أولا وماكان يمكن لاحد ان يعارض فى حق المرأة فى التعليم وخاصة فى أمة يحض فيها الدين على العلم واعمال العقل واجالة الفكر •

ولكن تعليم المرأة لم يسر فى قوته التى كانت تجب له ولم يشمل كل بنات الشعب كما كان يجب ان يشمل ولذلك تعثر تقدم المراة العربية الحديث تعثرا طويلا لطول تحكم الاستعمار فى البلاد العربية •

ولكن فجرا جديدا يطل على الامة العربية كلها وهذا الفجر لايستمد نوره من مجرد تحرر بعض أجزاء الامة العربية من الاستعمار فحسب وانما يستمد نوره الاقوى من ادراك الامة العربية انها لن تسير الى ما تصبو اليه من تقدم ورقى الا اذا تحرر كل شبر من الارض العربية

وما اسرائيل الا استعمار جديد وان كان وجهه القديم مايزال يبدو واضحا من وراء النقابالخفيف الذىلبسه

ليدارى صورته الكئيبة • ولقد صممت الامة العربية شعوبا وحكومات على أن تسترد الارض العربية كاملة لاصحابها • وكما طرد الاستعمار من الجزائر بعد مائة وثلاثين عاما فانه سيطرد من الجنوب العربى ومن فلسطين

هـــذا التصميم الذى ترضـــع لبـــانه كل أم عربية لابنها انما هو ايمان حار خليق بامة أهم ماتمتاز به هو حرارة الايمان بالحق ووضوح الفكرة التى تؤمن بها وبساطتها وفطرتها •

ان الاسلام قد صبغ الامة العربية بصفات لايمكن ان يمحوها الزمن ، صفات الصبر والجلد وصفات التضحية بحياة زائلة فى سبيل حياة أخلد وأبقى صفات الترابط والتماسك وايمان الفرد بانه من الجماعة يستمد حياته بالجماعة ولها يعيش •

لقد اكد العرب بلسان رؤسائهم وملوكهم ان زمان الكلام فى قضية العرب فى فلسطين قد انتهى وان الخطوات التنفيذية لا بد ان تبدأ ، بل لقـد بدأت بالفعل • وهى واثقة ان الطريق طويل وان الجهاد شاق ولكنها مصممة عليه صابرة له مهما تكن الظروف •

والمراة العربية هى نصف هذه الامة • قد استطاعت فى سنوات قليلة ان تثبت وجودها وان تعرض قدراتها فى شتى الميادين فتفوقت فى كثير من المهام العــامة وتفوقت فى كثير من الوان البطولة والجهاد فى سبيـل التحرير • ولكن الشوط امامها أعمق أغوارا • انهـــا لاتستطيع بهذه القلة التىأثبتت وجودها فى ميدان العمل العام ولا هذه القلة التى أثبتت وجودها فى الجهاد فى الجزائر مثلا أن تسير مع الرجل وتؤدى واجبها كاملا • لابد من ان يتحرر هذا الجيش العديد من النساء الذى مايزال يرزح تحت اثقال الجهل والعزلة والانانية ، ولتحرير هذا الجيش من النساء لايمكن الا ان يكون جهد المراة التى تحررت مضاعفا • انها اقدر على شد ازر اختها واقالة عثرتها والسير بها خطوات لتلحق بالصف كله وتجاهد معه جهادا خليقا بها وبملكاتها وقدراتها النائمة المستخفية فيها •

ان الاخت الفلسطينية وان تكن احسن حظا من كثيرات غيرها من بنات الامة العربيـــة من حيث التعليم لان الاحصاءات تدل على ارتفـــاع نســـبة التعليم فى الفلسطينية عامة ولكنها الى اليوم ماتزال تفرقه عن بنات بلدتها لذلك رأيناها قبيل اعلانالكيان الفلسطينى وبعده تحاول أن تجمع صفوفها • ان قضية فلسطين ليست قضية لاجئين محتاجينالى المساعدة والرعاية فتقوم جمعيات نسائية تعالج هذه الناحية انها قضية سياسية ضخمة تحتاج الى الجهود النسائية لا فى المواساة ولـكن فى الجهاد لا فى التغلب على صعوبة الوضعالحالى ولكن فى القدرة على قلب هذه الاوضاع ليعود الحق الى نصابه وليفرض نفسه • لست اعنى ان نترك الاخوة اللاجئين بلا رعاية او حماية ، بلا تعليماو فتح مجالات للعمل ، ولكنى اعنى ان تكون هذه الاعمال كلها فى جانب والجهاد فى سبيل العودة فى الجانب الاعظم والاهم •

والمراة العربية قادرة على الكثير فى ســبيل النصر النهائى • قادرة على تعبئة الاذهان للعمل من اجل الوطن السليب قادرة على تربية النشء ليكون جنديا فى سبيل الدفاع عن الحق وحق العرب أولا • قادرة على الدعوة فى كل مكان • قادرة على رعاية شعلة الايمان لتظل دائمـــا متوهجة مضيئة فى قلوب المؤمنين •

وان دور المراة العربية فى كل هذا لهو دور الرجل بل يزيد • انها تحارب مع الرجل فى كل ميدان ثمتحنو على العربى الوليد لتخرجه الى ساحة الجهاد عربيا أصيلا قويا مؤمنا قادرا على أن يدفع الظلم قادرا على ان يقيم الحضارة الجديدة

وبعـــد

أخى القارىء

بل أخى العربى فى كل مكان

لقد استيقظ المــارد العربى وأفاق من كبوته • وأن النتائج التى انتهى اليها مؤتمر القمة العربى الثانى تعتبر اقراراً بالعـــودة لشعب فلسطين • ليس فقط بالقرار الخاص بكيان فلسطين والاعتـــراف من كل الدول العربيـــــة دفعة واحدة بمنظمة التحـــرير الفلسطينية : بل وأيضـــا لأن الدول أعضاء المؤتمر قد اعتبرت نفسها مسئولة عن هـــذا الكيان وبدأت منـذ الدقيقة الأولى باعتماد المبالغ اللازمة لجيش فلسطين •

نعم : انه لقول فصل وما هو بالهزل • لقد كانت ((العودة)) قبل مؤتمر القمـة الثانى نداء لكنها أصبحت ابتداء من اليوم خطة •

ولا شك أن النتائج التى توصل اليها المؤتمر تعتبر نتائج واعية وهى تدل بوضوح على أن الساسة العرب قد صمموا على التخلص من التحالف الاستعمارى الصهيونى • ولا شك أن هذه الدراية الكاملة بالموقف العربى كمـــا ظهرت فى النتائج العريضة التى توصل اليها مؤتمر القمة العربى الثانى : لتدل بوضـــوح على أن زمام المبادرة قد أصبح فى أيدى العرب حتى لنستطيع أن نقول بأن مشكلة نهر الاردن قد تحولت الى خير وبركة على القضية العربية كلها وفى مقدمة هـــذا الخير : أن الكيـــان الفلسطينى قد أصبح حقيقة واقعة • وفق الله العرب لخدمة الاسلام والعروبة •

وختاما لهذا التحقيق تشكر مجلة ((منبر الاسلام)) السادة الأفاضل الذين تفضلوا بالاجابة على الأسئلة التى وجهت اليهم شاكرة لكل منهم ما تناوله من شرح وبيان لجانب من جوانب قضيتنا العربية العادلة •

شكرا ••• والى اللقاء

باب الشعر

• على ضفاف فلسطين :

للشاعر عبد الله شمس الدين

أغنية لاجئ

يا دموعَ الفجْرِ : أعْيانِى الظلَامْ
فمتى تُشْرقُ أنْوَارُ الصَّبَاحْ ؟ !
طال ليْلُ الصَّبْرِ فى هُذى الخيامْ
لم أعُدْ أقْوَى على عَصْفِ الرياح

* * *

كَان لى دَارٌ وبُسْتَانٌ وضَيْعَهْ
وصِغَارٌ فى سلامٍ يلعبونْ
أزْرَعُ الحقلَ وأجنى منه زرْعَهْ
لأَعيشَ العُمْرَ مرفوعَ الجبينْ

* * *

ثُم جاءَ الغاصبُ العاتى مُغيرا
مُسْتَبِدَّ الكيْدِ فى مَكْر وحِقْدِ
كان (بلفورٌ) لصهيون أجيرًا
فَحَبَاهُ فى خِدَاعٍ شَرَّ وعْدِ
واحتوتنِى ظُلْمةُ اللَّيْل الطويلْ
سَلَبُوا أرْضى وصُبْحِى والشعاعْ

وتَشَرَّدت   وأَهلي   في   السُّولْ
بَيْنَ   أَسْقامٍ   وجوع   وضَيَاع

* * *

ثُمَّ   جَاءَ   الفَجْرُ   يُوحِي   بالأَمَلْ
بَاسِمَ   الومْضَةِ   في   وجْهِ   (جمال)
فانتفَضْنَا   بَعْدَ   يأْسٍ   ومَلَلْ
نرقُبُ   الصُّبْحَ   بعزْمٍ   ونِضَالْ

* * *

حي الزحف

زحْفًا   زحْفًا   صفًّا   صَفًّا
لنُطَهِّرَ   أَرْضَ   فلسطينا
يَا   كُلَّ   العُرْبِ   :   لها   زحْفًا
لنداءِ   الحقِّ   مُلبِّينا

* * *

العُرْبُ   لِسَانٌ   عربيٌّ
وفؤادٌ   يَهْفُو   لفؤادِ
ولِقَاءٌ   حُرٌّ   أَخَوِيٌّ
ما   بيْنَ   كِرامٍ   أَمجادِ

* * *

عاهدْنا   اللهَ   وأُمَّتَنَا
سَنُحَطِّمُ   إسرائيلَ   غدا

بالنصْرِ سنكتُبُ عزَّتَنا
والكلُّ لأَرض النور فِدا

* * *

فى (تلّ أَبيبٍ) لُقْيانا
فى (الَّلدّ) و (يافا) و (الرَّمْلَهْ)
سنوفِّى دينَ ضحايانا
ونُعيدُ الأَرْضَ المُحْتَلَّةْ

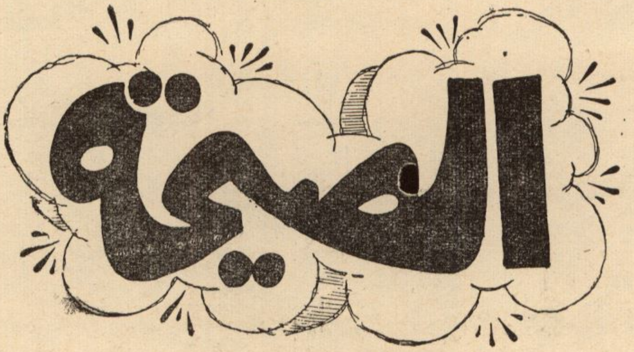

أَفْنُوا الرّدى حتَّى يكونَ حَياةَ
لا تَتْرُكُوا شُهَداءَكم أَمْوَاتًا
ماذا لنا إنْ دُنِّسَتْ أَرضُ الجُدُود
وأَصبحتْ فى ظلِّنا أَشْتاتا
زعَموا حِمَانا مَرْتَعًا ومِيَاهَنَا
وِرْدًا لهم . وأُسُودَنا أَقْواتَا

لا كانَ مَنْ حَسِبوا العروبةَ مغنما

هيْهاتَ ما حسبوا لَهُمْ هَيْهَاتَا

سَلْ عنهمو (موسى) . وكيف تَقَاعَدُوا

يَوْمَ القِتَالِ .. وحَكِّمْ التَّوْرَاةَ

وَهَمُوا إذا حَسِبوا الحروبَ تَلَصُّصًا

وهَوَوْا إذا هُمْ قَدَّروا إفْلاتَا

فالحرْبُ فَنٌّ العُرْب . فاشْهَدْ زحْفَهُمْ

أَلْيَوْمَ . أَصْبَحَ للوغى ميقاتا

الشعر الديني

شعر الإمام الشافعي

٥ من قافية الراء

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

عن مقدمة كتاب الأم قال رضى الله عنه

امطرى لؤلؤا جبال سرنديب «م»
وفيضى آبار تكرور تبرا
أنا ان عشت لست أعدم قوتا
واذا مت لست أعدم قبرا
همتى همة الملوك ونفسى
نفس حر ترى المذلة كفرا

العجب ان ينسب الشافعى اللؤلؤ الى الجبال وهو من البحار ، ولكن لما كانت جبال سرنديب لابد فيها كل يوم من مطر وكان الياقوت الأحمر تحدره السيول والأمطار منها الى الحضيض فيلقط وكان بها الماس أيضا ـ وهو ماذكره ياقوت فى معجم البلدان ـ فقد ذكرها الشافعى باللؤلؤ مريدا تلك الاحجار الكريمة، ومع هذه الغزارة والغنى فى أمطار جزيرة سرنديب الهندية فقد سخر بها الشافعى ، وسخر كذلك بآبار تكرور التى يقال ان فيها مناجم الذهب • وتكرور بلاد تنسب الى قبيل من السودان فى أقصى جنوب المغرب • وقد جمع البيت فى السخرية أطراف الأرض من مشرقها الى مغربها •

ويريد الشافعى بهذا القول انه يمسك عن الرحلة الى البلاد البعيدة التى يقصدها الناس للغنى ويبين سبب مكوثه فى البيت الثانى بأنه لن يعدم قوته اذا عاش وقبره اذا مات • ومدى ما يطلب الانسان فى حياته وموته خبز وقبر •

ويشير الشافعى فى البيت الثالث الى نفسه الحرة التى تأبى مذلة الاغتراب وطلب الغنى من المكان البعيد ، بل ومن المكان القريب •

الافتخار بالعلم

عن معجم الأدباء ، حدث الحسن بن محمد الزعفرانى قال : سئل الشافعى عن مسألة فأجاب فيها ، ثم انشأ يقول :

اذا المشكلات تصدين لى
كشفت حقائقها بالنظر

لسـان كشقشـقة الأرحبى
أو كالحسـام اليمانى الذكر
ولسـت بامعـة فى الرجال
أسـائل هذا وذا ما الخبر
ولـكننى مـدره الأصـغرين
جـلاب خير وفـراج شر

وقد قيل انهذا الكلام من شعر على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ٠ويريد القائل انهيكشف بنظرة الثاقب الحكيم مايعترضه من الامور المشتبهة التى تحتاج الى توضيح بالأدلةوالنظر والاستنباط ٠

ويبين فى البيتالثانى أنه يكشفها فى بلاغة ويفصح عنها فى بيان لأنه انما رزق فماكأفواه الابل النجائب اذا هاجت أخرجت منأفواههـا رغوة الهياج ٠ ومايقوله من البيان والحكـم فيصلا حاسما كما يفعل الحسام اليمانى من الحديد الذكر ٠ والحديد الـذكر نوع من الحديد المجيد يعرف فى زماننا بالصلب وهو ضد الأنيث لا الأنثى ٠ والانيث مـايسمى بالحديد المطاوع فى زماننا وهو أقل جودة من الحديد الذكر ٠

والامعة الذى يتابع كل واحد على رأيه اذ لا رأى له هو فلا يثبت على حال ،ولكن القائل يصف نفسه بأنه مدره مقدم فى اللسـان واليد عند الخضوع والجدل والقتـال ٠ والأصغران هما القلب واللسان وقد سميـا كذلك لصغر جرمهما وان كانا أخطـر ما فى الانسان كله ٠ وهذا القول مأخوذ من قول الغلام العربى من وفد الحجاز على عمر بنالعزيز يقول له « **ياأمير المؤمنين ، المرء بأصغرية قلبه ولسانه فاذا وهب الله العبد قلبا حافظا ولسانا لافظا فقد استحق الكلام))** واذا صح هذا الأخذ كان الكلام للشافعى ، واذا اتفقت الخواطر جاز أن يكون للامام ٠

أدب التناظر

عن تاريخ الامام الشافعى للرفاعى : روى الربيع بن سليمان أن الشافعى رضى الله عنه كتب هذه الأبيات الى أبى يعقوب البويطى حاثا على الانصاف والانتصاف فى المناظرة يقول :

اذا ماكنت ذا علم وفضـل
بمـا اختلف الأوائل والأواخر
فناظر من تنـاظر فى سـكون
حليمـا لاتلح ولا تـكابر
يفيدك مااستفاد بلا امتنـان
من النكت اللطيفـة والنوادر
وايـاك اللجوج ومن يـرانى
بانى قد غلبت ومن يفـاخر
فان السر فى جنبـات هـذا
فميز بالتقـاطع والتـدابر

ينصح الشافعى أن يناظر العالم زميلـه فى هدوء عند سوق الأدلة من غير جلبـة أو ازدهاء مهما كان ذا فضل واسع وعلم غزير ،

ولايريد الشافعى بالنكت اللطيفة والنـوادر الأمور المضحكات ولكنه يريد الاجـابات الشافية الكاشفة للأسرار الخفية والفريدة فى نوعها وجدتها ٠ ويحذر من المناظر اللجوج الذى لايفتأ يبدى ويعيد ويرغى ويزبد ، كما حذر من الذى يبحث عن غلبة خصمه وينتظرها متلهفا ، وكذلك من الذى يفاخر بانتصاره ٠

وفى البيت الأخير يرى الشافعى أن الشر فى هذه الأمور التى ذكرت وأن أصحابهـا معروفون بالتقاطع والتدابر فعلى العلماء أن يعفوا عن مناظرتهم ويجلوا عن جدالهم ٠

قافية السين

تنكر البلاد

عن تنبيه المغتربين للشعرانى قال الشافعى:

صديق ليس ينفع يوم بأس
قريب من عـدو فى القيـاس
ولا يرجى الصديق بكل عصر
ولا الاخـوان الا للتـآسى
خبرت الناس ملتمسا بجهـدى

أخائفة فأكداه التماسى
تنكرت البلاد على حتى
كأن أناسها ليسوا بناس

يذكر الشافعى رضى الله عنه فى هذه الأبيات فقدان الأصدقاء الذين تتوافر فيهم شروط الصداقة والأخوة ، بينما لايرجى الاخوان والأصدقاء الا لأن يواسى بعضهم بعضا وبين الأخ أخاه • ويدعى الشافعى أنه غبر العباد والبلاد فأكدى ولم ير فى العباد ولا البلاد الا من عدموا صفات الانسان •

وأكدى ، فعل لازم ولكن الشافعى عداه مضمنا

وتنكر البلاد : تغيرها •

قافية الصاد

تعليم الله

عن ايقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عجيبة الحسنى ولم ينسبه للشافعى ، وعن تعليم المتعلم للزرنوجى ، وقد نسبه اليه وكذلك عن حاشية الصاوى على تفسير الجلالين : قال الشافعى رضى الله عنه :

شكوت الى وكيع سوء حفظى
فأرشدنى الى ترك المعاصى
وقال : اعلم بأن العلم فضل
وفضل الله لايؤتاه عاصى

وكيع المشكو اليه وكيع بن الجراح من طبقة الشافعى فى الزمن ، ومن أعلام رواية الحديث ولعله لم يشك اليه ولكنه الود الذى كان شائعا معروفا بين الفقهاء وصار الآن عزيزا • والمعنى مقتبس من قوله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » فمن لاتقوى له لايعلمه الله شيئا • وهو مذهب الصوفية فى الحصول على العلم

قافية الضاد :

حب آل البيت

عن معجم الأدباء : حدث الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى يقول :

ياراكبا قف بالمخصب من منى
واهتف بقاعدة خيفها والناهض
سحرا اذا فاض الحجيج الى منى
فيضا بملتطم الفرات الفائض
ان كان رفضا حب آل محمد
فليشهد الثقلان أنى رافضى

المحصب موضع رمى الحجار من منى ، والخيف - بفتح الخاء وسكون الياء - هو غرة بيضاء فى الجبل الأسود الذى خلف أبى قبيس فى مكة ، وبها سمى مسجد الخيف ، وقصد الشافعى أن يعم بندائه الذى يريده الحجيج الاسلامى كله من كل البلدان ويبلغه الراكب فى سرعة طائفا به على الناس جميعهم من قاعد وناهض •

وقيد الشافعى النداء بوقت السحر ليكون أسمع فى الأذن حيث لايكون الا صوت المنادى وفاض وأفاض واحد أى نزل من عرفات لقوله تعالى « فاذا أفضتم من عرفات •• » وشبه الشافعى الحجيج بملتطم الفرات أى بأمواجه الطاغية الفائضة ، وقد حسن ان يشبهه بأمواج عذبة دون الملحة لمكان الطهارة وعذوبة العبادة التى هم فيها • وهذا ملمح يفوت الشعراء ويعيى البلغاء •

والأصل فى الرفض التعصب لأهل البيت والتطرف فيه • والثقلان الانس والجان • ولما كان الشافعى ميالا لأهل البيت منفرط الحب لهم وقد اتهم لذلك بالرفض فقد نادى فى هذه الأبيات بقبول التهمة معلنا بها على رءوس الحجيج ليشهد العالم الاسلامى كله بذلك ولاتنس أن الشافعى هاشمى •

قافية العين :

فتوى

عن معجم الأدباء أن رجلا جاء الشافعى برقعة فيها :

سل المفتى المكى من آل هاشم
اذا اشتد وجد بامرىء كيف يفعل

فكتب الشافعى تحته :

يداوى هواه ثم يكتم وجـــده
ويصبر فى كل الأمور ويخضع

فاخذها صاحبها وذهب بها ثم جاءه وقد كتب تحت هذا البيت الذى هو الجواب :

فكيف يداوى والهوى يقتل الفتى
وفى كل يوم غصـــة يتجـرع

فكتب الشافعى :

فان هو لم يصبر على ما اصابه
فليس له شىء سوى الموت أنفع

وهذا الكلام له مثل سبق أن أشرنا اليه ، الا أن هذا أشد وأوسع شرحا للالحـــاح على الشافعى بالسؤال ٠

بذل الرأى

عن آداب الشافعى ومناقبه : قال حرملة بن يحيى : سمعت الشافعى ينشد :

ولاتعطين الــرأى من لايريده
فلا أنت محمود ولا الرأى نافعه

يقول : فلا أنت محمود ٠٠ أى ان بذلت له الرأى وهو لم يطلبه ، ولن يعمل برأيك ، الذى تطوعت به فلن ينفعه ، وبذلك تكون قد خسرت عنده نفسك ورأيك ٠

القناعة والطمع

عن مقدمة كتاب الأم : قال الشافعى :

العبـد حـر ان قنـع
والحـر عبـد ان قنـع
فاقنـع ولا تقنـع فـلا
شىء يشيـن سوى الطمـع

فى البيت الأول قنع بكسر النون وفتحها من الأضداد والأولى بمعنى الرضا والقناعة والثانية بمعنى الطمع والبطر ٠ ومعنى الكلام واضح ٠

وقد نصح الشافعى فى البيت الثانى باتخاذ القناعة لا الطماعة مذيلا بالسبب الذى من أجله يشان الطامع ويزان القنوع ٠

قافية الفاء

سياسة الناس

عن آداب الشافعى ومناقبه أن حرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعى يقول :

ودع الذين اذا أتوك تنسكـــوا
واذا خلوا فهـم ذئاب حقـــاف

وكأن هذا البيت مسبوق الكلام قبله ٠ والحقاف جمع حقف بكسر الحاء فى الجمع والمفرد وهو ما اعوج من الرمل واستطال ٠ **والكلام مقتبس من قوله تعالى « واذا لقـوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم »**

قافية القاف :

النفع الضار

عن وفيات الأعيان نسب الى الشافعى انه قال :

رام نفعـــا فضر من غير قصـــد
ومن البر مــا يكون عقـــوقا

وفى هذا البيت لم يرتب الشافعى ذنبا على العقوق الذى سببه ارادة البر ، لأن الضر الذى وقع به لم يكن مقصودا وانما كان المقصـــود النفع ولكن جزاءه جزاء من يصيب غرضـــا خطأ ٠

رزق المجانين

عن المخزون فى تسلية المحزون أن الشافعى قال يخاطب غيره :

رزقت مالا على جهل فعشت به
فلست أول مجنـون بمـرزوق

يرى الفقهاء أن العقلاء والعلماء اقل رزقا من الجهال ، والشافعى على هذا الرأى ، وقد سئل جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه: لم يرزق الله الجهلاء أكثر مما يرزق العقلاء ؛ فقال : لئلا يغتر أهل العقل بعقولهم ٠ والرأى الصحيح أن العقلاء والعلماء لايهتمون بالمال اهتمام الجهلاء اذ ليس من اغراضهم ، لذلك قل عندهم وكثر عند الجهلاء ٠

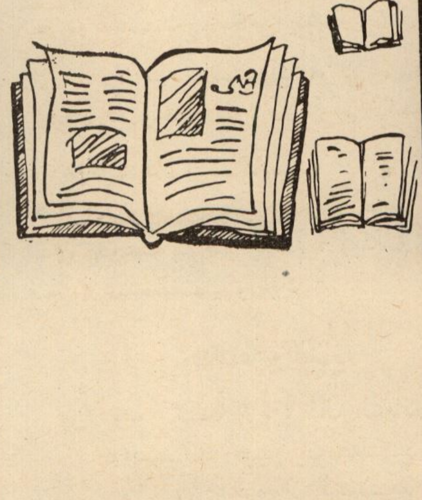

باب القصة

ثورة الحسين

« .. وراح الحسين يفكر فى أمر هذه الكتب !! أنه خرج من المدينة فرارا بدينه .. وها هم أهل العراق يدعونه الى الثورة .. فحق عليه أن يثور ليعيدها شورى بين المسلمين .. »

صعد معاوية بن أبى سفيان المنبر فى المدينة وقال :

ـ يا أهل المدينة . لقد هممت ببيعة يزيد، وما تركت قرية ولا مدرة الا بعثت اليهـــا ببيعته ، فبايع الناس جميعا وسلموا ، وأخرت المدينة ببيعته ، وكان من أخر البيعة منهم من كان أجدر أن يصله ، ووالله لو علمت مكـان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له .

فقال الحسين :

ـ والله ، لقد تركت من هو خير منه أبا وأما ونفسا .

فقال معاوية :

ـ كأنك تريد نفسك ؟

ـ نعم ، أصلحك الله

ـ اذا أخبرك ، أما قولك خير منـه أما ، فلعمرى أمك خير من أمه ، ولو لم يكن الا أنها من قريش لكان لنساء قريش فضلهن ، فكيف وهى ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم فاطمة فى دينها وسابقتها ، فأمك لعمر الله خير من أمه . وأما أبوك فقد حاكم أباه الى الله ، فقضى لابيه على أبيك .

ـ حسبك جهلك .. آثرت العاجل علـى الآجل .

ـ وأما ما ذكرت من أنك خـــير من يزيد نفسا ، فيزيد والله خير لامة محمد منك .

ـ هذا هو الافك والزور ، يزيد شارب الخمر ومشترى اللهو خير منى ؟!

ـ مهلا عن شتم ابن عمك فانك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك .

ثم التفت معاوية الى الناس وقال :

ـ أيها الناس ، قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف احدا ، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر وكانت بيعته بيعة هدى فعمـل بكتاب الله وسنة نبيه ، فلما حضرته الوفـــاة رأى أن يستخلف عمر ، ففعل عمر بكتاب الله وســنة نبيه ، فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلهـــا

بقلم عبد الحميد جودة السحار

شورى بين ستة نفـر اختارهم من المسلمين ، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسـول الله ، وصنع عمر ما لم يصنعه ابو بكر . كل ذلك يصنعونه نظرا للمسلمين ، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف، ونظرا لهم بعين الانصاف .

فقام عبد الله بن الزبير ، فقال :

ـ ان رسول الله صلى الله عليه وسـلم قبض فترك الناس الـى كتاب الله ، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر ، ثم رأى أن يستخلف عمر وهو أقصى قريش منه نسبا ، ورأى عمر أن يجعلها شورى بين ستة نفـر اختارهم من المسلمين ، وفى المسلمين ابنـه وهو خير من ابنك ، فان شئت أن تدع الناس على ما تركهم رسول الله فيختارون لانفسهم، وان شئت أن تستخلف من قـــريش كمـا استخلف أبو بكر خير من يعلم وان شئت أن تصنع مثل ما صنع عمر تختار رهطـــا من المسلمين وتزويها عن ابنك فافعل .

وانصرف معاوية ذاهبا الى منـزله وأمر حرسه ان يحضروا هؤلاء النفر الذين أبوا البيعة وهم الحسين بن على وعبـد الله بن الزبير وعبد الله بن العباس وعبد الرحمن بن أبى بكر فلما اجتمعوا عنده التفت الى جنده وقال :

- انى خارج العشية الى أهل الشام فأخبرهم أن هؤلاء النفر قد بايعوا وسلموا ، فان تكلم أحد منهم بكلام يصدقنى أو يكذبنى فيه فلا ينقضى كلامه حتى يطير راسه .

فلما كان العشى خرج معاوية وخرج معه هؤلاء النفر وهو يضاحكهم ويحدثهم وقد البسهم الحلل ، ثم خرج بينهم واظهر لاهل الشام الرضا عنهم وانهم بايعوا ، فقال :

- يا أهل الشام ، ان هؤلاء النفر دعاهم أمير المؤمنين فوجدهم واصلين مطيعين وقد بايعوا وسلموا وظل القوم سكوتا لم يتكلموا شيئا حذر القتل ، فوثب الناس من اهل الشام وقالوا :

- يا أمير المؤمنين ، ان كان رابك منهم ريب فخل بيننا وبينهم حتى نضرب اعناقهم .

فقال معاوية :

- سبحان الله . ما احل دماء قريش عندكم يا أهل الشام . لا اسمع ذكرا بسوء . فانهم قد بايعوا وارتضوا فرضيت عنهم رضى الله عنهم .

ومات معاوية وكتب يزيد الى ولاته بالامصار ان يأخذوا البيعة له ، وكتب الى عامله بالمدينة : « اما بعد . فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة اخذا شديدا ليست فيه رخصة » .

أرسل امير المدينة غلامه الى المسجد ليدعو الحسين وابن الزبير . فخرج الغلام حتى اتى المسجد ،فالقاهما جالسين فأتاهما فقال .

- اجيبا الامير يدعوكما .

فالتفت كل من الحسين وابن الزبير الى الآخر وقد بان فى وجهه التساؤل ، فان الغلام اتاهما فى ساعة ما كان الامير يجلس فيها للناس ولا يأتيان فى مثلها ، فالتفت ابن الزبير الى الغلام وقال :

- انصرف ! الآن نأتيه .

ثم اقبل أحدهما على الاخر ، فقال ابن الزبير للحسين :

- ظن فيم تراه بعث الينا فى هذه الساعة التى لم يكن يجلس فيها ؟

- قد ظننت . أرى طاغيتهم قد هلك . فبعث الينا ليأخذنا للبيعة قبل ان يفشو فى الناس الخبر .

- وما اظن غيره .

وسكت ابن الزبير برهة وقال :

- فما تريد ان تصنع ؟

- اجمع فتيانى الساعة ، ثم أمشى اليه ، فاذا بلغت الباب احتبستهم عليه ، ثم دخلت عليه .

- انى اخافه عليك ان دخلت

فقال الحسين فى ثقة :

- لا آتيه الا وانا على الامتناع قادر

وجمع الحسين مواليه واهل بيته ، ثم اقبل يمشى حتى انتهى الى باب امير المدينة وقال لاصحابه :

- انى داخل ، فان دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فافتحوا عليه بأجمعكم ، والا فلا تبرحوا حتى أخرج اليكم .

فدخل الحسين وجلس فقدم اليه امير المدينة كتاب نعى معاوية ودعاه الى بيعة يزيد فقال الحسين :

- انا لله وانا اليه راجعون ، انها لمصيبة عظيمة ولنا فيها شغل عن البيعة .

فقال امير المدينة :

- لا بد من ذلك .

- ان مثلى لا يبايع سرا . ولا اراك تجتزىء بها منى سرا دون ان تظهرها على رءوس الناس علانية .

- اجل .

- فاذا خرجت الى الناس فدعوتهم الى البيعة دعوتنا مع الناس ، فكان أمرا واحدا .

وكان أمير المدينة يحسب العواقب فقال له :

- فانصرف أبا عبد الله وائتنا غدا مع الناس .

كان مروان بن الحكم ، عدو بنى هاشم اللدود حاضرا ، فلم يستطع ان يكبت عواطفه وان يدارى ما به ، **فقال لامير المدينة :**

ـ ان فاتك الثعلب لم تر الا غبارا فاحذر أن يخرج حتى يبايعك أو فاضرب عنقه .

فوثب عند ذلك الحسين وقال :

ـ يابن الزرقاء : أنت تقتلني أم هو ! كذبت والله وأثمت .

ثم قام من عندهما وانطلق الى منزله فقال مروان لامير المدينة :

ـ عصيتني وخالفت امرى ، والله لا قدرت على مثلها أبدا .

ـ وبخ غيرك يا مروان ان اخذت لى التى فيها هلاك دينى . والله ما احب أن لى ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وانى قتلت حسينا ، سبحان الله ! اقتل حسينا ان قال لا ابايع . والله انى لا اظن امرءا يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة .

فقال مروان متهكما :

ـ فاذا كان هذا رايك فقد أصبت فيما صنعت .

ودخل الحسين داره يفكر ويدبر امره وأهمه فكره فما يستطيع أن يبايع ليزيد ، فلو بايع له لرضى بأن تصبح خلافة المسلمين ملكية قيصرية كسروية يتوارثها الابناء عن الآباء ، ومافعل رسول الله ذلك ولا أقره الخلفاء الراشدون من بعده ، انها بدعة فى الاسلام يريد أنيفرضها معاوية على المسلمين. انه لو بايع ليزيد لرضى ان تصبح خلافة المسلمين ملكا ، أن يرث الابن الملك بعد ابيه وان كان فاسقا معتوها شريرا ، لا يصلح لان يسوس امور المسلمين .

ماكان الحسين ليرضى عن ذلك وان كان فيه تشريده وتشريد أهله او هلاكه وهلاك ناصريه . وراحت الذكريات تترادف فى راسه فتشد أزره وتقوى من عزمه على الثورة ضد ذلك النظام الفاسد الذى يريد ان يدعم اركانه فى الدولة الاسلامية التى كانت رئاستها حتى هذه اللحظة شورى بين المسلمين ، فجده العظيم فر بدينه من أتون مكة ، من وجه ابى سفيان واضطهاده ، وتحصن بالمدينة حتى اذا ما اشتد ساعده محق حزب ابى سفيان فقضى على الضلالةوالكفر وتألق الحق الابلج ، فلم لا يفر بدينه من وجه يزيد ويلوذ بمكة حتى اذا سنحت له الفرصة انقض على الجور فقوضه واعاد الامر ثانية شورى بين المسلمين ؟.

وبيت النية على الخروج الى مكة ، وكان فى مقدوره أن يخرج وحده ، فيعز الطلب ويسهل عليه الفرار من وجه أعوان يزيد ، ولكنه خشى ان خرج وحيدا ان ينكل عامل يزيد بأهله ، وهو يعلم حقد بنى امية الموروث لبنى هاشم . فعزم على أن يخرج بأهله جميعا ليجنبهم اضطهاد الامويين ومعاينة بيعة الضلالة التى ستسلب من الناس حق اختيار خليفتهم وتجعل الحكم ملكيا فاسدا كما كان فى الفرس والروم .

وخرج الى اهله يأمرهم بالتأهب للرحيل فتأهب أبناؤه وأبناء الحسن واخوته وجل أهل بيته ومواليه ، وجاء اليه أخوه محمد بن الحنفية وقال له :

ـ يا اخى ! انت احب الناس الى واعزهم على ولست ادخر النصيحة لاحد من الخلق أحق بها منك ، تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الامصار ما استطعت ثم ابعث رسلك الى الناس ، فادعهم الى نفسك فان بايعوا لك حمدت الله على ذلك ، وان أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك . انى أخاف ان تدخل مصرا من هذه الامصار وتأتى جماعة من الناس فيختلفون بينهم ، فمنهم طائفة معك واخرى عليك فيقتلون فتكون لاول الاسنة ، فاذا خير هذه الامة كلها نفسا واما وابا اضيعها دما واذلها اهلا .

كان محمد يظن أنه لايزال فى الامكان أن يكون الامر شورى بين الناس ، أن يكون فى مقدورهم ان يدلوا باصواتهم فى حرية وان تجتمع كلمتهم على من يختارونه ليكون رئيسا لدولتهم ، بيد ان الحسين كان على يقين أن ذلك العهد قد انتهى بتولية يزيد ، فان لم يزلزل الأرض تحت قدميه ويقوض عرشه فلن يعود الامر شورى بين الناس مرة اخرى ، فقرر أن يحفز الهمم وأن يضرب المثل وان يدك اول عرش ملكى يريد أن يثبت اقدامه فى الاسلام ، فقال لاخيه :

ـ فانى ذاهب يا أخى

ـ فانزل مكة فان اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك ، وان نبت بك لحقت بالرمال وشعب الجبال ، وخرجت من بلد الى بلد حتى تنظر الى مايصير أمر الناس وتعرف عند ذلك الرأى، فانك أصوب ما يكون رأيا وأجزمه عملا حتى تستقبل الامور استقبالا ، ولا تكون الامور عليك أبدا أشكل منها حين تستدبرها استدبارا .

ـ يأخى قد نصحتك فأشفقت ، فأرجو أن يكون رأيك سديدا موفقا .

وتجهز الحسين للخروج ، فدخل قبر الرسول ليودعه قبل الرحيل ، فبان فى وجهه الاسى العميق وغامت عيناه بالدموع ، وقال وهو يشرق بعبراته :

ـ بأبى انت وأمى يا رسول الله ! لقد خرجت من جوارك كرها وفرق بينى وبينك وأخذت قهرا ان ابايع يزيد شارب الخمور وراكب الفجور . وان فعلت كفرت وان أبيت قتلت فها أنا خارج من جوارك كرها ، فعليك السلام منى يا رسول الله .

وسار مطأطىء الرأس ، منقبض الصدر ، تشبع فى نفسه أحاسيس رهبة وحزن ، وتلفت قبل ان يخرج لفتة الى القبر ، وألقى نظرة أخيرة طويلة ، كأنما يتزود منه لنهاية العمر فما يدرى أيعود الى قبر الحبيب ثانية يزوره أم يلتقى بصاحب القبر فى جنات عرضها السموات والارض .

وهاجر الحسين من مدينة جده ، فخرج منها خائفا يترقب ، قال : رب نجنى من القوم الظالمين ، وركب الحسين الجادة العظمى . فخاف عليه أهل بيته خوفا شديدا . فما يفعلون اذا ما دهمهم أعوان يزيد ، أيدعون الحسين يقع غنيمة باردة فى أيديهم ؟ كلا فما كانوا ليتخلون عنه وان بادوا عن بكرة أبيهم ، فقد كان الحسين حبيب قلوبهم ، بل كان الروح التى تسرى فى ابدانهم ، ولولا حبهم الشديد له وتعلقهم به ما تركوا جميعا ديارهم الآمنة ليخرجوا معه لايدرون ما يخبئه لهم الغد من أحداث وما قد ينزل بهم من متاعب وأهوال واستخفوا بالمخاطر وركبوا الصعاب ارضاء للحسين الحبيب وقد خرجوا جميعا راضى النفوس ، فهم على يقين من ان الحسين ما غضب الا لله ، وما ثار الا لاعلاء كلمة الحق .

كانوا جميعا يخافون عليه ، فقالوا له :

ـ لو سلكت الطريق الافرع لكان أصلح .

فقال :

ـ اتخافون الطلب ؟

ـ أجل ..

ـ أخاف ان أحيد حذر الموت .

اذا المرء لا يحمى بنيه وعرضه
وعترته كان اللئيم المسببا
ومن دون ما يبغى يزيد بنا غدا
نخوض غمار الموت شرقا ومغربا
ونضرب ضربا كالحريق مقدما
اذا ما رآه ضيغم فر مهربا

ومضى حتى اذا مالاحت له أرباض مكة نظر الى السماء وقال فى ابتهال :

((اللهم خذ لى بحقى وقر عينى ... رب اهدنى سواء السبيل))

وهبط الحسين مكة ـ البلدة التى يأمن فيها الطير ـ مستجيرا بحرم الله ممن يريدون أخذه بالشدة لمبايعة يزيد ، لاقرار الملكية فى الاسلام . وبقى عاكفا بأم القرى لا يدعو الناس الى بيعته ، فما هاجر طلبا للسلطان ، بل هاجر فرارا من ان يقر مبدأ خاطئا قد يوجب مؤاخذته عند لقاء ربه ، فقد قال لجده وهو يودع قبره : أخذت قهرا أن ابايع ليزيد ، وان فعلت كفرت ، فما كان الحسين ليرضى ان يمالىء فى دينه وأن يبيع آخرته بدنياه .

وذاع فى مكة ان الحسين لم يبايع ليزيد وانتشر فى الامصار ان ابن بنت رسول الله لائذ ببيت الله الحرام ممن يريدون ان يرغموه على البيعة كرها ، فمالت قلوب الناس اليه ، وبذرت فى الصدور بذور المقت لبنى أمية واعوانهم .

وبلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وامتناع الحسين من البيعة ، فامتنعوا من مبايعة يزيد ، وتذكر سليمان بن صرد ما قاله الحسين له لما بايع الحسن لمعاوية : ((ليكن كل رجل منكم حلسا من احلاس بيته ما دام معاوية حيا ، فانها بيعة كنت والله لها كارها

فان هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم » وها قد هلك معاوية ، فليكتبوا الى الحسين يدعونه ، واجتمع رجال عند سليمان فقالوا :

ـ نكتب الى الحسين

فقال لهم سليمان :

ـ يا معشر الناس ، ان معاوية قد هلك ، وقد امتنع الحسين عن البيعة ونحن شيعته وانصاره ، فان كنتم تعلمون انكم تنصرونه وتجاهدون بين يديه فافعلوا ، وان خفتم الوهن والتخاذل فلا تغرو الرجل .

ـ بل نقاتل عدوه

ـ اكتبوا على اسم الله

فكتبوا اليه : « بسم الله الرحمن الرحيم . الى الحسين بن على بن ابى طالب، من سليمان بن صرد الخزاعى والمسيب بن نجيه ، ورفاعه ابن شداد البجلى ، وحبيب بن مظاهر الأسدى ومن معه من المسلمين ، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته . اما بعد : فانا نحمد الله الذى لا اله الا هو ، ونصلى على محمد وآل محمد واعلم يا بنى محمد المصطفى وابن على المرتضى ، ان ليس لنا أمام غيرك فأقدم الينا . لنا مالك وعليك ما علينا ، فلعل الله ان يجمعنا بك على الحق والهدى واعلم انك تقدم على جنود مجندة وانهار متدفقه وعيون جارية ، فان لم تقدم على ذلك فابعث الينا أحدا من اهل بيتك ، يحكم بيننا بحكم الله تعالى وسنة جدك رسول الله ، واعلم ان النعمان بن بشير فى قصر الامارة ولسنا نشهد معه جمعة ولا جماعة ولو انك اقبلت الينا لكنا اخرجناه الى الشام والسلام »

وراحت رسائل اهل العراق تصل الى الحسين تباعا : « الى الحسين بن على بن ابى طالب ، أما بعد : فانه لا امام غيرك لنا ، يا بن رسول الله العجل العجل » ... « قد اينعت الثمار ، فأقدم الينا يابن بنت رسول الله مسرعا » ... وتواترت الكتب اليه فسأل الرسل عن أمر الناس فقالوا :

ـ انهم كلهم معك .

وراح الحسين يفكر فى أمر هذه الكتب ، انه خرج من المدينة فرارا بدينه وها هم أهل العراق يدعونه الى الثورة فحق عليه ان يثور ليعيدها شورى بين الناس . ها هم اهل العراق يدعونه ، فحق عليه ان يلبى دعوتهم فهم يدعونه الى رشاد وله فى رسول الله أسوة ، فما دعاه أهل يثرب حتى لبى الدعوة وخرج اليهم وانتصر بهم على الباطل والضلال ، فما كان على ثائر ان يحجم اذا ما دعى الى الثورة على الفساد . فكتب لاهل العراق :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من الحسين ابن على الى الملأ من المؤمنين . اما بعد فان هانيا وسعيدا قدما الى بكتبكم وكانا آخر من قدما الى من رسلكم وقد فهمت ما ذكرتموه انه ليس لكم امام غيرى وتسالونى القدوم اليكم . لعل الله يجمعكم على الحق والهدى وانى باعث اليكم أخى وابن عمى المفضل عندى من أهل بيتى مسلم بن عقيل . وقد أمرته أن يكتب الى بحسن رأيكم وما أنتم عليه وأنا قادم اليكم ان شاء الله

وخرج الحسين وأهل بيته وجاءه أمير مكة وقال له :

ـ يا حسين ، ألا تتقى الله ، تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الأمة ؟

ـ لى عملى ولكم عملكم . أنتم بريئون مما أعمل وانا برىء مما تعماون .

وجاء الى الحسين بعض أهل بيته يحاولون أن يثنوه عن الخروج ، فقال لهم :

ـ انى رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرت فيها بأمر انا ماض له ؛ على كان أو لى .

ـ فما تلك الرؤيا ؟.

ـ ما حدثت احد بها وما انا محدث بها حتى القى ربى .

وسار الحسين حتى دخل المدينة ، فأتى قبر رسول الله يزوره قبل خروجه ، فاحس غصه فى حقه وجرى دمعه غزيرا حتى بل لحيته ، ثم خرج بعد ان ودع جده العظيم ودخل الى أخيه محمد بن الحنفية وقال له :

ـ يا أخى ، انى راحل الى العراق .

فبكى محمد وقال :

ـ والله يا أخى لا أقدر أقبض قائم سيفى ولا كعب رمحى ثم لافرحت بعدك أبدا .

وخرج الحسين ومحمد بن الحنفية يرقبه بعيون تترقرق فيها الدموع ثم قال :

ـ استودعك الله من شهيد مظلوم .

باب المرأة

أم المؤمنين صفية رضى الله عنها

اعداد: عائشة حسنى

أرسل الله محمدا خاتم النبيين ، ورحمة للعالمين ، وجاء بدين سمح حنيف يتمم مكارم الأخلاق ، وجعل الناس على اختلاف ألوانهم وأحسابهم سواسية ، لافضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى .. من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ... وانما يرتفع الانسان رجلا كان أو امرأة فى ظل الاسلام بايمانه وعلمه وعمله وسمو خلقه ونفعه للمجتمع ، ... ومنع الاسلام الانسان أن يفتخر بالأجداد والآباء ، وقضى على التفاوت بين الطبقات ... والتعصب للأسر والعشائر والقبائل ، وألف بين قلوبهم فأصبحوا جميعا فى ظله اخوانا ، كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر « وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم .

وكانت الأمارات الكبرى الدالة على الرسالة من شخصه فأعلن الدعوة الى الاسلام خفية بين أصدقائه وأوليائه حتى أمره ربه بأن ينذر عشيرته الأقربين أولا قبل أن ينشرها علانية

وبذلك اتسمت حياته - صلى الله عليه وسلم - بالجهاد والصبر والمحبة العادلة والصفح الجميل ... فحياته نفسها معجزة دالة على نبوته .

موقف الرسول ازاء اليهود :

استمرت المعارك والمكايد بين المؤمنين وأعدائهم من المستهينين بدعوة محمد بعد وصوله الى المدينة ، فى السنة السابقة للهجرة وكان الرسول يرى زعماء اليهود يتوددون اليه بالرياء، فاضطر الى ودهم ورضى بتوثيق العهود بينه وبين زعمائهم (اليهود) الذين كانوا يشتدون على الأوس والخزرج (خشية أن

يميلوا الى الاسلام ، وراحوا يخادعون النبى وصحبه ليستعينوا بهم على مناواة الذين يخالفون فى الدين من المسيحيين ، ونسوا أن محمدا كان أدرى بما بيتوا له ولرسالته .. اضمروا له العداوة والبغضاء وأظهروا المجاملة له حين جاء المدينة مهاجرا من مكة .

ورأى الأعداء أن يعملوا على دس الخلاف والتنافر بين أهل المدينة وأن ينقضوا العهود ويغدروا بمحمد وأنصاره فكان حيى بن أخطب أول من دبر الفتن وقام باغراء المعروفين منهم بالكيد للمؤمنين . ولما علم الرسول بما يبيتون له أنذرهم بالحصار والطرد من المدينة ، فعز ويغدروا بمحمد وأنصاره فكان حيى بن أخطب الى قريش ومعه أعوانه من المعاندين يملأ قلوبهم الحقد والكيد . وراح هؤلاء الى الأحزاب والقبائل يحضون على نقض العهود وتحدى الرسول . حتى حق للمؤمنين أن يقاتلوا هؤلاء الأعداء وبذلك هاج (زاد) كيد اليهود فى خيبر حصنهم ومعقلهم . وما كاد جيش الرسول يهتف بمن هددهم حتى تداعت خيبر ونزل بحصونها الخراب .

وهكذا استبد التفكير بقريش بعد ان علا محمد وارتفع شأنه خاصة وانهم أرادوا به الشر ولكن الله - عز وجل - كتب له النصر والعلو بعد أن أصبحت خيبر حصن اليهود غنيمة ينالونها جزاء لهم على جهادهم فى سبيل الحق .. وظفر نضال المؤمنين بمن آذوهم واعتدوا عليهم .

وجاء موكب السبايا فى عويل وبكاء ومنهن صفية بنت حيى بن أخطب عدو محمد ودعوته .

من هى صفية ؟

صفية بنت حيى بن أخطب .. من بنى اسرائيل من سبط هارون بن عمران .

زواجها

❋ زواجها قبل النبى

تزوجت صفية مرتين من زعماء اليهود من بنى النضير ، أولهما سلام بن مشكم القرظى ، ثم كنانة بن الربيع ، وقد ضربها ولطمها على خدها يوم ذكرت محمدا ، وكانت قد رأت فى المنام قمرا أقبل من يثرب حتى وقع فى حجرها ولما ذكرت ذلك لزوجها خشى عليها من دين محمد وضرب وجهها وهددها بالطلاق اذا ذكرت محمدا مرة أخرى . وعندما وقعت فى السبايا بعد خيبر أنكر زوجها كنانة أن يكون لدى قومه مال وهم الذين تعودوا اكتنازه واستغلاله فى الأذى حل دمه بعد أن عقد اليمين والشهود على الانكار . أما الذين بعدوا عن المنكر وخضعوا للأمر فقد عطف عليهم الرسول وصحبه وأعطاهم كتب التوراة التى عثر عليها المسلمون بعد الفتح .

- زواجها من النبى عليه السلام .

أخذ النبى يوزع الأسلاب على رجاله التوزيع العادل وحينما علم أن فى النساء سيدة بنى النضير أرسل بلالا وراءها وكان بلال قد مر بها وبابنة عمها على قتلى اليهود . فأخذت تبكى فقال له النبى : ((**أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما ؟**)) . رواه ابن اسحاق . تمثلت كل منها أمام الرسول بردائها الممزق ودمعها الجارف فألقى الرسول بردائه عليها ليؤذنها بأنه اختارها لنفسه .

وتحدثنا كتب السيره بانه حينما دخلت صفيه على النبى - صلى الله عليه وسلم - قال لها : لم يزل أبوك من أشد اليهود عداوة لى حتى قتله الله . فقالت : يارسول الله ان الله يقول فى كتابه ولا تزر وازرة وزر أخرى . فقال لها رسول الله : اختارى فان اخترت الاسلام أمسكتك لنفسى وان اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك . فقالت : يارسول الله لقد هويت الاسلام وصدقت بك قبل أن تدعونى حيث صرت على رحلك ومالى فى اليهودية أرب ومالى فيها والد ولا أخ ، وخيرتنى الكفر والاسلام فالله ورسوله احب الى من العتق وأن أرجع الى قومى . قال فأمسكها رسول الله لنفسه وجعل عتقها صداقها .

من هذا تتضح لنا صفية الحقيقية المسلمة المؤمنة بالله ورسوله وكيف أنها اختارته وتركت دينها .

وقيل بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضرب عليها الحجاب فكان يقسم لها كما يقسم لنسائه ٠

حياة صفية فى بيت النبوة :

وهنا سأسرد بعض المشاهد لتبين لنا صفية المؤمنة ، الطاهرة ، الماهرة ، المخلصة لزوجها ، الصادقة ٠٠٠ كما تبين لنا حقيقة الاسلام والمثل الكامل متمثلا فى رسول الله٠ الذى نرى فى سلوكه داخل البيت المثل الأعلى الذى تتطلع اليه الانسانية ٠

حينما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من خيبر ومعه صفية أنزلها فى بيت من بيوت حارثه بن النعمان فسمع بها نساء الأنصار وبجمالها فجئن ينظرن اليها وجاءت عائشة متنقبة حتى دخلت عليها فعرفتها ، فلما خرجت خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أثرها وقال : كيف رأيتها ياعائشة ؟ قالت : رأيت يهودية٠ قال : لا تقولى هذا يا عائشة فانها قد أسلمت فحسن اسلامها

وتخطىء عائشة كذلك فى حق ضرتها صفية، والغيرة هى التى جعلتها تندفع محاولة أن تنتقص من حب رسول الله لزوجته صفية فكأنها تريد أن تقول لرسول الله : ما الذى يعجبك فى صفية ، حسبك من صفية انها قصيرة ٠ فغضب النبى - صلى الله عليه وسلم - وقال لها : « **لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته** » ٠

كان هذا دأب النبى مع سائر زوجاته يدع احداهن أن تتصرف على طبيعة الأنوثة لكن لا يسمح لواحدة منهن أن تخرج عن حد السلوك الكريم فى احترام الغير ولو فى غيبته ٠ فقد حدث أن لقبت السيدة زينب (احدى زوجات النبى) ضرتها صفية بـ (اليهودية) كأنها تحتقرها وتعيرها بأصلها فهجرها النبى شهرا كاملا عقوبة لها ٠

وتروى لنا عائشة ان صفية صنعت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - طعاما ، وكانت معروفة باجادة الطهى وتقديم ما لذ منه ، تقول عائشة (**ما رأيت صانعة طعام مثل صفية**) ، صنعت لرسول الله طعاما وهو فى بيتى فأخذنى أفكل (رعدة وقشعريرة) فارتعدت من شدة الغيرة فكسرت الاناء ، ثم ندمت ، فقلت : يارسول الله : ما كفارة ما صنعت) قال اناء مثل اناء ، وطعام قبل طعام) ٠

ففى هذا المشهد نرى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يقر أحدا على خطيئة حتى ولو كان أحب الناس اليه ، وحتى لو وقع من عائشة حبيبته ٠

وفى هذا المشهد أيضا نرى حلم رسول الله وصبره على غيرة نسائه ، فما قام لضرب عائشة وانما اكتفى بقوله كما فى رواية (غارت أمكم) فالغيرة شىء طبيعى وما كان لنبى الانسانية أن يتنكر للفطرة والغريزة ٠

وحدثتنا كتب السيرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أثناء مرضه الأخير حينما اجتمع حوله نساؤه قالت صفية : أما والله يانبى الله لوددت أن الذى بك بى ٠ فغمزنها أزواج النبى - صلى الله عليه وسلم - وأبصرهن رسول الله ، فقال : مضمضن : فقلن : من أى شىء يا نبى الله ؟ قال : من تغامزكن بصاحبتكن ، والله انها لصانعة ٠

وبذلك تتضح لنا تضحية صفية بنفسها لرسول الله أثناء مرضه وصدقها له وكيف أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صدق بما قالته على سائر نسائه ٠

وفى حديث الترمذى أن صفية بلغها أن عائشة وحفصة قالتا : نحن أكرم على رسول الله منها فذكرت ذلك للنبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : (ألا قلت وكيف تكونان خيرا منى وزوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى !

وبذلك تظهر لنا التربية الاسلامية ممثلة فى رسول الله المثل الأعلى لكل ما يعلو به الانسان لأعلى درجات الانسانية ٠ وكيف كان يعامل زوجته اليهودية صفية كسائر نسائه المقربين لايمانها بالله وبرسوله ٠

وفاتها :

توفيت صفية - رضى الله عنها - فى عهد معاوية ، وفى مطلع النصف الثانى من القرن الأول للهجرة ودفنت فى البقيع مع أمهات المؤمنين ٠

المنظمات النسائية في مالي

إعداد نجاة الزنيري

مالى تتوسط السنغال وغينيا وساحل العاج. مساحتها حوالى ١ر٢ مليون كيلو متر مربع. ويبلغ تعداد سكانها ٤ر٣٠٠ر٠٠٠ نسمة. عاصمتها باماكو.

حصلت مالى على استقلالها فى سنة ١٩٦٠، ونظام الحكم رئاسى جمهورى، ورئيس الجمهورية موديبو كيتا.

تعد مالى بلدا زراعيا، ومحصولها الرئيسى الفول السودانى والذرة والارز.

تربطها بالجمهوريه العربية المتحدة علاقات سياسية واقتصادية وثقافية وثيقة.

مكانة المرأة فى مجتمع مالى:

حرمت المرأة فى مالى من ملاحقة التطور زمنا طويلا تحت ضغط الاستعمار. وأيقنت هذه الجمهورية الفتية أهمية دور المرأة فى المجتمع وحرصت على منحها كافة حقوقها .. وأصبح للمرأة فى مالى حق التصويت والانتخاب والاشتراك فى جميع الهيئات السياسية والادارية .. وانتخبت السيدة « أواكيتا » عضوا بمجلس الأمة وقامت بتمثيل حكومة مالى فى الأمم المتحدة أثناء انعقاد اللجنة الثالثة الخاصة بالتفرقة العنصرية فى اكتوبر سنة ١٩٦٣ بنيويورك.

وتعمل المرأة فى مالى فى جميع المجالات، عدا مجالى الهندسة والزراعة ... وتقوم بصناعة السجاد والأغطية، كما تقوم أيضا بأشغال الجلد والقش ..

وفى مجال الخدمة الاجتماعية تقوم المرأة بأشغال التمريض والولادة وتتولى وحدها هذه المهنة.

وتتقاضى المرأة العاملة أجرا مماثلا للأجر الذى يتقاضاه الرجل وذلك حسب العمل الذى تقوم به وحسب امكانياتها .. ولها الحق فى اجازة وضع لمدة شهرين.

وقد أنشأت الحكومة دارا للحضانة لرعاية أطفال المرأة العاملة.

ويحرم القانون العمل اثناء الليل للنساء فى المصانع، وينص على منحهن فترة راحة قدرها اثنتى عشرة ساعة متوالية ..

كما يمنع القانون تشغيل الأطفال (أولاد وبنات) الذين تقل أعمارهم عن ١٤ سنة حتى ولو كان ذلك بقصد التمرين.

مراحل التعليم :

يبدأ تعليم الفتاة فى السادسة من عمرها . وهو السن القانونى ، ويمتد التعليم فى ثلاث مراحل :

١ ــ التعليم الابتدائى وهو مختلط .

٢ ــ التعليم الثانوى فى مدارس الليسيه للبنات أو فى المدارس المختلطة التابعة للحكومة ..

٣ ــ وفيما يختص بالتعليم العالى للبنات فتوجد ثلاثة معاهد عليا لتخريج المدرسات ومعهد عال لتخريج المشرفات الاجتماعيات .

وتوفد سنويا بعض الفتيات فى بعثات التعليم العالى الى فرنسا ، وروسيا ، وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا .

أما عن التعليم الدينى : فقد كانت تتلقى الدراسة الدينية والقرآن فى الكتاتيب الخاصة التى يديرها بعض الشيوخ .. وكانت تحفظ القرآن الكريم دون فهم معانيه .

ولكن بعد أن أصبحت اللغة العربية هى اللغة الرسمية الثانية بعد الفرنسية ، فقد التحقن بالمدارس التى أدخلت فيها دراسة اللغة العربية والدين الاسلامى الى جانب الدراسة الفرنسية .

وتمارس الفتاة الألعاب الرياضية المختلفة، وقد عين المجلس الأعلى للشباب مجلسا للرياضة ليتولى الاشراف على تلك الألعاب .. وتشترك الفتاة فى المباريات والبطولات العالمية فيما يختص بألعاب كرة السلة والكرة الطائرة والقفز والعدو .

الجمعيات النسائية

منذ عهد الاستقلال تعاهدت نساء مالى على أن يحملن الشعلة ويعبرن الطريق الوعر المملوء بالتقاليد والعادات القديمة لينرن الطريق أمام المرأة ووضع الأسس الصحيحة لاصلاح الاسرة وحل مشكلات المرأة .. وتوجد ثلاث جمعيات نسائية لتحقيق هذا الهدف .. وهى :

١ ــ اتحاد نساء مالى

٢ ــ اتحاد النساء العاملات

٣ ــ حركة السلام « وهى مختلطة » .

مؤتمر اتحاد نساء افريقيا :

ويضم هذا الاتحاد مندوبات يمثلن جميع الدول الافريقيه ٠٠ ومندوبة مالى هى السيدة « أواكيتا » وهى أيضا عضو بمجلس الأمة ٠

ويهدف هـذا الاتحاد الى تضامن نساء افريقيا من أجل النهوض بالمرأة الافريقيـة عامة ٠

الزى الوطنى :

ترتدى المرأة المالية الزى الوطنى الـذى يتكون من جوب طويل يسمونه « اليـانى » وبلوزة وهى سافرة الوجه ٠٠ أما فى الشمال فانها تلتف بثوب من الشـاش الابيض ولا تظهر الا وجهها وقدميها .. حسب تعـاليم الاسلام ٠

تقاليد الزواج :

الزواج يتـم عن طريق التراضى بيـن الاسرتين ، وفى بعض القبائل تخطب الفتـاة من يوم مولدها ٠٠ وكانت تتزوج فى سـن صغيرة ٠٠

أما الآن ٠٠ فالفتـاة تفضل الدراسـة والتعليم أولا .. وتؤجل الزواج لما بعد اتمام تعليمها ٠

يقصد الرجل بيت العروس ليطلب يدهـا من أهلها ويأخذ معه الهدية التقليـدية وهى عبارة عن « خروف وثلاثين ثمرة من نبـات الكولا » ٠ فاذا قبلوا هديته يقوم باتمـام الخطبة ٠ وحينئذ يتولى العريس الانفاق على العروس طوال مدة الخطبـة التى لا يجب أن تتعدى سنة واحدة ٠٠ وتتم مراسيم الـزواج على مرحلتين : زواج مدنى ، وزواج شرعى ، فالعريس يتوجه أولا لشيخ الجامع ويدفع له ٢١ فرنكا أى ما يساوى ٢٥ قرشا فقط كمجرد رمز ، وهذا معناه أنه قد تم الاتفاق ، وارتبط الزوج بزوجته ٠

والمرحلة الثانية هى عقـد القران ٠ ويقوم الزوج بتأثيث المنزل ويقـال حفـل زواج فى منزل أسرة العروس فتحضر صديقاتهـا ويرقصن حولها ويقمن بلفها بعشرين مترا من قماش البركال الابيض ٠٠ ويصطحبنهـا الى منزل العريس حيث تتم مراسيم الزواج ٠

وتظل العروس حبيسـة حجرتها لمدة سبعة ايام كاملة لا ترى أحـدا خلالها الا زوجهـا فقط ٠٠ وبعد انقضاء تلك المدة يقام حفل يحضره جميـع الأقارب والأصـدقاء حيث يقومون بتقديم الهدايا للعروس ، وهـداياهم عبارة عن الحلى والملابس ٠

وبعد ٠٠ فقد استطاعت المرأة فى مالى أن تحطم العزلة التى فرضها عليها الاستعمار والرجعية ، وأن تصنع مستقبلها، وتأخذ مكانها الجديد فى المجتمع ٠

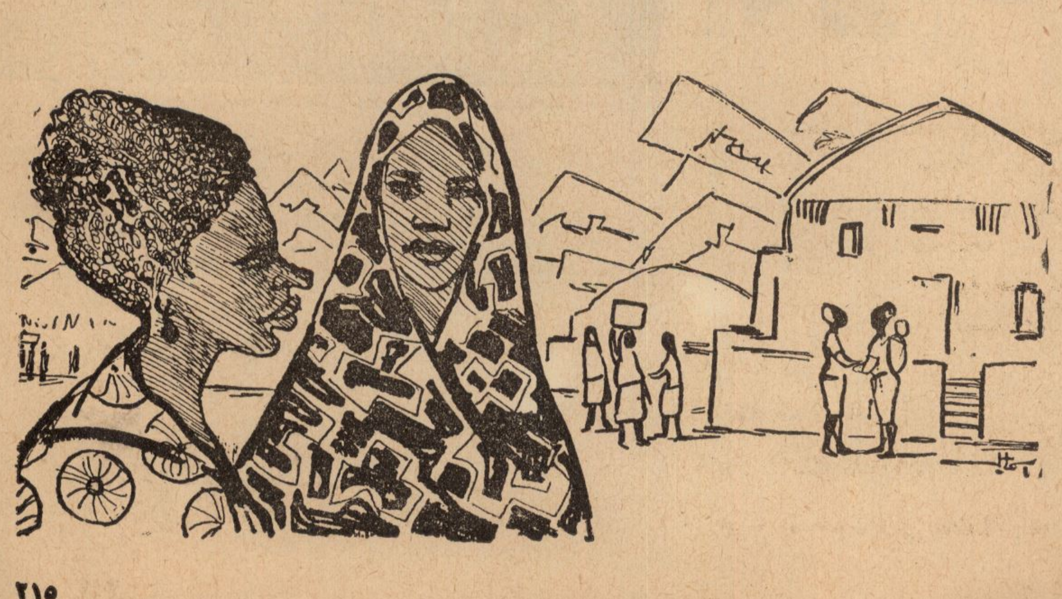

باب الإفتاء

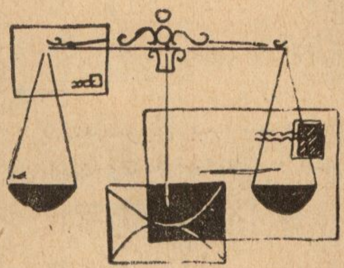

أنت تسأل...؟

والمفتي يجيب...

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

س ١ – من المواطن م.ج.ى من طنطا :

يقول فى سؤاله : انه شاب حاصل على شهادة متوسطة يعول اربعة من الاخوة واما وله أخت عمرها ٢٢ سنة يخشى عليها من عدم الزواج ، اذ انها متوسطة الجمال ولم يتقدم أحد للزواج منها الى الآن ، ولعمه بنت مطلقة من سنتين ولها ولد عمره ثلاث سنوات كما أن له ولدا فى سن الزواج – فهل يحل له ان يعرض على عمه ان يزوجه بنته المطلقة التى تكبره بعامين ، وأن يتزوج ابنه أخته المذكورة وهل يثيبه الله على هذه التضحية وهل يتوقع أحد أن يكون هذا الزواج سعيدا .

ج – لا مانع مطلقا من زواجك ببنت عمك ولا يعيبها أنها مطلقة من غيرك لاحتمال أن تكون مظلومة فى هذا الطلاق وبذلك يجب أن تبحث أولا عن أسباب الطلاق فان تبين لك انها مظلومة ومالت نفسك اليها كزوجة اقدمت على الزواج بنية أن يوفقك الله فيه ، واذا طلب ابن عمك ان يتزوج اختك وكان أهلا لها ورضيت به اختك ومالت نفسها اليه فانه لا مانع من أن تزوجها منه وتتخلص من عقدة انتظار الزوج الذى قد يتاخر قليلا او كثيرا .. واعتقد ان عملك هذا يثيبك الله عليه ولا اوافقك على أنه يعتبر تضحية من جانبك فانا أعرف كثيرين من الشبان تزوجوا مطلقات وسعدوا فى حياتهم الزوجية .. والله أعلم .

س ٢ – من السيد على متولى من كفر العفيفى مركز منيا القمح :

يقول : انه بنى مقبرة خاصة به من ماله – فهل يجوز أن يدفن معه والدته واخوته الذكور ؟

ج – ان دفن اكثر من ميت واحد فى قبر واحد جائز ، ويرى الحنفية انه مكروه الا عند الحنابلة ، والمالكية يرون جواز جمع أموات فى مقبرة واحدة لسبب ، كضيق المقبرة ، ولو كان الجمع فى أوقات متعددة ، والشافعية والحنابلة يحرمون ذلك الا لضرورة – ككثرة الموتى وخوف تغيرهم او لحاجة كمشقة على الاحياء – ونرى أنه لامانع للسائل من ان يأذن بأن يدفن فى المقبرة التى بناها لنفسه والدته واخوته اقتداء بمن جوز ذلك من الفقهاء والله أعلم .

س ٣ – السيد / محمد احمد الغنيمى من الرحمانية بحيرة – كفر غنيم يقول :

انه سمع فى درس الجمعة ان سائلا سأل : هل للزوجة التى لم يدخل بها عدة ؟ وكان الجواب : ان الزوجة سواء دخل بها زوجها ام لم يدخل عليها العدة ، ويرجو الافادة عن هذا الحكم هل هو صحيح أم لا ؟

ج – ان الزوجة اذا طلقت قبل الدخول والخلوة فلا عدة عليها لقوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها » الخ .. ولا ادرى صحة ما نسبه السائل الى حديث درس الجمعة ولعله لم يتبين ما دار فى الحديث او لعل الاجابة كانت خاصة بمن طلقت قبل الدخول الحقيقى وبعد الخلوة الصحيحة ، واختلف الفقهاء فى وجوب العدة بالخلوة الفاسدة ، والصحيح انها تجب احتياطا .

س ٤ - من السائل ع.ع.ى من الشيخ زين الدين يقول :

انه حلف يمين الطلاق بان لا يكلم اخاه ثم كلمه ثم حلف مرة اخرى على زوجته بعد ذلك بأنها تكون « حارمه » أى محرمة مثل أمه واخته ان لم تنتقل معه من القنطرة شرق الى القنطرة غرب ، وانها امتنعت عن الانتقال ثم سافرت بعد يومين الى بلدة « زين الدين مركز طهطا » ، ثم حصل بينهما نزاع بعد ذلك ، فطلب والدها منه أن يطلقها ، فوافقه وطلقها طلقة واحدة أمام المأذون ، وان المأذون اعتبر الايمان السابقة كلها واقعة واثبتها فى قسيمة الطلاق التى اثبت فيها انها صارت بائنة بينونة كبرى .

ويسأل : هل له مراجعتها أم لا ؟

ج - ان المادة الثانية من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ نصت على أن الطلاق غير المنجز اذا قصد به المطلق الحمل على فعل شىء أو تركه فقط وهو يكره الطلاق ولا يرغب فيه ، فان الطلاق لا يقع فى هذه الحالة وتطبيقا لهذا تكون اليمين التى صدرت من المطلق بالا يكلم اخاه ثم كلمه وثانيا بان تكون زوجته محرمة عليه ان لم تنتقل معه من القنطرة شرق الى القنطرة غرب اذا قصد حمل نفسه فى الاولى على الا يكلم اخاه فقط ، وهو يكره حصول الطلاق ولا رغبة له فيه فان الطلاق لا يقع اذا كلم اخاه كما أنه اذا قصد من اليمين الثانية حمل زوجته على الانتقال الى البلدة التى بها عمله فقط ، ولم يقصد طلاقا وهو يكرهه ولا وطر له فيه ، فان الطلاق لا يقع بامتناعها عن الانتقال والامر فى ذلك مرجعه الى نية السائل نفسه وهو أعرف بذلك من غيره ويبقى بعد ذلك الطلاق الواحد الذى أوقعه أمام المأذون وحكمه حكم كل طلاق رجعى يحل للزوج المطلق مراجعة زوجته ما دامت فى عدة طلاقها .

والوصف الذى أثبته المأذون فى قسيمة الطلاق لا يكفى فيه انكاره ولا بد من صدور حكم من محكمة الاحوال الشخصية المختصة بعدم صحته للأسباب التى بيناها فى هذا الجواب والله أعلم .

س ٥ - من محمد عطية من الوراق يقول :

لامرأة طفل ولجيرانها بنت ارضعت ام الطفل الطفلة مرة واحدة حتى شبعت ، ثم شب الطفل والطفلة واراد الشاب ان يتزوج الفتاة ، فهل يحل له ذلك أم يحرم عليه ؟

ج - انه برضاع الفتاة من لبن أم الفتى الذى يريد الزواج منها تصير أختا له من الرضاع ويحرم عليه التزوج منها كما يحرم على الأخ أن يتزوج أخته من النسب ، وهذا الحكم هو ما ذهب اليه علماء الحنفية واشترط الشافعية واحد القولين فى مذهب الامام احمد للتحريم بالرضاع خمس رضعات فلا تكفى الرضعة الواحدة عندهم فى التحريم ، وقد جريت على الافتاء بهذا المذهب رفقا بالناس فى مسألة تعم فيها البلوى .

وبناء عليه يجوز للفتى أن يتزوج من الفتاة التى رضعت من أمه مرة واحدة والله أعلم .

س ٦ - من عادل - طرابلس لبنان يقول :

انه كان عند تاجر بضاعة ارتفع ثمنها .. فهل يحل له شرعا أن يبيعها بالثمن الجديد مع انه أزيد من السعر الاول الذى اشتراها به ؟ .

ج - أن الربح فى البيع حلال فاذا ارتفع سعر سلعة جاز له أن يبيعها بالسعر الجديد كما انه اذا انخفض ثمنها يضطر لبيعها بالثمن

المنخفض ، وهذا هو الشأن فى البيع يحتمل الربح والخسارة . والله أعلم .

س ٧ – من المواطن السابق نفسه يقول :

ان ولدا يأخذ مصروفه من والده ويدخر منه بعد ان يوفر لنفسه حاجته ، فهل يجب عليه أن يزكى عن مصروفه ، وهل اذا وجبت عليه الزكاة يخرجها فى شهر رمضان او فى اى شهر آخر من شهور السنة ؟.

ج – ان الولد الذى يأخذ مصروفا من والده يملك هذا المصروف بتمليك والده له وهو حر فى انفاقه أو ادخاره ، واذا ادخر منه نصاب الزكاة فأكثر ومضى عليه سنة وجب عليه اخراج زكاة ما ادخره ومقدار الواجب ربع العشر ولا يلزم اخراج الزكاة فى رمضان بل يجوز اخراجها فيه وفى غيره من شهور السنة .

س ٨ – من رمضان على عمارة – من كفر سنجاب . دقهلية – يقول :

انه يرغب الاقتران بفتاة وبالبحث تبين أن شقيقها رضع من والدة السائل مع شقيقه ، ويسأل هل يصح اقترانه بها أو لا)

ج – ان مجرد رضاع شقيق الفتاة من والدة السائل لا يحرم الفتاة على السائل بشرط الا تكون قد رضعت هى من والدته والا يكون هو قد رضع من والدتها ، مع ملاحظة ان شقيق الفتاة الذى رضع من والدة السائل لا يحل له ان يتزوج من احدى اخواته لانه يعتبر اخا لهن فى الرضاع .

س ٩ – من احمد زاهر يسأل عن :

– الحكم الشرعى فى معاملة زراعية معروفة فى كثير من مناطق اندونيسيا وتتلخص فى ان فلاحا صغيرا فى موسم الزرع يستلف كيلا من حبوب الارز على أن يردها فى موسم الجنى مع ملاحظة ان الثمن يكون مرتفعا فى موسم الزرع ومنخفضا فى موسم الجنى ويقول : هل هذه المعاملة صحيحة شرعا أو باطلة على انها ربوية مهما كانت صورتها ؟.

ج – ان هذا النوع من المعاملة يسميه الفقهاء بالسلم ، وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم اباحته لجريان العرف به ، فعن ابن عباس قال : قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون فى الثمار السنة والسنتين فقال : صلى الله عليه وسلم : **« من أسلف فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل معلوم »** ، وهذه المعاملة معروفة ايضا فى كثير من البلاد كما هى معروفة فى اندونيسيا كما يقول السائل ، والزراع يلجأون اليها لانهم فى موسم الزرع قد لايجدون عندهم ثمن الحبوب أو الحبوب نفسها فيضطرون لمصلحتهم ان يبحثوا عن الحبوب أو ان يبيعوا شيئا من المحصول قبل جنيه ، فاباحة هذه المعاملة الزراعية فيها رفق بالناس ويعتبر استثناء اقره النبى صلى الله عليه وسلم لمصلحة الناس فى زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وبعده والله اعلم .

س ١٠ – من محمد محمد السيد من اجا – دقهلية يقول :

ان رجلا توفى عن زوجة وابن وبنت واولاد ابن توفى فى حياة ابيه « محمد وشوقية » وأولاد بنت توفيت فى حياة أبيها « محمد وعباس وروائح » ويسأل عن نصيب كل فرد فى التركة ، وهل يتحمل أصحاب الوصية الواجبة فى نفقة تجهيز المتوفى وديونه ؟

ج – نفقة تجهيز الميت تخرج من مال المتوفى قبل الوصية وقبل تسديد ديونه وقبل توزيع التركة بما فى ذلك اصحاب الوصية الواجبة ، وتأخذ هذا الحكم بعد التجهيز ديون الميت التى لها مطالب من العباد ، وتتقدم الوصية الورثة وتخرج الديون مما بقى من تركة المتوفى بعد نفقة تجهيزه من وقت وفاته الى حين دفنه ، والورثة فى الصورة التى وردت فى السؤال اذا كانت الوفاة قبل اول اغسطس سنة ١٩٤٦ تاريخ العمل بقانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ هم : الزوجة بحق الثمن فرضا والباقى بعد الثمن لابن الميت وبنته الموجودين على قيد الحياة وقت وفاته للذكر مثل حظ الانثيين

تعصيبا ولا شىء من الارث لاولاد الابن لحجبهم بالابن ولا لاولاد البنت لانهم من ذوى الارحام المؤخرين فى الارث عن اصحاب الفروض والعصبات ولا شىء لهم ايضا بالوصية الواجبة لان الوفاة كانت قبل العمل بهذا القانون . وإذا كانت الوفاة بعد العمل بالقانون السابق وجب لاولاد الابن واولاد البنت وصية واجبة بمقدار ما يستحقه كل من الابن والبنت لو بقيا حيين الى وفاة المتوفى بشرط الا يزيد ذلك على الثلث فان تجاوز الثلث رد للثلث وعلى ذلك يعطى أصحاب الوصية الواجبة وهم اولاد الابن واولاد البنت الثلث فى تركة المتوفى وصية واجبة وفقا لاحكام المادة ٧٦ من قانون الوصية ، ويقسم الثلث المذكور أثلاثا لاولاد الابن ثلثاه ولاولاد البنت ثلثه ، ثم ما بقى بعد الوصية الواجبة يعطى منه للزوجة الثمن فرضا والباقى بعد الثمن للابن والبنت للذكر ضعف الانثى تعصيبا وما يخص كلا من اولاد البنت بالوصية الواجبة يوزع عليهم للذكر مثل حظ الانثيين .

والله أعلم .

س ١١ : سال السيد عبد الوهاب صالح سليمان عن حادثة تتلخص فى أن رجلا وابنه يقيم كل منهما بعيدا عن الآخر ، والأب لا يستغنى عن ابنه وقد حدث بينهما سوء تفاهم أدى الى ان حلف الابن يمينا بالطلاق ما يدخل بيته ما لم يمت ، وحدث هذا منذ عام ، والأمر يحتاج الآن الى أن يدخل عند أبيه ، فهل اذا دخله يقع الطلاق أو لا يقع مع العلم بانه يؤكد أنه ليس له نية فى الطلاق حينما حلف اليمين وانه لم ينو الطلاق فى أى حال من الأحوال .

ج : ان ما صدر من الابن طلاق غير منجز ، وقد بين القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ الذى تطبقه محاكم الاحوال الشخصية بأن الطلاق غير المنجز اذا قصد به الحمل على فعل شىء أو تركه لا غير فانه لا يقع به الطلاق وما دام الشخص الحالف قد اكد انه حلف اليمين ولا ينوى الطلاق ولا يقصده ، فاذا دخل بيت أبيه يكون حانثا فى يمينه ولا تطلق زوجته منه .

س ١٢ : سال السيد عبد الله محمد احمد - منقباد شارع الخطيب - عن أربعة اخوة أحدهم أبوه توفى منهم اثنان أبوه وأحد أعمامه وبقى اثنان من أعمامه ، توفى أحدهما ولم يترك له ذرية وترك ارثا استولى عليه عمه الذى لا يزال على قيد الحياة ، وقال له ولأبناء عمه الآخر انه ليس لنا حق فى الارث ، فهل هذا الكلام صحيح أو اننا نرث معه ؟

ج : لم يذكر السائل ان الاخوة اشقاء أو لأب ويبدو من سكوته أنهم جميعا فى درجة واحدة وانهم من العصبة وليسوا اخوة من الأم ، فاذا صح ما فهمناه من السؤال يكون الميراث فى احد أعمامه لأخى المتوفى الشقيق أو لأب ولا يشاركه فى الارث أحد من ابناء أخوته الأشقاء أو لأب اذ الارث بالتعصيب يعتمد التقديم بالجهة فتقدم الأخوة على العمومة ثم بالدرجة فيقدم الأخ الشقيق أو لأب على ابن الأخ الشقيق أو لأب .

س ١٣ : سال السيد حسن جبر احمد من بلانة - النوبة الجديدة - يقول : توفى شقيقى محمد جبر أحمد ولم يترك خلفا ولا زوجة ولا والدين ، فهل ابن أخى على جبر أحمد المتوفى قبل والده يرث معى فى شقيقى محمد جبر أحمد ؟

ج : ان ارث شقيقه محمد جبر احمد ينحصر فى السائل ولا يشاركه فى الارث ابن أخيه الشقيق لأن ابن الأخ محجوب بالأخ الشقيق أو لأب .

السيدة الفلين التى أصبحت زينب

(من إنجلترا)

انني كنت دائما أتساءل متى .. وكيف .. ولماذا اصبحت مسلمة ؟ واجيب انني لا أعرف اللحظة الثمينة التى نزل فيها على الدين الصحيح .. ولا اعلم الساعة التى تيقنت فيها حقيقة الاسلام .. وغالبا انني كنت دائما من المسلمين وهذه المسألة ليست غريبة لان الانسان المسلم يعلم تمام العلم ان الدين الاسلامى هو الدين الفطرى والدين الحقيقى والطبيعى للطفل عند ولادته .. وتقول السيدة زينب : حقا فالاسلام كما يقول ناقد غربى حين وصفه «انه دين العقل الصحيح انه الدين المنطقى الذى لا يقبل الشك» ..

وكلما درست وكلما قرات زاد اعتقادى بأن الدين الاسلامى هو الدين الحقيقى ، وبذلك يمكن حل جميع المشاكل العالمية المعقدة عن طريق هذا الدين ، ونجده ـ بعد البحث فيه ـ أنه يجلب على الانسانية السعادة والسلام

وحينما ثبت فى اعتقادى .. ان الله اله واحد لا شريك له لم اتردد فى تصديق ان موسى وعيسى ومحمدا « عليهم الصلاة والسلام » ومن قبلهم كلهم انبياء وقد ارسلهم الله الى جميع أهل الارض وجعل لكل امة رسولا لكى لا تعيش فى الرذيلة ولا تحتاج الى أى فدية أو أى وسيط لكى يقوم بيننا وبين الله فهو سبحانه وتعالى قريب منا فى كل وقت ، لكى لا يشفع احد لنا عنده وانما كل انسان بعمله فهو وحده الذى يشفع له عند الله .

وعندما سألنا السيدة زينب عن مفهوم كلمة الاسلام اجابت : ان كلمة الاسلام تعنى فى مفهومها السلام .. وهو بهذا دين الحرية الذى يحض على المحافظة على الارواح فى جو يسوده الأخاء والمحبة ..

وقالت ان للحج ميزة عظيمة للالهام الروحى لم تمنح للانسان من قبل فان المسلم يزور مكان مولد الاسلام .. ويسلك الطريق الى الأرض المقدسة التى صارع فيها النبى من أجل رجوع الانسانية التائهة الى الحق الى الله .. ولكى نسترجع السنوات العظيمة التى قاسى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضحيته من اجل نصرة الدين الاسلامى .. دين الحق ..

ولكن ليس هذا كل ما فى الاسلام ، فالحج فوق كل شىء لانه دعا الى الوحدة بين المسلمين فى اركان العالم الأربع .. واذا كان هناك شىء يوحد القوى المتناثرة للاسلام ويثبت اقدامه بالتعاطف المتبادل فهو الحج ففى الحج تتلاشى المسافات وتتحد الطوائف والاحزاب المختلفة وهناك تختفى التفرقة العنصرية بين الاجناس المتباينة

وبذلك نجد ان الحج يهىء لهم الفرصة لمناقشة مشاكلهم ويفكروا فى ميراثهم المجيد الذى تركه لهم الاسلام وكيفية المحافظة عليه !! والعمل على نشر مبادىء الدين الاسلامى القويم .

مع القراء

إعداد: فؤاد لبيبة

عزيزى القارىء :

ان التاريخ ليسجل بحروف من نور انتصار الوحدة العربية الاسلامية على الصليبيين فى حطين ، وسحقها التتار فى عين جالوت ، واجماعها على ابادة اسرائيل وتحرير فلسطين فى مؤتمر القمة العربى الثانى ، ولأمرما شاءت الأقدار أن تكون أرض فلسطين مسرحا لهذه الانتصارات وأن تكون مصر بالذات طليعة النضال العربى التقدمى وقاعدته المحاربة .

« ليل عقيم » .. والصورة الشعرية ؟

السيد/تاج الملوك زكى محمد ـ مقرر رابطة الأدب الحديث ـ بنى مزار

ان قصيدتك « ليل عقيم » تدل على استعداد طبعى لقرض الشعر كما تدل على عدم الرؤية الشعرية بدليل ما جاء بها من صور متتابعة لا تتضافر مع فكرة أو شعور فضلا عما اتسمت به من تقليد وابتذال لافتقارها الى الصدق الفنى وربط التشابه فيها بجوهر الشعور والفكرة فى الموقف ! فعليك بممارسة القراءة ، والتحصيل الثقافى ، والدربة على الصدق الواقعى والصدق الفنى .. فأصالة الشاعر فى تعبيره ورجوعه فيه الى نفسه لا الى العبارات التقليدية المحفوظة .. كما أن الصور التعبيرية الايحائية الصادقة أقوى فنيا من الصور الوصفية المباشرة .. فمدار الجودة على الايمان بالتجربة والقدرة على تصويرها فى أصالة ..

« دين الانسانية » .. والأصالة الفنية :

السيد/محمد عبد الخالق ندا ـ مدرس بميت القرشى

غمرت قلبه الذكريات العطرة للعرب والمسلمين فى أوج عظمتهم عندما تمسكوا بالعروة الوثقى .. فجاشت بصدره أمجاد الاسلام ، وتعاليمه القويمة ، ودعوته لتحرير الانسانية من براثن الوثنية ، والشعوب من مرض الشعوبية حتى واتته لحظة الابداع فتغنى فى اسلوب أدبى فنى يدل على أصالته الشعرية التى تتضح لنا من هذه المعانى الانسانية الصادقة المختارة من قصيدته النونية :

« جاهدت باسم الله والقرآن »
فأقمت عهد فضيلة وأمان
عرب من الصحراء ألف بينهم
شرع الاله الواحد الديان
قبسوا من القرآن نور وجودهم
فوجودهم قبس من القرآن
الدين سوى بينهم فتألفوا
شتى من الأجناس والالوان
الله اكبر قد تضاءل عندها
ما كان من جاه ومن سلطان
هذا هو الاسلام فجر مشرق
أرسى الأساس لرفعة الانسان

« الصديق خطيبا » .. وضمانات الحرية

السيد/صفوت على عبد اللا ـ من العلماء

ان المجلة ايمانا منها بالنقد التقدمى ، وبحرية الكلمة البناءة الهادفة ومن أجل توضيح الحقائق العلمية ونفى العقبات وازالة الشبهات يسرها أن تفسح صفحاتها لتنشر على صفحات هذا العدد تعقيب فضيلتكم على مقال الدكتور محمد كامل جمعة « الصديق خطيبا » الذى نشرته المجلة فى عدد صفر ١٣٨٤ هـ .

بريد التعارف

الاسم : ابراهيم خليل غريب
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٠ سنة
المهنة : بالمصانع الحربية
الهواية : الاطلاع والبحوث العلمية
العنوان : ٤٥ ش الدويدار حدائق القبة

الاسم : عبد المنعم احمد أبو زيد
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب بكلية التجارة جامعة اسيوط
الهواية : القراءة ـ المراسلة
العنوان : بريدجامعةاسيوط

الاسم : حميد خليل ابراهيم
البلد : الجمهوريةالعراقية
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب بمعهدالمعلمين
الهواية : المراسلة وجمع الصور والمناظر الطبيعية
العنوان : موصل ـ محلة المكاوى رقم الدار ٥٢/١٣

الاسم : صابر موسى عبدالله
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٧ سنة
المهنة : مدرس
الهواية : قراءةالكتب الدينية وجمع المناظر الطبيعية
العنوان : سوهاج شارع الورشة حارة عابدين

الاسم : محمود احمدالعزب
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب ازهرى
الهواية : قراءة الكتب والاطلاع والمراسلة
العنوان : الاقصر ـ البعيرات جزيرة البعيرات

الاسم : عبد العزيز عبد الرازق سعد
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : المراسلة القراءة والاطلاع ـ الرياضه
العنوان : القاهرة ـ شبرا الخيمة ـ باسوس منزل ٩٩

اقرأ فى هذا العدد :

معالم الطريق ٣

زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة ٦

ارادة التغيير ... ... السيد الأستاذ حسين الشافعى ... ١١

صور مجيدة ... ... فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون ١٣

النهضة الثقافية فى تونس ١٦

صفات الحديث ... ... فضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ١٨

منهج القرآن ... ... فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ... ٢٥

من حضارة الاسلام ... ... الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل ... ٢٩

ما لا يجوز الخلاف فيه ... ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ٣٠

تعقيبات ٤

قداسة الدين ... ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ٤

الاسلام والقومية العربية ... ... الدكتور أحمد الحوفى ... ٤

خواطر مستشار ... ... المستشار على على منصور ... ٥

اشتراط الاسلام ... ... الدكتور على عبد الواحد واقى ٥

الدين هو البعد الجوانى للانسان ... ... الدكتور عثمان أمين ... ٥

الرأى العام ... ... فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى ٥

رأى ... ... الأستاذ محمود كمال ... ٦

التأمين والاسلام ... ... الأستاذ البهى الخولى ... ٦١

موقف الاسلام ... ... الدكتور محمد غلاب ... ٧٠

الاسلام بين العقل والنقل ... ... الاستاذ محمود أبو الفيض ... ٧٥

اعجاز القرآن ... ... الدكتور حنفى شرف ... ٧٧

اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم ... الاستاذ عبد الرحيم فرغل البلينى ... ٨١

دعوة الميثاق الوطنى ... ... الأستاذ حسنى عبد المجيد ... ٨٥

حياة المقر الشهابى ... ... الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى ... ٨٩

تغريب الشرق ... ... الأستاذ أنور الجندى ... ٩٣

فى رحاب القرآن الكريم ... ... الأستاذ عبد العزيز العلى ... ٩٨

رحلتى الى تونس ... ... الأستاذ منصور رجب ... ١٠٣

ايمان الاسلام ... ... الأستاذ ابراهيم عوضين ... ١٠٧

صوت من ليبيا ... ... الأستاذ محمد امين هلال ... ١١٢

الصبر ... ... الأستاذ محمود لطفى عبد الكريم ... ١١٦

فى حرم بيت المقدس ... ... الأستاذ حسن الشيخه ... ١١٧

الاعتصام ... ... الأستاذ عبد العال السيد شعيب ... ١١٩

الصوفية ... ... الدكتور محمد مصطفى حلمى ... ١٢١

الاسلام والمحافظة على الصحة ... ... الدكتور محمد محمد أبو شهبة ... ١٢٤

طريق الأمة الناهضة ... ... الأستاذ منصور حامد نسيم ... ١٢٧

التآمر على التاريخ الاسلامى ... ... الأستاذ أبو الوفا عبد الآخر ... ١٣٠

الزار خرافة ... ... الأستاذ على الجندى ... ١٣٣

سرائر المؤمنين ... ... الأستاذ عبد المنعم الادفوى ... ١٣٨

حول السيرة النبوية ... ... الأستاذ مبشر الطرازى ... ١٤٠

عناصر الحيوية ... ... الأستاذ عبدالله المشد ... ١٤٢

الشهرستانى ... ... الأستاذ محمد سيد جاد الحق ... ١٤٦

قصة يوسف الصديق ... ... الأستاذ بهاء الدين القبانى ... ١٤٨

من أعلام الاسلام ... ... الأستاذ عبد العزيز الاسلامبولى ... ١٥٥

معان اسلامية فى مؤتمر القمة ... ... الدكتور محمد كامل الفقى ... ١٥٨

دراسة حقوق المرأة فى الاسلام ... ... الأستاذ سليمان حسن عبد الوهاب ... ١٦١

تبوك ... ... الأستاذ محمد فاوى عسر ... ١٦٤

الدعاية فى الدعوة الاسلامية ... ... الدكتور فؤاد فخر الدين ... ١٦٧

القصد فى السؤال ... ... الأستاذ محمد محمد الشرقاوى ... ١٧٠

فن الخزف ... ... الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش ... ١٧٢

الثروة من البحر ... ... الدكتور أنور عبد العليم ... ١٨٠

دور المرأة فى المجتمع ... ... الأستاذ عبد الرحمن الشربينى ... ١٨٤

مؤتمر القمة وقضية فلسطين (تحقيق) من اعداد رياض خليفة ومصطفى أبو ريا ... ١٨٨

على ضفاف فلسطين ... ... الشاعر عبدالله شمس الدين ... ١٩٤

الشعر الدينى ... ... الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل ... ١٩٨

ثورة الحسين (قصة) ... ... الأستاذ عبد الحميد جوده السحار .. ٢٠٣

صفية أم المؤمنين ... ... اعداد عائشة حسنى ... ٢١٠

المنظمات النسائية فى مالى ... ... اعداد نجاة الزنيرى ... ٢١٣

أنت تسأل والمفتى يجيب ... ... فضيلة الامام الاكبر ... ٢١٧

لماذا أسلمت ٢٢١

مع القراء ... ... اعداد فؤاد هيبه ... ٢٢٢

بريد التعارف ٢٢٣

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجموعة اسطوانات

الصلاة

وتحتوى على ٧ اسطوانات شاملة
الأذان . الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات
المصحف المرتل
فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا

فى منتصف كل شهر عربى

سلسلتى :

كتب اسلامية

دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
بأقلام أساتذة متخصصين

مطابع شركة الاعلانات الشرقية